

موقف العلماء والسياسيين والإقطاعيين من الاحتلال الفرنسي في جبل عامل (1918-1946م)

من

السيد محمد حسن محسن

أطروحة

مقدمة كجزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر

قسم التاريخ

كليّة الآداب

2016



موقف العلماء والسياسيين والإقطاعيين من الاحتلال الفرنسي في جبل عامل (1918-1946م)

The Stance of the Ulama, Politicians and Feudal Lords Towards the French Occupation in Amel Mountains (1918-1946)

من

السيد محمد حسن محسن

أطروحة

مقدمة كجزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر

قسم التاريخ

كليّة الآداب

إشراف

أ.د. حسان حلاق

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

كلية الآداب

جامعة بيروت العربية

2016



لجنة الحكم على مناقشة محمد حسن محسن

تصدق أن هذه هي النسخة الموافق عليها للأطروحة أدناه

موقف العلماء والسياسيين والإقطاعيين من الاحتلال الفرنسي في جبل عامل (١٩١٨-١٩٤٦)

لجنة الحكم

أ.د. حسان حلاق

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر – كلية الآداب – جامعة بيروت العربية رئيساً ومشرفاً منفرداً ________

أ.د. محمد علي القوزي



أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر – كلية الآداب – جامعة بيروت العربية عضواً داخلياً ________

أ.د إبراهيم محسن

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر – كلية الآداب – الجامعة اللبنانية عضواً خارجياً ________

د. أحمد بدران

أستاذ مشارك التاريخ الحديث والمعاصر – كلية الآداب – الجامعة اللبنانية عضواً خارجياً ________

د. خالد الكردي

أستاذ مشارك التاريخ الحديث والمعاصر–المنتدب للتدريس– كلية الآداب– جامعة بيروت العربية ________

عضواً خارجياً

الإهداء

من جبل عامل المقاوم في كل آن

مقاومة مستمرة لكل عدوان...

إلى كل مقاوم بالسيف أو بالحجر أو باللسان

ودرجات من الإمكان.... أو مراتب من الإيمان...

إلى روح والدي المرحوم الحاج حسن محسن "أبو محمد"

المجاهد الجنوبي الذي واجه التسلط والإحتلال وزرع فينا قيمة العمل والأمل...

إلى الأرواح والأجساد التي بذلت في سبيل إعلاء كلمة الحق

أقدم هذا النتاج الفكري حافز عمل وعطاء

محمد محسن

شكر وتقدير

بعد شكر الله سبحانه وتعالى الذي أعانني على إنجاز أطروحتي العلمية هذه، لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، التي وسمت بـ "موقف العلماء والسياسيين والإقطاعيين من الإحتلال الفرنسي 1920- 1946م، فإنني مدين بالشكر والتقدير إلى أستاذي المؤرخ الأستاذ الدكتور حسّان حلاق، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر في جامعة بيروت العربية والمشرف على الأطروحة على ما بذله من جهدٍ وتوجيه ومتابعة خطوة بخطوة منذ اللحظة التي وضع فيها التصور الأولي لموضوع الأطروحة والفترة التاريخية التي تعالجها وهو موضوع مهم يكمّل من حيث الفكرة والفترة التاريخية ما سبق من دراسات.

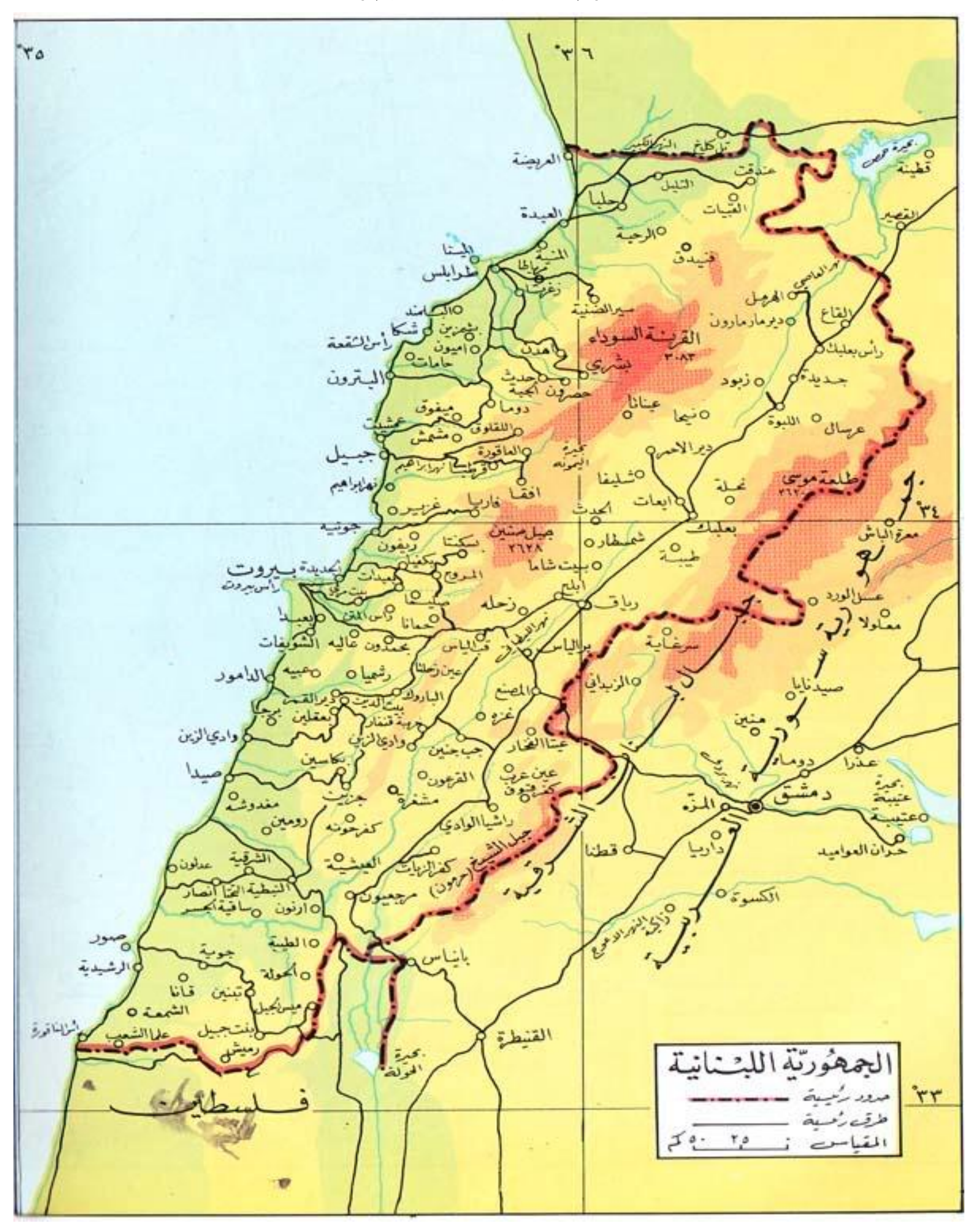
وإن كان موضوعي هذا يكشف دوراً آخراً ومواقف أخرى كموقف العلماء والسياسيين والإقطاعيين من الإحتلال الفرنسي في بداية القرن العشرين ومشروع قيام الدولة ومفهوم الدولة على هوية جبل عامل، هو موضوع مهم لم يتطرق إليه أو يكتب عنه بالتفصيل إلا قلّة من المؤرخين في تاريخنا العربي الحديث، وأنا أوجّه هنا للدكتور حسان حلاق كل الشكر والتقدير لتوجيهاته ومتابعته لأطروحة الدكتوراه هذه والشكر والتقدير كذلك لأستاذي الدكتور محمد علي القوزي أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر في جامعة بيروت العربية، والذي كان لتوجيهاته السديدة أثر في دقة العمل.

كما أتقدم بالشكر للأستاذ الدكتور إبراهيم محسن والدكتور خالد الكردي والدكتورأحمد بدران.

لمشاركتهما في هذه المناقشة، ولإفادتي من ملاحظاتهما القيمّة.

ولا يسعني إلا أن أقدم الشكر والتقدير إلى كل من ساهم معي وقدم وسهل هذا العمل الكبير وأخص بالشكر والإمتنان عائلتي لحبهم ودعمهم الدائم وتشجيعهم لمسيرتي العلمية.

خريطة لبنان الكبير



المصدر: موسوعة الخرائط لجميع دول العالم [**www.mltaka.com**](http://www.mltaka.com)

خريطة جبل عامل



المصدر: Aliwaa.com

المقدمة

نعم جبل عامل! لأن الجغرافيا الطبيعية أسبق على الجغرافيا السياسية، ولأن التسميات التاريخية تعبر عن هويات ثقافية وحضارية تصوغها الجماعات ويكرسها الزمان في المكان. ثم إن جغرافية لبنان السياسية بمسمياتها التاريخية: من عكار إلى الزاوية الكورة، إلى كسروان الفتوح وجرود جبيل، إلى المتن والغرب وبلاد الشوف، إلى البقاع إلى وادي التيم... لا تكتمل إلا بجبل عامل التاريخي: من صيدون شمالاً حتى نهر القرن أو قرية الزيب جنوباً، مروراً بأقاليم: التفاح والشومر والشقيف وبلاد بشارة القِبْلية.

ونعم تاريخ جبل عامل! فالتاريخ بناسِه لا برقعته، وبحركيّة الإنسان في الزمان لا بإمتداده في المكان، وإلاّ لكانت أكبر التواريخ تقع في صحراء الربع الخالي أو في أدغال إفريقيا، ولكانت بريطانيا العظمى مجرد جزيرة في محيطٍ أطلسي.

ونعم تاريخ جبل عامل! لا إعتزال ولا إنعزال!! وإنما بحث عن الغائب أو المغيّب من مكوِّنات التاريخ اللبناني، ليكون تاريخاً وطنياً "متوازناً ومتكاملاً". إنه إستحضار لبعض تاريخ جبل عامل إلى تاريخ لبنان، حيث لا تجد في "اللبنانية" أثراً لـ "العاملية" إلا من إشارات يتيمة عند إعلان "لبنان الكبير"، في أول أيلول 1920، ضامّاً "سنجق صيدا، خلا ما أُلحق منه بفلسطين، بحسب الإتفاقات الدولية"، حيث أصبح جبل عامل يحمل تسمية: "متصرفية لبنان الجنوبي". إنها إشارات لم تكن لتُغني عن غياب، فكان هذا "الحرمان التاريخي"، أقسى أنواع الحرمان الذي عاناه هذا الجبل العامل للدخول في الوطن.

ونعم بلاد الشام بما فيها جبل لبنان وجبل عامل، مشروع كيان عربي ملكي فدرالي مستقل، رفعه العرب السوريون في وجه المشاريع الإستعمارية التي أنبنت على إتفاقية سايكس- بيكو (1916) من ناحية، ووعد بلفور بريطاني- الصهيوني (1917) من ناحية أخرى... متجاهلة الوعود البريطانية للعرب في مراسلات الحسين- مكماهون (1915)، بمملكة عربية مترامية الأطراف بزعامة الشريف حسين بن علي الهاشمي... فكان الصراع بين الإستقلال والإنتداب، وكان جبل عامل إحدى الساحات الرئيسة لهذا الصراع.

ونعم "لبنان الكبير"! حلم تاريخي لـ "للبنانيين" بكيان مستقل "بحدوده التاريخية"، من النهر الكبير شمالاً إلى "حد فلسطين" المتحرك جنوباً. وهو يضم إلى "لبنان الصغير" مناطق- "ملحقات"، ومنها جبل عامل، يدّعيها تاريخياً وكانت خارجه إدارياً. ولكن العقبة الوطنية الكأداء لهذا الـ "لبنان الكبير" تمثلت بفصله عن "سوريا الكبرى" من جهة، وطلبه الوصاية الفرنسية من جهة أخرى، فكانت التجاذبات بين الإتصال والإنفصال، بين الوحدة والتجزئة. وكان جبل عامل، عموماً، وحدوياً إستقلالياً.

ثم كانت الجغرافيا في خدمة التاريخ، وكان جبل عامل- كما اليوم- محل تجاذب ومثلّث تصارع: فكانت "سوريا الداخلية الفيصلية تقارع الإحتلال الفرنسي عبر جبل عامل، أحد إمتدادتها في "المنطقة الساحلية". وكانت فلسطين "الإنكليزية"، الموعودة بوطن قومي ويهودي، تصل بأطماعها الشمالية حتى نهر الأولي، وجبل عامل ضمناً. وكان "لبنان الكبير" تحت الوصاية الفرنسية يطمح إلى التوسع في جبل عامل حتى الليطاني، أو حتى الناقورة، أو حتى حدود "الجزء الذي سيعطى لفلسطين". وبين هذا وذاك وتلك، كان جبل عامل قطب الرحى في الصراعات السياسية والعسكرية، الدولية والإقليمية، التي تقاطعت على أرضه. ولم يكن متغيّباً عن دوره، وكان الموقف العاملي في الميزان...

إن التاريخ العاملي كان يعاني من آفة التأريخ بالمشافهة، بالرواية قبل الدراية والتلقين قبل التدوين، وهذا يؤدي، طبعاً، إلى آفات تأريخية، منها، النسيان والإلتباس، الإندثار أو الإختصار، وإختزال الجماعة بالشخص- الزعيم، وإستسهال الوصول إلى خلاصات مرتجاة، هي أقرب إلى النرجسية الإنشائية منها إلى التاريخية العلمية. وتلك آلية في التأريخ تتملك الجماعات والشعوب في مراحل بدائية من تطورها الحضاري، فتكتفي بالتغنى بخصوصياتها الجمْعية. لكن كل ذلك لا يغني عن التدوين والتحقيق، فالتأريخ أصبح علماً إنسانياً مكتمل العلمية، المدوّنات والآثار مادته، والمؤرخ صائغه، وبعد إجتماع الوثائق فإن أي خطأ في التأريخ هو خطأ المؤرخين.

أولاً: أهمية الدراسة:

من ناقل القول إن المسوّغ الموضوعي لوجود أي بحث تاريخي هو شرط الجِدّة أو الإتيان بجديد. وهذه الأطروحة تحاول بكل تواضع جمع الشرطين، ليجد فيها العامليون بعضاً من حقائقهم التاريخية الموثّقة في المصادر الأرشيفية الأجنبية، والفرنسية بخاصة، وفي المخطوطات العاملية المستنفدة من ركام الكتمان أوالنسيان سيّان، مقابل ما تناقلوه من تاريخهم مشافهة، وأحالوه مرة إلى ما يقارب الأسطورة عن حفلات إبادة متبادلة بعيداً عن العوامل الموضوعية لوقوع التاريخ. ومرة أعادوه إلى كرامات بعض الأولياء وغضبات الأفاضل من العلماء على "هفوات" بعض الزعماء، بعد طول مهادنة والتقاء يفسّران كنه البنى الحقيقية لإنتظام الجماعة في قوالب سلطوية، غالباً متعاضدة. ومرات أنشدوه أوصافاً لعراضات أو رحلات صيد وإستجمام لعلّية القوم إلى الينابيع والسواقي، في مطارحات "الإخوانيات" العاملية، بعيداً عن هموم المجتمع وأحواله التي هي جوهر التاريخ.

ولكن لهذه الدراسة، من ناحية أخرى، مسوّغات وطنية أكثر أهمية: فهي، في أصولها البحثية، جزء من كلٍ علمي متكامل، جاء في دراسات تاريخية أكاديمية وقعت في أعوام السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين، في وقت كان فيه السجال السياسي، وما يزال، على أشُدِّه حول الكيان اللبناني: وجوداً وحدوداً، هوية ونظاماً، تاريخاً وحاضراً ومستقبلاً. وفي مجال التأريخ تحديداً، راجت في أوساط فئة من اللبنانيين، الأوساط "العروبية" بخاصة، مقولات وشبهات حول التأريخ اللبناني الرسمي بأنه محرّف أو مزوَّر أو مصطنع، أو على الأقل منقوص وطنياً، بإقتصاره، حصرياً، على تاريخ الساحل الفينيقي قديماً، وتاريخ جبل لبنان حديثاً، "لبنان الصغير" سواء كان "الإمارة" أو "المتصرفية"، وإهماله لماضي "الملحقات " اللبنانية الأخرى، ولم يكن تناوُله بعضها إلا كملحق جغرافي- تاريخي في خدمة تاريخ الجبل اللبناني. وكان من تداعيات هذه الإنطباعات، إضافة إلى عوامل أخرى، نفور من الإنتماء اللبناني إلى حد الإنكار، والتطلع، تعويضاً، إلى الهوية العربية الجامعة.

وفي هذه الزاوية من السجال، وتحقيق تأريخ "متوازن" للبنان بدلاً وما تزال، تتطلع إلى مساهمة في ترميم التأريخ اللبناني، وتحقيق تأريخ "متوازن" للبنان بدلاً من نكرانه،

تأريخ يستحضر تسميته "الحرمان التأريخي"، وهي محاولة تضيء شمعة في البنيان الوطني خير من لعنة الظلام والظلم التاريخي، فيتلمس مختلف اللبنانيين جذورهم التاريخية، طالت أم قصرت، في لبنان الجغرافي، ويستقر إنتماؤهم الوطني، طوعاً وإختياراً لكل ذلك كان هذه الأطروحة ثمرة جهود، إستنفاداً وتحقيقاً لبعض التاريخ العاملي المضيّع، وتصويباً إستكمالياً لـ "التأريخ اللبناني المتوازن"، على أن يضيف جديداً إلى المكتبة التاريخية العربية عموماً، واللبنانية خصوصاً، والعاملية على الوجه الأخص، عن إقليم كان مغفلاً في الجغرافيا التاريخية القومية.

هذه الحقبة الغنية بالتقلبات السياسية والإجتماعية، قد إختصت بالضغط المتزايد الذي كانت أوروبا تمارسه (على المنطقة) والذي وصل إلى الإحتلال العسكري ثم تحوّل إلى الإنتداب الذي أوكلت بموجبه عصبة الأمم فرنسا (بلبنان وسوريا).

إنّ من كان من الرجال من طلبة العلم هم العلماء وأصحاب الفضيلة، وقد أفردنا لهم، ولبعض الشخصيات الثانوية الأخرى، تراجم في آخر هذه الأطروحة. ومن البديهي أن بعض هؤلاء العلماء قد ألّفوا وعملوا أكثر من البعض الآخر، فكانت مؤلفاتهم وأعمالهم في صلب الأطروحة. غير أن رجال الدين الآخرين قد حظوا بإهتمامنا أيضاً. وقد حاولنا أن نعيد العلاقات الإجتماعية التي كانوا يرتبطون بها وذلك بإظهار صلاتهم وخططهم وعلاقاتهم بالفاعلين الآخرين في المجتمع ومتابعتهم حتى في نشاطهم.

ثانياً: إشكالية الدراسة

تتمحور إشكالية الدراسة في البحث عن موقف العلماء والسياسيين والإقطاعيين من الإنتداب الفرنسي خلال فترة الإنتقال من العهد العثماني إلى العهد الفرنسي وقيام الجمهورية-اللبنانية ومن ثم الإجابة على مجموعة من التساؤلات التي تتعلق بصورة رئيسية بمواقف العناصر الفاعلة في المجتمع العاملي والمؤلفة من أهل العلم والإعيان والوجهاء والمقاوميين الذين تمكنوا من أخذ حق القرار على أرضهم ومواجهة التحديات.

ثالثاً: منهج الدراسة

- وضع الخطوط العريضة للدراسة وفرضياتها والأسئلة الخاصة بشأنها بما يتوافق وأسس البحث العلمي والوحدة العضوية والسياق الزمني اللازم.
- إعتماد المنهج التاريخي العلمي في جمع المادة من مصادرها الأولية وما يتعلق بها من مراجع حديثة والوصول بها إلى قدر كبير من الإحاطة والتنوع كي يسهل معها التحليل والمقارنة والإستنتاج والإجابة.
- صياغة المحتوى وفق المنهج التحليلي وتدعيمه بالإشارات المصدرية والمرجعية التي يسهل معها الرجوع إليها من قبل المتخصصين والمهتمين.
- الإلتزام بأسس المدرسة الواقعية بصفتها إحدى الركائز الأساسية للموضوعية التاريخية والعمل وفق رؤى هادئة بعيدة عن التمييز والإنتقائية والمغالاة وجلد الذات في تحميل النصوص أكثر مما لا تحتمل أو تطويعها لخدمة الأفكار المسبقة أو الوقوف في مصاف المحاماة أو المرافعة وإستخلاص النتائج.

رابعاً: فصول الدراسة:

وقد عرضت الدراسة في ستة فصول وخاتمة وحيث خصص الفصل الأول لمعالجة "هوية جبل عامل التاريخية والعلمية" من تسميته بجبل العلماء وتحديد طبيعته وشرح أصول التشيع فيه إلى الحديث عن الأحوال الطائفية ومن ثم واقع الزعماء والوجهاء وموقع العلماء في المجتمع العاملي وكذلك منهج العامليين وتنظيم التعليم والتربية في بلادهم.

بينما جاء الفصل الثاني تحت عنوان "النهج العاملي في مواجهة التحديات" وهنا دور جمعية العلماء العاملية وتضارب المصالح وأسباب الخلاف وإنعكاسها على العلماء الشباب وإظهار موقع كل من العالمين العامليين السيد محسن الأمين والسيد عبد الحسين شرف الدين ودورهما في سياسة العاملية وحول التقريب بين المذاهب في مرحلة سياسية خطيرة في تاريخ جبل عامل وحيث تعاظمت التحديات أظهر العلماء علمهم الذي ينتفع به.

بينما خصص الفصل الثالث إلى تبيان مرحلة "نهاية التسلط العثماني مع بداية الإحتلال الفرنسي" وهنا تأثر لبنان بإنقلاب موازين القوى والدور الذي لعبه الفرنسيون في تأسيس الكيان اللبناني وقيام الحكومة العربية في لبنان وزوالها على يد الإنتداب مما تناول ولادة فكرة المقاومة وإستخدام القوة في مواجهة فرنسا ودور العلماء المرشد في المواجهة كما أثار موقف المسيحيين الذين عملوا على ترتيب الآثار في إنقلاب موازين القوى لمصلحة الغرب، خصص الحديث عن إشتعال الجبهة الشرقية والهجوم الفرنسي المعاكس وكذلك المقاومة الشيعية ودورها وتمويلها وأنصارها.

أما الفصل الرابع فيتناول بـ "المقاومة في جبل عامل" ويبيّن إضطراب الموقف السياسي عند زعماء الشيعة وموقف العامليين في المؤتمر السوري الأحداث التي مهدّت لمؤتمر الحجير ودور السيد عبد الحسين شرف الدين فيه والتصدي للفتنة الطائفية في جبل عامل والرد المعاكس من قبل الفرنسيين والحملة الإعلامية محل دور السيد شرف الدين لإستغلال الفتنة، كما أشار هذا الفصل إلى الحملة الفرنسية الإنتقامية والإجتياح لجبل عامل ودور قادة الشيعة في جبل عامل بعد العدوان الفرنسي.

أما الفصل الخامس فهو يبني التحولات السياسية في جبل عامل ودور العلماء السياسيين بحيث ظهر دور العامليين والسيد الكبير وموقفه من جنود الأجانب وأحداث العام 1936م والتمرد في بنت جبيل وكما أظهر هذا الفصل الهوية الشيعية والطائفة السياسية بعد الإعتراف بالفقه الجعفري وإنشاء المحاكم الجعفرية ونشوء الإدارة الذاتية لإقامة الشعائر الدينية ومن ثم ولادة الطائفة السياسية.

أما الفصل السادس والأخير "المشروع الصهيوني إلى جبل عامل في ظلّ الإنتداب فقد أشار إلى خطر المشروع الصهيوني على المنطقة وجبل عامل بالتحديد في ظل الإنتداب الفرنسي، والأهداف اليهودية والأطماع في جبل عامل وكشف العلاقات والأسرار بين ديفيد بن غوريون عام 1937م وبشارة الخوري والدعوة بينهما على توثيق العلاقات وتهجير أهالي جبل عامل، وكذلك دور السيد محسن الأمين والسيد عبد الحسين شرف الدين من ثورة القسّام والثورة الكبرى عام 1936 وإنتفاضة جبل عامل في العام نفسه معها إثر أحداث بنت

جبيل تزامناً مع ثورة القسام في فلسطين، وبعدها أحداث الأربعينيات في جبل عامل وواقع الزعماء، وتبيان الوجه الحقيقي للإستقلال ودور الرئيس بشارة الخوري الجديد وتزامن الخطط الإسرائيلية على جبل عامل والإهمال المتعمد من قبل الدولة اللبنانية بحق العامليين.

هذا، وقد أنهيت الدراسة بخاتمة واستنتاجات وملاحق وثائقية وفهرس أعلام والمصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

الفصل الأول

" هوية جبل عامل التاريخية والعلمية"

الفصل الأول

" هوية جبل عامل التاريخية والعلمية"

أولاً: جبل عامل "جبل العلماء"[1]

سئل الإمام جعفر الصادق[2] (ع) "كيف يكون حال الناس في حال قيام القائم عليه السلام وفي حال غيبته ومن أولياؤه وشيعته من المصابين منه المتمثلين أمر أئمتهم والمقتفين لآثارهم والآخذين بأقوالهم؟ قال عليه السلام: بلدة بالشام، قيل: يا إبن رسول الله إن أعمال الشام متسعة؟ قال: بلدة بأعمال الشقيف أرنون وبيوت وربوع تعرف بسواحل البحار وأوطئة الجبال. قيل: يا إبن رسول الله هؤلاء شيعتكم؟ قال عليه السلام: هؤلاء شيعتنا حقاً، وهم أنصارنا وإخواننا والمواسون لغريبنا والحافظون لسرنا، واللينة قلوبهم لنا والقاسية قلوبهم على أعدائنا، وهم كسكان السفينة في حال غيبتنا، تمحل البلاد دون بلادهم، ولا يصابون بالصواعق، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويعرفون حقوق الله ويساوون بين إخوانهم، أولئك المرحومون المغفور لحيّهم وميتهم وذّكرهم وإناثهم ولأسودهم وأبيضهم وحرّهم وعبدهم. وإن فيهم رجالاً ينتظرون، والله يحب المنتظرين[3].

ثانياً: طبيعة وجغرافية جبل عامل:

إحتفظ جبل عامل بهذا الإسم في قلوب بعض سكانه على الأقل، بعد أن أصبح سنة 1920 "جنوب لبنان". وهو ذاكرة لتاريخ ورمز لهوية مرغوب فيها وعلامة على التشبث بالأرض، "بالجبل"، كما هو شائع في الشرق: وأنت إذ تأتيه من بيروت تجد في خارج صيدا لافتة على الطريق تدلك على أنك دخلت جبل عامل.

ما إن تترك السهل الساحلي الضيق حتى تدخل في بلاد محدّبة مدورّة، تختفي بهضابها التي لا يزيد إرتفاعها على الألف متر، ووديانها المتشابكة، خلف سلسلتي جبال

---

(1) جبل العلماء عبارة أطلقها الكاتب اللبناني مارون عبود (1885-1962) راجع: نقدات عابر، دار الثقافة، بيروت، ص 209.

(2) جعفر الصادق (702 – 765م) (80 – 148هـ) أبو عبد الله، هو جعفر بن محمد الباقر، من أحفاد الإمام الحسين بن علي (ع) وهو الإمام السادس في الأئمة الإثنين عشر أهل بيت النبي محمد (ص)

(3) محمد الحر العاملي، أمل الآمل، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1983، الجزء الأول ص 15-16 يذكر هنا أنه فيما يتعلق بالتقليد الشعبي فإن سفينة نوح هي الأئمة.

لبنان الغربية والشرقية التي يزيد إرتفاع قممهما على الألفي متر في الأغلب، وقد تصل أحياناً إلى ثلاثة آلاف متر، فيبدو جبل عامل أمامها متواضعاً بأعلى قممه التي ترتفع إلى 943 متراً. يحده البحر الأبيض المتوسط من الغرب. ويشرف عليه من الشرق جبل حرمون على الحدود السورية. وتقف حدوده شمالاً عند نهر الأولي الذي يفصله عن الشوف. وأما جنوباً فلا تظهر حدوده الطبيعية. وذلك أن نصفه الجنوبي، بحسب الجغرافيين، يعتبر جزءاً من الجليل الأعلى، "وهو قبة محدّبة ذات شعاع طويل الإنحناء"، يمتد من الليطاني إلى محور عكا- صفد- طبريا[1].

وهما يتشاركان في البنية التكوينية[2] والزائر الداخل في هذه المنطقة من جهة البحر يجتاز هضاباً فينتقل من تل إلى آخر ولا يزال في صعود ونزول نظراً لإمتداد الأودية في موازاة الساحل. إلا أنه لا يصادف في مسيره لا طارئاً ولا إنكساراً طبيعياً وعراً. فهذه البلاد المتوسطة الإرتفاع، لا شاهقة ولا منخفضة، منحصرة بين 400 م و 800 م، هي وسط بين السهوب والقمم، توحي بالإتزان والهدوء.

وقد كتب المقدسي (336- 380 هـ، 947- 1990م) من جغرافيّي القرن العاشر الميلادي يقول: "جبل عامل ذو قرى بديعة وأعناب وفاكهة وزيتون وعيون. ويروي المطر المزارع...".

وقد حدد المقدسي الطريقة الشائعة المسماة بالمحابس، وهي أرض تُروى طبيعياً بالمطر من غير اللجوء إلى عمليات الري[3].

في القرن الرابع عشر، وصف شمس الدين محمد الدمشقي (ت. 1327) وادي الليطاني بأنه أكثر المنتزهات شهرة في زمانه، وفيه الإجاص السكري المعطر اللذيذ الطعم.

أما جبل عاملة عموماً فكان فيه حينها الكرمة والزيتون والخروب والبطم[4].

(1)Cf. Etienne de Vaumas, Le Liban, vol. I, Firmin- Didot, Paris, 1954, p.80 et p.83
(2)Pierre Birot et Jean Dresh, La Mediterranée et le Moyen- Orient, vol. II, PUF, Paris, p.213
(3) شمس الدين المقدسي "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتبة المصطفى ، الطبعة الثالثة 1991- ص 51 و 52.
(4) شمس الدين، محمد الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بطرسبرج، 1865، ص 211.

وترك لنا بعد ذلك الرحالة الأوروبيون إنطباعاتهم حول بعض الأماكن التي مروّا بها مروراً قاصدين القدس أو بيروت أو دمشق.

وقد ذكر الدكتور لورتيه[1] بعد انطلاقه من تبنين نحو بنت جبيل وصوله إلى قرية جاثمة في حضن حوض جبلي تزدهر فيه الزراعة، إلا أنه عار من الأشجار، ويُزرع فيه القمح والتبغ والكرمة ذات الثمر الطيب بحسب "لورتيه" الذي يرى أن أهل الحوض أغنى من جيرانهم بفضل غلال أرضهم[2].

في العقد الثالث من القرن العشرين تحوّل الكاهن "لامنس" بدوره إلى رحالة: "بعد أن حاذينا الساحل طوال ساعة من الزمن، إنحرفنا نحو الجبل فإجتزنا أودية مروية، يكسوها قمح يبدو وكأنه قد نبت بنفسه بلا زراعة: بحر من الخضرة نمخره على أصوات القبرات[3]...! ويذكر اليعقوبي (تـ 891)، في وصفه ولاية دمشق، جبل الجليل، فيقول إن سكانه من عاملة[4]. ويعتبر جبل عامل هو الإسم الأشيع في الإستعمال ولا سيما لدى المؤلفين من المنطقة، وهو بإسم القبيلة التي ذكرها اليعقوبي سابقاً، وإنما تسقط التاء المربوطة لتخفيف اللفظ[5].

ويروي محمد جابر آل صفا بمقتضاها سكان جبل عامل من ذرية عاملة بن سبأ بن يشغوب بن يعرب بن قحطان، وهي قبيلة يمنية هاجرت إلى هذه البلاد سنة 300 قبل الميلاد، بعد الطوفان وخراب سد مأرب ونهاية مملكة سبأ[6].أما حدوده فيذكر الحمداني، في القرن العاشر الميلادي، أن جبل عاملة يطل على بحيرة طبريا بإتجاه البحر. ثم يضيف في موضع آخر أنه يشرف على عكّا وله نافذة على الأردن[7].

---

(1) لويس لورتيه، أحد العلماء الفرنسيين الذي زار بلاد الشام عامي 1875 و1880 وكتب كتاباً ضخماً مزيّناً بالصور أسماه: سورية اليوم La Syrie d'aujourd'hui نقل فيه مشاهداته.

(2) Louis Lortet, La Syrie d'aujourd,hui. Voyages dans la Phoenicie, le liban et la Judée, 1875-1880, Hachette, Paris, 1884, p.151-152

(3)Henri Lammens, Sur la frontière nord de la terre promise, Paris, 1921, p.15

Kazem Mohammad Makki, "Le movement intellectuel et littéraire au « Jabal "Amil, XIIIe-XVIe siècle" thèse d'Etat, Paris, 1974, dir. Roger Arnaldez, p.15

(4) أحمد اليعقوبي، كتاب البلدان، المطبعة الحيدرية، النجف، 1957، ص 83.

(5) محسن الأمين، خطط جبل عامل، الدار العالمية، بيروت، 1983، ص 51.

(6) محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، دار النهار، بيروت ص 24-25

(7) حسن الحمداني، صفة جزيرة العرب، دار اليمامة، الرياض، 1984، ص 272-274.

وبحسب ياقوت الحموي، في القرن الثالث عشر الميلادي، فإن الجليل يمتد من سواحل الشام إلى محيط حمص وحتى إلى دمشق. ويستشهد هذا الجغرافي فيما يستشهد بإبن فقيه (من القرن التاسع الميلادي) زاعماً أن قبر نوح يقع في الجليل قرب حمص[1]. وقد كانت هذه المنطقة إذن وهي البقاع اليوم، تابعة للجليل وكانت جزءاً مما كان عليه جبل عامل. وكان علماؤها ينسبون إلى عاملة (العاملي) ومنهم نور الدين الكركي العاملي (تـ1534)، وكان قد إشتهر في تاريخ العقيدة الشيعية.

وقد تقلص جبل عامل حتى كاد يزول. فحدوده ليست مثبتة في المصادر المكتوبة بل متناقلة بالمشافهة على ألسن منسية[2]، مما يفسر إختلاف الآراء بين المؤلفين الذين إنكبوا على تاريخ البلاد العاملية منذ بداية القرن العشرين، فبدأوا بوصف نطاقها الجغرافي. إلا أن هذا الإختلاف يبقى في حدوده الدنيا، فلنأخذ بحدود جبل عامل كما وضعها محسن الأمين، بدلاً من الخوض في تفاصيلها:

"من جهة الغرب شاطئ البحر المتوسط أو بحر الشام، ومن الجنوب فلسطين، ومن الشرق الأردن (الحولة) ووادي التيم وبلاد البقاع وقسم من جبل لبنان الذي هو وراء جبل الريحان، ووراء إقليم جزين، ومن الشمال نهر الأولي أو ما يقارب منه وهو المسمى قديماً نهر الفراديس، وهذا التحديد مما لا شبه ولا شك فيه، ولا يقع التأمل في الحد الفاصل بينه وبين فلسطين، فقد قيل إنه هو النهر المسمى نهر القرن"[3].

وما يقترحه المؤلفون العامليون ليس سوى الحدود التي يعتبرونها طبيعية. ولا بدّ من التنويه بأنّ كتاباتهم تمت بعد إنشاء دولة لبنان الكبير عام (1920) وتحول جبل عامل إلى محافظة لبنان الجنوبي. على أن هذه المحافظة، وهي دائرة إدارية، لا تطابق الحدود المنشودة هذا بالإضافة إلى أن السلطات الفرنسية قد تخلت، في بداية الإنتداب الفرنسي، عن بعض القرى العاملية للبريطانيين فأصبحت منذ ذلك الحين جزءاً من فلسطين[4]. ولا بدّ من

---

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ض 110.

(2) محسن الأمين، المرجع نفسه، ص 61

(3) محسن الأمين، خطط جبل عامل ص 61، وهي الحدود نفسها التي يذكرها، مثلاً، محمد جابر آل صفا في تاريخ جبل عامل ص 24، وعلي الزين في مع التاريخ العاملي، صيدا 1954، ض 44.

(4) يتعلق الأمر بتسع قرى غالبية سكانها العظمى من الشيعة وهي: الجاردية، هونين، قدس، يوشع، مالكية الجبل، صلحا، حانوتا، تربيخا، إبل القمح. عصام خليفة، الحدود الجنوبية للبنان بين مواقف نخب الطوائف والصراع الدولي (ب.ت) (ب.م)

التذكير أيضاً، بأن في جبل عامل سكاناً من غير الشيعة. على أن بعض الكتاب الشيعة المعاصرين ينفون عنهم صفة العاملية[1]، كما لو أن جبل عامل والتشيع متطابقان تمام التطابق، أفلا تُسمى هذه المنطقة جبل المتاولة أي الشيعة[2]. علماً أن جبل عامل والجنوب بصفة عامة مثل بقية المناطق اللبنانية نتيجة توطن مختلف الطوائف اللبنانية ضمن أكثرية شيعية.

ثالثاً: أصول التشيع في جبل عامل:

لقد إتبع نتاج المؤرخين العامليين المسار الذي حدده الشيخ محمد حسن الحر العاملي (تـ 1693)، وهو الذي يؤكد، من غير ذكر مصادره، أن التشيع في جبل عامل أقدم منه في غيره من البلاد، ما خلا المدينة المنورة، وأنه يعود فيه إلى عهد الخليفة عثمان (رضى) (47 ق.هـ 35 هـ، 576- 656 م). ويتابع قائلاً قامت بعد ذلك، جماعات قليلة من الشيعة في مكة والطائف واليمن والعراق وبلاد فارس، إلا أن عددهم في جبل عامل كان الأكثر[3]. وعلى ما يبدو فإن الشيعة الإمامية في الواقع لم تدخله إلا إبتداء من القرن السابع الميلادي، وقد إزدهرت فيه في القرن الحادي عشر، إلى درجة أن الرحالة والجغرافيين العرب من القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر الميلادي، نقلوا إلينا أن كل سكان جبل عامل كانوا من الإمامية الرافضة[4].

وقد إضطر الشيعة إثر إنهزامهم بعد حملات المماليك الإستبدادية والتسلطية على كسروان (1291م-1305م) للتراجع إلى جزين والبقاع[5] مع بقاء بلدات شيعية إلى اليوم في المنطقة لا سيما في بلاد جبيل فزادوا بذلك عدد السكان في جبل عامل. وتتابعت الحركة بعد ذلك من البقاع حيث إلتجأ الشيعة بعد أن طردهم المسيحيون من جبل لبنان وقبل أن يعودوا نهائياً إلى جبل عامل حيث وافوا أبناء مذهبهم. وبهذا شفيت صور مما تركه الصليبيون فيها

---

(1) مثلاً، منذر جابر، في أطروحته لنيل الدكتوراه، يُخرج مدينة صيدا، وهي ذات أكثرية سنية، من جبل عامل، كذلك يخرج القرى المسيحية في منطقة جزين وبعض القرى الملحقة بفلسطين مما يقطنها مسيحيون أو سنة.

(2) منذر جابر، المرجع السابق ص 1. يقول إنّ هذه التسمية تعود إلى القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي. ومرجعه في ذلك علي الزين، مع التاريخ العاملي ص 165-166.

(3) محمد حسن الحر العاملي، أمل الآمل، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1983، الجزء الأول ص13.

(4) المصدر نفسه، نفس الصفحة.

(5)Abdul- Rahim Abu Husayn, “The Shiites in Lebanon…”p.110

من أضرار، وعاد إليها السكان، ونهضت إقتصادياً على مر السنوات حتى على الصعيد المحلي وتزايد عدد الشيعة في المنطقة حوالي سنة 1750، قدر عددهم بأربعين ألفاً[1]. كما يؤكد رفيق التميمي ومحمد بهجت بأن عدد سكان منطقة صور أوائل القرن العشرين حوالي 41 ألف وصيدا حوالي 54 ألف ومرجعيون حوالي 31 ألف[2].

إنه من الصعب تقدير عدد الشيعة في جبل عامل قبل إحصاء سنة 1921: فقد كانوا، بإختلاطهم بغيرهم من المسلمين، لا يمكن تفريقهم عن السنة. وقد أطلق الرحالة والعلماء أرقاماً بعيدة الإحتمال بل لا يمكن التأكد من صحتها، كأرقام "لورتيه" الذي يؤكد أن عدد الشيعة، في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، يتراوح بين خمسين وستين ألفاً، مردفاً بعد ذلك بأن نصف السكان في صور وعددهم خمسة آلاف من الشيعة والنصف الآخر سُنة[3]. وهذا بالتأكيد لا شك خاطئ، فالسُنة لا يمثلون إلا نسبة ضئيلة من سكان صور، وما خلاهم، من المسيحيين.

ويطلق على شيعة جبل عامل والبقاع وكسروان إسم المتاولة (مفردها متوالي)، وقد فُرنست الكلمة فإستعملها الرحالة والمؤلفون الذين كتبوا عن المنطقة. وبخلاف ما ظنّ الرحال الإيطالي "ماريتي" الذي زار لبنان وجبل عامل في نهاية القرن الثامن عشر، فإن المتاولة، ويسميهم "متوال"، لا يأخذون إسمهم عن القبطان الشهير "متوال"[4]. ورغم أن تأصيل الكلمة يبقى غامضاً، فإنه يرتبط بصلة إتّباع وولاء للإمام علي (ع) وذريته. ويعتبر السيد محسن الأمين أنهم سمّوا كذلك إما لأنهم أثناء المعارك كانوا يقولون: "مُت ولياً لعلي" كما يؤكد ذلك الشيخ محمد عبده بحسب ما يقول السيد محسن الأمين، أو لأنهم كانوا يتولّوا الإمام علي (ع) وأبناءه[5]. أو لأن كل واحد منهم كان موالياً للإمام علي (ع). وأصل ذلك "الولاء" ويعني حبهم أسيادهم أهل بيت النبي (ص)[6] ، ولا تصح هذه التسمية إلا على شيعة

---

(1)Antoine Abdel Nour, Introduction, p.80

(2) رفيق اليتيمي ومحمد بهجت "ولاية بيروت" مطبعة الإقبال بيروت 1335 هـ - 1916م – ص 8.

(1)Louis Lortet, La Syrie d'aujourd'hui, p. 116 et.p. 123

(4)Mariti, Voyage dans I'ile de Chypre, Paris, 1791, vol, II,p.69 (traduction en francaise du texte en itali-En). Cité par Mohammad kazem Makki, Le movement intellectual et littéraire, p.35

(5) أنظر محسن الأمين، خطط جبل عامل،مرجع سابق، ص 67

(6) أنظر محسن الأمين، أعيان الشيعة، دار التعارف، بيروت، 1986، المجلد الأول، ص 20. وهذا رأي أحمد رضا الذي، بحسب قول محسن الأمين، كتب ما يختص بالشيعة في خطط الشام أنظر، محمد كرد علي، خطط الشام ص 251- 256، من الملاحظ أن محمد علي أمير معزي قد أكد

جبل عامل وبعلبك وكسروان، أما باقي شيعة بلاد الشام فلا يسمون كذلك حتى من كان منهم من الإمامية، سوى شيعة الصالحية والميدان في دمشق وشيعة حوران لأنهم من ذرية المهاجرين من جبل عامل وبعلبك[1]. وبذلك لا يشتمل الإسم "متوالي" على معنى الإنتماء الطائفي وحده.

لم نستطع أن نصل إلى أخبار العلماء في جبل عامل قبل القرن الثاني عشر الميلادي، أي عالم كبير من علماء الإمامية. وكان يُعدّ منهم في القرن الثالث عشر الميلادي أربعة. وفي القرن الرابع عشر، وفي القرن السابع عشر... ثم عادوا إلى ستة في القرن الذي يليه[2]. ويوافق هذا التراجع المرحلة المضطربة التي مرت بها المنطقة، ولم تخرج منها إلا بشق الأنفس. ولسوف يرى القرن التاسع عشر نهضة في العلوم الدينية في جبل عامل قائمة على إنطلاق جديد عند جيل من رجال الدين تلقوا علومهم في النجف على أسس كلامية وفقهية "مجددة".

الشهيد الأول محمد بن مكي:

كان السيد شمس الدين عبدالله محمد بن مكي المعروف بالشهيد الأول (1333-1384م)، (734- 786هـ) أول العلماء الكبار في المنطقة. وقد ترك موطنه جبل عامل، أتباعاً للرحلة التقليدية في التراث الإسلامي[3]، طلباً للعلم، وقد أوصلته هذه الرحلة من الحجاز إلى العراق إلى مصر إلى فلسطين فدمشق.

وفي دمشق، في عهد السلطان المملوكي برقوق، وشي به وحُوكم وسُجن سنة، ثم أعدم وأُحرقت جثته. ويُروى أنه حرر "اللمعة الدمشقية" في السجن في سبعة أيام. ولم تزل هذه الرسالة، بالإضافة إلى رسالة ثانية في الفقه: "القواعد والفوائد"، يدرسهما رجال الدين إلى يومنا هذا، وتُعدّ بين الكتب الأساسية في تعليم الفقه. بالإضافة إلى ذلك فإن آثار الشهيد

مؤخراً أنه في أصول الإسلام كان يطلق إسم متولي الأئمة على من كان من "الشيعة الخلّص": أنظر Le guide divin dans le shî ‘ isme original. Aux sources de l’ésotérisme en islam, Verdier, Lagrasse, 1992,p.74, note n 151

(1) أنظر مجلة العرفان المجلد الثاني ص 241: وكذلك خطط الشام، مطبعة المفيد – دمشق 1928، الجزء السادس. المجلد السادس ص 253. وما زالت هذه التسمية شائعة إلى اليوم. ففي بصرى، مثلاً، طائفة شيعية قليلة العدد، يسمى أفرادها بالمتاولة وهم من أصل عاملي.

(2) Moojan Momen, An Introduction to Sh’I Islam, p.84,p.91, p.97 et p.123 تستند هذه الأرقام إلى تعداد العلماء الذين توفوا في كل من هذه المراحل وذلك إنطلاقاً من دراسة كتب التراجم. وهي إن لم تكن صحيحة بكاملها، فهي ترينا على الأقل الإتجاه السائد

(3) le movement intellectual et litteraire au Jabal Amil, XIIIe – XVe Siècle.

الأول في مجملها[1] تشكل إحدى اللبنات الأولى في بناء المذهب الجعفري في علمي الفقه وأصول الفقه: وقد أمضى العلماء قرناً ونصف القرن يفسرون معناها، إلى أن جاء السيد الكركي، وهو عاملي آخر، فعرف الفقه تطوراً منهجياً جديداً. إلا أنه منذ ذلك الحين، إنتشر العلم في جبل عامل بواسطة أتباع الشهيد الأول، وبدأت سلالات من العلماء تتكون في جبل عامل.

كان الشهيد الأول قد أرسى حجر الأساس الأول، وأما الحجر الثاني فقد أرساه السيد نور الدين الكركي العاملي الملقب بالمحقق (نحو سنة 1465-1534) وقد ولد في قرية كرك نوح، وبدأ دراسته فيها قبل أن يبدأ، على غرار سلفه، رحلته في طلب العلم، فاكسبته معرفة بالمدارس الفقهية السنية والجعفرية. وقد إختار أن يقيم في النجف ولو أنه تنقل في بلاد فارس وأقام فيها مدة طويلة إستجابة لدعوات الشاه إسماعيل أول السلالة الصفوية، ووريثه من بعده الشاه طهماسب، فساعد هذا الأخير على إقامة المذهب الإثني عشري في البلاد. وقد عيّن الكثيرون من أتباعه في مركز الصدر وهو المقام الأعلى في إدارة الشؤون الدينية[2].

الشهيد الثاني الشيخ زين الدين الجبعي العاملي:

فقد إختار معظم معاصري السيد الكركي بمن فيهم أتباعه، البقاء في جبل عامل، حيث كانوا يقضون حياتهم البسيطة في العلم والتقى، بعيداً عن إمتهان السياسة التي كان بإمكانهم ممارستها في بلاد فارس. وهم بذلك قد أنكروا تدخل المجتهدين في شؤون السياسة الصفوية، وأبقوا على صلتهم بنظرائهم السنة، يتبادلون المعرفة فيما بينهم، مساهمين في توسيع الإنتشار العلمي لمنطقتهم. ومع ذلك فقد راودت واحداً منهم، وهو الشيخ زين الدين العاملي الجبعي (1506-1558م) المعروف بالشهيد الثاني، فكرة أن ينال الإعتراف الرسمي الذي كان لعلماء السنة في ظل العثمانيين.

(1) أنظر لائحة مؤلفاته في Hosseien Modarressi Tabataba'I, An Introduction to Shi'ite, I Law, A Biligraphical study, Main works on Shi'l Law", Passim, p. 397

(2) أنظر النبذة عن سيرته في wilferd Madelung in E12/Iv/634-635, Hossein Modarressi Tabataba'I, An Introduction to Shi'l Law, p.50-51, Abdulaziz Abdulhussien Sachedina, The Just Ruler in Shi'ite Islam, (opsit) p8-19

وقد ذهب إلى إسطنبول برفقة أحد أتباعه لنيل هذا الإعتراف، فعاد منها وقد سُمي بصورة شرعية، معلماً في المدرسة النورية في بعلبك، وأما تلميذه فإستقر في بغداد في مدرسة أخرى[1]. وفي بعلبك قام الشيخ زين الدين العاملي الجبعي بتدريس المذاهب السنية الأربعة لطلابه السنة- مضيفاً المذهب الجعفري لأتباعه الشيعة- فذاع بذلك صيته. وقد بقي في بعلبك سنتين عاد بعدهما إلى التعليم في جبع. ولعل شهرته أقلقت بعض خصومه فوشى به أنه شيعي، أو أنه حكم حكماً على شخص فتقدم بشكوى عليه لدى قاضي صيدا، فاستُدْعي إلى إسطنبول ليستجوبه السلطان والعلماء فيها، ولم يعد منها عام (965هـ الموافق 1558م). وكان إستشهاده في هذه الظروف الغامضة دافعاً لغيره من رجال الدين العامليين، الذين خافوا أن ينالهم المصير نفسه، للإلتحاق بالبلاط الصفوي أو للهجرة[2] وذلك من نهاية القرن السادس عشر ميلادي.

إن الشهيد الثاني، على الرغم من خوضه الفلسفة الصوفية[3] فإن مؤلفاته، على غرار سلفه القليل الحظ، قد إختصت بالفقه: وقد ألّف فيما ألّف شرحاً على اللمعة عنوانه الروضة البهية وهو كتاب في الفقه الإستدلالي[4] ما زال يُدرس إلى يومنا هذا في المدارس الدينية عند الشيعة. وتندرج مؤلفاته ومؤلفات الشهيد الأول في التيار الأصولي[5] الذي ينتهجه معظم العلماء العامليين.

أما مؤلفات العالم الكبير الشيخ بهاء الدين العاملي الذي جاء بعده وإشتهر بالشيخ البهائي (1547- 1621م) (1052- 1031هـ)، فقد تعدت الفقه بكثير، إذ إشتهر بالإضافة إلى الفقه بمواهب عديدة فكان رياضياً وعالم فلك وطبيباً وفيلسوفاً وشاعراً[6]، وأظهر ذلك في مؤلفات عديدة منها الكشكول الذائع الصيت. وكان أبوه حسين تلميذ الشهيد الثاني قبل أن

---

(1)Marco Salati, “Toleration…”(Op.cit) p. 133-134

(2) حول الشيهد الثاني أنظر الأعيان المجلد السابع ص 157 و Marco Salati, “Ricerche sullo scismo nell’Impero Ot- tomano: il viagio di Zayn al- Din al- Shahid al- Thani a Istanbul al tempo di Solimano il Manifico”, Oriente Mod-erno N.S.9.13(1990),p.81-92

(3) Abdulaziz Abdulhussein Sachedina, The Just Ruler in Shi’ite Islam , p.19

(4) يقوم الفقه الإستدلالي على شرح المراحل التي يمر بها الإستدلال وشرح الحجج التي يستعملها الفقيه في كل قضية.

(5) ينادي التيار الأصولي بإتباع أصول الفقه يقابله التيار الأخباري وهو يستند إلى الإلتزام بأخبار الأئمة.

(6)Albert Hourani, “from Jabal’mil to Persia”, p.138, c.Edmund Bosworth,”Baha’al-Din al-Amili in the two worlds of the Ottomans and Safavids”, in La shi’ a nell’Impero ottoman, P.85- 105,p.92

يرحل عن قريته جبع إلى العراق ثم إلى إيران حيث إستقر وعائلته[1]. فنشأ فيها الشيخ بهاء الدين وكان فقيهها وعالمها المميز فعُيّن شيخ الإسلام في أصفهان.

وقد عاد إلى جبل عامل أثناء سفره إلى بلاد الشام، فكان عند العثمانيين متخفياً متواضعاً وهو ذو المقام الرفيع لدى الصفويين.

وجاء الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (1033- 1104هـ) (1624-1692,3م) بعد بهاء الدين العاملي بسنوات فكانت حياته، هو أيضاً، موزعة بين السلطتين الصفوية والعثمانية، فقد ولد في قرية مشغرة، في جبل عامل، في أسرة من علماء الدين تعود بنسبها، على ما تدعي، إلى الحر بن يزيد، وهو شخصية شهيرة في الكتابات التاريخية عند الشيعة، فقد حارب وقتل بين يدي الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء بعد أن كان في صفوف أعدائه ثم إنضم إليه عام (61هـ- 680 م).

وقد درس الشيخ محمد بن الحسن على شيوخ أسرته وقضى 40 سنة من حياته في جبل عامل[2]، قبل أن يذهب إلى الأماكن المقدسة في العراق ثم إلى طوس (وهي اليوم مشهد)، فإستقر فيها، وعُيِّن شيخاً للإسلام على مشهد الإمام علي الرضا، ثامن الأئمة عليهم السلام، وقد ركّز الشيخ الحر أعماله على الحديث، فقد كان يتبع التيار الأخباري، فألف، فيما ألف: تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، وهو مجموعة من الأحاديث تخص المسائل الشرعية، ويعد بين المراجع في هذا الموضوع. وقد إشتهر الشيخ محمد الحر العاملي أيضاً بكتابه في تراجم الرجال، أمل الآمل في علماء جبل عامل، وقد خصص المجلد الأول منه للعلماء العامليين، وتوسع في الثاني إلى غيرهم من علماء الشيعة.

يشرح الشيخ محمد الحر العاملي في مقدمته لأمل الآمل، الأسباب التي دفعته إلى تقديم العلماء العامليين على غيرهم. ويزيد من فائدة إستدلاله على ذلك، أنه إستخدم من قِبَل

---

(1) من المعروف أن حسين هذا قد هرب من جبل عامل بعد موت شيخه. وقد أكد هذه الفرضية ديفن ج. ستيورات في Devin J. Stewart,in “A Biorgrphical Notice on Baha al- Amili”, JAOS, 111/3 (199), p.564-567

(2) السنة هنا سنة هجرية. أنظر سيرة الحر العاملي بقلمه في ترجمة مختصرة أمل الآمل المجلد الأول ص 141-154

المؤلفين بعده، وأنه يكشف التصور الذي يتمثله العلماء العامليون في الماضي والحاضر عن أنفسهم. ويبدأ الحر بإيلاء الأولوية، حسب القاعدة العامة، للوطن، مستنداً إلى الحديث[1].

وبالإتيان على ذكر قداسة الأرض العاملية وأوليتها في التشيع، فإنه يؤكد رسالة التعليم ويفسر رسوخ العلم وإنتشارهما في المنطقة. وينتقل من مناقب العلماء العامليين إلى كثرة عددهم، ويستشهد برواية أحد شيوخه عن إجتماع سبعين مجتهداً في مأتم في قرية صغيرة في عهد الشهيد الأول ويتابع الحر فيزعم أن العلماء العامليين يمثلون خمس العلماء الإماميين، ويشهد لهم نتاجهم المكتوب بذلك، أما البلاد فلا تمثل إلا جزءاً من مائة من العالم الشيعي[2].

لا يمكن إنكار دور كبار العلماء العامليين المعدودين آنفاً في تاريخ إرساء دعائم العقيدة الشيعية. وغيرهم، ممن كانوا أقل منهم شهرة خارج حدود بلادهم، قد أسهموا في مناقشة المذاهب النظرية وفي إحياء الحياة العلمية في المنطقة، ولم يكفوا عن "إفتتاح المدارس وتخريج الطلاب في قراهم. من بين رجال الدين هؤلاء من لم يسجل إسمه في سجل التاريخ، ومنهم من رحل في طلب العلم عبر العالم الإسلامي، ومنهم من ذهب إلى المدن ليدرس فيها، وما كانت مدارسهم لتُغلق حتى تفتح غيرها من المدارس الجديدة في قرى أخرى، وبهذا يكون جبل عامل قد حوى أقطاب علم ما زالوا يجتذبون شباناً عامليين وطلاباً جاؤوا من أماكن أخرى. (وتشهد بذلك) جزين وميس وكرك نوح وعيناثا ومشغرة وجبع وشقراء وغيرها[3]. وكانت حركة الرجال والأفكار مستمرة فيها. وكانت الروابط الزوجية تنسج وتتطابق مع الروابط الطبيعية وصلات الرحم. فكانت سلالات العلماء تتشابك على الدوام. وكانت النظريات تدخل فتُعتمدُ أو تُصاغ محلياً فتثير التعليقات الكثيرة ثم تقام عليها الشروح من قبل الأجيال المتعاقبة. وكان الكثيرون من علماء الشيعة يرحلون في طلب العلم عند علماء السنة، مما أثر في طرق تفكيرهم في بعض العلوم، كعلم الحديث والفقه وأصول الفقه. ومنهم من ذهب إلى إيران لينشر عقيدته فيها، ومنهم من توغل أبعد من ذلك في العالم

---

(1) يورد هذين الحديثين: "حب الوطن من الإيمان" و"من إيمان الرجل حبّه لقومه" أنظر محمد حسن الحر العاملي، أمل الآمل، مرجع سابق، ص 11

(2) محمد حسن الحر العاملي، أمل الأمل، مرجع سابق، ص 15.

(3) أنظر محسن الأمين، خطط، جبل عامل، مصدر سابق، ص 74 – 75.

الشيعي. وهذا ما كان من أمر الشيخ محمد علي الخاتون، إبن عم الشيخ بهاء الدين العاملي، الذي هاجر إلى الهند وإستقر في حيدر آباد حيث إتخذه السلطان عبدالله رسولاً له لدى السلطان الصفوي الشاه عباس[1].

وقد ذوت براعم هذه الأفكار الدينية بعد الإضطرابات التي هزت جبل عامل إبتداءً من أواسط القرن الثامن عشر. وكان لا بد من الإنتظار قرناً كاملاً، حتى يعود الهدوء، وتأخذ الحياة العلمية مجراها من جديد: ولسوف تتأثر بالنظريات المذهبية التي أنضجها علماء النجف وهم حينها في إبان نهضتهم العلمية وفي نهاية القرن التاسع عشر، حين ولد رجال الدين بدأت مرحلة جديدة (من التاريخ).

- الحياة الإجتماعية في جبل عامل نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي 1918م:

إن موقع جبل عامل الجغرافي جعل منه ممراً لا غنى عنه للقوافل التي كانت تصل الداخل مما سوف يسمى بسوريا، بالساحل من جهة، وبفلسطين من حيفا إلى غزة، من جهة ثانية.

وكانت القوافل ترتاح أثناء سفرها في دساكر واقعة بين الداخل والساحل، قبل أن تصل إلى المرافئ. وكانت جميع الأعمال التجارية في هذه الدساكر قائمة على مرور هذه القوافل. كذلك كانت الأسواق الأسبوعية للقرى الواقعة على حدود جبل عامل عظيمة الحيوية: في الخيام ومرجعيون والعديسة وجباع ولا سيما في بنت جبيل التي كانت لاحقاً، باباً مفتوحاً على فلسطين، وكان سوق الخميس فيها أكبر سوق في جبل عامل. أما في الداخل فكانت هناك أسواق العباسية وجويا وتبنين، وأشهرها سوق النبطية، الذي كان يجمع خمسة آلاف شخص[2].

وكانت صور أقل حيوية من صيدا، نظراً لوضع مرفأها الأصعب، على أنها كانت تستقبل الكثير من البضائع. يقول "لورتيه": "تصدر المدينة، كميات كبيرة من القطن

---

(1) أنظر محسن الأمين، خطط ص 270.

(2) أحمد رضا "المتاولة والشيعة في جبل عامل"، العرفان المجلد الثاني العدد 7 ص 337 (تموز 1910) محسن الأمين، خطط، ص 172-173. منذر جابر، "Pouvoir et societies" ص 299.

والحرير والتبغ والحجارة البركانية المستعملة للطحن الآتية من حوران عبر وادي القاسمية الوعر(1).

وبعدها أصبحت بيروت، بموازة رأس المال الأوروبي، مرفأ دمشق، وإزدهرت تجارتها أكثر فأكثر، وإزداد عدد سكانها. وبالمقابل خفت الحيوية في مرفأي صيدا وصور وكذلك حيوية الدساكر في داخل جبل عامل، وكانت إلى هذا الحين محطات على طرق القوافل. وهكذا فقدت صيدا من قوة تجارتها، وأما صور، ولم يكن لها حيوية جارتها، فما عتّمت أن أصبحت دسكرة فقيرة حول مرفأ شبه مطمور بالرمال(2).

وقد أدّى هذا التقهقر إلى تسريع الهجرة، وكانت قد بدأت قبل ذلك، ليس إلى بيروت فحسب، وكان العامليون يشكلون أكثرية حمّالي مرفأها، بل إلى مدن أخرى في السلطنة، وكذلك إلى أفريقيا والعالم الجديد(3). وقد بدأت هذه الظاهرة قبيل بداية القرن العشرين وإستمرت إلى الحرب العالمية الأولى (1914- 1918م).

وعلى هذا فإن جبل عامل لم يستفد من تنامي طرق المواصلات، ولا من تطور التبادل (التجاري) الحاصل من تغلغل الأوروبيين في هذه البلاد، خلافاً لجاره جبل لبنان. كذلك فإنه لم يدفع به، مثل جاره، إلى خضم الإقتصاد الرأسمالي العالمي، ولم يشهد التحولات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية الكبرى التي شهدها جبل لبنان.

إن التحولات الإقتصادية والسياسية والإجتماعية التي حصلت خلال الفترة الطويلة التي تتناولها دراستنا لم يرافقها إلا تغيير بسيط في بنية هذا المجتمع الأبوي ذي التدرج الصارم. فقد كان الزعماء يحتلون قمة الهرم، وكانوا الرؤساء السياسيين، وكانوا يستمدون سلطتهم من موقعهم بإعتبارهم أتباع الباب العالي في جمع الضرائب، وكانوا يحكمون

---

(1)Louis Lortet, La Syrie d’aujourd’hui, p.123

(2) René Dussaud, Toporgaphie historique de la Syria antique et medieval, Paul Geuthner, Paris,1927,p.18

(3) لم تكن ظاهرة الهجرة خاصة بجبل عامل بل كانت تطال بلاد الشام، ولا سيما منها لبنان وسوريا الحديثة. وكانت موضوع أبحاث كثيرة قامت حول المجتمعات المشرقية التي إستقرت في المهجر. بالإمكان الرجوع إلى كتاب ألف تحت إسراف البرت حوراني ونديم شحاده حول هذه المسألة: Albert Hourani et Nadim Shedhadi, The Lebanese in the world, A Century of Emigration, Centre for Lebanese Studies & I.B. Tauris, Londres,1992, p.741 أما فيما يتعلق بأثر هذه الهجرة على بلاد المنشأ، فأنظر أعمال بطرس لبكي “L’emigration Libanaise en fin de période ottoman (1850-1914)”, Hannon, XIX (1987) et “L’émigration libanaise sous le mandate francaise”, Hannon, XVII (1982,84) وحول حالة دسكرة عاملية أنظر أحمد بيضون: بنت جبيل- ميتشيغان، رحلة، الدار العربية للدراسات والتوثيق والنشر، بيروت، 1989.

مقاطعات تتراوح بين الكبيرة والصغيرة. وقد إستعمل بعض المؤرخين (الفرنسيين) كلمة "إقطاعي" (féodal) للإشارة إلى هؤلاء الزعماء، وما زالوا يستعملونه مقارنة بالنظام الذي ساد في فرنسا في القرون الوسطى وذلك بالمعنى الشائع لهذه الكلمة. ولسنا بصدد الدخول هنا في الجدل الذي قام وما زال قائماً حول هذه الكلمة، بل سنكتفي بكلمة الزعيم[1].

وكان العلماء، يتمتعون بالهيبة والسلطة اللتين كان يفرضهما علمهم ومركزهم الديني. ويأتي التجار من بعدهما، وقد عظم شأنهم إبتداءً من منتصف القرن التاسع عشر إذ بدأوا بفرض أنفسهم شيئاً فشيئاً بإعتبارهم الوسطاء.

وكان هؤلاء التجار يرسلون أولادهم للدراسة في مدارس إسطنبول التي كانت تهيئ طلابها لملء وظائف الدولة. وقد ساهم هذا في تثبيت دور التجار وفرض أنفسهم بإعتبارهم الجماعة الأكثر إستشرافاً للتحولات والأفكار الآتية من الخارج. وكان الأدباء العامليون أنفسهم يرعون الأفكار حول مزارعي منطقتهم، ويشهد بذلك هذا المقطع من مقالة كتبها الشيخ سليمان ظاهر (1873- 1960م) سنة 1920.

"وأمّا مقام الفلاح والفلاحة عندنا فلا يفضل فلاحنا في هذا العصر فلاحنا القديم حيث هو وفلاحته محتقران وبلاد الفلاحة لم تزل على ما وصفها شاعرنا العربي أبو تمام الطائي.

بلد الفلاحة لو أتاها جرولٌ   أعني الحطيئة لاغت حراثاً"[2]

ويظهر معنى هذا البيت ووقعه واضحين إذا ما علمنا أن جرول بن أوس الملقب بالحطيئة يمثل نموذج الشخصية المحتقرة، لأنه إشتهر بخسته وبخله الذي كان مضرب

---

(1) نذكر هنا أن "ماكس فبير" نفسه قد ساهم في هذا الجدل في , Economie et Société وقد ميز بين إقطاع الحمى وإقطاع المنفعة المشروطة بأسباب ضريبية، ونجد نموذجه في الشرق الأوسط الإسلامي. أنظر الجزء الأول منه ص 341 وما بعدها وحول تطورات هذا الجدل بين المتخصصين بالشرق الأوسط انظر:

Arnold Hottinger, “Zu’ama in Historical perspective”, in Politics in Lebanon, Leonard Binder éd., John Wiley, New York, 1966, p.85-105. Albert Hourani, “Ideologies of the Mountain and the City”, in Essays on the Crisis in Leabnon, Roger Owen, éd. Ighaca. Press, Londres, 1976, p.33-41 Michael Gilsenan, “A Modern Feudality? Land and labour in North Leabnon, 1858-1950”. In Land Tenure and Social Transformations in the Middle East, Tarif Khalidi ed., AUB, Beyrouth, 1984, p.449-463. Claude Cahen, “Au seuil de la 3e année: Réflexions sur l’usage du mot “féodalité”, à propos d’un livre recent”, III/I, 1960, p.3-20. Jean- Louis Bacqué- Grammont, “Remarques sur le mot “féodalité” et quelques réalités du monde attoman”, Res Orientales VI: Itinéraires (=) , Hommages a Claude Cahen, 1994, p.217-222 d’Orient

(2) سليمان الظاهر، "جبل عامل والفلاح والفلاحة"، البيان، بيروت، العدد 411، في 1920/8/16، الصفحات غير مرقمة.

المثل، وجشعه ولؤمه، وبإختصار فإنه لا يتحول إلى الفلاحة إلا من يكون وضيعاً كالحطيئة. وكان الفلاحون الذي لا يملكون أرضاً، هم الأكثر حرماناً، وكانوا قبل الإصلاحات العثمانية، يزرعون أرض الأمير وأصبحوا يزرعون أرض الزعماء بعد الإصلاحات. وتبقى هذه اللوحة ناقصة إن لم نذكر الحرفيين بعض صيادي الساحل، وكل من كان يعمل في مهن صغرى في الدساكر والمرافئ. وكان هؤلاء بالإضافة إلى الفلاحين، يؤلفون عامة الناس. أما الخاصة المتميزة عنهم، فكانت تتألف من الأعيان ورجال الدين.

وهذا مقطع من سيرة السيد محسن الأمين يذكر فيه الحواجز القائمة في الصلات الإجتماعية في نهاية القرن التاسع عشر: "... حضرنا إلى صيدا ونزلنا في دار الحاج حسن عسيران مدّة إقامتنا هناك، وكانت دارة مُعدّة لنزول كل غريب. وفيها مكانان أحدهما لنزول الفلاحين والآخر لنزول العلماء والوجهاء والأشراف.

وكان يقريهم جميعاً أيام كانت حالته المالية متّسعة. فلمّا ضاقت كان يقتصر في القرى على بعض الطبقات العالية"[1]. وهذا يعني أن عادة الضيافة والكرم كانت تختلف بحسب المضيف: تبعاً لقواعد تجنب الإختلاط، فلا يجلس رجال من أوضاع إجتماعية مختلفة، في قاعة واحدة، وكانت الأولوية لذوي المرتبة العالية.

رابعاً: الأحوال الطائفية:

كان نوع آخر من التفرقة الطائفية والمذهبية يسري في المجتمع: بين مسلمين ومسيحيين، ولما قام "إيميري بيترز" عالم الأنتربولوجيا بإستقصاء في قرية جبع أوائل العام 1960م، وضع تصنيفاً إجتماعياً يمكن وصفه بالمفاجئ على الأقل، فقد قسم المجتمع فيها إلى أربع مجموعات: الأسر العلمية، التجار، الفلاحون، المسيحيون[1]. ثم إنه راجع حكمه هذا

(1) Peters, Emrys LIoyd: “Aspects of Pank and Status among Muslims in a Lebanese Village”, in Mediterranean Countrymen, ed. Julian Pitt-Rivers, Mouton, Paris- La Haye, 1963. ,p.167

واختار التقسيم الأنسب لإعتبارات إختصاصه، فقسم سكان جبع إلى ثلاث مجموعات: الأرستقراطيون، التجار، الطبقة العاملة الزراعية[1].

وفي صور كانت كل طائفة تسكن في حي لا لبس في حدوده، ويشير ضابط فرنسي في تقرير حُررّ نهاية سنة 1918 إلى الصراع الديني الذي كان قائماً في العهد التركي، منوهاً ببداية تحسن في الوضع[2]. يقول: "مدينة صور مقسومة قسمين: يسكن المسيحيون جهة والمسلمون جهة أخرى: فيهم 6/5 متاولة و6/1 سنة. والحاجز الذي يفصل بين الحيين وهمي ولكن تخطيه مستحيل. ولا يغامر المسيحي في دخول القسم المخصص للمسلمين. ومن الملاحظ أن السنة كانوا أكثر تساهلاً بقليل..."[3].

وبحسب هذا الضابط، فإن الشيعة إستفادوا من موقع السلطة الذي إكتسبوه في المدينة وفي مجمل القضاء. ولا بد من التذكير بأنهم كانوا يشكلون الأكثرية في صور وأن جماعة المسيحيين كانت الثانية بعدهم، أما في صيدا فكان المسيحيون أقلية في وجه السنة[2]. ولكن نظراً لإنفتاح صيدا على الخارج كانت التفرقة فيها أقل حدة.

ومن اللافت للنظر أن يجيب أحد الأدباء العامليين عن مساءلة التميمي حول هذا الموضوع بقوله إن ترابط المتاولة روحاً وجسداً لا يقوم على العصبية القومية بل على العصبية الدينية[4]. وبالفعل كان المتاولة يتقوقعون داخل السلطنة العثمانية ذات الهيمنة العثمانية لا سيما التركية.

وذلك لأنهم كانوا يعيشون في منطقة زراعية بعيدة عن مراكز القرار، من جهة، ولأنهم كانوا، بإعتبارهم من الشيعة، يشكلون الأقلية، فيُمنعون من إقامة بعض الشعائر العامة

---

(1)"Shifts in Power in a Lebanese Village", in Rural Politics and Social Changes in the Middle East, dir.Richard Antoun et hay Harik, University of Indiana Press, Londres Bloomington, 1972, p.166.

(4) تقرير الملازم "غريزوني" rapport du lieutenant Grisoni, Tyr, 14/12/18. SHAT, carton 4H13, sous dossier Tyr (nov.1918-nov.1919

(2) المصدر السابق، نفسه، وهذا إعتبار متفائل من قبله، فقد تجابه المسيحيون والمسلمون في صور سنة 1920

(3) بحسب إحصاء سنة 1932م، كان عدد سكان صور 5588 نسمة، ثلاثة آلاف منهم شيعة، وكان عدد سكانها قضاء صور 49301 نسمة، 41089 منهم شيعة . أنظر: العرفان المجلد السابع والعشرين العدد التاسع ص 649-651. وكان عدد سكان صيدا 53921 نسمة، 33942 منهم شيعة.

(4) محمد بهجب ومحمد رفيق التميمي، ولاية بيروت، المجلد الأول: الجنوب، مطبعة الإقبال، بيروت، 1333هـ ، 1335 هـ (1914 – 1916) ص 311- 313. ولعلنا نشك في أن هذين المؤلفين يحبذان محو الخلافات الطائفية، فهما لم يلاحظا ذلك إلا في صيدا.

كالإحتفال بيوم عاشوراء، من جهة ثانية. يضاف إلى ذلك أن الشيعة عموماً، وليس في جبل عامل فحسب، كانوا يخضعون لقواعد دينية صارمة فيما يتعلق بنقاء طقوسهم.

وقد إعتبر المستشار الإداري الفرنسي بشكوف، المقيم في جنوب لبنان في العقد الرابع من القرن العشرين، أن الأحكام المسبقة والممارسات البالية والعادات القديمة كانت لا تزال متأصلة عند شيعة جبل عامل، ولا سيما في المنطقة الواقعة جنوبي الليطاني، وهم، بحسب ما يقول، "أكثر فظاظة وأكثر همجية" ممن هم شمالي النهر، حيث كان السكان يحتكرون في إستمرار بالساحل بفضل الطريق التي تصل مرجعيون بصيدا، كذلك كان يعتقد بأن شيعة جبل عامل يشكلون، هم وبعض العشائر النصيرية، "التجمع الديني الأكثر بدائية في الأراضي الخاضعة للإنتداب"[1]. وإنه لمن باب التشويه أن نصوّر هذا المجتمع على أنه متحجر كلياً، فيكفي أن نلاحظ التغيرات التي أثارتها الإصلاحات العثمانية، منذ أواخر القرن التاسع عشر، حتى نتبين أن جبل عامل قد شارك، ولو من بعيد، في حركة عامة كانت تهزّ المنطقة[2].

خامساً: الزعماء والوجهاء:

كان الزعماء يهيمنون على الإقطاع القديم، أي أنهم كانوا يفيدون من محاصيل مجموعة من القرى بل من مقاطعة بكاملها. وكان السلطان يظهر سيادته المطلقة عبر أُسر ينيط بها جزءاً من سلطانه، وكان إمكان خلعها وارداً. وكان بإمكان هذه الأسر، بإعتبارها مسؤولة عن خزانة الدولة، أن ترسي دعائم فضلها على المزارعين، فتزداد ثراءً على ما كانت عليه من حياة البطالة. وكانت بلاد بشارة كلها، وهي الجزء الجنوبي من جبل عامل، خاضعة لآل الصغير منذ القرن السابع عشر الميلادي بلا إنقطاع[3]، أما شمالي البلاد فقد كان أربعة أقسام خاضعة لأسر مختلفة[4].

---

(1)Note de pechkoff: les chites (1932), MAE, carton n 456, cabinet politique, dossier: revendications de la communaute chiite.

(2) الشيخ أحمد رضا، "المتاولة والشيعة في جبل عامل"، العرفان المجلد الثاني العدد السابع ص 337 (تموز 1910).

(3) كانت بلاد بشارة مقسمة إلى عدة مقاطعات خاضعة لآل الصغير: هونين، تبنين، صور (وفيها قانا ومعركة). أنظر: محسن الأمين، خطط ص 133-134.

(4) ولا سيما آل صعب، وهم من أصل كردي، وكانت في أيديهم بلاد الشقيف، وآل منكر وكان في أيديهم إقليم الشومر وإقليم التفاح. أنظر المرجع السابق ص 134- 135.

"وكان آل الأسعد، إلى فترة قريبة تعود إلى قبل عام 1992، يسيطرون على الجبل سيطرة كاملة من قلعتهم في تبنين". هذا ما كتبه "روجيه ليسكو" في العقد الرابع من القرن العشرين[1]. وكان آل الأسعد، وهم من ذرية آل الصغير قد فرضوا أنفسهم بإعتبارهم آخر الأسر الكبيرة التي حكمت بحسب نظام الإقطاع، بشخص علي الأسعد. ولما توفي سنة 1865، بدأ عهد جديد[2]. إلا أن آل الأسعد قد حافظوا على سلطتهم وهيبتهم على الرغم من الضعف الذي أصابهم. أما معظم الأسر الإقطاعية الأخرى في جبل عامل، كآل المنكر، فقد آلت إلى الإنهيار.

كان النظام بأكمله قائماً على (إمتلاك) الأرض وعلى العنف معاً. فقد عين الباب العالي آل الأسعد وغيرهم من الزعماء، إثر الإصلاحات، ملتزمي جمع الضرائب، مما سمح لهم بمتابعة إثقال كاهل الفلاحين بالضرائب، وما زالوا بهم على هذا الحال حتى أظهر بعضهم إستياءه. ففي سنة 1880 تقدم السكان في محيط صور وصيدا بمضبطه شكاية إلى مدحت باشا، والي سوريا، يشكون فيها من تعسف خليل الأسعد، وكان قد خلف علياً على رأس آل الأسعد، ويوسف آغا المملوك ملتزم مدينة صور. وقد إنحاز الوالي إليهما لأنهما ضاعفا مبلغ الضريبة وأرسلاه إلى الدولة[3]. وعلى كل فقد كان يوسف آغا المملوك معروفاً بقسوته حتى أن قنصل فرنسا في بيروت أسماه "آفة قضاء صور"[4].ولم يكن تحصيل الضرائب كافياً لسدّ حاجات الزعماء في حياة الرخاء التي كانوا يحيونها. فإمتلكوا الأراضي التي كانت، بمقتضى روح الإصلاحات، معدّة ليمتلكها مزارعوها، وإستعملوهم مزارعين فيها، وبذلك أصبحوا من الملاكين الكبار وكانوا غالباً ما يملكون عدة قرى والأراضي المحيطة بها: وبالفعل فقد كانت بيوت الفلاحين في جبل عامل ملكاً للزعماء مما شكل عنصر إستتباع إضافي[5].

---

(1) "les chiites du Liban- Sud".p.23

(2) محمد تقي الفقيه، جبل عامل في التاريخ، دار الأضواء، بيروت، 1986 ص 29. يشار هنا إلى أن جميع المؤرخين العامليين يقيمون، في تقسيم الحقبات، القطعية الواضحة بين نهاية النظام الإقطاعي (وما جاء بعده).

(3) Solutions in the Early Period of Abdulhamid, in William Polk et Richard Chambers ed, Beginnings of Modernization in the Middle East. The University of Chicago Press, Chicago et Londers , 1986,p.366

(4) Adel Ismail, Documents diplomatics et consulaires, vol. XIV,p.225. رسالة القنصل الفرنسي في بيروت إلى وزارة الخارجية حول سكان لبنان وسوريا (1880).

(5) بحسب "لاترون" كان الوضع كذلك في العقد الرابع من القرن العشرين في لبنان وسوريا إذا كان الفلاح مرتبطاً إرتباطاً وثيقاً بالملاك، أنظر، Latron, La vie aurale en Syrie et au Liban, Etude d'economie sociale, Memoire de L'IFD, Beyrouth,1936,p.53

وعلى أي حال فإن الزعيم الذي غالباً ما كان يُرجع سلالته إلى قبيلة بدوية[1]، كان يولي عنايته للمحافظة على صفات مشيخة القبيلة ومنها "واجب الضيافة" فكان بيته موئلاً وحمى لزائريه.

كان جبل عامل محاطاً بشبكات من الأحلاف ومن الخصومات، وذلك أن التنافس الشديد كان يحكم العلاقات بين الأسر المتخاصمة. أما داخل الأسرة نفسها، فقد كان التنافس بين رجالها قائماً طالما أن واحداً منهم لم يفرض سلطته على الآخرين. فقد قام خلاف، في صلب آل الأسعد بين أولاد علي إثر موته سنة 1865م. فكان أن فاز بخلافته، في نهاية المطاف، إبن العم خليل على حساب شبيب أحد أبناء علي. ثم قام الصراع بين إبن خليل كامل وبين شبيب فكانت الغلبة لكامل من جديد[2].

ولقد حدثت تغيرات عميقة في بنية المجتمع عندما إستطاع الوافدون الجدد، وهم من التجار بصورة عامة، أن يخترقوا (الحياة السياسية) في جبل عامل بعد أن تملكوا فيه أرضاً. بعضهم كانوا من العامليين كآل خليل من صور وآل الزين من شحور، والبعض كانوا من خارج جبل عامل كآل سرسق من بيروت. والبعض الآخر، من صيدا: ومنهم آل عسيران وآل الصلح، وقد قيل في آل عسيران إنهم غير عرب، وأنهم من أصل إيراني. وهناك من يقول بأنهم من أصل بعلبكي وكانوا قد أقاموا في صيدا منذ عدة أجيال[3].

ويقدر المؤرخ منذر جابر، إستناداً إلى معلومات يستقيها من سلسلة من المقالات نشرها سليمان ظاهر في العرفان في العقد الرابع من القرن العشرين، وخصّ بها القرى العاملية، أن نسبة الوافدين الجدد من مالكي الأرض في جبل عامل، تساوي 37%[4]. وإن كان هذا الرقم تقريبياً، ولا سيما أن الشيخ سليمان ظاهر لم يكن بصدد إقامة كشف بالأملاك في جبل عامل، فإنه، يقدّم تدرجاً في المنزلة. ويثبت منذر جابر جدولاً بأسر المالكين التي تملكها، مما يعطي فكرة دقيقة نسبياً عن توزيع الأراضي العاملية. فكان أهم المالكين الأسر

---

(1) وهذا حال آل الأسعد، فإن نسبهم، بحسب محسن الأمين، يعود إلى قبيلة السوالمة. أنظر خطط ص 134.
(2) محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، ص 169.
(3) حول تاريخ آل عسيران، أنظر ترجمة أحمد عسيران في الأعيان المجلد الثاني ص 497-498. وقد كتبها محسن الأمين بناء على معلومات مصدرها منير عسيران، أنظر أيضاً يوسف طباجا، "النزاعات السياسية في لبنان الجنوبي: نموذج عادل عسيران"، ماجستير في العلوم الإجتماعية، الجامعة اللبنانية صيدا، 1985، المقدمة.
(4) Pouvoir et société, p.200-203، أما سلسلة مقالات سليمان ظاهر فهي بعنوان: "أسماء قرى جبل عامل".

العاملية الآتية: الأسعد، الزين، صعب، بزي، الأمين، الخليل، فرحات، مروة، عسيران، وغيرها... بالإضافة إلى ذلك، هناك ثماني عشرة أسرة من المالكين من خارج جبل عامل منها: فرنسيس، والصلح، والأصفر[1].

ويتوضح، بقراءاتنا لهذه اللائحة، سبب الصراع الضاري الذي كان قائماً بين آل الأسعد وآل الزين: فالأسرتان كانتا تتقاسمان رأس لائحة كبار المالكين، وكل منهما كانت تطمع في المرتبة الأولى. وكان الأمر فيما يخص آل الأسعد، أن لا يقصيهم الوافدون الجدد عن عرشهم. وفيما يخص آل الزين، أن يتابعوا ترقيهم الإجتماعي، وقد تجسدت هذه المنافسة بين الأسرتين في أوائل عهد الإنتداب في وجهين سياسيين عامليين: يوسف الزين وكامل الأسعد. وكان الصعبيون والبزيون حليفي آل الأسعد، أما آل الأمين فقد كانوا من أسرة من العلماء فلم يحتكا بها مواجهة. وبالمقابل، قام الصراع بين آل الأسعد وأسر عاملية أخرى في طور الصعود، كآل فرحات والعبدالله، حين قام حلفاؤهم الصعبيون، بمقتضى المنطق نفسه، بمجابهة آل فحص أو آل صفا، أو آل جابر أو آل قبيسي[2]. وقد ظهر على المسرح النمط نفسه من الخصومة، ولكن على نطاق أضيق، بين الأسر "التقليدية" والمتمولين الجدد. ومثال ذلك، في بنت جبيل، ما قام من حذر بين آل البزي وآل بيضون، أو في صور حيث بدأ آل المملوك يشعرون بما يتربص بهم من تهديد آل الخليل[3]. وقد دامت تشكيلة الصراع بين الأسر إلى نهاية الإحتلال الفرنسي، كما تؤكد ملاحظات "روجيه ليسكو" سنة 1936 يقول:

"في غالب الأحيان، يكون في كل محلّة أسرتان أو مجموعتان من الأسر، تتقاتلان على الزعامة، وقد يصل الأمر بهما إلى معارك منظمة (...) ومن الطبيعي أن يؤدي هذا التنافس إلى قيام شبكات من التحالفات من قرية إلى قرية، وروابط ترأسها الأسرة الأكبر،

---

(1) تختلف هذه اللائحة بعض الإختلاف عن لائحة مصطفى بزي في أطروحته للحلقة الثالثة، "L'evolution socio- politique d'une region shi'ite: Djebel Amel, 1900", Lyoun III 1981,p.48 وهي على الشكل الآتي، الأمين، فرحات، عسيران، صعب ، بزي، الأسعد، الخليل، أبو خليل، صفي الدين، مروة، وغيرهم . ويرجع مصطفى بزي إلى نص لخليل أحمد خليل Khalil Ahmad Khalil d'oeuvre au Liban, document du PSP, Beyrouth, 1971, vol.I,n, 1,p.47-48 إلا أنه لا يذكر إن كان مرجعه بالعربية أم بالفرنسية، كذلك فإنه لا يذكر مصادر خليل.

(2) محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، مصدر سابق، ص 169- 170.

(3) بدأت بعض الأسر الأخرى في صور بالظهور حوالي سنة 1900، ومنهم آل حلاوة وآل عرب. أنظر: حسن قبيسي، تطور مدينة صور الإجتماعي، دار قدموس، بيروت 1986 ص 122.

ويخولها ماضيها فرض هيبتها أكثر من غيرها، فينتج عن ذلك تراتب ذو طابع كبير الشبه بتراتب القرون الوسطى الأوروبية"[1].

لقد نجحت ثلاث أسر من الوافدين الجدد، عند منعطف القرن (العشرين) وهم آل عسيران وآل الخليل وآل الزين، في تحقيق إختراق في جماعة الزعماء حيث لم ينجح في البقاء في هذه المرتبة حقاً إلا آل الأسعد. وقد توزعوا الإلتزام فيما بينهم وتقاسموا معظم السلطة في جبل عامل[2]. على أن الوافدين الجدد لم يتمتعوا تماماً بنفوذ الزعماء التقليديين الذين كانت لهم وحدهم الشرعية التي إكتسبوها بأقدميتهم وتأصلهم في تاريخ البلاد. وكان الفلاحون يناصرون هؤلاء، معتبرين أن الآخرين من الدخلاء[3]، وذلك إلى العقد الرابع من القرن العشرين في أقل تقدير. ولم يكن هؤلاء المتمولون، وقد اغتنوا بفضل جشعهم في النشاط التجاري، يناسبون صورة الزعيم التقليدي الذي لا يمارس مهنة تليق بمرتبته الرفيعة. وللتفريق بين المراتب سمي الجدد بالوجهاء[4].

وكان التنافس بين الزعماء العامليين التقليديين والوجهاء الآتين من الخارج، ممثلاً بالمبارزة التي تواجه فيها رضا الصلح (1860-1935م) وكامل الأسعد (1870-1924م)، إذ كان كلاهما مرشحين للنيابة في الفترة الفاصلة بين إعلان الدستور العثماني ونشوب الحرب الأولى. وكان كامل الأسعد مستعداً لعمل أي شيء كي يتخلص من الدخيل... وفي الوقت نفسه، من الأفكار السياسية الإصلاحية التي أدخلها رضا الصلح إلى جبل عامل بمساعدة عبد الكريم الخليل وهو شيعي من الشياح[5].

ويذكر سليم علي سلام- الذي أصبح نائباً عن ولاية بيروت منذ العام 1914- أنه بعد إندلاع الحرب العالمية الأولى، ومنذ صيف عام 1915 إطلع على مشروعات سرية تهدف

---

(1) Roger Lescot, Les chiites du Liban – Sud, p.8 لا يسعنا هنا إلا أن نذكر "الصف les soff أو "اللف" Les leff اللذين وصفهما "روسيد مونتانيو" وحللهما في أطروحته، فمن المحتمل أن يكونا قد خطرا ببال "ليسكو" إذ كان قائماً بمهمة في معهد دمشق الفرنسي وكان مديره "مونتانيو".

(2) Tarif Khalid, “Shaykh Ahmad, Arif al- Azyan and al- Irfan”, p.122

(3) لا مرجع يؤكد صحة هذا الكلام على وجه قاطع، إلا أنني أشاطر وضاح شرارة رأيه حول هذا الموضوع في : الأمة القلقة، العامليون العصبية العاملية على عتبة الدولة اللبنانية،

(4) أنظر مثلاً، المقطع المذكور سابقاً لمحمد جابر آل صفا في تاريخ، ص 169-170، حيث يفصل بين الكلمتين "زعماء" و "وجهاء" بشكل واضح. ومع أن ذلك لا نجده عند الكتاب جميعاً فإن التراتب قائم بين الزعماء. ويذكر سليمان ظاهر، في أثناء وصفه إجتماعاً بين ضابط فرنسي ووجهاء المنطقة، لائحة بأسماء الحاضرين مفرقاً بين الأعيان والوجهاء. سليمان ظاهر، جبل عامل في الحرب الكونية، دار المطبوعات الشرقية، بيروت 1986 ص 81.

(5) الشياح جزء من ضاحية بيروت الجنوبية.

للقيام بثورة ضد الدولة العثمانية وذلك بالتعاون مع البريطانيين، وأن عبد الكريم الخليل جاءه مرة وقال له بضرورة تدبير ثورة عسكرية ضد العثمانيين وبالإتفاق مع الحكومة البريطانية[1].

والحقيقة أن عبد الكريم الخليل حاول الإتصال ببعض القوى السياسية والإجتماعية الإسلامية لإقناعها بصحة تحركاته ونشاطه فقد إتصل برضا بك الصلح وإبنه رياض وسليم الطيارة، وقد عقدت إجتماعات سرية في صيدا ضمت الخليل والصلح وآخرين، علم بها جمال باشا بواسطة كامل بك الأسعد الذي كانت علاقته سيئة مع آل الخليل وآل الصلح الأمر الذي أدّى إلى اعتقال ومحاكمة المجتمعين ومن ثم إعدام عبد الكريم الخليل 20 آب 1915 في دمشق ونفي رضا الصلح وإبنه رياض[2].

ويشرح محمد جابر آل صفا، وقد شهد بنفسه هذه الأحداث إذ كان بين المتهمين لأنه شارك بتأسيس الحركة العربية في النبطية، وجهة نظره من موقف كامل الأسعد. وفي رأيه أن هذا الأخير لم يكن بصدد التآمر على فكرة الحركة العربية والتقرب نتيجة ذلك إلى الأتراك، بل ما دعاه إلى أن يشي بهما حسده لرضا الصلح وحقده على عبد الكريم الخليل الذي كان قد تجرأ أن يرشح نفسه للإنتخابات النيابية العثمانية عن جبل عامل، فيما كان كامل الأسعد يعتبر أن ذلك حكر عليه وحده[3]. ورأي محمد جابر آل صفا صحيح، فلم يكن الأمر متعلقاً في هذه القضية بخلاف على المبادئ بقدر ما كان متعلقاً بخصومات السياسة المحلية.

وقد نُظمت الصفوف بعد عودة رضا الصلح إلى جبل عامل، وإنقسمت الأسر ذات النفوذ، بقيام الإنتداب على سوريا ولبنان، إلى قسمين: قسم حالف رضا الصلح ومنهم آل عسيران والخليل وابو خليل، وقسم إتبع كامل الأسعد ومنهم آل عبدالله والبزي والفضل[4]. ورغم ذلك بقي كامل الأسعد زعيم جبل عامل ولم يفت ذلك قنصل فرنسا في بيروت. فكتب عنه سنة 1912 قائلاً: تتمتع هذه الشخصية في كل منطقة بلاد بشارة، التي تمتد من صيدا إلى مرجعيون إلى حيفا، وأغلب سكانها من المتاولة، بسلطة غير منازعة. فسلطته مطلقة

(1) حسان حلاق: مذكرات سليم علي سلام 1868- 1938م. ص 46،45، 205، بيروت 1982.
(2) المرجع نفسه، ص 206-207.
(3) محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، مصدر سابق، ص 213- 215.
(4) منذر جابر، "مؤتمر وادي الحجير وآثاره"، رسالة كفاءة، الجامعة اللبنانية، كلية التربية، بيروت 1973، ص 11

على نحو أربعين ألف نسمة، وهو يحكم البلاد ويشيع الأمن أو يثير الإضطرابات على هواه، ويشمل بحمايته كل من يقيم في مقاطعته[1].

وبعد بضع سنوات تعززت سلطة كامل الأسعد على منطقته فقد أرسل له الأمير فيصل رايته، إعترافاً ببسط سلطة حكومته على جبل عامل. وقد ظل ممثلاً صورة الزعيم إلى وفاته سنة 1924. وقد هزت آل الأسعد من جديد النزاعات على خلافته، ثم إنتهى أخواه محمود وعبد اللطيف بتقاسم أملاك الأسرة وزعامة بدأت بالأفول. وكان الأول وهو الأكبر موالياً للفرنسيين، أما الثاني فكان قد إختار التيار الوطني القريب من سوريا. وجاء من بعده إبنه أحمد فحل محله منذ سنة 1936[2]. ومن بعده حفيده كامل الأسعد (1932- 2010م).

لا شك أن وفاة الزعيم كامل بك الأسعد قد عجلت في تقهقر آل الأسعد. فأملاك الأسرة قد تقلصت لكثرة ما بيع من أرضها، فقد ترك خليل أبو كامل ما يقارب خمس عشرة قرية[3] وأما أبوه فكان قد أورثه ما يقارب العشرين.

يضاف إلى هذا أن أخوي كامل الأسعد لم يكونا على قدر سلطانه حتى يتمكنا من خلافته، كما أنهما لم يتمكنا من التأقلم مع المعطيات السياسية الجديدة، وكان ذلك ضرورياً في مرحلة الإحتلال الفرنسي. قبلهما كان كل ذكاء الزعماء منصباً على المبادرة إلى إقتناص فرص التكيف، بإنتزاع المناصب العليا في الإدارة العثمانية وبإرسال أولادهم للدراسة في المدارس العثمانية. وقد كان بعهدة خليل الأسعد عدة قائمقاميات وسُمّي متصرفاً على نابلس[4]. أما إبنه كامل فقد درس في الكلية في بيروت، حيث كان يدرس الشيخ محمد عبده، صديق والده، ثم أرسل إلى إسطنبول قبل أن يعود إلى جبل عامل حيث سُمّي مديراً لقضاء النبطية[5].

---

(1)Adel Ismail, Documents diplmatiques et consulaires relatives a I'histoire du Liban, letter du consul de France a Beyrouth a Poincare, 14/10/1912, vol.XIX,p.83-84
(2)Roger Lescot, Les chiites du Liban- Sud,p.5
(3)Op.cit. p10

(4) الأعيان، المجلد 6، ص 346-349.
(5) العرفان، المجلد 9، ص 851-852

ولم يقم خلفاء كامل بمثل هذا التكيف، بل إكتفوا بالإعتماد على مجد بيتهم، ولم يكن يشغل البعض منهم سوى العناية بخيوله وكلابه[1]. وبذلك إستبقهم نافذون آخرون في المجتمع عرفوا كيف يقتنصون الفرص وأظهروا إقدامهم. وقد ساعد في التسبب بأفول نجم آل الأسعد عامل لم يكن بالإمكان إستشفافه، وهو تضاؤل الولادات، مما يعني نقصان العديد فيهم ولا سيما الذكور الذين تقوم عليهم قوة الأسرة. ففي العقد الرابع من القرن العشرين، لم يكن عددهم يزيد على ثلاثمائة نسمة أما أسرة كآل البزي فكانت تعد ثلاثة آلاف[2]. ولعل يوسف الزين وهو من الوجهاء، كان المستفيد الأكبر من هذا التقهقر فجمع حوله حلفاء جدداً.

إن الأفكار السياسية التي هزت المشرق العربي أوائل القرن العشرين، ولا سيما منها القومية العربية، قد وصلت، بالطبع، إلى جبل عامل وكان لها أتباع، إلا أنه يجب ألا يخفى علينا أن الزعامة إحتفظت فيه برسوخ خاص بها، وأن الحياة السياسية برمتها كانت تدور في فلك التنافس بين الزعماء. فإن كان من وجود للأحزاب فذلك بوجود المحازبين: فقد كان الإنتماء إلى رجل بدلاً من الإنتساب إلى فكرة. وبالفعل ظلت الروابط القديمة حيّة إلى جانب الأحزاب السياسية التي نشأت حديثاً. وكانت الإنتماءات تتراكم أو تتقاطع فيما بينها. ولم يخرج رجال الدين على مجريات هذا المنطق، بل على العكس من ذلك، لأنهم كانوا حلفاء الزعماء. ولم يكونوا الحكم في الصراعات- وهو دور غالباً ما يناط برجال الدين المسلمين في المجتمعات الزراعية- بل كانوا يلتزمون جانب أحد الأعيان إما علناً أو في الخفاء، ويشاركون، كلٌّ بأسلوبه، في نزاعات المدنيين، فكانت هذه الصراعات ترتد تنافساً داخل جماعات العلماء وخصومات فيما بينهم.

سادساً: موقع العلماء في المجتمع العاملي:

كانت مهام العلماء الرئيسية: القضاء، الإرشاد، التعليم. وكان البعض منهم يتعاطون الأدب، وكانوا من بين العامليين، الوحيدين القادرين على تأليف الكتب، نظراً إلى أن الزعماء

(1) تنطبق هذه الحال بصورة خاصة على محمد بن محمود الأسعد C.F Roger Lescot, Les chiites du Liban- Sud p.7
(2)Roger Lescot, Les chiites du Liban- Sud, P.8

لم يكن تعليمهم كافياً للقيام بذلك[1]. ومع أن رجال الدين كانوا من مستويات إجتماعية وعلمية متفاوتة، فقد كان بينهم قاسم مشترك هو أن يقوموا بدور "وسطاء الثقافة"[2] في وسط من السكان أغلبيتهم الساحقة من الأميين، وأن يؤدوا للمجتمع العاملي الخدمات التي كان ينتظرها من رجال الدين .

وكان حينما يستقر عالم في قرية، يهيئ له سكانها منزلاً[3] فيسهلون بذلك إقامته بينهم من الناحية المادية، ويؤمنون إندماجه في الجماعة على حد سواء، بل كانوا يصلون إلى أبعد من ذلك فيزوجونه إحدى بناتهم يختارونها من أحسن الأسر[4]، لكي يقيموا التحالف بين رجل الدين وبين أعيان البلد من البداية. كذلك فإن عدداً كبيراً من الأسر العلمية كانت تقيم صلات زواج بأسر الزعماء. فقد تزوجت نساء من آل شرف الدين برجال من آل الأسعد (أم كامل الأسعد من آل شرف الدين)ومن آل بزي (زوجة الحاج سليمان بزي من آل شرف الدين)[5] وكان آل بزي هؤلاء يصاهرون آل شرارة[6]. أما الوجهاء فقد عرفوا كيف يرفعون من شأنهم بمصاهرة الأسر الكبرى من العلماء، هذا ما كان من أمر آل عسيران، وكان بينهم بعض رجال الدين، وكثير من التجار الأتقياء المزدهرة تجارتهم، فقد صاهروا العلماء فكانت زوجة أحمد عسيران (ت 1912) من بنات الشيخ عبدالله نعمة. أما أخوه حسن فقد تزوج إمرأة آل خاتون[7].

وكان رجال الدين يتلقون أجوراً من السكان لقاء خدماتهم، غالباً ما كانوا يدفعونها عيناً. على أن واجبهم أن لا يظهروا في ذلك تطلباً كبيراً. ولذلك فقد قبل العامليون شرط

---

(1) يروي منذر جابر بهذا الصدد حادثة عن محمد سعيد بزي وكان الزعيم السياسي في بنت جبيل من أول القرن العشرين إلى العقد الرابع منه، إذ ذهب إلى مرجعيون بصحبة إبنه الصغير، فحاولت إحدى النساء المسيحيات أن تحدثه فسألته في أي صف يكون فغضب الحاج وأجابها : "إنني أورث أولادي المجد، أما العلم فما حاجتهم به!"

(2) يستعمل "جيلبار دولانو" هذه العبارة في وصف بيئة رجال الدين- وكانوا متفاوتين في عملهم- الذين تثقفوا بثقافة المساجد في مصر خلال القرن التاسع عشر. "Intermediaires culturels dan I'Egypte du XIXe siècle: soufis: ulama obscurs, etudiants des mosques", Les intermediaries culturels. Actes du colloque du Centre meridional d'histoire sociale des mentalities et des cultures, Librairie Champion, Aix-en-Provence, 1981, p.95-109

(3) يروي محمد جواد مغنية أن أول أمر كان القرويون يتصدون له هو بناء منزل للعالم وأسرته، وكانت القرى المجاورة تنضم إليهم في هذا العمل فيبدأون متحمسين جميعاً، إلا أن حماستهم لا تفتأ أن تزول ويبقى المنزل غير منجز إلى أن يرسل الله رجل خير ينهي بناءه. أنظر العرفان المجلد 37 العدد 37 (كانون الثاني 1950).

(4)Mounzer Jaber, Pouvoir et societe, p.286

(5) كان السيد عبد الحسين شرف الدين حليف آل الأسعد ولا سيما كامل، وحليف آل البزي في مواجهة آل الصلح وآل عسيران

(6) أنظر Waddah Chrara, Transformation d'une manifestation religieuse dans un village du Liban-sud (Ashura), Publications du Centre de Recherches de l'Universite Liban-sud (Ashura), Publications du Centre de Recherches de I'Universite libanaise, 1968, p.47-48.\

(7) حول أحمد عسيران أنظر الأعيان، المجلد الثاني ص 489 ونقباء البشر، المجلد الأول ص 93-94.

مهدي الحكيم (عام 1894م) ليخلف موسى شرارة، بدفع مائتي ليرة عثمانية ذهباً قبل أن يأتي إلى بنت جبيل، ولكن وجهاءها رفضوا بعد ذلك طلبه في الإكتتاب لشراء مزرعة تؤمن له إستقلالاً مادياً تجاه المؤمنين. وقد شرح أحد الذين شاركوا في المفاوضات معه موقفهم في مواجهته، على النحو الآتي: "نحن فقراء وعالمنا يعيش كما نعيش وقد إعتدنا أن يجيء العالم، فواحد منا يقدم له فرساً، وواحد شيئاً من المال وهكذا... أما إذا كنا نريد أن نشتري لكل عالم مزرعة فلا يمضي زمن قليل حتى يصبح جبل عامل كله ملكاً للعلماء، فأين نذهب نحن؟"[1] ولعل السيد محسن الأمين الذي ينقل هذه الحادثة، كان يلمح إلى أنه كان بإمكانهم أن يتفقوا مع السيد مهدي الحكيم على أن يقبل بجعل المزرعة وقفاً. فهو نفسه قد إستقر في دمشق وكان له بيت بفضل هبات بعض الأعيان، فوقفه، فأصبح البيت بعد موته مقراً لخليفته.

ولم تكن الهدايا والعطايا، التي كان يتلقاها صغار رجال الدين في القرى، لتكفيهم حاجاتهم. فكانوا، إن لم يملكوا قطعة صغيرة من الأرض يزرعونها، غالباً ما يشتغلون في التجارة حتى يكسبوا ما يسدّ ضعف دخلهم القليل. أما المجتهدون منهم فكانت فرصة إكتفائهم المادي متاحة بفضل الهبات التي كان الأعيان بقدمونها إليهم، وفرائض الزكاة والخمس التي كانت تدفع لهم. فالمجتهدون، بما هم نواب الإمام، يجمعون الزكاة لكي يفرقوها بعد ذلك على المعوزين، مما كان يسمح لهم بإتمام إحدى مهامهم: وهي أن يوزعوا أموال الأغنياء على الفقراء، وأن يكونوا "حلقة النقل" بين الفاعلين في المجتمع، وأن يضعوا حدوداً للظلم الإجتماعي. وكذلك كان المجتهدون يتلقون الخمس، وهو يقسم إلى قسمين: قسم للسادة وقسم للدعوة إلى الدين وما إليها من نشاط، وهو "سهم الإمام[2]، فكان يؤمن للمجتهدين تمويل مشاريعهم ولا سيما مدارس العلوم الدينية أو المساجد التي كانوا يبنونها أو يرممونها، وذلك

(1) السيد محسن الأمين، سيرة السيد محسن الأمين، ص 88.

(2) هذا رأي المرجع السيد محسن الحكيم ويفصله عبد العزيز سشادينه في: Abdulaziz Sachedina, dans “Al- Khums: The fifth in th imami Shi I Legal System”, JINES, 39/4 (1980), p.288. فيما يتعدى هذا المصدر نعتمد في موضوع الخمس والزكاة عند الشيعة الإمامية على: Norman Calder, “Zakat in Imami Jurisprudence from the 10th to the 16th century A.D.” BSOAS, 44 (1981), et “Khums in Imami Jurisprudence from the 10th to the 16 th Century A.D.” BSOAS, 45 (1982), p.39,47.

كله للصالح العام. وكان بعض المجتهدين، على ما يبدو، لا يترددون في الإحتفاظ بهذه الأموال لتأمين معيشتهم أو لرفاهيتهم، سادين بذلك غياب المعاش[1].

سابعاً: العلماء والزعماء:

وكان للعامليين رأي مختلف في الروابط القائمة بين علمائهم وزعمائهم. فما أكثر الروايات المتناقلة كتابة حول هذا الموضوع، وما زالت متداولة بالمشافهة إلى يومنا هذا. ومنها، مثلاً، القول الشهير الذي ما يزال يتردد في جبل عامل وينسب إلى هذا أو ذاك من العلماء وهو مثل يتردد في لبنان والعالم العربي: "إذا رأيت العلماء على أبواب الزعماء، فبئس العلماء وبئس الزعماء، وإن رأيت الزعماء على أبواب العلماء فنعم الزعماء ونعم العلماء. وبمعنى آخر فإنه على الرغم من أن على الزعماء السياسيين أن يتقربوا من العلماء، فإن الوضع المعاكس كان وارداً، لذلك يحذّر منه في هذا القول. وعلى ما نعرف فإن المصادر المكتوبة لا تذكر بالإسم فلاناً أو فلاناً من العلماء وصل به الأمر إلى موقف منحاز إلى جانب الزعماء، والروايات المتناقلة مشافهة لا تتهم عالماً إتهاماً مباشراً. وإذا ما وُجّه إنتقاد من هذا القبيل، فإنه يوجه إلى العلماء مجتمعين، إلى "البعض منهم" من غير تحديد، فلا يواجه الواحد منهم بشخصه، كأن هذا من المحرمات.

وكان المؤلفون، في ذكر محاسن العلماء، لا يترددون في تسميتهم صراحة، مظهرين شخصياتهم وكأنها أسطورية. وهذا ما ينطبق على الشيخ عبدالله نعمة، إذ يقال إنه كان يرفض دعوات آل الأسعد لزيارتهم في قلعة تبنين، وكان الشيخ حينما يزور هذه البلدة، ينزل عند أحد ساكنيها وهو رجل بسيط تقي[2] وكان يقول لعلي الأسعد صاحب تبنين: "إنك حاكم ظالم ولا آكل من طعامك!"[3] إلا أن ذلك لم يمنع الزعيم من السير، هو وحاشيته، أربع ساعات لملاقاة الشيخ على جسر القعقعية والعودة إليه عند رجوعه[4]. وبالإمكان أن نستشهد

---

(1) إنتقد محمد جواد مغنية موقف العلماء هذا محتجاً بأنه تقليد لدى الأتقياء ليس له أساس فقهي. وقد إقترح أن يدفع نصف الخمس مباشرة لليتامى من السادة والنصف الآخر يصرف حقاً في سبيل الدين وأن يدفع للذين يدرسونه . Joseph Eliash, "Misconceptions Regarding the Judicial Status of Iranian ulama". IJMES, 10/1 (1979)p.20

(2) محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل ص 96 والأعيان ، المجلد الثامن، ص 60.

(3) يشار هنا إلى أن الإسلام يحرم ما لم يمتلك بحسب الشريعة أكان ذلك طعاماً أو عقاراً

(4) أنظر الأعيان، المجلد الثامن، ص 60.

كذلك بحوادث كهذه تشهد على ما كان لدى الزعماء من إجلال للعلماء، فهي قد أصبحت جزءاً من ذاكرة جبل عامل.

وتهدف بعض الروايات الأخرى إلى إظهار عدم الخوف لدى رجال الدين من إغضاب الزعماء ومن السماح لأنفسهم بمواجهتهم بنبرة قاسية وبلا حرج. وهذان مثلان على ذلك. أرسل السيد نجيب فضل الله يوماً رسالة إلى كامل بك الأسعد يشتكي فيها من تجاوزات عمال في جمع الضرائب بحق سكان عيناثا. وواضح أن رجل الدين كان معبأ ضده، إذ أنه لم يتردد في التوجه إلى كامل الأسعد بهذه الكلمات: "إلى فرعون البلاد وجرثومة الفساد كامل الأسعد"[1]. فمن تجرأ على توبيخ الزعيم كان ينطق حينها بإعتباره المدافع عن أتباعه المظلومين. أما الرواية الثانية فسوف تفيدنا في معرفة الموقف المثالي لرجل الدين وهو ينطق بإعتباره حارساً للشريعة. توقف خليل الأسعد وهو في رحلة صيد، للإستراحة قرب قرية، وكان قد إجتمع حوله أحد عشر عالماً، فسألهم عن حكم الصيد، أحلال هو أم حرام. فلم يحرر واحد منهم جواباً. فقال له الشيخ محمد دبوق وكان جالساً بعيداً عنه إن القوم صامتون تأدباً وخوفاً، وأما صيد البيك فهو حرام لأنه صيد متعة، وأما صيده هو فحلال لأن فيه طعامه. ومن السهل أن نتصور التتمة:

بعد أن هدأ غضب الزعيم إستفسر في الأمر من العلماء الباقين، ثم أقطع الوقح قطعة أرض[2]. ويسجل المراقب موقف الشيخ محمد دبوق، إلا أنه لا بد له من أن يتساءل عما يكون جواب العلماء العشرة لو لم يدل الشيخ محمد دبوق برأيه...

أما إستعمال كل هذه الروايات لإثبات إستقلال العلماء عن الزعماء، فذلك لأن إرتباطهم المالي الواضح- بهم لم يكن تحمله سهلاً على رجال الدين. وفي الواقع فإنه لم يقم من رجال الدين، حتى العقد الرابع من القرن العشرين، من ناصر فعلاً الفلاحين في قضاياهم ووقف في

(1) جعفر شرف الدين، "قمم جبل عامل: علماؤه العاملون". نص غير منشور، مطبوع على الآلة الكاتبة، 9 صفحات.
(2) الشيخ محمد تقي الفقيه، جبل عامل في التاريخ، ص 344.

مواجهة الزعماء[1]. وكان كلّ في مكانه، يؤمن التوازن الذي كان قد إستقر بين مختلف طبقات المجتمع[2].

ثامناً: منهج العامليين:

لقد عبّر السيد عبد الحسين شرف الدين، عن موقفه من مسألة المجدّد في نص معروف حول العالم السيد محمد حسن الشيرازي (تـ 1895) مستشهداُ بالحديث الشهير "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ويحميها"، ومذكراً بأن ذلك في صلب التقاليد الإسلامية. ثم إنه يستعيد قائمة إبن الأثير (تـ 1233) بالمجددين الإماميين، وهي الأولى من نوعها، و"يشيّع" مفهوم التجديد بقوله: "الحمدلله الذي جعلنا على منهاج المجددين من أئمة العترة الطاهرة ثقل رسول الله" (ص)[3]. ويستعمل السيد عبد الحسين شرف الدين كل براعته في هذا المقطع، وهو يتمنى، بإعتباره شيعياً وسيداً، لو كان المجددون من بين ذرية النبي (ص)، إلا أنه بمقتضى القائمة المطروحة فإن أمنيته لا تتحقق، ولو صحّ ذلك لأقامها غيره من رجال الدين الشيعة قبله. ولذلك فإنه يصر على إظهار دور المؤسسين في حركة التجديد هذه فالذين مهدّوا السبيل لذلك كانوا من الأئمة، وسار على آثارهم من جاء بعدهم، بعد أن يقرر وجود المجددين في التاريخ، فإنه يؤكد أن مجدد القرن الرابع عشر الهجري بل زعيم مجدديه الأكبر، هو السيد محمد حسن الشيرازي[4]. وقد كان هذا الرأي شائعاً في تلك الحقبة بين رجال الدين، إذ كانت دعوة السيد محمد حسن الشيرازي لمقاطعة إدارة حصر التبغ في إيران بمثابة إعلان العصيان على السلطة القاجارية، ففتح بذلك عهداً جديداً في موقف رجال الدين الشيعة من السلطة القائمة وفي تدخلهم المباشر في مسائل السياسة.

---

(1) قام في بنت جبيل بعض الشباب من رجال الدين سنة 1936 إلى جانب الفلاحين في مواجهة الزعماء.

(2) في هذا الخصوص، كان الوضع مختلفاً في جبل عامل عنه في جبل لبنان، حيث كان بعض رجال الدين الموارنة المتحدرين من بيئة متواضعة قد آزروا الفلاحين في مواجهة زعمائهم السياسيين سنة 1858. ولا بد من القول إن رجال الدين هؤلاء كانوا ناشطين ومتعلمين وميسورين ومدعومين من فرنسا. أنظر Dominique Chevallier, “Aspects sociaux de la question d’Orient: aux origins des troubles agraires libanais en 1858” Annales, 1959/1, p.59-60

(3) هذه إشارة إلى الحديث الشهير عند الشيعة وفيه أن النبي (ص) يترك في امته ثقلين: كتاب الله وعترته آل بيته. ويشير المؤلف إلى حديث آخر يدعو فيه النبي المؤمنين إلى التعلق بآل بيته لأنهم سفينة النجاة. (ويرد هذان الحديثان في مراجع الحديث لدى أهل السنة). ومن الملاحظ أيضاً أن السيد عبد الحسين شرف الدين يصر على أن أوائل المجددين كانوا من ذرية النبي.

(4) يضع السيد عبد الحسين شرف الدين هذا الشرح في هامش في أسفل الصفحة. أنظر: "الميرزا الشيرازي أو الإمام المجدد"، العرفان، المجلد 31، ص 326-327، (1945) الهامش رقم (1) ويستعيد نص هذا الهامش في بغية الراغبين، المجلد الأول، ص 302-303 الهامش رقم (3).

فيما يتعلق بلفظة "الإصلاح"، فقد كان العامليون، في الفترة المعتبرة في دراستنا، يستعملونها أحياناً للدلالة على الفضيلة فحسب. فالسيد محمد جواد مرتضى، في مقالته "كلمات في الإصلاح"، وقد كتبها قبيل الحرب الكبرى، لا يدعو إلى الإصلاح (بمعناه المعروف اليوم)، بل إلى قيم كالأخوة والتعاون ويحرض القارئ على إتباع أصول الأخلاق عامة، دون أن يحدد السبيل الواضح للوصول إلى ذلك[1]. والحق أن رجال الدين العامليين من ذوي المراكز الدينية، قلما كانوا يلجأون إلى إستعمال لفظة الإصلاح، حتى من كان منهم من دعاته، ولا سيما إن قورنوا بالشيخ محمد عبده الذي كان يرفع علم الإصلاح في مختلف حقول تطبيقه بإعتباره الشعار الحقيقي[2]. ولئن شاع في مجلة العرفان لفظ الإصلاح وفكرته فقد كان ذلك على أيدي الأدباء، وكانوا الأساس في إحيائه بدءاً بمؤسس المجلة الشيخ أحمد عارف الزين. وكان هؤلاء الأدباء[3] يستعملونه أكثر من العلماء على وجه العموم. ومع ذلك فإننا نجده لاحقاً، مستعملاً في مقطع من مقدمة كتاب للسيد عبد الحسين شرف الدين يعدّ من أخطر كتبه. "وإني لأرجو اليوم ما رجوته أمس أن يحدث هذا الكتاب إصلاحاً وخيراً، فإن وفّق إلى عناية المسلمين به، وإقبالهم عليه فذلك من فضل ربي وذلك أرجى ما أرجوه من عملي. إن أريد إلّا الإصلاح ما إستطعت، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب"[4].

ولا يكتفي السيد عبد الحسين شرف الدين بالتعلق بتراث الإصلاح، بل إنه يستشهد بإحدى آيات القرآن[5] المشهورة لدى دعاة الإصلاح، وكانت هذه الآية منذ سنة 1884 موضوع إفتتاحه في مجلة العروة الوثقى في باريس، وكان يشرف عليها الشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده[6].

---

(1) مجلة العرفان، المجلد الأول ص 296- 299.

(2) Ali Merad, “Islah”, E12/IV/150

(3) نذكر هنا بالفرق الذي أقمناه في هذا الكتاب بين رجال الدين، أي العلماء، وكانت لهم مراكز دينية، وبين الأدباء، لم تكن لهم مراكز دينية على الرغم من أنهم تلقوا العلوم التقليدية نفسها.

(4) السيد عبد الحسين شرف الدين، المراجعات، دار ومطبعة الرسول الأكرم، بيروت 1991 ص 78. والطبعة الأولى 1936

(5) إشارة إلى الآية: إن أريدُ إلا الإصلاح ما إستطعتُ وما توفيقي إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أنيب": سورة هود، الآية 88

(6) في إفتتاحية العدد 17 بتاريخ 1884/9/25 أنظر: Merad, Le reformissme musulman en Algerie, p:

تاسعاً: تنظيم التعليم الديني:

كانت الدراسة الدينية، في الفترة التي إفتتحت فيها مدرسة النبطية الحديثة، في طور الإنطلاق. فبعد فترة من الركود، يتفق المؤرخون العامليون على ردّها إلى ما أحدثته حملات الجزار العسكرية وما تلاها من نهب، قامت في قرى جبل عامل مدارس عديدة. ويؤرخ البعض نهضة التعليم الديني ببداية القرن التاسع عشر، فقد كان الأمن قد إستتب في المنطقة وقام عالم من الكوثرية إسمه الشيخ حسن القبيسي فإفتتح مدرسة خرجت العديد من رجال الدين[1]. وأما البعض الآخر فيؤرخها بالعام الهجري 1300 هـ أي ما يناسب 1882 م وهو تاريخ الدخول في التاريخ الحديث ويناسب أيضاً تطوراً في المدارس الدينية[2].

وكان الشيخ حسن قبيسي قد أسس هذه المدرسة تبعاً لنصائح العلماء في النجف، وكان يدرس فيها اللغة العربية وآدابها والعلوم الدينية ويخرّج رجال الدين، ومنهم السيد علي إبراهيم الذي علّم فيما بعد في المدرسة، والشيخ عبد الله نعمة، والشيخ محمد علي عز الدين، والشيخ علي السبيتي (ت-1885م) وكان أديباً وشاعراً مشهوراً، وكان يخرّج الزعماء أيضاً. إلا أن المدرسة إندثرت بوفاة مؤسسها. و"إنتقلت حركة التدريس" إلى جبع، بحسب عبارة محمد جابر آل صفا[3]. وهذه العبارة غالباً ما تتكرر في كتابات المؤرخين، كما لو أنهم كانوا يتمثلون التعليم، أي في الواقع دور العلم، وكأنه شيء متحرك، ينبغي للمرء أن يرتحل للحاق به هنا أو هناك بحسب ما يحلو له من تنقل دائم، في طلب للمعرفة لا ينفك يتجدد.

وإذ حطّ الشيخ عبدالله نعمة رحاله في جبع، مع أنه من جارتها حبوش، فقد أعادت الصلة بالتقاليد المتعلقة بالتدريس والتبحر في العلم التي تعود إلى القرن السادس عشر حيث بدأت بالمدرسة التي أسسها الشيخ زين الدين العاملي المعروف بالشهيد الثاني. وقرية جبع، في نظر العامليين، هي مهد هذا التقليد. لذلك فقد قيل إن عبدالله نعمة قد جدّد مدرسة الشهيد،

---

(1) محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، مصدر سابق، ص 240-241
(2) وهذا ما يقول به أحمد رضا إذ يقسم تاريخ التعليم في جبل عامل إلى ثلاث مراحل: الأولى إلى القرن الحادي عشر الهجري: تطور المدارس، الثانية إلى نهاية القرن الثالث عشر الهجري: مرحلة مضطربة، الثالثة إلى أيامه (أي 1328هـ- 1919م) وفي فترة نهوض، أنظر العرفان المجلد الثاني العدد 8 ص 381-392.
(3) محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، مصدر سابق، ص 242.

كما لو قيل عن غيره من العلماء إنهم "جددوا" مدرسة أسسها أحد أجدادهم[1]. مما يعني أن إنشاء المدارس لا يكون من العدم، ولا يتم بفكرة من العالم أو بإرادة منه فحسب، بل يتصل بتقليد و"بحركة" تعيد أماكن المعرفة إلى حيث كانت مزدهرة.

وقد دامت مدرسة الشيخ عبدالله نعمة أربعين عاماً وكان من بين تلامذتها الكثر، السيد حسن يوسف مكي والشيخ موسى شرارة[2]. وكان طول حياتها بحد ذاته عنصر ثبات في التعليم مجالاً لتجديد الدروس. على أن المناهج بقيت مغرقة في التقليد، فقد كانت إدارة المدرسة تتم على "الطريقة القديمة" بحسب السيد محسن الأمين. ويقول هذا الأخير إن عبدالله نعمة كان يكتفي بتعليم الفقه ويترك تعليم العربية والبلاغة والمنطق والأصول، إلى الآخرين- تاركاً بذلك شكاً حول هؤلاء "الآخرين" من المشايخ. بالإضافة إلى ذلك فإنه يعتبر أن منهج التعليم كان "عقيماً"، لأن التلامذة كانوا يضيعون السنوات الطوال في دراسة النحو والصرف ولأن شروح شيوخهم كانت غير مفهومة حتى من الشيوخ أنفسهم، فكيف بالتلامذة. ويستنتج السيد محسن الأمين أن الفائدة التي كانت ترجى من هذه المدرسة لم تكن لا بحجم الجهد المبذول فيها ولا بقدر المال المصروف[3].

ولئن لم ينتقد الشيخ أحمد رضا مدرسة الشيخ عبدالله نعمة بصورة واضحة، فإنه يلمح إلى ما كان فيها من مثالب مقارنة بمدرسة الشيخ محمد عزالدين في حناويه، وقد إفتتحت على إثر مدرسة الشيخ عبدالله نعمة. وبحسب قوله فإن الدراسة كانت فيها أكثر تنوعاً منها في جبع، وأعمال مؤسسها أبسط وأكثر تنسيقاً وتوثيقاً[4]. وقد أصابت مدرسة حناوية نجاحاً كثيراً وكان عدد تلامذتها في تزايد مستمر إلى وفاة مؤسسها، سنة 1884م[5]. وهي الوحيدة التي نملك لها وصفاً من مراقب أجنبي، وهو الدكتور "لورتيه"، إذ يروي زيارته لهذه المدرسة "العليا" فيقول:

---

(1) حول الشيخ عبد الله نعمة وتجديد مدرسة جبع، أنظر: جعفر شرف الدين، "قمم جبل عامل، علماؤه العاملون"، وثيقة غير منشورة، مطبوعة على الآلة الكاتبة 9 صفحات.
(2) العرفان، المجلد الثاني ص 389 ومحمد جابر آل صفا، تاريخ، ص 243-244.
(3) الأعيان، المجلد الثامن ص 60. السيد محسن الأمين لم يكن من تلامذة هذه المدرسة، قد سمع هذه المآخذ على المدرسة من أحد رجال الدين الذين درسوا فيها وكانوا يشاركونه الرأي في ضرورة إصلاح التعليم. كذلك فإن الأمر يتعلق بموسى شرارة على الأرجح وكان أستاذه.
(4) العرفان، المجلد الثاني ص 389
(5) الأعيان، المجلد التاسع ، ص 447

"جلسنا القرفصاء بين نافذتين على حُصر مغطاة بالسجّاد في زاوية قاعة واسعة، مستندين إلى الجدار، ومعنا ما يقارب الثلاثين فتى، كان الشيخ يلقنهم تعاليم الدين الحنيف، وكان أغلب هؤلاء التلامذة بين الخامسة عشرة والسادسة عشرة من العمر، وكانوا يبدون إنتباهاً وإحتراماً كبيرين، وكان على ركبة كل واحد منهم قرآن كبير الحجم قد خُطّ بعض نسخه خطاً فكان آية في الجمال[1].

وبعد إقفال مدرسة حناويه، بعد وفاة مؤسسها سنة 1884م. تجمع طلابها هم وآخرون في بنت جبيل في المدرسة التي إفتتحها الشيخ موسى شرارة في بنت جبيل بعد عودته من العراق سنة 1880م. وكان من تلامذتها عدد كبير من العلماء موضوع دراستنا، ومنهم السيد محسن الأمين والشيخ حسين مغنيه وعبد الحسين صادق، وقد تركت شخصية الشيخ فيهم أثرها الواضح. وكان الشيخ لا يتورع عن توجيه النقد إلى الشيوخ من زملائه ونسبة أخطاء تلامذتهم إليهم، بقوله لهم: "الحق في هذا على شيخك" وشيخه حاضر. وكان يتابع تلامذته عن قرب ويسائلهم كل يوم خميس مساءً لكي يرى مدى تقدمهم في المواد التي كانوا يدرسونها على شيوخهم[2]. أضف إلى ذلك أنه إعتمد طرقاً تربوية أنسب لحاجات الطلاب: فقد كان الأجدى عنده أن يفهموا النصوص التي يدرسونها، لذلك فإنه كان يلتزم بشرحها ويهمل الإستطراد المطول الذي كان يطيل في مدة الدراسة في علوم العربية. ولقد إتخذ لمدرسته مثالاً من النجف بإتباعه منهج الدراسة المتبع فيها، فأدخل إلى جبل عامل التدريس في قوانين الأصول للميرزا القمي (ت 1816)م، وتوصل إلى إستقطاب أفضل الطلاب وأفضل المدرسين على حد سواء. وذلك ما كان من أمر السيد نجيب فضل الله والسيد يوسف شرف الدين الذي التحق، هو وتلامذته، بمدرسة بنت جبيل[3]، ثم إن تلامذتها ومدرسيها تفرقوا بعد وفاة الشيخ سنة 1886م.

وكانت تنتشر في القرى العاملية مدارس أخرى أقل شأناً من تلك. ومنها مدرسة أنصار وعلى رأسها السيد حسن إبراهيم، وكانت مزدهرة في تلك الفترة. وكان لا بد من

---

(1)Louis Lortet, La Syrie d'aujourd'hui,p.132.

(2) السيد محسن الأمين، سيرته، ص 60 والأعيان، المجلد العاشر ص 17

(3) الأعيان، المجلد العاشر ص 321، وجعفر شرف الدين، في وثيقة مخطوطه جواباً عن أسئلة مكتوبة.

إنتظار عودة السيد حسن يوسف مكي من العراق وإستقراره في النبطية حيث ظهرت من جديد مدرسته وكانت الأرحب، وقد إفتتحها سنة 1892م وسماها الحميدية فقصدها التلامذة من كل صوب حتى أن عددهم نيّف على الثلاثمائة وقد إعتبر محمد جابر آل صفا أن "عناية السيد الرئيس بالمدرسة وطلابها (بلغت) حداً بعيداً لم يكن له مثيل في المدارس التي قامت في جبل عامل"، فكان يولي عنايته صيانة البناء، ويساعد الطلاب المحتاجين مادياً ويراقب سير الدروس. وكان يجمع التلامذة بعد ظهر كل يوم في الملعب ليدرسهم بنفسه ويمتحنهم أو يستمع إلى نقاشاتهم ومراجعاتهم ويتابع تقدمهم في دروسهم وحتى في قيافتهم ومأكلهم ومنامتهم(1).

وقد توقفت المدرسة، هذه أيضاً، بوفاة مؤسسها سنة 1906م، وكانت تجربتها قد أثرت في أدباء عامليين منهم الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر اللذين أتمّا دراستهما ثم درّسا فيها. وقد عادت المدرسة إلى العمل في العقد الثالث من القرن العشرين بمبادرة من بعض وجهاء النبطية وتكفلتها جمعية خيرية يديرها الرجلان.

وقد إتخذت الحركة في إتجاه التعليم، بعد إحياء الدستور العثماني سنة 1908م وإتباع سياسة تطوير المدارس في السلطنة، صورة جديدة: فقد أرادت الدولة أن تأخذ على عاتقها عبء تربية أتباعها. فما كان من العامليين إلا أن طالبوا بإفتتاح المدارس في ديارهم، فقامت بعض المحاولات المعزولة، ومنها محاولة السيد علي محمود الأمين الذي كان منذ عودته من العراق سنة 1893م إلى وفاته سنة 1910م يجمع من حوله جماعة من الطلاب. إلا أن رجال الدين، على وجه العموم كانوا يكتفون بجماعة صغيرة من الأتباع، لا يلبثون أن يذهبوا، في أغلب الأحوال، إلى المدن المقدسة في العراق(2).

لم يستطع العامليون في الواقع أن يقيموا نظاماً دائماً للتعليم، على الرغم من بعض المحاولات التي قامت في نهاية القرن التاسع عشر. وقد كانت تجربة السيد علي الأمين قبل عدة عقود قد باءت بالفشل. فلننظر في الأسباب. كان السيد علي الأمين قد أعاد إلى مدرسة

---

(1) تاريخ جبل عامل، ص 253.
(2) أنظر محسن الأمين، خطط جبل عامل ص 183، والعرفان المجلد الثاني ص 530.

شقراء "عزّها"، وكان جدّه السيد أبو الحسن موسى (1726-1780م) قد أسسها في شقراء، وكانت الأولى في جبل عامل التي إمتلكت أوقافاً لسد حاجاتها المالية، وكانت تتسع لأربعمائة طالب[1]، فأعاد السيد علي إفتتاحها. وقد أرسل طلابه في جمع الخمس من سكان القرى المجاورة ليوفر لها المال الكافي حتى تسير أمورها على ما يرام. وفي أحد الأيام عيّره أحد القرويين، وقد أرهق، بأن لا فرق بين طلابه وبين أزلام حمد بك، وكان الزعيم في ذلك الحين، الذين يثقلون الفلاحين بالضرائب، فإستاء العالم وقرر أن لا يعود إلى هذه الوسيلة لتمويل المدرسة وأخبر طلابها بأنه لن يستطيع إعالتهم بعد اليوم، فبقي البعض وتفرق البعض الآخر. ثم إندثرت المدرسة بوفاة علي الأمين[2].

وتظهر هذه الحادثة أنه لم يكن في إستطاعة رجال الدين أن يعتمدوا على الدعم المادي المنشود لدى السكان بعد أن أفقرهم إبتزاز الزعماء لهم. فكانت الوسيلة الوحيدة تقوم على التفاهم بينهم وبين الزعماء إياهم، فهم الممولون الوحيدون: ولذلك فقد كان حسن سير التعليم، كما يلاحظ وضاح شرارة، منوطاً بالعلاقات بين الزعماء والعلماء، وقد تحسنت بعد التنظيمات، أي بعد أن أعفي الزعماء من مناصبهم وأنشأت إدارة عثمانية مباشرة في الولايات[3]. اضف إلى ذلك أن ظهور الوجهاء قد مهّد لإنشاء المدارس، ولا سيما في المدن، وعلى الأخص في النبطية، حيث كان الأثرياء من التجار مستعدين لتشجيع التربية. لذلك فقد كان تمويل مدرسة الشيخ عبدالله نعمة يتم عن طريق الشيخ سليمان الزين، ومدرسة السيد حسن يوسف مكي عن طريق الشيخ حيدر جابر، ثم جددها حفيدا الشيخ سليمان الزين، يوسف وحسين في العقد الثالث من القرن العشرين[4]...

كانت هبات الوجهاء تسمح لرجال الدين القائمين على المدارس أن يؤمنوا حسن سيرها اليومي، وصيانة مبانيها، وإطعام طلابها ومساعدة المعوزين منهم. وقد ظهرت بذلك بداية تنظيم، كان في الإمكان أن يستقيم. أما المدارس التي لم تكن موضع كرم واهب مجزل فلم يكن لها من مصدر للتمويل غير الخمس المستحق للعالم الذي يديرها، إذ لم تُلحق بها

(1) السيد محسن الأمين، الأعيان مصدر سابق، المجلد العاشر، ص 182 – 185
(2) المصدر نفسه، ص 183.
(3) وضاح شرارة، الأمة القلقة، ص 80-81
(4) مرجع سابق، محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، ص 252

الأوقاف. وكانت هذه المدارس، نظراً لهشاشة موقفها المالي الذي كان يزيد من صفتها الزائلة، لا تؤسس إلا بفضل المبادرة لدى عدد قليل من رجال الدين وبفضل كفاءتهم وجهدهم، فهم المؤسسون والمدبرون والقائمون بنشاطاتها معاً. وكانت تندثر في أغلب الأحيان بوفاتهم. ونظراً إلى أن المؤسسة كانت لا ترتكز إلا إلى إرادة فرد واحد، فإنها كانت تنهار بغيابه.

وكان فشل التنظيم في العلوم الدينية يعجّل بذهاب الطلاب إلى العراق. ولقد غابت المدارس الدينية الرفيعة المستوى عن جبل عامل منذ قيام الحرب العالمية الأولى[1]. إلا أن يبقى في نظر العامليين، هو أن عدداً من رجال الدين، بتأسيسهم المدارس التي أعدت جيلاً جديداً من الأدباء والعلماء، قد ساهموا في حركة النهضة العامة في الشرق: ففي مقالة طويلة نشرت في العرفان سنة 1926م حول هذا الموضوع، تظهر أسماء الشيخ عبدالله نعمة والشيخ محمد علي عزالدين والشيخ موسى شرارة والسيد حسن يوسف مكي بإعتبارهم قد ساهموا في الحركة التي أطلقها الشيخ جمال الدين الأفغاني وتابعها في بلاد الشام الكواكبي وطاهر الجزائري. ويضاف إلى ذلك على أنه قبل إعلان الدستور، لم تكن الساعة مؤاتية، لأن دعاة الإصلاح كانوا يعملون وهم خائفون. ويقيم صاحب المجلة، في المقالة نفسها، الصلة بين شيعة لبنان وأصل هذه الحركة أي جمال الدين الأفغاني نفسه، مفسراً أن أحد الشيعة ميرزا الباقر[2]، أن صديقه محمد الباقر، كان قد رافق السيد في سفره إلى باريس[3].

وكان للشيخ موسى شرارة بين رجال الدين هؤلاء ممن سبقوا دعاة الإصلاح الديني في جبل عامل. وكانت له نظرة شاملة حول ما ينبغي له أن يتغير أو أن يتحسن، لا في التعليم فحسب، بل كذلك في ممارسة الشعائر وفي الحياة الدينية على وجه العموم[4]. ونظراً إلى إنطباعه بطابع ما رآه وخبره في النجف طوال تسع سنوات، فإنه قد بقي متعوداً على شرب

---

(1) السيد محسن الأمين، خطط جبل عامل، مصدر سابق، ص 186.
(2) كان الشيخ أحمد عارف الزين قد دافع عن محمد باقر على صفحات جريدة جبل عامل سنة 1912، وهو شيعي من بيروت كان ينشر فيها البلاغ. وقد سجنه الأتراك لذلك.
(3) العرفان، المجلد 12 ص 241 -248، 361 – 368، 481 – 487
(4) يفرد له محسن الأمين بعض المقاطع في سيرته تحت عنوان: "الشيخ موسى شرارة وإصلاحاته" ص 58 -71

الشاي صباحاً ومساءً، بالطريقة التي كانوا يصنعونه بها هناك، فكان أول من أدخل السماور* إلى جبل عامل[1].

وقد إحتفظ بهذه العادة التي تعوّدوها في العراق، الكثيرون من بعده فعمت بسرعة الأوساط الدينية العاملية، واليوم يُشرب هذا الشاي في أسر العلماء ويُحضّر في إبريقين متطابقين ويسمى "الشاي الشرعي" أو "شاي السادة". وكان الشيخ موسى شرارة يود، على ما يبدو، أن يستحضر القليل من أجواء مدن العراق، وهو الذي كان لا ينفك يردد العبارة: "هذا سبك العراق"، كلما ذكر بعض عاداتهم[2]. فلقد تأثر بالعادات النجفية بالغ الأثر، على الأقل فيما يتعلق بالإصلاحات التي قام بها في جبل عامل. وذلك أشبه ما يكون بتقليد سكان المناطق لسكان العاصمة، فقد كان المطلوب أن تنظم الحياة الدينية العاملية على مثال ما كان يفعله كبار المجتهدين في مدن العراق.

نشوء الصحافة المحلية:

ولم يكن لإصلاحات الشيخ موسى شرارة، على الرغم مما تركته من بصمات، إلا صدى محصور، وذلك لأن جبل عامل لم يكن مهيئاً لها. فكان لا بد من إنتظار العودة إلى الدستور وإلى الحريات سنة 1908 حتى يصبح الجو مناسباً للإصلاح. وقد إستطاع أتباع الشيخ موسى شرارة أن يوصلوا صوتهم إلى جمهور أوسع، لأنه، كما كان يقال حينها قد: "حُلّت الألسن والأقلام" بعد سنة 1908. ولئن إستطاع دعاة الإصلاح أن ينشروا أفكارهم في جبل عامل، وأن يدافعوا عنها، فقد كان ذلك بفضل نشوء الصحافة المحلية سنة 1909 ولا سيما بفضل مجلة العرفان.

مجلة العرفان:

فساهم الأدباء والشعراء والعلماء في الكتابة في مجلة العرفان. ولعل البعض منهم ما كانوا لينشر كتاباته لو لم تصدر هذه المجلة، أما البعض الآخر فقد إعتاد أخذ القلم والكتابة في مختلف المنشورات الصادرة في بيروت أو دمشق أو القاهرة. فخرجت بذلك أفكارهم من

---

* السماور: وهو إبريق شاي، يستخدمه العراقيون وغيرهم.
(1) الأعيان، مجلد 10، ص 172.
(2) السيد محسن الأمين، خطط جبل عامل، مصدر سابق، ص 63.

المحيط الضيق في مجالس العلماء والأدباء إلى الجمهور الأوسع. ولقد أسس بعض مسيحي مرجعيون: أسعد رحّال ودانيال زعرب، أول دورية في جبل عامل، وهي صحيفة مصغّرة من بضع صفحات سمياها المرج وظهر أول أعدادها في 25 كانون الثاني سنة 1909[1]. ولقد ساندت أول الأمر حركة تركيا الفتاة، نظراً إلى أنها من نتاج الدستور العثماني، ودعت إلى الإصلاح في جبل عامل.

وقد كتب فيها الشيخ سليمان ظاهر إفتتاحيات حتى الحرب العالمية الأولى، تاريخ إقفال الجريدة. ثم عادت إلى الصدور في عهد الإنتداب الفرنسي حيث تابعت دفاعها عن مصالح المنطقة التي أصبح إسمها لبنان الجنوبي. وفي سنة 1931 كانت هذه المجلّة تطبع 1500 عدد تقريباً، ستون بالمائة منها كانت ترسل إلى أميركا[2]. وفي سنة 1927 تنحى الدكتور رحال لإبنه أديب فأدارها إلى سنة 1952، فتنحى بدوره لإبنه أسعد رحال فأعطاها إسماً جديداً هو مجلة الجنوب. هذه الدورية الصغيرة ذات الشأن المحلي عاشت حياة طويلة، وبقيت مواظبة على إهتمامها بجبل عامل، وكانت صدى للأحداث التي مرت به، وإنكبت على أدبه وتاريخه وإستكتبت من أجل ذلك أفضل الأقلام العاملية. ولعل إرادتها هذه في بقائها ضمن الحدود المحلية، أن تكون سبباً في نجاحها ولا سميا لدى المهاجرين في اميركا، وقد بقوا بفضلها على صلة بمنطقتهم تصلهم أخبارها بصورة منتظمة.

فيما خلا المرج وبالطبع العرفان وجريدة جبل عامل، لم تصدر منشورات دورية في جبل عامل قبل العام 1920، إلا بعض المحاولات المعزولة القصيرة الأمد. ومنها الأدب ظهرت سنة 1910 في قرية من جزين وهي مخطوطة، والقوة أصدرها في صور سنة 1912 الحاج حسن دبوق وكان يطبعها في بيروت[3]. في العقد الثالث من القرن العشرين قامت في جزين ومرجعيون حركة صحافية محلية، ففي آب 1920 ظهر العدد الأول من جريدة الإتفاق أصدره في جزين المحامي سعيد رزق وحبيب ناصيف، وكانت أسبوعية

---

(1) السيد محمد كاظم مكي، الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل، ص 51، لم يبق إلا بعض النسخ القليلة من المرج متاحة للجمهور تحفظها مدرسة المقاصد في النبطية.

(2)Archives MAE, carton n 1679, Bulletins hebdomadaires d’informations, Haut-Commissariat, Beyrouth et. في إفتتاحية المرج في العدد الصادر في 1931/10/21، شكوى أخرى من إهمال الحكومة للبنان الجنوبي، على أنه يدفع 1929-1931 postes الضرائب المرتفعة من دون أن يحظى بخدمات الدولة من صيانة وتزفيت الطرقات.

(3) السيد محمد كاظم مكي، الحركة الفكرية والأدبية، ص 208 وحسن قبيسي، تطور مدينة صور الإجتماعي ص 77

تعالج القضايا الأدبية وتتطرّق إلى الشؤون الزراعية والسياسية. وبعدها بستة أعوام أصدر أحد رجال الدين في البلدة دورية إسمها الشلاّل.

النهضة المرجعيونية:

أصدرت جمعية في مرجعيون في كانون الثاني 1927 النهضة المرجعيونية، وما لبثت أن إقتنت مطبعة صغيرة خاصة بها. وظهرت في صيدا في تلك السنة مطبوعة أسمها: ابو دلامة[1]. وفي آب 1931 نزلت إلى الأسواق أولى أعداد جريدة ذات طموح كبير وهي القلم الصريح صدرت في مرجعيون. وكان مؤسسها شاب من الروم الأورثوذكس، الفريد أبو سمرا، وكان من مناصري القومية العربية المتحمسين، والوحدة مع سوريا. وقد أراد أن تكون جريدته وطنية تتصدى للإستعمار وتعالج مشاغل الناس. ونظراً لقربه من المثقفين والوطنيين، فقد توصل إلى كسب التعاون مع رجال الأدب العامليين من أمثال الشيخ أحمد عارف الزين والشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر وموسى الزين شرارة وكذلك من غيرهم من الأقلام المعتبره من أمثال فخري البارودي. وقد ظل مؤسسها يعمل بنفسه على إصدارها بإنتظام إلى العام 1976"[2].

صد الجنوب:

وظهرت في جبل عامل عناوين أخرى عابرة، أو أن بعض العامليين أصدروها. ومنها صدى الجنوب صدرت عام 1937 في مرجعيون ولم تدم طويلاً. وفي شقراء ظهرت أربع نشرات بين العقد الرابع والعقد الخامس من القرن العشرين، أصدرها أفراد من آل الأمين وهي: الحقل للسيد عبد الكريم الأمين، أبو الكشاكش وهي من صنع السيد جعفر الأمين، النحلة أنشأها السيد عبدالله مرتضى الأمين، الخنساء وهي مجلة نسائية أسستها السيدة سكينة الأمين.

---

(1) السيد محمد كاظم مكي، المرجع السابق، ومصطفى بزي، تطور التعليم والثقافة، ص 338-342.
(2) ألفرد أبو سمرا، " مرجعيون الرائدة"، من دفتر الذكريات الجنوبية، المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، المجلد الأول، ص 83

المعهد:

وأول مجلة صدرت في صور، المعهد، أسسها عام 1945 السيد جعفر شرف الدين إبن المجتهد السيد عبد الحسين شرف الدين، ودامت أربع سنوات. وكان أخوه السيد محمد رضا قد أصدر سنة 1935 في بغداد الديوان وكان رئيس تحريرها الأخ الثالث السيد صدر الدين. وفي سنة 1944 أصدر هذا الأخير جريدة يومية في بغداد بإسم الساعة، ثم أصدر مجلتين أدبيتين في بيروت: الألواح سنة 1950 أتبعها سنة 1952 بأسبوعية سمّاها الساعة كذلك وقد توقفت بعد عددها الثاني، فإنكفأ موسسها إلى صور حيث أصدر النهج إبتداءً من سنة 1955. وفي بيروت قام أحد الأدباء العامليين، الشاعر المشهور محمد علي الحوماني، بتأسيس مجلة بعد نصف الليل، سنة 1930، وحولّها إلى العروبة سنة 1935. وكانت تنشر مقالات عن المجتمع والعادات واللغة العربية والآداب والعلوم والفنون، وتطمح لمنافسة العرفان. إلاّ أن العروبة لم يكن لها لا جمهور العرفان ولا العدد الكبير من المشاركين في تحريرها الذي كان لغريمتها في صيدا، وتوقفت بسرعة.

وكانت المطابع نادرة في جبل عامل، فكان للمرج مطبعة صغيرة في مرجعيون تحمل الإسم نفسه. ولم تدم طويلاً، لأن المجلة أصبحت تطبعها العرفان في صيدا إبتداءً من سنة 1930[1]. وذلك أن الشيخ أحمد عارف الزين، بعد أن كان يطبع مجلته في بيروت طوال سنتين (1909 و1910)، إفتتح مطبعته في صيدا في 11 كانون الأول سنة 1910، ليطبع فيها مجلته وكذلك كتُباً في الأدب والدين والعلم، بالإضافة إلى الكتب المدرسية[2]. وبذلك يكون الشيخ أحمد عارف الزين قد أطلق مؤسسة للنشر كان جبل عامل يفتقر إليها، لأن الكتب فيه كانت نادرة جداً. والأفضل من ذلك أن هذا العمل في النشر قد تخطى النطاق المحلي بمسافات فوصل إلى العالم الشيعي على وجه العموم. فقد طبعت العرفان كتباً تختص بالتراث الديني الشيعي من أمثال المقتل لإبن طاووس، وقد نُشر منذ السنة الأولى على تأسيسها([3])، هذا من جهة، وكتباً للأدباء أو العلماء العامليين بالإضافة إلى كتب المفكرين

---

(1) السيد محمد كاظم مكي، الحركة الفكرية والأدبية، ص 207

(2) الشسخ أحمد عارف الزين، تاريخ صيدا، ص 153.

(3) علي البغدادي إبن طاووس، كتاب اللهوف على قتلى الطفوف، وهو رواية لمصرع الإمام الحسين (ع)، وتدل لفظة "مقتل" على نوع أدبي كان شائعاً في القرون الأربعة الأولى من الإسلام، يروي أحداث المقاتل العنيفة أو الجرائم، أنظر بهذا الصدد:

العراقيين الشيعة من معاصريها، من جهة أخرى. ومن نافل القول أن هذه الكتب المعاصرة كانت تقدّم في الأغلب، عرضاً في الدفاع عن التشييع. وكان لبعضها صدى كبير في العالم الشيعي وأدّت إلى ردود على شكل عرض نقدي للكتاب أو إنكاري من قبل المفكرين السنة. ومنها على سبيل المثال: الدين والإسلام، أو الدعوة الإسلامية، للسيد محمد حسين كاشف الغطاء، الذي منع من طبع الجزء الثاني من كتابه في بغداد، وكان الأول قد ظهر سنة 1911م. فطبعه في مطبعة العرفان أثناء إقامته في بلاد الشام[1]. ونشرت العرفان سنة 1913م كتاباً آخر من هذا النوع هو: الشيعة وفنون الإسلام للسيد حسن الصدر، وهو كاتب غزير الإنتاج ويعد كتابه هذا من أشهر ما كتب. وقد نشرت العرفان كتاباً آخر له: المسائل المهمة في العبادات والمعاملات[2].

ونذكر كذلك كتابين على كل شيعي مؤمن أن يقتنيهما في مكتبته: تفسير القرآن للشيخ محمد جواد البلاغي[3] والرسالة العملية في الفقه للمرجع للسيد محمد حسين النائيني[4]. وأما كتب العامليين الأخرى في هذه الفترة، فإنه من المستحيل أن نذكرها جميعاً: إلاّ أن معظمها نُشر في العرفان. وكان في صيدا مطبعة أخرى تسمى المطبعة العصرية. وعلى مثال العرفان كانت تنشر كتباً أدبية متعددة الموضوعات وكتباً مدرسية[5]. على أن مطبعة العرفان بقيت الوسيلة المفضلة لدى الأدباء والعلماء والعامليين، كما كانت المجلة التي تحمل الإسم نفسه مجلتهم[6].

Sebastian Gunther, “Maqatil Litterature in Medieval Islam”, Journal of Arabic Litterature, XXV (1994),p.192-212

(1)Silvia Naef, “Un reformiste chiite- Muhammad Husayn al Kasif al-Gita”p.59

(2) الشيعة وفنون الإسلام، العرفان، صيدا، 1331 هـ - 1913م (وقد نشر الكتاب على نفقة السيد عبد الحسين شرف الدين وأحمد رضا وسليمان ظاهر، أنظر العرفان المجلد 5 العدد الأول ص 38)، المسائل المهمة في العبادات والمعاملات، العرفان، صيدا (1339هـ - 21- 1920م) الطبعة الثانية.

(3) آلاء الرحمن في تفسير القرآن، الجزء الأول، مطبعة العرفان صيدا، 1351هـ 1933م.

(4) رسالة في أحكام العبادات والمعاملات، العرفان، صيدا 1352هـ - 1933م من 280 ص

(5) محمد كاظم مكي، الحركة الفكرية والأدبية، مرجع سابق، ص 210.

(6) لقد توقفت المطبعة عن العمل، إلا أن المجلة لا تزال تصدر إلى اليوم ولكن في بيروت. فقد أدارها نزار الزين بعلم وفاة أبيه سنة 1960م، وبقي كذلك إلى سنة 1981 م حين توفي، فإستلم إدارتها إبن أخيه فؤاد الزين، وقد توقفت بسبب الحرب في لبنان سنة 1987م ثم عادت إلى الصدور سنة 1992م أنظر: Silvia Naef, “La presse en tant que moteur du renouveau culturel et litteraire. La revue chiite libanaise al-Irfan”p.395

عاشراً: التربية والتعليم

كان في نهاية القرن التاسع عشر، في بلاد الشام، ثلاثة نماذج من التعليم الإبتدائي:

أ- **النموذج التقليدي:** ويقوم به رجال الدين، ويتم في الكُتّاب وتدرس فيه القراءة والكتابة وبعض مبادئ الحساب، وقد يُقرأ فيه بعض الأدب من السير الشعبية من مثل سيرة بني هلال وسيرة عنترة قبل البدء بنهج البلاغة، ثم يصار إلى حفظ أبيات من نظم القدماء وذلك من أجل التآلف مع الشعر. وكانت جميع هذه الكتب يأتي بها الشيخ من مكتبته الخاصة: لأن المكتبات العامة لم يكن لها وجود في جبل عامل[1].

ب- **والنموذج العثماني المجدّد:** فقد صدر قرار، في موجة التنظيمات سنة 1846، يتعلق بإصلاح نظام التعليم في الدولة العثمانية، تتكفل بموجبه الحكومة بتنظيم التعليم ومراقبته على ثلاثة مستويات هي: الإبتدائي والثانوي والعالي، ويقوم به أساتذة معينون. وهكذا أُسِّست المدارس الرسمية في أنحاء الدولة، وكانت تسمى المدارس الأميرية في مقابل المدارس الأهلية أي الخاصة. وقد أصاب التعليم بعض الإنتشار، إلا أن المدارس في جبل عامل لم تكن بالقدر المطلوب: ففي ما خلا المراكز الكبرى، مثل صيدا أو صور أو النبطية، لم تؤسس المدارس الإبتدائية إلا في قريتين عامليتين هما جبع والغازية[2].

ج- **النموذج الغربي:** والنموذج الثالث كان من إقتراح الإرساليات المسيحية، وكان نموذجاً "مستورداً" بإعتبار أن منهجهم كان منسوخاً عن مناهج المدارس الأجنبية: الأوروبية أو الأميركية[3]. وقد إنتشرت هذه المدارس في جبل عامل في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكانت ذات شهرة حسنة من حيث حسن سيرها[4]. وكان موقعها في المراكز الكبرى: صيدا، صور، مرجعيون، جزين، وكذلك في القرى المسيحية[5]. فكان

---

(1) أنظر، مثلاً: ذكريات موسى الزين شرارة، من دفتر الذكريات الجنوبية، المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، الجزء الأول ص 65

(2) أحمد عارف الزين، تاريخ صيدا، ص 171.

(3) لاحظ "فيتال كويتية" سنة 1896 أن المناهج كانت في مدارس الآباء اليسوعيين في صيدا هي نفسها المتبعة في فرنسان وقد اضيفت إليها العربية والتركية Syrie, Liban, Palestine.p. 73.

(4) أنظر مثلاً، "لويس لورتيه" وقد ذكر في أثناء مروره في صور أن "الإرسالية الأميركية في بيروت قد أسست عدداً من المدارس المزدهرة". أنظر: La Syrie d'aujourd'hui.p.123

(5) هذه لائحة بمدارس الإرساليات في جبل عامل: في صيدا: مدرسة راهبات القديس يوسفن مدرسة الصنائع من تأسيس الإرسالية الأميركية سنة 1880 وكانت هذه الإرسالية تدير مدرسة للبنات، مدرسة الإخوة المريميين وقد أقيمت على أنقاض المدرسة التي نقلها اليسوعيون إلى جزين سنة 1909 في صور: مدرسة الجمعية الإنجيلية، أسست 1869، مدرسة راهبات القديس يوسف، إفتتحت سنة 1882، مدرسة الفرنسيسكان، في مرجعيون: مدرسة راهبات اليوزنسون، مدرسة للروم الأرثوذكس تحت الرقابة الروسية، مدارس بروتستانتية ومنها التي إفتتحتها سنة 1867 الإرسالية الأميركية، مدرسة كاثوليكية أسست سنة 1888 في جزين: مدارس اليسوعيين، مدرسة للإرسالية الأميركية، أنظر: مصطفى بزين تطور

لراهبات القلب الأقدس مثلاً في عين إبل دير، ولليسوعيين رهبنة، وقد أسس المرسلون فيها مدارس للصبيان والبنات وكذلك في القرى المجاورة[1].

وقد بقي عدد المدارس الإجمالي في جبل عامل غير كافٍ، أضف إلى ذلك أن الشيعة لم يكونوا يرسلون أولادهم إليها إلا مرغمين. وكان الشيخ محمد علي عزالدين (ت- 1884) يأسف بأن المسلمين قد فقدوا إهتمامهم بالعلم ولا سيما بالعلوم الدينية، بينما كان المسيحيون يعكفون على الآداب والعلوم العقلية ويبنون المدارس ويدفعون الرواتب للمعلمين[2]. وكان من يدخل الكُتّاب من الأولاد عشية الحرب الكبرى لا يتعدى الخمسة في المئة منهم، وكان السكان في أغلبيتهم العظمى من الأميين[3].

وكان بإمكان التلامذة الذين قاموا بدراستهم الإبتدائية أن يبدأوا بالمرحلة الثانوية في صيدا أو في صور إما عن النظام التركي أو على نظام الإرساليات. وكان عليهم بعد ذلك أن يذهبوا إلى بيروت إلى الكلية الإنجيلية بالتحديد، أو إلى معاهد إسطنبول، إلا أن القليل منهم كانوا يصلون إلى هذه المرحلة، وخصوصاً الشيعة منهم.

وكان في كل نموذج من النماذج الثلاثة التي قدمناها هناتٌ في نظر المفكرين العامليين. فالتعليم في الكتاب مقتضب جداً وفي المدارس العثمانية ومدارس الإرساليات، غير مناسب للشبيبة الشيعية. وقد لخص أحمد عارف الزين بعد بضعة أعوام، وجهة النظر الإصلاحية، في المحاضرة التي ألقاها في نادي جمعية الإتحاد والترقي في صيدا سنة 1910، وفي رأيه أن المدارس ثلاثة أنواع: مدارس الإرساليات، ولم يبخسها حقّها، إلا أنها لا تفي بالغرض وذلك كما يقول: "لأن الغريب لا تهمه قضيتنا"، ومدارس الدولة، وهي التي تُعد أتباعاً مأمورين، وهو ما لا يُرتجى، كما أنه إستبعدها لقصورها في أمور الأخلاق[3].

التعلمي والثقافة، ص 125-142، محمد كاظم مكي، الحركة الفكرية والأدبية، ص 200-202، حسن قبيسي، تطوير مدينة صور الإجتماعي، ص 71.

(1) مصطفى بزي، تطور التعليم، ص 125-126

(2) محمد علي عزالدين، "صرخة الفاضل السبيتي في قومه"، مأخوذ من المخطوطة سوق المعادن، العرفان المجلد السابع العدد 6، ص 228-230 (نيسان 1914).

(3) محمد بهجت ومحمد رفيق التميمي، ولاية بيروت، المجلد الأول، ص 143.

(4) "أخلاقنا" العرفان، المجلد الثاني، العدد 8، ص 397.

وكان إعتراض الشيخ أحمد عارف الزين هذا بمقتضى كونه وطنياً ومسلماً وكان جمهور مستمعيه يفهم حتماً قصده الذي يخفيه بسبب الرقابة التي كان يمارسها على نفسه. ولئن كان التعليم في المدارس الأجنبية جيداً، فإنه "مستورد"، ولم يكن يناسب العرب، والتعليم في المدارس العثمانية لم يكن يهدف إلا إلى إعداد الإداريين الحاضرين لتطبيق سياسة الدولة من دون أن يبدوا آراءهم النقدية، كما أن هذه المدارس تهمل دورها في تلقين تلامذتها يوماً بعد يوم، واجبات المسلم التقي. ولذلك فإنه، برأي الشيخ أحمد عارف الزين، يوجد نوع ثالث من المدارس هي المدارس الوطنية:

"لأنه بها لا بسواها يتسنى لنا المحافظة على لغتنا وديننا وأخلاقنا"، ويضيف قائلاً، إن المدارس التي أسست على هذا المثال إلى ذلك الحين، ليست مناسبة لحاجات الجماعة، بسبب طبيعتها القائمة على الربح وضحالة التعليم فيها من حيث نوعيته[1].

ويمتنع الشيخ أحمد عارف الزين في خطابه هذا عن ذكر مسألة على الرغم من أنها أساسية لا بل حاسمة في النقاش القائم حول التربية بين العامليين في نهاية القرن التاسع عشر، ألا وهي: إدخال العلوم غير الدينية في نظام التعليم الإسلامي.

وكانت هذه المسألة خلافية في مجالس الأدباء والعلماء، والواقع أن المسألة كانت، في ما يختص بالذين يقبلون بالفرضية القائلة بعدم مناسبة التعليم التقليدي المتصاعدة لحاجات المجتمع، في إيجاد طريقة تؤدي إلى إصلاح هذا التعليم من دون أن يجعله ذلك يتلاشى نهائياً.

والحق أن مثال المدرسة الدينية كان من الصعب إصلاحه لأنه كان يقتصر على تدريس العلوم الدينية، ولأنه، إضافة إلى ذلك، كان يتم بمقتضى طرق تربوية بائدة. ولذلك فإن المؤسسات التي إستحدث إنشاؤها في الشرق الأوسط، حتى العثمانية منها، كانت تقام على مثال النظام التربوي الأوروبي أو الأمريكي، أكان ذلك في المناهج التعليمية أم في تنظيم الدروس اليومي.

(1) "أخلاقنا" العرفان، المجلد الثاني، العدد 8 ص 397.

إلا أن العامليين، وحتى من كان منهم من دعاة الإصلاح، كانوا يرفضون تأسيس المدارس التي لا تفسح بالمجال للدين وللأخلاق الإسلامية لإتخاذ موقع كبير فيها، بدلاً من ترك ذلك لدائرة البيت ولمسؤولية الأهل وحدهم.

وقد دامت هذه المناظرات، التي بدأت في القرن التاسع عشر، سنوات طويلة في القرن الذي جاء بعده.

استنتاج الفصل الأول:

تعرضت بلاد الشام، في العقد التاسع من القرن التاسع عشر لتحولات سياسية وثقافية وإجتماعية، أكان ذلك بسبب ما قامت به الدولة العثمانية من إصلاح أو بسبب ما تم من إحتكاك بأوروبا التي زادت من ضغطها ومن تعطشها لحل المسألة الشرقية بما يناسبها. وقد شارك جبل عامل في هذه الحركة ولو أنه لم يكن العنصر المحرك فيها. وذلك لأن هذه المنطقة الزراعية، بسكانها الشيعة- مزارعين أو حرفيين أو تجار أو حمالين في معظمهم- كانت في مرحلة إنحطاط إقتصادي، وكانت تفتقر إلى النخب. بقي زعماؤها التقليديون متعلقين بإمتيازاتهم ولم يستبقوا إنقلاب الأوضاع التي كانت على وشك الحصول. ولكنّ سلطة الزعماء بدأت تهتز بسبب ما تمّ من إصلاح إداري وضريبي أدّى إلى ظهور مجموعة جديدة من الوجهاء. كذلك بدأت تظهر في مدينة صيدا- وهي على تخوم جبل عامل- في الفترة نفسها، طبقة من البورجوازية التجارية الناظرة إلى المستقبل، والقابلة للتأقلم مع الظروف الجديدة بهدف تقوية مواقفها ومتابعة صعودها، ولسوف يكون لها دور أساسي في وضع المنطقة على مسار الحداثة، على الأقل بربطها بمدينتي بيروت ودمشق.

ولئن كانت النخب، من ذوي الطرابيش، غائبة عن جبل عامل، فقد كان فيه العلماء، من ذوي العمائم، بل إن المنطقة كانت منبتاً للعلماء، وكان قد نشأ فيها كبار علماء التشيع الإمامي، واقاموا فيها مدارسهم. وقد إحتفظت بتراث تعليمي وعلمي، على الرغم من أن طلابها قد بدأوا منذ ذلك الحين بالذهاب إلى النجف في طلب العلم، حيث كانوا يقيمون سنوات طويلة ثم يعودون أكثر علماً، بل كان بعضهم يصل إلى الإجتهاد. وكانوا حين يصلون إلى جبل عامل، يتخذون مواقعهم في جماعة العلماء، ويبدأون بالتدريس والإرشاد والقضاء والفصل في المنازعات. ولم تكن الدولة تعينهم، بل كان يستدعيهم سكان القرى ممن كانوا بحاجة إليهم، ويزكيهم لديهم كبار المجتهدين، أكانوا من المنطقة أم من النجف.

وكان من درس في النجف، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، من هؤلاء العلماء، قد ألم بما طرأ من تطور على المذهب الشيعي، ناتج من أعمال مرتضى الأنصاري (ت 1864) وأتباعه الذين فتحوا باب الإجتهاد، ووسّعوا، من الوجهة النظرية، إمكان

المبادرة لمن يمارسه. وكان ذلك تجديداً فعلياً لمذهبهم، أدّى إلى إيلاء العلماء سلطات أكبر، وإلى التعريف بسلطات المرجع، وهو الزعيم الروحي للطائفة الشيعية، يُختار من بين المجتهدين ليكون على رأسهم. وقد قام العلماء من أمثال حسن يوسف مكي وموسى شرارة، بعد أن عادوا من النجف بنشر هذه العقيدة في جبل عامل، وأسسوا فيه المدارس.

الفصل الثاني

النـهج العاملي في مواجهة التحديات

الفصل الثاني

النهج العاملي في مواجهة التحديات

أولاً: جمعية العلماء العاملية

بعد توقف الحرب العالمية الأولى ظهر مشروع جديد لإنشاء مدرسة. والتقى الزعيم كامل بك الأسعد في الثاني من شباط سنة 1920م مع أدباء النبطية للكلام بهذا الشأن، فوعد الزعيم بأن يقدم مساعدة مادية لذلك[1]. إلا أنه على ما يظهر، لم يكن لهذا اللقاء تتمة، فبعد ذلك لم يرد إسم كامل الأسعد في هذه المسألة. فالإضطرابات السياسية التي طرأت بعد هذا اللقاء- لم تكن في صالح هذا المشروع، مع العلم أن كامل الأسعد قد نفته سلطات الإنتداب. فقام بعد ذلك وجهاء آخرون برفع راية هذا المشروع، ثم توفي الزعيم سنة 1924م. ومع ذلك فإنه بالإمكان التساؤل حول صلابة عزمه على المشاركة في إنشاء مدرسة حديثة، لا بل حول صدق نيته في ذلك، وهو الذي كان يود أن يحكم البلاد حكماً لا يخالفه فيه أحد، فلربما كانت مصلحته أن يرعى التخلف في جبل عامل بغية أن يُحْكم قبضته على شعب أمّي خانع، بدلاً من أن يساعد على إنطلاقه[2].

في نهاية العام 1921م، قامت مجلة العرفان بتقرير عن وضع "الشيعة والمدارس". ففي دمشق كانت المدرسة العلوية تسير على ما يرام، وكان الشيعة يتأهبون لإفتتاح مدرسة للبنات. وكانت روح المبادرة هذه قد إنتقلت إلى بعلبك، فإجتمع بعض الشيعة لتأسيس مدرسة، إلا أن ذلك لم يؤدِّ إلى نتيجة، وكان الشيخ حسين والشيخ يوسف الزين قد بدأ بإحياء مدرسة السيد حسن يوسف مكي القديمة، وأقيمت خمس غرف لذلك، على الرغم من قلة المعونة التي كانا يتلقيانها[3]. وقد إفتتحت سنة 1923م بإدارة رجل دين هو الشيخ محمد رضا الزين (ت 1947)[4].

---

(1) الشيخ أحمد رضا، المذكرات، العرفان، مصدر سابق، المجلد 33 ص 258.

(2) من الممكن أن نقيم هنا مقارنة بين ما كتبه "ميكائيل غيلسينان" عن منطقة عكار حيث كان البكوات، بحسب ما يقول، يجتهدون في الحفاظ على التخلف الإجتماعي والثقافي في منطقتهم حتى يظلوا مسيطرين عليها.

(3) العرفان، مصدر سابق، المجلد السادس، العدد 11 و12، ص 599 (كانون الأول 1920). أعلنت المجلة إعادة بناء المدرسة بحلة جديدة، وقد أعاد بناءها الأخوان الزين.

(4) ولد محمد رضا الزين في صيدا ودرس في جبل عامل ثم في النجف. وبقي في العراق إلى نهاية الحرب الكبرى ثم عاد فإستقر في قرية كفررمان، وأنهى حياته قاضياً جعفرياً في محكمة النبطية: أنظر الأعيان مجلد 9 ص 331-333، ونقباء البشر المجلد الثاني ص 773-774.

وقد خصص لها المفوض السامي مساعدات عائدة إلى "دفع أجور مدرسي اللغة الفرنسية والعلوم الحديثة، لكي تجمع بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية"[1]. أي أن سلطات الإنتداب قد شرطت مساعدتها بإدخال العلوم الحديثة إلى المدرسة. ولئن دار النقاش حول هذه المسألة في تلك الآونة فقد حسمه "الأجنبي" كما كان يقال حينها. وقد أوكل الأخوان الزين إدارة المدرسة إلى جمعية المقاصد في النبطية، فأنهت ترميم أبنيتها وأمنت حسن سيرها، فتابع المفوض السامي دفع المساعدات إلى الشيخ سليمان ظاهروكان رئيس الجمعية إلى نهاية عهد الإنتداب[2]. وكانت المدرسة إبتدائية وتضم 170 تلميذاً وأربعة مدرسين[3].

أما المدرسة التي كان قد أسسها رضا الصلح ثم قامت بإدارتها جمعية المقاصد سنة 1923م، فقد أصبحت رسمية تابعة لوزارة التربية، وكان فيها خمسة مدرسين بإدارة عبد اللطيف فياض، وكانت إبتدائية وفيها 230 تلميذاً[4]. وبقي عدد المدارس غير كاف ولا سيما في القرى[5]. وفي الفترة نفسها، قامت سلطات الإنتداب بعرقلة سير المدارس القرآنية لتدفع بالشيعة إلى تعليم أولادهم في المدارس الحديثة[6].

في هذه الأثناء، كان أبناء يوسف بيضون قد قرروا متابعة أعمال أبيهم، ذلك التاجر الشيعي الدمشقي الذي ساهم مساهمة كبرى في تطور المدارس في حارة الخراب والذي كان قد إستقر في بيروت في نهاية القرن التاسع عشر. وقد قام محسن، أحد أولاده، بإنشاء مدرسة للصنائع وسماها المعهد العالي الصناعي[7]. وتكفل إبنه الآخر رشيد بيضون (1889-1981م) بتعليم أبناء العامليين المقيمين في بيروت، وكان معظمهم يعملون حمالين في مرفأ بيروت، ويأتي موقعهم في أسفل السلّم الإجتماعي. وفي حزيران سنة 1923 أسس الجمعية الخيرية الإسلامية العاملية، وكان أبوه رئيسها لمدة سنتين ثم خلفه هو بنفسه وظل في هذا

---

(1) العرفان، مجلد 8 ، ص 656 (حزيران 1923.

(2) Archives MAE, carton n 390, Cabinet politique, Decret n 2257 du 9/9/1935 et decret n 1460 du 17/11/1937

(3) العرفان، المجلد 28، ص 22.

(4) العرفان، المجلد 8، ص 656.

(5) كانت القرى الأكثر تنظيماً تطلب العون من الخارج وهذا ما كان من أمر سكان قرية بنواتا في قضاء جزين إذ طلبوا سنة 1921م من مقاصد بيروت أن يرسلوا لهم معلماً أنظر: مصطفى بزي تطور التعليم والثقافة، ص 281.

(6) العرف في المجلة 8، ص 658

(7) أصدقاء رشيد بيضون، رشيد بيضون قول وفعل 1967- ص 15.

المنصب إلى وفاته. وكان الهدف تعليم الأولاد ومنحهم فرصة القيام بنشاطات شبه مدرسية وتنظيم المحاضرات حول مواضيع دينية وإحياء الشعائر التي كانت تقام في المناسبات الكبرى لدى المسلمين الشيعة، من مثل عاشوراء أو الغدير أو عيد المولد النبوي أو ذكرى إستشهاد الإمام علي (ع) .

وقد إفتتحت الجمعية سنة 1929 مدرسة إبتدائية في منطقة رأس النبع، وُسعت سنة 1931م لتستوعب 300 تلميذ، ثم بُني طابق ثان في السنة التي تلت، وأصبحت المدرسة ثانوية، وكانت تضم سنة 1936م ثمانمائة تلميذاً[1]. وقد إرتبط رشيد بيضون شخصياً بهذا المشروع، حتى قيل إنه كان يذرع الأسواق بحثاً عن الأولاد العامليين فيها ثم كان يحاول إقناع أوليائهم بإرسالهم إلى المدرسة[2]. وقد أثرت هذه الصورة في مسيرة هذا الرجل السياسية، إذ إنتخب إبتداءً من سنة 1937م عدة مرات نائباً وعُيّن وزيراً. إلا أن المدرسة كانت تجتاز أزمات في نموها فكان لا بد من مواجهة الصعوبات المالية الناتجة عن ذلك. وكانت تموّل بالهبات من المحسنين من وجهاء لبنان والمهجر، إلا أن هذه الهبات لم تكن كافية بعد أن أصبحت المدرسة ثانوية. فتوجهّت الجمعية، في بحثها عن الهبات، إلى العلماء في جبل عامل، وقد استجاب بعضهم إلى طلبها فأفتوا بأن يُدفع الخمس للجمعية حتى تستمر المدرسة. ونذكر منهم السيد عبد الحسين نور الدين والسيد محمد يحي صفي الدين والسيد محمد إبراهيم والشيخ محمد الحر والشيخ محسن شرارة[3].

ثانياً: تضارب المصالح:

أظهر قيام المدرسة والكلية العاملية في بيروت أنه بالإمكان محاربة الأمية المتأصلة في المجتمع الشيعي. ومع ذلك لم ينجح في جبل عامل أي مشروع حتى آخر العقد الثالث من القرن العشرين. على أنه لم يكن بإستطاعة العلماء أن يبقوا مكتوفي الأيدي وإلا فقدوا إحترام الناس لهم. لذلك فقد إجتمع في حزيران 1928م بالقرب من بيروت جماعة من أشهر العلماء،

---

(1) علي فتوني، "تطور التعليم في مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية العاملية في لبنان"، في الرصد، ص 36 (تشرين الأول 1993)، وفي بيان أعمال الجمعية الخيرية الإسلامية العاملية، 1937-1939، مطبعة إبن زيدون ص 7، وفي: أصدقاء رشيد بيضون، رشيد بيضون قول وفعل، 1967- ص 15-17.

(2) أديب الروماني، سيرة وتاريخ، ص 695

(3) علي فتوني، "تطور التعليم في مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية العاملية" ص 32-33.

واضعين خلافاتهم الشخصية جانباً، ومقتنعين بأنهم وحدهم قادرون على محاربة الجهل وتضارب الآراء في جبل عامل[1].

وكان من بينهم الشيخ حسين مغنية والسيد محسن الأمين والسيد عبد الحسين شرف الدين، وهم من أكبر المجتهدين، كذلك السيد محمد إبراهيم والسيد عبد الحسين نور الدين والشيخ عبد الكريم الزين والشيخ موسى قبلان والشيخ منير عسيران والشيخ يوسف الفقيه (وكان هذان الأخيران رئيسي المحكمة الجعفرية في بيروت على التوالي). فعقدوا إجتماعاً عاما ودعوا إليه العلماء والوجهاء العامليين، بهدف فتح باب التبرع المرصود لإنشاء مدرسة في جبل عامل. وقد تكفل الوجهاء من تلك اللحظة بدفع تبرعاتهم[2]. وقد قُرّر الإجتماع من جديد للإنتظام في جمعية ولإقتراح الأعمال الواجب القيام بها.

وتتابعت منذ ذلك الحين إجتماعات جمعية العلماء العاملية بصورة دورية، وجُمعت الأموال[3]. ثم توقفت الإجتماعات فجأة ولم يرشح من المناقشات شيء إلى حد بدأ فيه العامليون بالتذمر وبطلب الحساب من العلماء بواسطة الصحافة[4]. ولئن غابت عن المواطن العادي أسرار العلماء في تلك الحقبة، فذلك لأنهم كانوا يخفون خلافاتهم العميقة عن الجمهور ويأبون إظهارها في الصحافة. فكان في ذلك نوع من الرقابة الذاتية "يشوش" المعلومات المبذولة لدى الجمهور، فلا يعلم فكّ رموزها غير المقربين.

ثالثاً: أسباب الخلاف:

بقي العلماء يجتمعون بإنتظام بين عامي (1928م و 1930م) في مواضع عديدة من جبل عامل للتداول في المشروع. وإنتدبوا الشيخ يوسف الفقيه لينتقل بين القرى العاملية

(1) أنظر القصيدة التي ألفها علي مغنية بهذه المناسبة، العرفان، المجلد 16، ص 528

(2) ومنهم: نجيب عسيران (400 ل.) ويوسف الزين (250ل.) وعلي فياض (200 ل.). وكان يجب أن يتم الدفع مقسطاً على ست سنوات، أنظر، العرفان ، الملحق 9 و 10 ص 136 – 137.

(3) العرفان، المجلد 18 ص 264 و 535 (1929

(4) العرفان، المجلد 19 ص 598 والمجلد 26 العدد 8 ص 623-624 (كانون الثاني 1936)، و"كتاب مفتوح حول الكلية العاملية، العروبة، العدد 32 (1935)، "في الجنوب"، ص 33-36.

ويجمع الأموال الضرورية من السكان. فتحصّل لديه مبلغ 1200 ليرة أودعها أمين الصندوق نجيب عسيران[1].

وقد نشرت الجمعية سنة 1930 قانونها الأساسي والداخلي وأوردت فيهما أهدافها:

- "نشر العلم والتعليم في جبل عامل وتسهيل أسبابه.
- فتح معهد علمي في جبل عامل لنشر العلم النافع في الدين والدنيا وبثّ روح التربية الصحيحة الدينية الإجتماعية.
- العمل بما يعود على الطائفة بالنفع في دينها ودنياها من لم شعثها وإصلاح ذات بينها وسائر وجوه الخير والنفع العام الراجع إليها"[2]. وكان من الواضح في هذا النص أن العلماء، يوم كتبوه، كانوا ينوون تأسيس مدرسة لا تدرس العلوم الدينية فحسب، بل تهتم أيضاً بتعليم التلامذة مواد العلوم غير الدينية. على أن العديد من تقارير المستشارين الإداريين الفرنسيين المقيمين في جنوب لبنان تقول بأنها "مدرسة دينية للشيعة". أضف إلى ذلك أن السيد عبد الحسين شرف الدين وحليفه الشيخ عبد الحسين صادق لا يظهران لا في لائحة أعضاء مكتب الجمعية ولا بين أعضائها الفعليين، مع العلم أنها كانت تجمع أكبر العلماء الشيعة في تلك الفترة[3]. والحق أن شرف الدين كان يُدعى إلى الإجتماعات إلا أنه كان يتجنب الحضور فما القول في ذلك؟ لقد كان بين السيد عبد الحسين شرف الدين وأقرانه خلاف مبكر حول مسألة العلوم الواجب تدريسها في المدرسة. وقد تدخل يوسف الزين في صيف سنة 1931 للوساطة بينه وبين السيد محسن الأمين لإصلاح الحال بين المجتهدين المختلفين حول تأسيس

---

(1) العرفان، المجلد 19 ص 598 (1930)، وتقرير النقيب بشكوف ضابط مكتب الخدمات الخاصة في صور، بعنوان "مدرسة دينية في صور" موجة إلى مندوب المفوض السامي لدى الجمهورية اللبنانية، غير مؤرخ (1932-1933)، archives MAE, Nantes, fonds Beyrouth, carton n 607, cabinet politique, dossier F2

(2) جمعية العلماء العاملية، قانون جمعية العلماء العاملية الأساسي ويليه القانون الداخلي، مطبعة العرفان، صيدا، 1348هـ - 1930م، ض 1-3.

(3) كان مكتب الجمعية يتألف من العلماء الآتي ذكرهم: حسين مغنية، محسن الأمين، منير عسيران، محمد إبراهيم عبد الكريم الزين، عبد الحسين نور الدين، حسين نورالدين، يوسف الفقيه، محمد يحي صفي الدين، علي فحص، علي حلاوة، أمين علي أحمد الحسن، محمد الحر، بالإضافة إلى أحمد رضا وسليمان ظاهر، أنظر: قانون جمعية العلماء العاملية، ص 2. أما الأعضاء العاملون فكانوا ما يقارب الثلاثين ممن درسوا بالضرورة في المدارس العاملية أو العراقية الكبرى، المرجع السابق، ص 4 وص 17.

المدرسة[1]. ويزيدنا علماً بطبيعة هذا الخلاف، تقرير حرره المستشار الإداري "بونيه" بعد سنة تقريباً، يقول فيه:

"يعارض بعض الرؤساء الروحيين إقامة مدرسة، لما اقترح من تعليم اللغات الأجنبية والعلوم فيها. أما رأي السيد الكبير في صور مثلاً، إنشاء مدرسة قرآنية شيعية بحتة، ويقول إن الشباب، فيما يتعلق بالتعليم العام، يمكنهم أن يرتادوا مدارس الدولة أو مدارس اليسوعيين أو الفرير..."[2].

وبذلك يكون السيد عبد الحسين شرف الدين- السيد الكبير في صور- قد عارض تدريس الشباب الشيعي العلوم المدنية إلى جانب العلوم الدينية في تلك الفترة[3]. إلا أنه غير رأيه بعد ذلك. ويبقى أنه في بداية العقد الرابع من القرن العشرين، كان كبار المجتهدين قد أظهروا شبه إجماع على ضرورة إدخال التعليم الحديث إلى جبل عامل على أن يشرف عليه ويزكيه رجال الدين.

وقد وصل الأمر بالسيد عبد الحسين شرف الدين إلى إعلان رأيه على الملأ بمعارضة تأسيس مدرسة في جبل عامل بدلاً من إرسال الطلاب إلى مدن العراق المقدسة. بل إنه إستعمل نفوذه لدى النائب يوسف الزين لكي تُبنى المدرسة في النبطية[4]. وفي هذه الأثناء، أظهر إبنه السيد محمد جواد، مفتي صور، شكه في نجاح المشروع الصادر عن جمعية تأثيرها قليل على الشيعة في رأيه[5]. ولمن تكن محاولات السيد عبد الحسين شرف الدين في تقويض عمل الجمعية وسيلة للتراجع عن موقفه الأول الذي قبل فيه مبدأ إنشاء المدرسة فحسب، بل كانت كذلك تكتيكاً يهدف إلى التقليل من قيمة مشروع إتخذ وجهة لا تناسب مراده. فهو لم يقبل بمدرسة تعلم العلوم الحديثة، كذلك فإنه لم يقبل بأن يؤسس المدرسة

(1)“A/s Visite de Youssef bey zein a Tyr”, archives MAE, fonds Beyrouth, carton n 1664, Bulletin, d’information hebdomadaire, poste de Tyr, BIH n 9 du 5 au 12/8/1931. P.8

(2)“A/s de la reunion des Ulemas chiites a Tyr” archives MAE, fonds Beyrouth , carton n 1664, Bulletin. D’information hebdomadaire, poste de Tyr, BIH n 22 du 25/5 au 1/6/1932, p.11

(3) يؤكد ذلك تقرير لبشكوف: “A/s Creation d’une association de jeunesse chiite a Tyr” archives MAE fonds Beyrouth, carton n 1664, Bulletin d’information hebdomadaire, poste de Tyr, BIH n 8 du 29/7 au 5/8/1931, p.8 , وفيه أن "السيد الكبير شديد القناعة بأن علوم التربية لا تقع إلا في القرآن وفي ما كتب عليّ" وهو يعارض بصورة قاطعة إنشاء جمعية للشباب من وجهاء الشيعة هدفها إدخال "دروس غير قرآنية بغير التفسير الشيعي".

(4)“Une ecole religieuse chiite a Tyr”

(5)“A/s Reunion des Uiemas chiites”, archives MAE, fonds Beyrouth, carton n 1664, Bulletin d’information hebdomadaire, poste de Tyr, BIH n 22 du 4/11 au 11/1/1931,p. 7

ويديرها رجل دين غيره، في صور، أي في حماه الخاص به[1]. ولذلك فإنه كان يعارض إنشاء المدرسة في صور وكان يفضل أن يراها بعيدة عنه في النبطية. وكان بهذه الطريقة يساهم في الصراع القائم بين علماء جبل عامل من مناصر لإقامتها في صور ومناصر لإقامتها في النبطية وسوف يكون إختيار مكان المدرسة العتيدة موضع الخلاف الثاني في داخل الجمعية وبين العاملين.

فمنذ إجتماع الجمعية الثاني ظهرت خلافات حول هذا الموضوع. فحسم رئيس الجمعية الشيخ حسين مغنيه الأمر بأن قرر أن أول مدينة تأتيه بألف ليرة ذهباً لإتمام المشروع، تكون المدرسة فيها. ففازت صور، فطلبت الجمعية من الحكومة أن تهبها قطعة أرض لبناء المدرسة. وقد طالب علماء ووجهاء في أثناء الأشهر التي تلت ذلك عدة مرات، بأرض في رأس العين القريبة من صور[2]. وبعد أن زار ثلاثة منهم مندوب المفوض السامي في بيروت للحصول على دعمه، كانت الحكومة تستعد للموافقة على طلب العلماء بإعطائهم قطعة أرض في صور[3]. وقد تحرك مسيحيو صور بعد أن علموا بالأمر، فقام مطران صور للروم الكاثوليك ناطقاً بإسمهم، وطالب ممثل سلطات الإنتداب المحلي بإنصاف المسيحيين، ثم ذهب إلى بيروت ليتقدم بشكوى لدى رئيس الجمهورية.

وقد طالب المسيحيون في هذه الوثيقة بأن يكونوا أول المستفيدين من الهبة إن حصلت، وبأن تعطى الأراضي التي ستوهب للشيعة، إلى المدينة نظراً لضرورتها في تطور صور. حتى أنه إقترح شراءها، أما الشيعة فبالإمكان إعطاؤهم قطعة أخرى. أضف إلى ذلك أن راهبات القديس يوسف الظهور، وكانت لهن مدرسة في صور، كن قد تقدمن، هن أيضاً،

---

(1) أنظر ما كتبه علي مرتضى الأمين حول تاريخ الجمعية في السيد محسن الأمين سيرته ونتاجه، دار الهادي بيروت 1992م، ص 99 وما بعدها، كذلك مقابلته أحد رجال الدين إبراهيم علي سليمان، ص 203.

(2)"A/s reunion des UIémas chiites a Jibah", archives MAE, fonds Beyrouth, carton n 1664, Bulletin, d'information hebdomadaire, poste de Tyr, BIH n 14 du 9/9 au 16/9/1931,p.7 رأس العين موضع قريب من صور غني بالماء والحدائق، أنظر محسن الأمين، خطط ص 286.

(3)"A/s de la creation d'une école chiite a Tyr" archives MAE, fonds Beyrouth, carton n 1664, Bulletin. D'information hebdomadaire, poste de Tyr, BIH n 10 du 2/3 au 9/3/1932, p.7 والعلماء الذين شكلوا هذه البعثة هم: عبد الحسين نور الدين، وعبد الكريم الزين ومنير عسيران.

بطلب لتوسيع ملعب مدرستهن[1]. إلا أن ذلك لم يعرقل قرار الحكومة، فأعطت الشيعة أرضاً خارج المدينة[2].

وفي سنة 1923 كان جزء من أعضاء جمعية العلماء بمن فيهم رئيسها الشيخ حسين مغنيه يتحضرون لتأسيس المدرسة وأن يكون التعليم فيها إضافة إلى اللغة العربية، بالفرنسية وقد تضاف إليها اللغة الإنكليزية[3]. وقد إلتف على مشروعهم يوسف الزين- بإيعاز من السيد عبد الحسين شرف الدين حتماً- فوزع على العلماء مضبطة بحق الشيخ حسين مغنية، يتهمه فيها بتبديد الأموال التي جمعت للمدرسة[4]. أضف إلى ذلك أن قسماً آخر من أعضاء الجمعية لم يرضوا بإقامة المدرسة في صور فحالوا دون تنفيذ المشروع. فأصبح الوضع ميؤوساً منه، لأنه في أثناء إجتماع أقيم في طيردبا في بيت الشيخ حسين مغنية، قرر العلماء التخلي عن مشروع المدرسة محتجين بأن الأموال التي جمعت لم تكن كافية لتنفيذه، وإقترحوا أن توهب إلى مدرسة الجمعية العاملية في بيروت[5]. وقد أقيم إجتماع آخر بعد شهرين من ذلك في جبع عند الشيخ عبدالله نعمة برئاسة السيد محسن الأمين فوافق المجتمعون على هذا القرار[6].

وبعد بضعة أشهر قامت مجلة العرفان بعرض للوضع وذلك إرضاء للمتبرعين من المهاجرين الذين كانوا يطالبون بمعرفة ما كان يجري- هذا مع العلم أن صاحب العرفان نفسه كان من أنصار إقامة المدرسة في النبطية- وبإختصار فقد إجتمع العلماء ثلاث مرات في بداية العام 1934- فقرروا في الإجتماع الأول أن يفتحوا المدرسة في النبطية في تشرين الأول من السنة نفسها، وبدأ البحث عن بناء. ولم يحضر الشيخ حسين مغنية الإجتماع الثاني وقد تم في 16 آذار 1934 في النبطية، في بيت الشيخ أحمد رضا، وإستبعد الحاضرون

---

(1) “A/ss parcelle de terre accordeé aux chiites”, archives MAE, fonds Beyrouth, carton n 1664, Bulletin. D’information hebdomadaire, poste de Tyr, BIH n 15 du 6/4 au 13/4/1932 أنظر أيضاً تقرير بشكوف "مدرسة دينية شيعية في صور" وفيه نصا الطلبين المسيحيين، أنظر أيضاً على مرتضى الأمين، السيد محسن الأمين، سيرته ونتاجه، ص 107، ويستشهد فيه المؤلف بمخطوطه لسليمان ظاهر حول قطعة الأرض هذه.

(2) تقع قطعة الأرض التي اعطيت للشيعة في البص بدلاً من رأس العين. وبما أن المدرسة لم تبن عليها فقد بنت الدولة فيها مساكل للاجئين الأرمن سنة 1940م، ثم جاء الفلسطينيون وأقاموا فيها وما يزالون إلى اليوم.

(3) “Une école religieuse chiite a Tyr”

(4) “A/s Mazbata contre le Cheikh Hussein Mughnie”, archives MAE, fonds Beyrouth, carton n 1663, Bulletin d’information hebdomadaire,

(5) “A/s Réunion des Ulémas chiites a Teir Debas”, archives MAE, fonds Beyrouth carton n 1663, Bulletin

(6) “A/s Reunion d’UIémas chiites”, archives MAE, fonds Beyrouth, carton n 1663, Bulletin d’information.

إمكان إيواء المؤسسة الجديدة في إحدى المدرستين القائمتين في النبطية، وقبلوا عرض أحد وجهاء المدينة، محمد حيدر جابر، بتقديم قطعة أرض بين النبطية وزبدين، وقرروا البدء ببناء المدرسة.

إلا أن مفاجأة حدثت أطاحت بهذا القرار. وذلك أنه في أثناء الإجتماع الثالث، وكان قد عُقد في أنصار في بيت السيد محمد إبراهيم، بعد شهر من الثاني، وصل الشيخ حسين مغنيه مع عالمين هما، الشيخ عبد الحسين مهدي والشيخ علي مغنيه[1] ووجهين هما إسماعيل الخليل وعادل عسيران، ولم يكونا من أعضاء الجمعية. وعرض هؤلاء رسائل من المتبرعين يطلبون فيها إستعادة أموالهم إن لم تكن المدرسة في صور. فشكّك الآخرون في صحة هذه الرسائل، وإحتدم النقاش، وتبودلت كلمات قاسية بين الفريقين[2]. وتقف رواية العرفان عند هذا الحد... في آخر حلقات القضية المضطربة لهذا المشروع. ولم يعد العلماء للإجتماع بعد ذلك حول هذا الموضوع، وأودعت الأموال لدى الجمعية العاملية في بيروت، ودفنت فكرة تأسيس مدرسة مشتركة من جديد. فقد غلب التنافس بين رجال الدين وبين الوجهاء، رغبتهم في الإصلاح.

رابعاً: إنعكاسها على العلماء الشباب:

إن العلماء الداخلين في هذا المشروع، ولا سميا الكبار منهم، أولئك الذين يتقاسمون الزعامة الدينية ويحمون مناطق نفوذهم بكثير من العناية، كانوا جميعاً قد قطعوا شوطاً كبيراً في مسيرة مهنتهم بإعتبارهم من رجال الدين. ولم يكن في جمعية العلماء هذه أي فتى، بل كانت كلها من ذوي اللحى البيضاء. فماذا كان يفعل الجيل الجديد، بينما كان الجيل القديم يدّعي العمل لصالح مستقبل الطائفة، ثم يتخاصم أفراده في صراع مرير ذي طابع شخصي؟ كان في النجف جماعة من رجال الدين الفتيان يدرسون كما فعل الذين من قبلهم. وكانوا من هناك يتابعون ما كان يجري في جبل عامل، وذلك بفضل الزوار أو بقراءة العرفان، وكانوا من كتابها.

---

(1) كلاهما من أقرباء حسين مغنية.
(2) العرفان، المجلد 25، العدد 2، ص 166- 167 (أيار 1943).

وكان رجال الدين هؤلاء، المجتمعون بإسم الشبيبة النجفية العاملية، قد عبّروا عن أفكارهم الإصلاحية على صفحات العرفان، بمناسبة الإجتماع السادس لجمعية العلماء العاملية. وقد أرسل واحد منهم، هو حسين مروّة[1] رسالة إلى المجتمعين نشرت بعد ذلك في العرفان، يذكر فيها أنه هو ورفاقه قد أشاروا سابقاً إلى ضرورة الإصلاح في مجلة العرفان، إلا أنهم وقّعوا مقالاتهم بأسماء مستعارة. وقد وصفوا في المقابل بأنهم "عنصريون" لا بل "زنادقة". ثم ختم رسالته بهذه الجملة "ولكن قد يسوّغ لنا التعلل بأمل نعلّقه على الجلسات الآتية"[2]. مما يعني أنه بذلك كان يعبر عن حماسته لرؤية مجتهدي بلاده يحققون أمنيتهم بإظهار نوع جديد من التربية.

وفي عام 1929م نشر الشيخ محمد شرارة، وهو من العلماء الشباب المقيمين في النجف، مقالة من جزءين، عنوانها "عامل والمدارس"، وكانت مرافعة من أجل إصلاح المؤسسات. وفي رأيه أن روح الإصلاح التي أفعمت صدر مدحت باشا، ومن رجال الدين الشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، لم تمت. فإن علماء ومفكرين عالميين، إنبروا لتأسيس مدرسة تحارب الجهل المنتشر بين الناس... وقد دافع الشيخ محمد شراره في صفحات قليلة عن هذه الفكرة بحماسة، وأنهى الجزء الأول من مقالته بأخذ رأي "الشعب" بالإعتبار، إذ إنه كان قد إستمزجه في القرى، فكان دائماً إلى جانب هذا المشروع[3]. وبذلك يكون الجيل الجديد من رجال الدين يأخذ برأي "الشعب" وينطق بإسمه في الصحافة.

وفي الجزء الثاني من المقالة، يقدم الشيخ محمد شرارة، بصورة حادة، روايته الشخصية لقصة مشروع المدرسة، كاشفاً عن وجود مراسلات شخصية تبادلها مع أحد المجتهدين الكبار، وهو السيد محسن الأمين. وبمقتضى قوله فإن جماعة العلماء الشباب في النجف، ومنهم الشيخ محمد علي قبلان والشيخ محسن شرارة والشيخ علي الزين كانوا أول من فكر في هذه المسألة، فتوجهوا برسالة إلى السيد محسن الأمين يعرضون فيها تصورهم

(1) لقد خلع حسين مروة بعد ذلك العمامة وإعتنق الماركسية. أنظر حول هذا الموضوع Peter Gran, “Islamic Marxism in Comarative History: the Case of Lebanon, Reflections on the Recent Book of Husayn Huruwah”, in the Islamic Impulse, ed. Barbara Stowasser Freyer, Georgetown University, Washington, 1987, p.106-120.

(2) العرفان، المجلد 16، العدد 4، ص 410 (تشرين الثاني 1928).

(3) "عامل والمدارس" الجزء الأول، العرفان، مجلد 18، العدد 4، ص 441-446 (تشرين الثاني 1929).

للمدرسة المزمع إنشاؤها في بضع نقاط، وذلك لينقلها المجتهد إلى أقرانه في جبل عامل. فأجابهم بأنه في الإمكان تنفيذ جزء من مشروعهم، وليس المشروع بأكمله. وقد فقد العلماء الشبان هذه المراسلات فلم يستطع الشيخ محمد شرارة نشرها في العرفان، كما أنه لا يذكر في مقالته تفاصيل النقاط المطروحة، إذ كان من المفيد أن نرى بالتحديد ما كان يطرحه الشباب، وما كان يقبل به كبيرهم أو يرفضه.. إلا أن في إمكاننا أن نستنتج مما سبق أن العلماء الشبان كانوا قد وصلوا في أفكارهم الإصلاحية إلى أبعد مما وصل إليه السيد محسن الأمين. ثم إنهم أخبروا بعد ذلك بقيام جمعية تهدف إلى تأسيس مدرسة، فإنتظروا بفارغ الصبر تحقيق المشروع من دون الوصول إلى نتيجة.

وإذ علم محمد شرارة أن المانع الأكبر كان معارضة بعض العامليين لتدريس العلوم الحديثة التي تشكل في رأيهم "هجوماً على الدين"، إعتبر أن الرد على هؤلاء المشتكين- وقد إمتنع عن تسميتهم .

- كان "واجباً دينياً" شارحاً للقراء صحة الأسس التي تقوم عليها العلوم الحديثة. ولذلك فإنه بنى حججه على علمانية تدريس العلوم الحديثة التي سمح بها الشرع، وإنه ليكفي للتحقق من ذلك أن نعود إلى النصوص الدينية "وإن كان هناك نص بالحرمة فليأتنا به المعارض وبأي آية أو رواية". بل أكثر من ذلك، فإنه يقول بإلزامية تدريس العلوم الحديثة، إذ إن المجتهد العراقي السيد مرتضى آل ياسين[1] كان قد قرر شرطاً للإجتهاد العلم بالطب والفلك والحساب والجغرافيا والتاريخ. كما أنه بالإضافة إلى ذلك فإن تدريس العلوم الحديثة إلزامي من وجهة النظر العقلية. بعد ذلك إنبرى الشيخ محمد شراره إلى الحجة القائلة بأن التلامذة الذين يدرسون العلوم الحديثة يصبحون من الكفار، فقال إن ذلك عائد إلى أن مدارسهم لم يكن يراقبها رجال الدين. ويختم مقالته بالتوجه إلى القراء بمناجاة كان يمكن أن تنسب للعديد من دعاة الإصلاح السني في تلك الفترة: "إن أجدادكم... ينادونكم من تحت صفائح القبر...

(1) حول مرتضى آل ياسين، (ولد 1893 في الكاظمية) أنظر: شعراء الغري، مجلد 11 ص 255.

لتطالعوا صفحة حياتهم وتنظروا ما خلفوا لكم من التراث الثمين... ينادونكم لتقتفوا إثرهم وتسيروا سيرهم وتنهجوا نهجهم، فماذا أنتم فاعلون؟"[1].

وتظهر هذه المقالة مدى تعلق العلماء الشباب بالدفاع عن مشروع إقامة مدرسة في جبل عامل، تُدرّس العلوم الحديثة وتبقى في الوقت نفسه متصلة بالتقاليد الإسلامية. ولقد خاب أملهم من موقف العلماء العامليين الذين أظهروا عجزهم عن تحقيق ما كان ينتظر منهم. ولا شك في أن خيبة الأمل هذه ساهمت في تعميق الهوة التي بدأت تفصل بينهم وبين القدماء. وكان هؤلاء قد إستقالوا بوجه من الأوجه، من تأدية إحدى مهامهم الأساسية ألا وهي مهمة تأمين تربية الصغار وإعدادهم، وذلك إلى حدّ كان فيه معظم الوجهاء من الشيعة في العقد الرابع من القرن العشرين، يرسلون أولادهم إلى المدارس المسيحية ثم إلى دمشق أو بيروت لإتمام دراستهم العليا[2].

بل أكثر من ذلك، فإن بعض العلماء كانوا يسجلون أبناءهم في المدارس الأجنبية، ومنهم الشيخ منير عسيران رئيس المحكمة الجعفرية، وقد أقام في بيروت للقيام بوظيفته، فكان بإمكانه أن يضع أولاده في الكلية العاملية، إلا أن إبنته أميرة أتمت دراستها لدى راهبات الناصرة[3].

والملاحظ: إن تطور التعليم الإبتدائي والثانوي حدث في النصف الأخير من القرن التاسع عشر إذ شهد تأسيس الكثير من المدارس في المناطق اللبنانية.

كان حيث إنتشرت عشرات لا بل مئات المدارس الصغيرة التي أسستها الإرساليات الأنجيلية الأميركية وكذلك الإرساليات الكاثوليكية مثيل اليسوعيين واللعازاريين وغيرهم، فالأب اليسوعي ميشال جوليان[4] يروي في كتابه عن تاريخ أعمال الرهباني اليسوعية في أواخر القرن التاسع عشر أن أحد القساوسة البروتيستانت كان في طريقه نحو جنوب لبنان

---

(1) العرفان، المجلد 18، العدد 5، ص 550-553 (كانون الأول 1929)
(2) "الشيعة" مذكرة بشكوف، أضف إلى ذلك أن إعادة تنظيم التعليم التي أطلقها الوزير إميل إده في تشرين الأول 1929، والتي أدّت إلى إلغاء العديد من المدارس، قد أوقعت ضرراً كثيراً . فبمقتضى القرار المؤرخ في 1930/1/17، أغلقت 111 مدرسة أبوابها في البلاد، منها 45 مدرسة في جبل عامل، وقد أحدث هذا التدبير موجة من الإحتجاج، إلا أن الزعماء العامليين، ما خلا عبد اللطيف الأسعد، كانوا يساندونه. أنظر: جواد علي رضا، تطور التعليم في قضاء صور، ص 52-53
(3) جواد علي رضا، تطور التعليم في أقطار صور، مرجع سابق، ص 54.
(4) المصدر نفسه، ص 9.

عندما سأله أحد الوجهاء في مدينة صيدا "ما أنت فاعل هنا" أجابه القسيس سوف أبني مدرستين، فسأله الوجية ولماذا إثنتان، فرد القسيس قائلاً سوف أبني واحدة وبعد فترة سوف يأتي اليسوعيون ليبنوا واحدة أخرى" فالمنافسة على إنشاء المدارس كانت محترمة بين الإنجيليين والكاثوليك وذلك ما دفع المسيحيين الأرثوذكس والمسلمين السُنة والشيعة إلى إنشاء مدارسهم مما أدّى إلى إنتشار العلم والثقافة على نطاق واسع[1].

والواقع أن غالبية الجماعات الدينية قد إستفادت من هذه الموجه التعليمية.

ومن المدارس التي لمع نجمها في نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين مدرسة الإحسان للأرثوذكس والمعهد الثانوي للآباء اليسوعيين (1875م) ومدرسة البعثة العلمانية الفرنسية والمقاصد الإسلامية ومدرسة راهبات سيدة الناصرة وراهبات ماريوسف الظهور ومدارس الحكمة الكاثولوكية 1875م، وجل هذه المدارس إعتمدت اللغة الفرنسية لغة تعليم للمواد، العلمية وغير العلمية أحياناً، سوى[2] على أن الناس كانوا على إستعداد للإستجابة إلى خطاب وطني يقول بضرورة التوقف عن إرسال الأولاد إلى مدارس مسيحية وأجنبية، وتعليمهم في مدارس إسلامية تلقنهم الدين والأخلاق وحب الوطن. وقد قامت في تلك الفترة حملات صحافية ومظاهرات نظمها الوطنيون المسلمون في سوريا ولبنان لمقاطعة المدارس الأجنبية[3]. وكانت العرفان في جبل عامل تقوم بهذا الدور وكذلك نشرات عن مؤسسات دمشقية أو بيروتية يرغب ناشروها في كسب تلامذة جدد. وقد إستنتج أحد التقارير حول وجود هذه المنشورات في صور سنة 1931 ما يأتي: "يناقش هذا الموضوع في كل مكان، في المقاهي والأسواق، ويعلّق المسلمون عليه بالإيجاب"[4]. ولقد قام وجهاء صور بالمبادرة قبل غيرهم إلى تأسيس مدارس إبتدائية لسد هذا النقص الذي يشعر به الجميع في المدينة، ففي العام 1936م أسس حسن عبدالله الخليل مدرسة كان فيها ثلاثون تلميذاً ومعلمان، وفي العام 1937م أسس كاظم الخليل المدرسة الخيرية الإسلامية في صور،

---

(1) جواد علي رضا، تطور التعليم في أقطار صور، مرجع سابق، ص 10.

(2) سليم دكاش، حالة التعليم الإبتدائي والثانوي والبحث العلمي – بيروت – آذار 2014، ص 12.

(3) archives MAE, fonds Beyrouth, le carton n 390, وفيه عريضتا إحتجاج ومقالات صحافية تعود إلى ما بين أواخر سنة 1929 و 1933.

(4) "A/s Circulaires distribuees a Tyr invitant la population a envoyer ses enfants a Ecole musulmane de. Damas", archives MAE, fonds Beyrouth, carton n 1664,

وكانت تضم 160 تلميذاً وثلاثة معلمين. وكان هدف كاظم الخليل أن يستقبل التلامذة من الأسر المحتاجة في صور وأن يقيم على مراحل فروعاً لها في القرى النائية عن المركز[1].

لم يكن السيد عبد الحسين شرف الدين بإعتباره زعيماً دينياً لمدينة صور يرضى أن ينازعه أحد إدارة أموال الوقف. وكان إلى ذلك الحين قد رفض إدخال تدريس العلوم غير الدينية إلى المدرسة الشيعية، وكان يرى أن من يريد ذلك لأولاده ما عليه إلا إرسالهم إلى المدارس الأجنبية.

ومن الملاحظ أن هذا الموقف لم يعد بالإمكان الأخذ به، نظراً للتطورات السياسية والإجتماعية المذكورة سابقاً، ولا سيما أنه لم يكن يرغب في أن يمثل آخر قلعة تقليدية في جبل عامل، ولا أن يبتعد عن الأوساط الوطنية. فما كان منه إلا أن بادر إلى التجديد الذي كان سمة العصر، وكان داعية له. وهكذا فقد عاد السيد عبد الحسين شرف الدين إلى مشروع المدرسة، الذي حلم به منذ قدومه إلى صور، وأوقفته الحرب الكبرى، إلا أن الأمر يتعلق هذه المرة بمدرسة من النمط الحديث وليس بمدرسة دينية تقليدية.

وكان الدافع الأول الذي قدمه المجتهد هو الحاجة إلى محاربة خطر المدارس المفسدة، تلك المدارس الأجنبية التي إستقطبت الناس وألحقت الضرر الكثير: فالتلامذة يتعلمون فيها المعارف إلا أنهم يفقدون فيها روح الأخلاق والفضائل والقيم الإسلامية. والمعارف المكتسبة فيها ظاهرة الفساد حتى أن العالم قد أكد أنه يفضل عليها الجهل. بمقتضى ما يقول، فإن التلامذة الذين درسوا في المدارس الأجنبية قد إنقلبوا على مبادئ الإسلام المقدسة مما شكل كارثة على الإسلام وعلى الشرق. وقد أوحت له هذه الأفكار بأن يقوم "بالواجب الديني" فيمنح أبناء جبل عامل ما تقدمه المدارس الحديثة من تعليم، ولكن، بروح مستقلة تحترم التقاليد الإسلامية. وكان يقول : "لا ينتشر الهدى إلا من حيث إنتشار الضلال"[2].

---

(1) حسن دياب، تاريخ صور الإجتماعي 1920- 1943 ص 47، كاظم الخليل، نداء المدرسة الخيرية الإسلامية في صور إلى أبناء البلاد العاملية في الوطن والمهجر، المطبعة العصرية صيدا، بدون تاريخ، 4 صفحات.

(2) بحسب جعفر شرف الدين فإن هذه الحكمة كانت شعار المدرسة، ويستشهد بها مصطفى بزي في: تطور التعليم والثقافة في جبل عامل، ص 284.

وقد قامت مدرسة السيد عبد الحسين شرف الدين في جو من التوتر يصفة في مذكراته. وعلى ما يبدو حاول خصومه في صور- وهم آل الخليل- تطويق مخططاته. وكان ينوي بناء عدة مخازن على أرض قدمها له العثمانيون تعلوها، في الطابق الأول، صفوف المدرسة وقاعة مخصصة للحسينية. فأنكر خصومه ملكية الأرض عليه، حتى أن إضطر إلى شراء قسم منها في شباط سنة 1935 ثم إسترد القسم الآخر في تشرين الأول من تلك السنة. وبعد أن أقام البناء، اقام عليه خصومه دعوتين، الأولى في صور والثانية في صيدا، تتعلقان بأمور تخص الأوقاف. ولم يتطرق مجتهدنا إلى هذه التفاصيل في مذكراته بل إكتفى بالقول إنه ربح الدعوتين[1]. ومع ذلك فإن إدارته للأوقاف قد وضعته موضع الشك من جديد، في المحكمة الجعفرية بإسم رئيسها سنة 1932م، كما أنه أجاب في العرفان سنة 1940م، على طعون في هذا الموضوع، شارحاً موقفه ومثبتاً لائحة بالأوقاف التي يرعاها[2].

بعد أن بدأ السيد عبد الحسين شرف الدين ببناء المدرسة، سعى في طلب الأموال الضرورية لتحقيق هدفه. وقد توجه إلى جمعية العلماء سنة 1937م مقترحاً أن تدفع الأموال التي جمعت لمشروع المدرسة، ولم تستعمل لأن المشروع توقف، إلى مدرسته العتيدة أو أن توزع بحسب مصدرها الجغرافي[3]. إلا أن ذلك لم يأت بنتيجة لأن المبلغ كان قد أُعطي للكلية العاملية في بيروت. فإنبرى السيد عبد الحسين شرف الدين لإيجاد المتبرعين بنفسه. وإستطاع أن يتم مشروعه وإفتتح المدرسة الجعفرية في صور سنة 1938م، وهي ما تزال عاملة إلى اليوم.

وقد إبتدأت المدرسة بستة مدرسين لأربعة صفوف و175 تلميذاً. وفي سنة 1942م، بعد أن خرجت أول دفعة من الشهادة الإبتدائية، كان في المدرسة عشرة مدرسين لستة صفوف و210 تلامذة. ولم ينجح في تلك السنة في الشهادة الإبتداية إلا ثلاثة تلامذة، إلا أن

---

(1) عبد الحسين شرف الدين، بغية الراغبين، ص 123-124.

(2) عبد الحسين شرف الدين، "المدرسة الجعفرية والأوقاف في صور" العرفان، المجلد 30، العدد 9,8، ص 384- 386 (تشرين الأول والثاني 1940). وفيه أن عبد الحسين شرف الدين قد إشترى منزلاً سنة 1907 بأموال الخمس ليكون حسينية فهو إذن من أموال الوقف للطائفة الشيعية، وأسكن فيه سيداً كان قد عاد من العراق مريضاً وليس في جيبه فلس... وهو إبنه محمد علي، كذلك فإنه أجرى له أجرة مخزن كان وقفاً أيضاً. وقد أخذ عليه، والحال كذلك، أنه أحظى أقرباءه حتى ولو كانوا من السادة المعوزين.

(3) في رسالة من عبد الحسين شرف الدين إلى رئيس جمعية العلماء العاملية، وقد نشرها علي مرتضى الأمين في ملحق بكتابه: السيد محسن الأمين، سيرته ونتاجه ص 217-218

واحداً منهم أقام إحتفالاً بالمناسبة في قريته البازورية[1]. وكان التلامذة يتلقون فيها تعليماً تقليدياً وحديثاً معاً: وكانوا يدرسون القرآن والخط والدين الإسلامي واللغة العربية وكذلك الرياضيات واللغة الفرنسية والتاريخ والجغرافيا والرسم والرياضة[2]. ومن السنة الأولى بدأ الكلام حول إقامة النشاطات المدرسية الخارجة عن الدروس، فأُسست الحركة الكشفية بإسم كشافة الإمام الصادق، بهدف تنمية الشجاعة وحب التضحية والمثابرة والصدق والإستقامة والإخلاص في حب الإسلام والوطن لدى الأولاد[3]. وكما كان الحال في العالم العربي في تلك الفترة، إذ كانت حركتا الكشافة والإصلاح متلازمتين، فقد عملت الكشافة على ربط الإنتماء الطائفي لدى عبد الحسين شرف الدين بالإنتماء الوطني.

وقد تطورت المدرسة وكان السيد عبد الحسين شرف الدين رئيس الجمعية التي كانت تديرها، وقد توالى على إدارتها ثلاثة مدراء حتى العام 1943م، فجاء إبنه جعفر، وكان أستاذ اللغة العربية فيها، لإدارتها وقد بقي في هذا المنصب سنوات طويلة[4]. وقد إفتتحت مدرسة الصبيان سنة 1946 مرحلة ثانوية، وقدمت تلامذتها إلى الشهادة الثانوية للمرة الأولى. وكانت تضم في ذلك الحين 300 تلميذ تقريباً. وقد أُلحق بها قسم داخلي.وفي سنة 1941م أسست مدرسة للبنات في صور سميت مدرسة الزهراء، وأخرى للصبيان في الناقورة[5].

وقد قرّر السيد عبد الحسين شرف الدين إنشاء مدرسة للبنات في صور لكي ينقذهن من الضلال. وفي الواقع، كُنّ يذهبن إلى المدارس البروتستانتية حيث كُنّ يجبرن، بحسب قوله، على إقامة شعائرهم، وكنّ يخلعن الحجاب ويصبحن غير مسؤولات ووقحات. إلا أن الحكومة أقفلت مدرسة البنات في تشرين الأول سنة 1942 وإفتتحت مكانها مدرسة رسمية.

---

(1) حسن دياب، تاريخ صور الإجتماعي، مرجع سابق، ص 47- 48، وجعفر شرف الدين، من دفتر الذكريات الجنوبية، المجلس الثقافي للبنان الجنوبي المجلد الثاني، 1984م ص 42.

(2) المدرسة الجعفرية في صور، البيان السنوي، ص 14.

(3) المدرسة الجعفرية في صور، البيان السنوي، مرجع سابق، ص 31.

(4) حسن دياب، تاريخ صور الإجتماعي، ص 48، وجعفر شرف الدين، من دفتر الذكريات الجنوبية، المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، المجلد الثاني، 1984، ص 45

(5) مصطفى بزي، تطور التعليم والثقافة، مرجع سابق، ص 286، وعبد الحسين شرف الدين، بغية الراغبين، مصدر سابق، ص 125

ورأى السيد عبد الحسين شرف الدين في ذلك مؤامرة عليها أقامها له أخصامه آل الخليل[1]. وقد ألحقت مدرسة الزهراء بالجعفرية ثم أصبحت في العقد السابع من القرن العشرين مختلطة. لقد حقّق السيد عبد الحسين شرف الدين، في نظر البعض، ما حاولت جمعية العلماء أن تحققه: أي مدرسة، يقول الشيخ محمد جواد مغنية في القيمين عليها أنهم: "لا يرفضون كل قديم ولا يوالون كل جديد[2].

إلا أنه أثار إنتقادات تأخذ عليه تعصبه الديني الذي عبّر عنه في إسم المدرسة، المدرسة الجعفرية، وفي إنتقاء المدرسين والتلامذة. وقد أجاب السيد عبد الحسين شرف الدين في العرفان بأن في المدرسة تلامذة شيعة وآخرون سنّة أما المدرسّون فمن مذاهب مختلفة، فيهم الشيعة وفيهم السنة- ومنهم المدير في تلك الفترة، وقد درس في فرنسا في جامعة ليون- وكذلك العلويون[3].

ويقول إن صفة الجعفرية تعود إلى الإمام جعفر الصادق (ع) "رمز مجد العروبة والعلوم الإسلامية" وكانت ترجع إليه المدارس الفقهية الأربع في الإسلام وإستعمال إسمه لم يكن من قبيل التبجح أو التعصب.

وخلاصة القول إن المدرسة لم تحمل هذا الإسم لأنها مقتصرة على المسلمين الجعفريين أي الشيعة، بل إنها تفتح أبوابها للجميع.

خامساً: إنشقاق العلماء الشباب:

كان بعض العلماء العامليين الشباب، في بداية العقد الثاني من القرن الماضي التي كان فيها الشيخ أحمد رضا يحرر معجمه، يتابعون دراستهم في النجف، وكانوا يتأملون في مسائل حول اللغة العربية، ولا سيما حول الأدب بنثره وشعره، وفي سنة 1925 أسسوا جمعية أسموها الشبيبة العاملية النجفية، هدفها تشجيع العلوم وتجديد الأدب، ومحاربة التقليد

---

(1) عبد الحسين شرف الدين، بغية ص 130-131. لا يذكر المؤلف آل الخليل، ولكنه يشير إليهم بما يفهم القارئ بهويتهم.
(2) محمد جواد مغنية، "المدرسة الجعفرية في صور"، العرفان، المجلد 29ن العدد 8 و 9، ص 804 – 806 (تشرين الأول والثاني 1939)
(3) عبد الحسين شرف الدين، "المدرسة الجعفرية والأوقاف في صور"، العرفان، المجلد 30، العدد 8,9 ص 283

الأعمى للقديم، وكان هؤلاء الشباب، وقد أطلقوا على أنفسهم إسم "إخوان الصفاء"[1]، تيمناً بجماعة من العلماء من أواخر القرن العاشر الميلادي إشتهروا برسائلهم، ينتمون إلى خيرة أسر العلماء في جبل عامل، كانوا قد تلقوا فيه تربية تقليدية قبل أن يذهبوا إلى النجف في أوائل العقد الثالث من القرن العشرين. وفي النجف أظهروا إبتعادهم عن نظام التعليم وشرعوا بإنتقاد من سبقهم من رجال الدين وحاولوا الإنتساب إلى مراجع أدبية جديدة. ويتذكر علي الزين قائلاً:

"في النجف بدأنا متابعة الصحف المصرية وخصوصاً الهلال التي كان طه حسين من أبرز كتابها. كذلك كان محمد حسنين هيكل يصدر جريدة السياسة[2]. وقد تأثر هو وأصدقاؤه بالكُتّاب المصريين من أمثال أحمد أمين والعقاد بالإضافة إلى الإسمين المذكورين، حتى إن أسلوبهم كان يعبق بهم. وقد لاحظ الشيخ محمد جواد مغنية في ترجمته للشيخ محسن شرارة، أن هذا الأخير لم يكن قد تأثر بالأسلوب العراقي، مع أنه درس في النجف، ولكنه تأثر بالأسلوب المصري[3]. كذلك في الشعر، فإن أحمد شوقي (1868-1932)م وكان مصرياً، قد بهر الشبيبة العاملية النجفية.

وقد إضطر الشيخ علي الزين، وكان وجهاً من وجوه هذه الحركة، إلى ترك النجف بسرعة، سنة 1928م، وذلك لأسباب صحية. وقد بقي بعده حسين مروة وهاشم الأمين ومحمد شرارة وإبن عمه الشيخ محسن شرارة[4] ولم يبق منهم على عمامة رجل الدين إلا هذا الأخير[5].

وقد أخبرنا الشيخ محمد جواد مغنية في مذكراته عن تلك الفترة، أن بيت الشيخ محسن شرارة في النجف كان يعج برجال الأدب والعلماء، وكانوا يتباحثون في الأدب وينتقدون

---

(1) محمد كاظم مكي، الحركة الفكرية والأدبية، ص 214، وكان إخوان الصفاء جماعة من العلماء كتبوا رسائلهم بهذا الإسم (رسائل إخوان الصفاء) وهي نوع من الموسوعات يعود تاريخها إلى نهاية القرن العاشر الميلادي، والأثر الإسماعيلي ظاهر فيها إلا أن الشيعة الإثني عشرية ينسبونها إليهم أيضاً. أنظر E12/III/1098، ومن الملاحظ أيضاً أن محسن الأمين وزملاءه في الدراسة من العامليين في النجف كانوا يطلقون على أنسفهم هذا الإسم كذلك فعل غيرهم.

(2) علي الزين، من دفتر الذكريات الجنوبية، الجزء الأول 1981، ص 29

(3) العرفان، المجلد 33، العدد الأول ص 84

(4) علي الزين، من دفتر الذكريات، ص 29-30

(5) نتطرق إلى الدور السياسي الذي لعبه هؤلاء الشبان في العقد الرابع من القرن العشرين في الفصل الثامن من هذا الكتاب- وكان حسين مروة، كما أشرنا سابقاً، قد إختار الشيوعية... أما هاشم الأمين فكان أول من ترك العلوم الدينية والنجف وإنضم إلى الحزب الشيوعي السوري، وهو إبن المجتهد محسن الأمين، وبقي محمد شرارة في العراق وإشتغل في التعليم فيه ثم في لبنان. وقد إحتفظ محسن شرارة بالعمامة وقام بمهام دينية، إلا أنه إحتفظ أيضاً بإستقلاله الفكري.

الكتب والمشايخ، وكانت الآراء تتطاير ويثار الجدل والصياح(1)... وكان الشيخ محسن شرارة وأقرانه ينتقدون التقاليد، ونتج عن ذلك "حرب بين الشباب والشيوخ" بحسب عبارة السيد محسن الأمين، ولم تكن خلافاتهم مقتصرة على الشكل بل إنها تعدته إلى المضمون، وذلك لأن الشباب كانوا ينهلون من فكر فلسفي ومن تصور للمجتمع متأثر بالأفكار الحديثة(2). وقد نشروا قصائد ومقالات في جرائد العراق ومجلاتها مثل الهاتف لجعفر الخليلي، وكذلك في العرفان. وكان من أعضاء هذه الجماعة ثلاثة شعراء عراقيين هم: عبد الرزاق محي الدين، وصالح الجعفري آل كاشف الغطاء، ومحمد صالح بحر العلوم(3).

وكانت الشبيبة العاملية النجفية نواة لجمعية أخرى ولدت في جبل عامل سنة 1935 وهي عصبة الأدب العاملي(4). وكان معظم رجال الدين الشباب قد أنهوا دراستهم وعادوا إلى ديارهم فإستعادوا فيها مجالسهم في النجف. ويروي الشيخ علي الزين، وكان عضواً ورئيساً للعصبة: "كنت إذا ذهبت إلى بنت جبيل أشعر أني لست فقط في النجف بل مع خاصة أدباء النجف". ويضيف: "ولقد أغنتني الإجتماعات في بنت جبيل وشقرا والصوانة والنبطية عن الإجتماعات في النجف التي إضطررت إلى قطع دراستي فيها، وبفضل هذه الأجواء نشأ عندي تطلّع جديد بعدما كنت شبه يائس بعد عودتي"(5).

وكانت مجالس الأصدقاء التي يعقدها أعضاء العصبة تقوم عند هذا أو عند ذاك منهم، في قرى جبل عامل. كان آل شرارة يقيمون في بنت جبيل، ومنهم الشيخ محسن، وقد عاد من النجف سنة 1935 ومحمد وكذلك عبد اللطيف وموسى الزين شرارة الشاعر المعروف، وكان الشيخ علي الزين يقدره تقديراً خاصاً لما كان يوجهه من نقد لاذع إلى العلماء والزعماء ورجال الأدب(6).

---

(1) العرفان، المجلد 33 العدد الأول ص 84

(2) الأعيان، المجلد التاسع ص 48

(3) حسين مروة، "محمد شرارة"، في وجوه ثقافية من الجنوب، الجزء الأول، المجلس الثقافي، ص 12، ونذكر هنا أنّ صالح الجعفري قام بترجمة رسالة النائيني الشهيرة، تنبيه الأمة

(4) محمد كاظم مكي، الحركة الفكرية، مرجع سابق، ص 215

(5) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(6) المرجع السابق، ص 31، حول موسى الزين شرارة (1902- 1986) أنظر مستدركات أعيان الشيعة المجلد الأول ص 237.

وكان آل الأمين يقيمون في شقراء والصوانة، ومنهم هاشم وعبد الرؤوف المعروف بـ "فتى الجبل"[1]. وكانوا إذا ما إنفضت مجالسهم العامرة بحديث السياسة والأدب، يتبادلون الرسائل نثراً وشعراً، وقد نشرت العرفان بعضها[2].

ويقول الشيخ علي الزين: "كان أدب الأصدقاء زاخراً بالثورة"[3]. وبالفعل فقد كان الأدب لديهم وسيلة التشكيك في النظام القائم ومهاجمة سلطة الزعماء من كبار مالكي الأرض الذين كانوا يستغلون الفلاحين، والعلماء من حلفائهم. وسوف نرى كيف واجهوا سنة 1936 م الزعماء وإدارة حصر التبغ بعنف. وكان العلماء هدفاً مفضلاً لدى الشعراء الشباب وكان منهم من يشرب الخمر دون أن يعتبر نفسه خارجاً على الإسلام. إلا أن بعض رجال الدين ممن لم يُخلّوا بالشرع، إنتقدوهم على طريقة كتابتهم. وهذا ما كان من أمر الشيخ علي الزين مثلاً، إذ إنتقد شعر شيخه القديم الشيخ عبد الحسين صادق، وهو مجتهد وشاعر مشهور في جبل عامل، وقد جدّد في أغراض شعره.

وقد برهن الشيخ علي الزين، بعد أن أكد على الإستقلال الفكري لكل مؤلف، أن تحليل قصيدته عن القطار يثبت أن الشيخ عبد الحسين صادق يقلد القدماء فيها، وفي رأيه أنه يكفي أن نستبدل بعض الألفاظ بغيرها حتى يصبح وصف القطار وصفاً للجمل بما في ذلك من الإستعارات والتشابيه المستعملة في الشعر التقليدي[4].

والحق أن جيلاً كاملاً من الشعراء العرب كانوا بسبب تأثرهم بأحمد شوقي، قد تصرفوا التصرف نفسه.

فقد كانوا متشبعين بالشعر العربي التقليدي إلى درجة أنهم لم يجرؤوا على التميز عن القدماء، ولم يكونوا قد أخذوا بعدُ بالرومنطيقية الأوروبية حتى يغامروا بوضع حالاتهم

---

(1) عبد الرؤوف الأمين (1900- 1970) إبن المجتهد علي محمود الأمين توفي أبوه وهو ما يزال فتى فكفله السيد محسن الأمين وأنشأه في بيته في دمشق ثم زوّجه إبنته. وبعد أن قام بدراسته في الجامعة السورية، إنتقل إلى العراق ليدرس في مدارسه الأدب من سنة 1939 إلى سنة 1943. ثم عيّن مفتشاً في وزارة المعارف في لبنان ثم إنتقل إلى وزارة العمل والشؤون الإجتماعية، أنظر: مستدركات أعيان الشيعة، المجلد الأول، ص 83، وقام إبنه هيثم بطبع ديوانه فتى الجبل، دار الحرف العربي ودار المناهل، بيروت 1996، 399 ص.

(2) نظر علي الزين، "ملاحظات في الأدب العاملي"، العرفان، المجلد 28 العدد الأول ص 31-32 (1938) متبوعة برسائل متبادلة بين محمد شرارة وحسين مروة وعلي الزين ص 121- 129 وبين عبد اللطيف شرارة وعلي الزين ص 283- 288 وبين نزار الزين (من باريس) وعلي الزين ص 371 – 374. ورسالة علي الزين إلى عبد اللطيف شرارة ص 495- 499.

(3) علي الزين، مع الأدب العاملي، من دفتر الذكريات الجنوبية، مرجع سابق، ص 30.

(4) المرجع نفسه، ص 59

النفسية وعواطفهم على الورق بصدق[1]. وقد شجعت عصبة الأدب العاملي حركة تحرير الأقلام هذه. وكان أعضاؤها يرون أن الأوان قد آن للتوقف عن إتباع أسلوب الشعراء القدامي من أمثال أبي تمام والسيد الحميري، وأن على الشاعر أن يعبر عن أفكاره وإنفعالاته وأحاسيسه عبر شعر سهل اللفظ، قريب من الحياة اليومية. كذلك كان من الضروري، في رأيهم، أن توضع النصوص النثرية والآثار الشعرية على محك النقد الأدبي[2]. وبذلك وُلد في جبل عامل أسلوب جديد، ولا سيما في الشعر الذي وصل في خصوصيته إلى أن وردت فيه عبارات دارجة خاصة بالمنطقة[3]. وكان الكتّاب المنتمون إلى العصبة كثيرين ومع ذلك فقد ظهر تجمع آخر للكتاب بإسم الرابطة الأدبية العاملية، وكان من أعضائها: عارف الحر وزهرة الحر وعلي إبراهيم وأحمد حجازي وزكي بيضون[4]. ولم يكن لهم برنامج محدد، إلا أنهم كانوا هم أيضاً متأثرين بالأفكار الحديثة حول الأدب والنقد الأدبي.

ونذكر من أعضاء الرابطة، أفراداً من آل الحر، "بيت العلم" في جبع، والسيد علي إبراهيم وهو أيضاً من أسرة كبيرة من العلماء، وكان قد أعدّ لطلب العلم وإعتمار العمامة على خطى أجداده، إلا أنه إتخذ سبيلاً آخر، مهتدياً ببعض "العلماء الشباب" من عصبة الأدب العاملي، وتفرغ للتعليم الرسمي في مؤسسات الدولة[5]. ولم يكن الأمر متعلقاً ببعض الحالات المنفردة كهذه، بل ترافقت هذه الظاهرة مع قطيعه فعلية بين هؤلاء الرجال الذين أنهوا دراستهم في العقد الرابع من القرن العشرين وبين من سبقهم- وكانوا في غالب الأحيان آباءهم أو شيوخهم. لقد بُثّتْ فيهم أفكار جديدة، وكان العالم قد تغيّر، ولم يعد التعليم حكراً على

(1) على مقربة من جبل عامل في نابلس تذكر الشاعرة فدوى طوقان في مذكراتها الصعوبة التي صادفتها في التخلص من سلطة الشعر القديم، ومحاولتها الإنفصال عن هذا القيد الذي كانت ترسف فيه. وحينما توصلت إلى قهر مقاومتها وتحرير شعورها في شعرها، كان عليها أن تجعل الآخرين يقبلون بهذا التغيير بدءاً بأخيها إبراهيم طوقان الشاعر المعروف. أنظر، فدوى طوقان، Fadwa Touqan Le rocher et la peine, traduit par Josephine Lama et Benoit Tadie, L'Asiatheque, Paris, 1997, chapitre XVI.p.109-115

(2) نشرت عصبة الأدب بياناً تعرض فيه مبادئها أنظر العرفان، المجلد 27 ص 243.

(3) العرفان، المجلد 27، مصدر سابق، ص 240

(4) تألفت الرابطة سنة 1928 إلا أن أعضاءها لم يصرحّوا بها إلا بعد إنشاء العصبة العاملية. ولم يكونوا يجتمعون بل كانوا يكتفون بذكر الرابطة في تواقيعهم، أنظر محمد كاظم مكي، الحركة الفكرية، ص 215- 216.

(5) حول علي إبراهيم (1911- 1981) أنظر: من دفتر الذكريات الجنوبية، الجزء الأول، ص 41- 56، وترجمته في مستدركات أعيان الشيعة، المجلد الأول ص 109، أما عارف الحر (1910- 1971)، فقد درس في بيروت ثم أصبح مدرساً سنة 1930. وأقام في عدة قرى عاملية قبل أن يستقر في صيدا عام 1960 أنظر، مستدركات أعيان الشيعة، المجلد الأول ص 78

علماء الدين. وبدأ رجال الدين يتناقصون في جبل عامل، والأدباء يتكاثرون، وكانوا ملتزمين سياسياً، إلا أن أصولهم كانت من أسر العلم القديمة.

سادساً: موقع السيد عبد الحسين شرف الدين:

كانت الزعامة الدينية في جبل عامل يتقاسمها في فترة هذه المناظرات ثلاثة مجتهدين هم: الشيخ حسين مغنية والسيد محسن الأمين والسيد عبد الحسين شرف الدين. غير أن الأوّل إمتنع عن نشر كتاباته وحرص على أن لا يشارك في هذا النزاع متخذاً فيه طابع التخفي. فإتخذ السباق على المرجعية إذن صفة المبارزة بين إثنين. ولئن تصفحنا مجمل النصوص في الرد على إصلاح السيد محسن الأمين لصدمنا بغياب السيد عبد الحسين شرف الدين عن هذه المناظرات. والحق أنه لم يشارك فيها على نحو مباشر، مستعملاً قلمه في كتابة الردود. إلاّ أن شاهداً على هذه الأحداث، وهو العراقي جعفر الخليلي، وكان على بُعد كاف من خصومات العامليين، وكان قادراً على الإحاطة بها، روى لنا أن السيد عبد الحسين شرف الدين قد قام بالدور الأوّل في التأليب على السيد محسن الأمين[1]. ونذكر، إضافة إلى ذلك، أن عدداً كبيراً ممن هاجموا السيد محسن الأمين كانوا من حلفاء السيد عبد الحسين شرف الدين. لذلك يبدو أن تورطه في الحملة على الإصلاح كان أمراً لا يمكن إنكاره.

إن تراجم وشهادات ذات ميل تقديسي نقلت نوعاً من الرواية "الرسمية" لهذه القضية، تظهر أن السيد عبد الحسين شرف الدين لم يكن يعارض السيد محسن الأمين، وأنه إتخذ من شعائر عاشوراء موقفاً وسطاً، يقع بين التراخي لدى البعض والتشدد الزائد لدى البعض الآخر[2]. ولا بدّ من التذكير هنا بأنّه لم تكن تقام في مدينة صور تمثيلية فاجعة كربلاء، وأن أشد الشعائر القائمة على أذى النفس (جرح الرؤوس وضربها) لم تكن متبعة فيها. فلم يكن على السيد عبد الحسين شرف الدين أن يشدد القبضة على حماه. وبالإضافة إلى ذلك فإن

---

(1) أنظر الأعلام للزركلي، المجلد 4 ص 279. يقول خير الدين الزركلي إنه كان يؤخذ على عبد الحسين شرف الدين سماحة للمؤمنين بضرب أنفسهم بالسيوف والسلاسل في أثناء الإحتفال بذكرى عاشوراء.

(2) هادي فضل الله، رائد الفكر الإصلاحي السيد عبد الحسين شرف الدين، مؤسسة عزالدين (ب.م.) 1987 (؟) ص 137-138. وللمؤلف نفسه، "الجانب الإصلاحي عند السيد عبد الحسين شرف الدين" في الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين مصلحاً ومفكراً وأديباً، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، بيروت 1993م، ص 255-257.

الإحتمال وارد في أنه إنتهى إلى تغيير موقفه، على مثال ما فعل غيره من المجتهدين، من الإصلاح الذي قام به خصمه.

ومن الملاحظ أن هناك كتاب يسمى السفينة عنوانها المجالس الفاخرة ألفها السيد عبد الحسين شرف الدين، وقد أعلنت مجلة العرفان عن صدورها في شباط 1914[1]. إلاّ أنه لم يصدر منها إلاّ الجزء الأوّل ويحتوي على مقدمة طويلة وعلى المجالس الخمسة الأولى التي تنتهي بخروج الحسين (ع) من مكة[2].

ومن الممكن الإفتراض أن صدور باقي الأجزاء قد توقف في أثناء الحرب، وبما أن مكتبة السيد عبد الحسين شرف الدين قد أحرقت بعد ذلك سنة 1920 فقد إحترقت تلك الأجزاء مع ما إحترق من المخطوطات[3].

ولئن ألف السيد عبد الحسين شرف الدين بنفسه نصوص الروايات لتلاوتها في مجالس العزاء، فذلك لأن مضمون الكتب المتداولة في ذلك الحين في جبل عامل، لم يكن يناسبه: لقد كان يريد أن ينظم المجالس على طريقته، وأن يرسخ فيها معنى ينسجم وغاياته الإصلاحية. وقبل أن نستعرض تصوره لوظائف الإحتفالات بالذكرى الحسينية، لنتفحص مقدمة كتابه وفيها إظهار للدوافع المباشرة التي حدت به إلى كتابة هذه المقدمة الطويلة[4].

يقف السيد عبد الحسين شرف الدين هنا موقف الحذر، فيبدأ بإثبات شرعية مجالس ذكرى إستشهاد الإمام الحسين (ع)، عارضاً لشرعية ما يتم فيها من أعمال، مما يقوده إلى تفصيل إحتجاجه في خمسة بنود تتناول تحليل البكاء، وإنشاد الرثاء، ورواية فضائل الموتى ومصائبهم، والبكاء على الموتى، والإحسان عن أرواح الموتى.

---

(1) العرفان، المجلد 5 العدد 4 ص 121.
(2) مقدمة المجالس الفاخرة، 82 ص، وبحسب ما يقول الطهراني في نقباء البشر المجلدد 3 ص 1086، فإن الكتاب نُشر في تلك السنة في النجف ثم أعيد نشره بعد ذلك.
(3) أحمد قبيسي في حياة الإمام شرف الدين في سطور، مرجع سابق، ص 70 .
(4) المرجع نفسه ص 71 و 72.

وهو يسند إحتجاجه أوّل ما يسنده إلى السنّة، بحسب منهج معهود لديه، بالرجوع أولاً إلى أحاديث يرويها السنّة، ثم إلى أحاديث يرويها الشيعة[1]. مما يعني أنه يلتمس، في نهاية المطاف، نظرة خارجية لتبرير الشعائر الشيعية[2].

والواضح من قراءة هذا النص، أن السيد عبد الحسين شرف الدين يرد فيه على مآخذ رجال الدين السنة. ويرد في الذهن داعية الإصلاح الدمشقي الشيخ جمال الدين القاسمي (توفي في آذار 1914)، وكان ينتقد ما يقوم به الرافضة، أي الشيعة، من إحتفالات بالمآتم[3]. بعد ذلك ينبري السيد عبد الحسين شرف الدين إلى الدفاع عن التشيّع وشعائره مستنداً إلى السنن الإمامية في إثبات شامل لإقامة الشعائر الحسينية، ويتابع إحتجاجه مؤكداً: أنه لو أقر الإمام أبو حنيفة أو أتباعه بتحليل المجالس لأفنوا أعمارهم في إقامتها، فلماذا يرفضونها وقد أقر بها الأئمة؟.. ثم يعمم قوله متسائلاً: هل من دليل على إقتصار الإمامة في الفتوى على أئمة خصومنا؟ طبعاً لا، بل على العكس من ذلك ويفسر ذلك مستنداً إلى حديث الثقلين القائل بالتعلق بالقرآن وبعترة النبي (ص)، لا بالقرآن وحده[4].

وبعد أن يظهر السيد عبد الحسين شرف الدين بذلك، شرعية الإحتفالات بذكرى الإمام الحسين (ع) للقارئ السنيّ، يتوجه إلى الشيعة فيجهد في تفسير وظائف هذه الشعائر. وفي رأيه أنها تجمع "الجامعة الإسلامية" وتصهرها، وتصل فيما بين "الرابطة الإمامية". وتوحد قلوب المؤمنين حول حبهم لأهل البيت وتعلقهم بهم، وتحثهم على العمل مجتمعين لإحياء ذكراهم. كذلك فإنها تُتيح لرجال الدين أن يلقوا مواعظهم ونصائحهم على المؤمنين لإعلامهم بقضايا الجماعة، أكان ذلك في العراق، أم في بلاد فارس، أم في البحرين، أم في الهند، أم في غيرها من البلاد. فيصبح الشيعة كالبنيان المرصوص أو كالجسم الواحد إن إشتكى أحد أعضائه تداعى إليه الباقون، مستنداً في ذلك إلى حديث نبوي. بالإضافة إلى ذلك فإن هذه

---

(1) عبد الحسين شرف الدين، مقدمة المجالس، ص 24.

(2) المصدر نفسه، ص 32.

(3) في كتابه، إصلاح المساجد من البدع والعوائد، الذي أنهاه سنة 1911م، إلا أنه نُشر بعد وفاته سنة 1922، يهاجم جمال الدين القاسمي أول ما يهاجم أئمة المساجد السنّة الذين كانوا يذكرون إستشهاد الحسين على منابرهم يوم الجمعة من أول أسبوع من شهر محرم، مجرين بذلك دموع المؤمنين. ففي رأيه أن ذلك لا يأتي بفائدة، ليس هذا فحسب بل إنه محرم وأما الشر فيأتي كله من الروافض الذين ينظمون مجالس العزاء. أنظر، إصلاح المساجد، مطبعة السلفية، القاهرة 1341 هـ (1922م) ص 183-185 ونذكر هنا أن القاسمي كان صديقاً للعامليين ولم يكن على خلاف معهم. وقد نشرت له مجلة العرفان بعض المقالات، ولم يمنعه ذلك من مجادلة الشيعة.

(4) عبد الحسين شرف الدين، مقدمة المجالس، ص 18-26.

الشعائر تشكّل دعوة إلى الدين بل إنها صرخة الإسلام العليا التي توقظ النائم من سباته وتفتح أعين الجاهل على غفلته. وبذلك يكون القرّاء في المجالس هم المبشرون الوحيدون في الإسلام. وينتهي بالقول إنّ هذه الشعائر تمكن من نشر المعرفة فيما يتعلق بعلمي الحديث والفقه، فهي مدرسة الشعب الوحيدة.

وينهي السيد عبد الحسين شرف الدين مقدمته بتفصيل مفهومه حول مغزى إستشهاد الإمام الحسين (ع)، فيقدر أنه لولا إستشهاد الإمام الحسين (ع) في سبيل إحياء دين جده، لأندثر الإسلام، وذلك لأن الإمام الحسين (ع) كان يعرف مصيره وقد إرتضى أن يتم شهادته، ويستشهد المؤلف في إثبات ذلك بأمثلة من السيرة[1].

لقد كان لمجتهد صور إذن، رأي رفيع في الشعائر الحسينية ولا سيما منها مجالس العزاء. إلاّ أنه مع ذلك لم يتوصل إلى تنظيمها بما يوافق نظرته قبل بداية العقد الخامس من القرن العشرين، نظراً لغياب المقرئين الكفوئيين، فإضطر قبل ذلك التاريخ إلى أن يتدخل بنفسه ويحل محل المقرئ في إظهار العظة من بادرة الإمام الحسين (ع)، بدلاً من أن يستدر دموع الحاضرين في المجلس. ثم جاء إلى صور رجل إسمه الشيخ محمد نجيب الزهر من بنت جبيل سنة 1941م، فإستطاع الشيخ عبد الحسين شرف الدين أن يجدد به المنابر الحسينية إذْ زوده بالنصوص المناسبة له. ولم يلبث بعد ذلك أن درّب بالطريقة نفسها عدداً من الأدباء الشباب فقاموا بمهمة المقرئين[2].

وكانت شعائر عاشوراء تناسب هذا النوع من البراهين، ولم يكن السيد عبد الحسين شرف الدين العالم الوحيد الذي إغتنمها لذلك. ولئن كان جميع المجتهدين متفقين على إجلال الناحية الأخلاقية الرفيعة في إقامة هذه الشعائر في ذكرى إستشهاد الإمام الحسين (ع)، إلا أنهم كانوا مختلفين في طرق إستعمالها، فكانوا، يرجّحون إمّا وظيفتها التعليمية، أو وظيفتها

---

(1) عبد الحسين شرف الدين، مقدمة المجالس، ص 42
(2) جعفر شرف الدين، من دفتر الذكريات الجنوبية، المجلس الثقافي، الجزء الثاني، ص 64، وهادي فضل الله، رائد الفكر الإصلاحي، ص 138

في الإستنفار السياسي، وذلك تبعاً لسياستهم في الرعية، ولمدى إنخراطهم في القضايا السياسية، ولمفهومهم للإرشاد الديني[1].

ولقد بقي هذان الموقفان مستمرين إلى الأمس القريب. فبعض المجتهدين في جنوب لبنان، على سبيل المثال لا الحصر، كانوا يدعون المؤمنين إلى بذل دمائهم في الحرب المقدسة ضدّ إسرائيل في سبيل الإمام الحسين (ع) بدلاً من بذلها في المواكب، والبعض الآخر كان يقترح لهذا الغرض، تأسيس بنك للدم...

وتستحق المناظرات حول شعائر عاشوراء تحليلات وتعليقات إضافية، نظراً إلى غناها وكثرتها، بقدر ما تستحق مواقف العلماء من هذه المسألة وكانت متعددة وأحياناً متغيرة، ونخصص لها هنا فصلاً واحداً على أن فيها مادة لكتاب. وفي ما يختص بالعراق، فإن جلاء الموقف يقتضي دراسة إجتماعية معمقة للنخب الدينية في تلك المرحلة، وليس ذلك متيسراً لنا هنا بالطبع[2].

ويجد القارئ هنا على الأقل، تفسيرات لما كان يجري في جبل عامل، حيث كانت الصورة على الإجمال أبسط. والواقع أنه في ما خلا الشيخ عبد الحسين صادق الذي كان مدفوعاً، في الدفاع عن شعائر عاشوراء، بما تمليه مصالح أتباعه المباشرة أكثر مما يمليه مشروعه الديني، يبقى رأسا الهرم في سلّم التدرج الديني: السيد محسن الأمين والسيد عبد الحسين شرف الدين، وقد وضع كل منهما تصوره على إمتداد أعماله، وأعدّا، طوال مدة رياستهما الروحية، كلٌّ مشروعه للطائفة الشيعية المحلية، وأقاما كلٌّ طريقته في معالجة مسائل العصر من وجهة نظر الدين. وكان لهما رؤيتان للعالم، إتخذتا صورتيهما في محيطين مختلفين. ولذلك فإن السيد محسن الأمين دعا في دمشق إلى تشيّع متزن، رزين، قد أزيلت منه شوائبه، وإنتفت عنه صفة "الفوضى". أما السيد عبد الحسين شرف الدين فقد ظهر أكثر سياسة وأكثر تخطيطاً من خصمه، فكان إذن أكثر مرونة منه. إلا أن العالمين كانا يسيران نحو الهدف نفسه، إلا وهو تأمين مستقبل طائفتهما.

---

(1) بالإضافة إلى ذلك نذكر أن هذا القرن قد عرف مناظرات عديدة حول المعنى الذي ينبغي إعطاؤه لشهادة الحسين وتضحيته، وهو أمر قد تداوله المفكرون والمنظرون الشيعة بصورة منتظمة، أكانوا من رجال الدين أم من المدنيين من أمثال على شريعتي

(2) Meir Litvak, Shi’I Scholars of nineteenth- century Iraq

سابعاً: جبل عامل وسياسة التقريب بين المذاهب الإسلامية وأثر ذلك في مقاومة الإحتلال الفرنسي:

1- إرث الشيخ جمال الدين الأفغاني (1838- 1897م) (1254- 1315هـ)[1]

لا شك في أن هذه الشخصية ذات الأوجه المتعددة هي التي عملت أكثر ما عملت على تقريب فروع الإسلام، ولا سيما على تقريب الفرعين الأساسيين، السنّة والشيعة الإثني عشرية. وكان ينبغي أن يلقب بالأسد آبادي، بمقتضى نسبته الحقيقية، قد فتح باب التقريب أمام جميع أتباعه ومن تأثر من بعده بأفكاره الإصلاحية. وبذلك يكون الإلتباس الأول في التقريب قد ظهر من بدايته، مستبقاً الصعوبات الآتية، وذلك بأنه أُسس من قبل شيعي قد إدّعى أنه سنيّ لكي يكون كلامه مسموعاً من الجميع. وهكذا فبدلاً من أن تكون حركة التقريب والتجمع هذه سبباً في أن يترك الشيعة مبدأ التقية فيظهرون على الملأ في مجتمع إسلامي موحد، قايض مؤسس هذه الحركة عمامة السادة السوداء الشيعية بغيرها مما يستر الرأس ويمكنّه من أن يُحمل على محمل هوية محتملة غيرها. كما لو أن الشيعة من بعده كانوا سيضطرون إلى التخلي عن بعض خصوصياتهم لكي ينصهروا بالأمة خير إنصهار.

ترتكز أفكار الشيخ جمال الدين على إقرار شديد البساطة: أن قصور المسلمين عن الوحدة لتشكيل كتلة واحدة كان قد سرّع في إنحطاط الدولتين الكبيرتين الفارسية والعثمانية. وهما منذ ذلك الحين مهددتان بالإختراقات الأوروبية. وكان من الواجب الإسراع في التحرك، لصدّ الغزاة، إذ كانوا قد إنتهزوا جو التراخي العام للإستيلاء على أموال المسلمين. وقد كانت الوسيلة الوحيدة أمام المسلمين لإستعادة قوتهم تكمن في إتحادهم تحت راية الإسلام[2].

وقد تابع دعاة الإصلاح من السلفية، الذي خلفوا الشيخ جمال الدين، نضاله من أجل وحدة المسلمين بإقتناع عظيم أدّى بهم إلى الدعوة للرجوع إلى الإسلام الأول: وكانوا يرون ذلك الإسلام، الذي كان ما يزال في طور التكوين، تام الصورة، مثالياً، إسلاماً خالياً من

---

(1) هو محمد جمال الدين بن السيد صفتر الحسيني الأفغاني أحد الأعلام البارزين في النهضة المصرية ومن أعلام الفكر الإسلامي بالنسبة للتجديد.
(2) الأعيان، مصدر سابق،المجلد 9 ص 147

الإختلافات العقائدية قد أنجز وحدة العرب. ولم يكن الخطر الأوروبي قد إستبعد بل على العكس فإنه كان يقترب، وكان شعور المسلمين بالضعف يزداد شيئاً فشيئاً، بالإضافة إلى ما كان المستعمرون يأتون به من أفكار داعية لترك الدين كانت تهدد الشبيبة المسلمة. وقد أصبحت الوحدة شعاراً سياسياً ودينياً، وعلاجاً لجميع المعضلات، وهدفاً ينبغي إدراكه، كما لو أن تحققه كان سوف يضمن خلاص المسلمين وسعادتهم وقد توحد شملهم في جسم واحد أعيد لحم أوصاله بعد أن كانت مقطعة، فعاد إلى المدينة الفاضلة التي كانت في بداية الإسلام. وبإنتظار تحقق هذا الحلم المثالي، نظم بعض المسلمين أنفسهم في محاولة لمحو الخلافات والتباين لكي يظهروا جبهة موحدة ولو حول بعض المواضيع[1].

وهذا كان هدف المؤتمر الإسلامي الذي عقد في القدس سنة 1931م. ولئن لم يُذكر فيه الشيخ جمال الدين مؤسس الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، فإن صورته الموقعة بقلمه، كانت معلقة في قاعة الإجتماعات، رمزاً رفيعاً لرعاية هذا المؤتمر[2].

وقد أمّ الصلاة في المسجد الأقصى في أثناء المؤتمر، المجتهد الشيعي النجفي، السيد محمد حسين آل كاشف الغطاء وألقى "الخطبة التاريخية" التي ترجمت إلى لغات عديدة. وقد تطرق فيها إلى وحدة المسلمين في وجه هجمات الغرب، وإلى الدفاع عن فلسطين، وإلى الحاجة إلى نسيان الخلافات بين المذاهب[3].

وكان لهذه الواقعة أثر مميز في النفوس، محمل بالآمال، وقد وصل أقصاها إلى الظن بإلغاء الخلافات المذهبية، وأدناها إلى الوعي بأن التفاهم بين السنّة والشيعة كان أمراً ممكناً

---

(1) المصدر نفسه ص 148 و 149.

(2) Uri M. Kupferschmidt, “The General Muslim Congress of 1931 in Jerusalem”, AAS,12/1 (1978),p.125 يؤكد الكاتب أن هذا المؤتمر "لم يكن له صلة بالآباء الروحيين لحركة الوحدة الإسلامية" وأنه "لم تظهر فيه أية دلالة على القربى" من جمال الدين. إلا أنه يذكر أن صورته كانت معلقة في قاعة النقاش. ولم يكن ذلك بالمصادفة!.

(3) Silvia Naef, “Unréformiste chiite: Muhammad Husayn l Kasif al- Gita”, p. 62

* محمد حسين آل كاشف الغطاء (1294- 1375هـ)
(1876- 1955 م)

* لقد سنحت للسيد كاشف الغطاء الفرصة له بزيارة السفير البريطاني لمدينة النجف وإجتماعه به يوم جمادي الأولى 1373هـ/ 1953م، فواجهه بالمنكرات التي أقدم عليها الإنكليز في كافة أنحاء العالم، بما فيها سعيهم إلى ضياع فلسطين وسقوطها بأيدي اليهود ومساعدتهم على على إستعمارها أرضاً وشعباً ثم تهجيرهم إلى كل حرب وصوب. ثم كان له لقاء بالسفير الأميركي فواجهه أيضاً بما لأمريكا من اليد الطولى في تثبيت إسرائيل بأرض فلسطين وما تسبب عن ذلك من أعمال وحشية يندى لها جبين الإنسانية، وكانت أبرز مواقفه، رفضه حضور مؤتمر بحمدون الذي روجت له أبواق الإستعمار بل كان رده على دعوة الحضور حاسماً بليغاً جداً مع كتاب في خدمة الأمة الإسلامية والذي عن حماها في مواجهة الإستعمار الكافر وهو كتاب "المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون".

حول المسائل السياسية[1]. وقد أبدى الشيعة رضاهم بهذا الإعتراف بهم، وكان ممثلو جبل عامل منهم، الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر والشيخ أحمد عارف الزين، قد أظهروا رضاهم التام عن هذا الحدث[2]، فلم يتركوا فرصة إلاّ وإنتهزوها للتعبير عن تمسكهم بالوحدة الإسلامية وعن إرادتهم في المشاركة بإتخاذ القرارات[3].

وقد أدّى مشروع الوحدة في وجه العدو المشترك بالعلماء والمفكرين والمسلمين ولا سيما بالسنّة منهم وبالشيعة الإثني عشرية، إلى التحاور حول المسائل العقائدية بهدف الوصول إلى موقف سواء بينهم. وقد شارك العامليون، كما نرى. بقدر كبير في محاولة كانت، على الرغم من حسن النوايا لدى الطرفين، فريسة لسوء التفاهم إن لم نقل للإخفاق. وكان السيد عبد الحسين شرف الدين قد أخذ على عاتقه الرأي الشائع، القائل بأن سبب إنقسام المسلمين كان سياسياً. ولذلك فقد أعلن في خطاب ألقاه الجامع العمري الكبير في وسط بيروت بمناسبة عيد المولد النبوي في خريف سنة 1921م: "فلا تقولوا بعد اليوم: هذا شيعي، وهذا سنيّ، بل قولوا: هذا مسلم، فالشيعة والسنة فرقتهما السياسة، وتجمعهما السياسة، أما الإسلام فلم يفرق ولم يمزق، الإسلام جمعهما بـ "أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله"، بـ "إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة"، بـ "صوم الشهر وحج البيت"، بـ "الإيمان باليوم الآخر"[4].

كان السيد عبد الحسين شرف الدين داخلاً في الجو الذي ساد بداية الإنتداب، حيث إتحد الوطنيون من سنّة وشيعة على وجه الخصوص، في مواجهة فرنسا، وقد رفضوا وصايتها عليهم، وكان، هو نفسه، قد عاد منذ بضعة أشهر من منفاه الذي فُرض عليه بسبب نشاطه في مواجهة الفرنسيين.

---

(1) أنظر Martin Kramer, Islam Assembled. The Advent of the Muslim Congresses, Columbia University Press, New Yourk, 1986, p. 131-133

(2) المرجع السابق ص 134. مر محمد حسين آل كاشف الغطاء بجبل عامل في ذهابه وفي إيابه من رحلته إلى القدس. وقد أعلم العامليون حتى قبل أن يعود بأن السنة قد عاملوه خير المعاملة وأظهروا له الكثير من الإحترام. ويذكر ممثل المفوض السامي في صور أن "بعض الشيعة قد خرجوا بإنطباع إيجابي للمعاملة التي عومل بها عالم شيعي للمرة الأولى" Archives MAE, fonds Beyrouth, carton n 1664, Bulletin d'information hebdomadaire, poste de Tyr, BIH n 27 du 9/12 au 16/12/1931,p.9 بعد ذلك بأسبوع، لدى عودة رجل الدين هذا، إستقبلته شخصيات عاملية، منهم عبد الحسين شرف الدين، برفقة قاضي صور ومفتيها، في الناقورة. وكانت إمامته للصلاة في المسجد الأقصى قد إعتبرت أنها حدث "إستثنائي" و"أثارت حماسة الشيعة في صور" وقد زاد في رضاهم أن الزعماء الروحيين السنة قد إستقبلوا العالم العراقي في بيروت، إستقبالاً حاراً.

(3) العرفان، المجلد 23، العدد الأول، ص 192 (أيار 1932) Uri M. Kupferschmidt,"The General Muslim Congress, of 1931 in Jerusalem",p. 160.

(4) خطبة ألقاها في الجامع العمري في بيروت في 1921/10/12، نشرت في بغية الراغبين الجزء الثاني ص 447-448.

وكانت السياسة، في الواقع، قد وحدت حينها المسملين حول الأفكار نفسها، ولذلك فإن السيد عبد الحسين شرف الدين لم يقم في خطابه وزناً للخصوصيات المذهبية عند الشيعة: بل، على العكس من ذلك، إكتفى بتعداد الأركان المتضمنة في عقيدتي كل من الفرقتين. إلاّ أنه كان لا بد، في مناسبات أخرى، أن يُعمّق الحوار وأن تجري المناظرة إلى الفروق المذهبية التي لم يكن بالإمكان نفيها، أكانت أساسية كالإمامة، وهي معتبرة من أصول الدين عند الشيعة، أم ثانوية كالزواج المؤقت، وهو معتبر من الفروع في الفقه الجعفري. وبذلك تحول الحوار إلى شجار، وبدلاً من أن يقرّب بين آرائهم، بمقتضى ما كانوا يسعون إليه في البداية، فقد باعد بين الأطراف المتناظرين ثم عادوا في نهاية المطاف إلى الجدل التقليدي بين السنّة والشيعة، وكان أشهر ممثليه العلامة الحلي وإبن تيمية[1].

ومع ذلك فإنه من الصعوبة بمكان أن نقيم الحد بين ما هو سياسي وما هو ديني في المناظرات المتصلة بالتقريب نظراً لتشابكهما الشديد، على أن بإمكاننا أن نستنتج، على نحو مجرد ، ظهور موقفين عند أنصار الحوار والفاعلين فيه، متصلين بترجيحهم لهذا الوجه أو لذاك. ولذلك فإن بعض المفكرين المسلمين كانوا قد إمتنعوا عن الخوض في الجدل المذهبي وإكتفوا بالدعوة إلى وحدة إسلامية مقتصرة، بحذر، على حدود الميدان السياسي، بينما إنجرف البعض الآخر إلى نقاشات عقائدية غير قابلة للحل بالضرورة لأن كل طرف يدافع فيها عن عقيدته ويدعو في الوقت نفسه إلى التسامح. وهذا ما كان من أمر متحمسين من مناصري التقريب. هما: الشيخ رشيد رضا والسيد محسن الأمين، وهما قد أقاما سنوات طويلة على تبادل لا يصح وصفه بالحوار بل بالتشاور. مع العلم أن السيد محسن الأمين كان يريد لنفسه أن يكون رجل التقريب. أما الشيخ محمد رشيد رضا (1282- 1354هـ) ، (1865- 1935م) فكان قد أكّد على ضرورة التقارب بين السنّة والشيعة، منذ أن أسّس المنار، ثم أقام صلات بينه وبين بعض دعاة الإصلاح من الشيعة، ومنهم صاحب العرفان في

(1) ألف العلامة الحلي رسالة عنوانها: منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، يمتدح فيها الشيعة وينتقد السنة في نقاط عديدة. وقد رد عليه إبن تيمية برد مطول عنوان منهاج السنة. حول هذه المسألة أنظر "هنري لاووست": Henri Laoust, “La critique du sunnisme dans la doctrine d’al-Hilli”, REI, 34 (1966), P.35-60, “Les fondements de l’imamat dans le Minhag d’al-Hilli”, REI, 46 (1978), p.3-56, Essai sur les doctrines socials et politiques de Taki-d-Din Ahmad b. Taimiya, Le Caire, IFAO, 1939,755p وكان لهذا الجدل بين العالمين الكبيرين أصداء بقيت إلى بداية القرن العشرين.

صيدا والسيد محمد كاظم الخراساني والسيدة هبة الدين الشهرستاني في العراق[1]. على أنه يصح التساؤل هنا، هل كان يرتجي أن يتم التفاهم بينه وبينهم؟ وهو "على رأس المعجبين بإبن تيمية"، بحسب تعبير "هنري لاووست"[2]، وكان ينمّي، على مرور الزمن، ودّه المتعاظم للوهابيين، أعداء الشيعة الموصوفين. لقد كانت معتقداته وآراؤه الدينية تقف حاجزاً أمام التقريب. بل أكثر من ذلك، ففي السنوات الأولى من تأسيس المنار كان صاحبها مؤيداً للسياسة العثمانية، وكانت تواجه الشيعة بوجهين. وبذلك فإن الآراء السياسية التي كان رشيد رضا يدافع عنها، كانت تدفعه طوراً لأن يكون مع الشيعة وطوراً لأن يكون عليهم. ولذلك فإن السياسة التي كانت توحد السنّة والشيعة، كان بإمكانها أن تفرقهم أيضاً.[3]

2- العامليّون والتقريب:

كان الشيخ موسى شرارة في جبل عامل يُعدّ أباً لحركة التقريب بين السنّة والشيعة، إلى درجة أنه شُبّه بالشيخ جمال الدين الأفغاني، في مقالة نشرت في العرفان سنة 1927. يقول كاتب هذه المقالة إن الشيخ موسى شرارة كان يتحضر لإلقاء محاضرة في بيروت تهدف إلى إلغاء الإنقسام بين المذاهب إلا أن المرض أقعده في صيدا فإضطر للعودة، ثم ما لبث أن توفي بعد ذلك بقليل في 6 أيار 1927م...[4] ولا تذكر كتب التراجم عن هذه المرحلة شيئاً. إلا أن السيد حسن الصدر، وكان قد عرفه شخصياً، يروي بأنه كان يعقد المجالس مع علماء من السنّة[5].

ويقول السيد محسن الأمين إن الأمير عبد القادر قد إلتقى الشيخ موسى شرارة عند أحد أعيان بنت جبيل وكان قد مرّ بها، وقد إمتدح فضائله وعلمه وأبدى له الإحترام ولم

(1)Henri Laoust, “Le réformisme orthodoxe des “Salafiya” et les caracteres généraux de son orientation actuelle”, op, p.217
(2)Essai sur les doctrines sociales et politiques.., p. 557

(3) العرفان، مصدر سابق، المجلد 23، العدد الثاني، ص 168.
(4) العرفان، مصدر سابق، المجلد 12 العدد 5 ص 594 (كانون الأول 1927).
(5) محمد الحر العاملي، أمل الأمل، مرجع سابق، ص 405.

يعارضه في الجدال. ويضيف قائلاً إن الشيخ موسى شرارة- كلما إلتقى سنياّ، عالماً كان أم غير عالم، كان يكرّس كلامه حول الوحدة بين الطائفتين[1].

وكان من بين علماء جبل عامل الموصوفين بأنهم "آباء الإصلاح"، السيد حسن يوسف مكي، ويروي عنه التاريخ المحلي أنه كان مؤيداً للتقريب بين فروع الإسلام وكذلك بين المسلمين والمسيحيين[2] وبالفعل فقد كان الإتجاه في جبل عامل في النصف الثاني من القرن التاسع عشر يميل إلى التفاهم مع مسيحي المنطقة[3]. أما تحسس العاملّيين بالوحدة الإسلامية فقد تم عبر الصحافة منذ نهاية القرن التاسع عشر، ولا سيما بعد صدور مجلة العرفان التي دعت، منذ أعدادها الأولى، إلى الوحدة بين السنة والشيعة[4]. على أن ذلك يجب أن لا ينسينا أن صاحب العرفان كان من دعاة الوحدة العربية قبل أي شيء، وأن إنتماءه هذا كان دافعه في مواقفه المحبذة للتقريب. وقد إهتم بالقضية العربية منذ صدور مجلته، ثم عبّر عن وقوفه إلى جانب الوحدة السورية، في العقد الثالث من القرن العشرين، وفي سنة 1934 كتب قائلاً: "نحن عرب قبل أن نكون مسلمين"[5]. ولم يكن لديه أي شك في ضرورة إتفاق الشيعة والسنة للدفاع عن القضية العربية وإقامة الوحدة السورية. وكان لا ينفك يرحب بالمبادرات التي تصب في هذا الإتجاه، وكان أول الداعمين لقيام المؤتمرات والإجتماعات حول الوحدة الإسلامية.

ولذلك فإن الشيخ أحمد عارف الزين كان يرى مجلته، ولا سيما فيها باب "المراسلات والمناظرات"، تتحول، على عكس رغبته، إلى موضع لجميع الخلافات والجدل بين السنّة والشيعة. ولكن، أين لها أن تظهر في غير مجلة العرفان، إذ كان لا بد للشيعة من أن يجدوا مكاناً للرد على ما كانوا يعتبرونه هجوماً عليهم، في كتاب أو مقالة، وللتفسير والعرض والدفاع عن وجهة نظرهم. حتى أن الشيخ أحمد عارف الزين نفسه كان يحمل قلمه للردعلى كتابات كانت تشوّه التشيع، ومن ذلك مثلاً، أنه إنتقد كتاب محمد إسعاف النشاشيبي، الإسلام

---

(1) الأعيان، مصدر سابق، المجلد 10 ص 173.

(2) محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، مصدر سابق، ص 249

(3) لمرجع السابق. حول حسن يوسف مكي، والأعيان المجلد 8 إلى 61 حول عبدالله نعمة. وكان هذا الأخير قد آوى المسيحيين عنده، فهاجمه الدروز وقتلوا اللاجئين في بيته ونهبوه. وقد طالب عبدالله نعمة السلطات العثمانية في دمشق بالعطل والضرر فلم يلق جواباً. فقام أفراد الجالية الإيرانية في إسطنبول بالإكتتاب ودفعوا له بدل الأضرار.

(4) العرفان، مصدر سابق، المجلد الأول العدد 7 ص 358- 359

(5) مذكور في Silvia Nae, “Aufklarung in einem schiitischen Umfeld: die libanesische Zeitschrift al-Irfan”p.374

الصحيح، وكان في رأيه يهاجم الإسلام بإنكاره بعض المعتقدات الشيعية، كما أنه وصف مؤلفه بعدم كفاءته في الخوض في هذا الموضوع، نظراً لأنه أديب وليس عالماً[1].

وبالنتيجة فقد كانت العرفان في صيدا، الند الشيعي للمنار في القاهرة، وكانت المجلتان الوسيلتين الرئيسيتين للحوار الصاخب الذي كان يدور بين المذهبين الأساسيين في الإسلام. أما للشيخ أحمد عارف الزين فكان يعتبر نفسه بحق أحد المحرضين على هذا الحوار، والإعتراض الذي أظهره على جماعة التقريب[2]، لا يندرج في خانة الملل الناتج عن المناظرات التي لم يكن لها نهاية فحسب، بل كذلك لأنه كان ممتعضاً من عدم إشراكه في أعمالها بالقدر الكافي، كما يلاحظ "رينر برونر". وقد أقلع الشيخ أحمد عارف الزين عن تحفظه هذا بعد أن أصبح الشيخ محمود شلتوت (1893-1963)م شيخاً للأزهر سنة 1958 فقامت بينهما مراسلات عديدة[3].

وقد إشتهر العديد من العامليين غيره بالتقريب. ومنهم الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر، وكان محركهما، هما ايضاً، قبل كل شيء، إلتزامهما بالقومية العربية، فشاركا في كثير من الإجتماعات بينهم وبين السنة، أكان ذلك للمطالبة بالوحدة السورية، أم لتنظيم الإتحاد بين المسلمين. وقد تصديا كذلك لكتابات المؤلفين السنّة ممن كانوا يظهرون التشيّع بمظهر لا ينطبق على حقيقة عقيدته. وهكذا فإن الأدباء لم يكتفيا بنشر رسالة مفتوحة إلى النشاشيبي، في حمأة الجدل الذي أثاره كتابه، يفندان فيها ما جاء فيه من آراء، بل إنهما إحتجّا لدى الشخصيات التي كان عليها، برأيهما، أن ترد بإسم الوحدة بين المسلمين، ومن هذه الشخصيات: مفتي القدس السيد أمين الحسيني، والسيد محمد ضياء الطباطبائي، وهما على التوالي: رئيس المؤتمر الإسلامي، وأمين لجنته الدائمة[4]. والواضح أن الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر كانا أكثر ما يعولان على المؤسسات التي كان المسلمون

---

(1) العرفان، المجلد 26، العدد 7، ص 541-542 (كانون الأول 1935).

(2) أسس جماعة تقريب المذاهب سنة 1947 في القاهرة، محمد تقي القمي، وهو شيعي من إيران. وكانت الجمعية تنظم لقاءات ونقاشات بين العلماء ورجال الأدب من جميع المذاهب بهدف تنشيط الحوار والوصول إلى التفاهم بين فروع الإسلام جميعاً. وكان للجمعية معهد إسمه "دار التقريب، ومجلة إسمها رسالة الإسلام.

(3) Rainer Brunner, Annaherung and Distanz. Schia, Azhar und die islamische Okumene im 20. Jahrhundert, Klaus Schwarz Verlag, Berlin, 1996,p.153-154

(4) أنظر الرسائل والردود عليها وقد نشرت تحت عنوان "حول كتاب كتاب الإسلام الصحيح"، في العرفان، المجلد 26، العدد 8، ص 619-623 (كانون الثاني 1936).

يقيمونها من أجل الحوار وتثبيت التحالف فيما بينهم، وذلك أكثر من تعويلهما على النقاس العقدي.

ولئن تابعنا الكلام على كتاب النشاشيبي فإننا نجد عالمين عامليّين آخرين نشرا مقالتين في عدد العرفان نفسه، يفندان فيهما آراء الكتاب، وهما: عبدالله الحرّ، ومحمد جابر آل صفا[1]. وقد شارك العلماء والأدباء الشيعة في جبل عامل، على النحو نفسه، في مناظرات وجدالات، رداً على كتابات للسنّة، في العرفان في أغلب الأحيان، وأحياناً في غيرها من المجلات.

أما التقريب نفسه، فكان يتم على نحو متكتّم أكثر من الخطابات الرنّانة بل المنطوية أحياناً على الحقد، التي كانت تغذي الجدل القائم بين السنّة والشيعة. كان التقريب يتم إمّا في الإجتماعات السياسية حيث كان يختلط الوطنيون من جميع الطوائف، أو عبر الإتصالات الشخصية والزيارات التي كان العلماء يتبادلونها، أو في المناسبات العامة. ومثال ذلك أن عبد الحسين صادق ألقى مجموعة من المواعظ في المسجد الكبير في صيدا سنة 1922م، واقام حواراً مع الجمهور على شكل سؤال وجواب، حول الإسلام والمسلمين والفروق بين الشيعة والسنّة[2]... وقد كتب، هو نفسه في قصيدة موجهة إلى صديق له من السنّة.

متى يرى ناظري السنيّ معتنقَ	الشيعيّ قدّاً فقدّاً في المؤاخاةِ
فيما إختلافكمُ والدين وحّدكمْ	أسَوَّغَ الدينُ تلك الإختلافاتِ[3]

وبالنتيجة، فإن الجهود التي قام بها دعاة الإصلاح العامليّون الذين عاصروا سقوط الدولة العثمانية وإنخرطوا في نهج العروبة ثم في نهج الوطنية، مناضلين في وجه الإنتداب الفرنسي، قد جنوا ثمارها شيئاً فشيئاً. ولقد كان قيام لبنان الكبير، ثم الإعتراف الرسمي بالطائفة الجعفرية سنة 1926م، بداية لقيام مرحلة جديدة في حياة الشيعة. فقد أصبحت صلاتهم بالسنّة، غير متشنجة، وإعتادوا على العمل معاً في مشاريع ملموسة. وقد تم التقريب

---

(1) "شقشقة النشاشيبي" العرفان، المجلد 26، العدد 8، ص 624-628، والمقالة بتوقيع الحر، هي على ما أظن، من تأليف عبدالله الحر (ت 1949) وهو مجتهد من جبع كان قد درس في النجف ثم إستقر في بلدته. أنظر نقباء البشر المجلد 3 ص 1202- 1203. أما مقالة محمد جابر آل صفا فعنوانها "الإسلام الصحيح"، العرفان، المجلد 26، العدد 10، ص 776-778.

(2) العرفان، المجلد 7، العدد 8 ص 509 (أيار 1922 م).

(3) عبد الحسين صادق، سقط المتاع، الجزء الأول، المطبعة العصرية، صيدا، (ب – ت)، ص 150

أيضاً في الإتجاه الآخر، فغيّر السنّة موقفهم، وأشركوا الشيعة في تظاهراتهم المتعلقة بالوحدة الإسلامية، أو دعوهم للإنخراط معهم في إتجاهات سياسية مشتركة. وهكذا فقد قام بعض العلماء السنّة بزيارة جبل عامل، بمناسبة الإحصاء سنة 1932، لإقناع الشيعة بأن يُسجّلوا على أنهم مسلمون وذلك لكي يشكّلوا أكثرية إسلامية، تطالب "بحقوقهم المهدورة"[1].

وقد شهد الضابط الفرنسي الذي قدّم هذا التقرير إلى سلطات الإنتداب، على تطوّر المواقف الذهنية بهذا الخصوص، ولا سيما لدى الشباب، إذ كانوا يرتادون المدارس نفسها ويقرأون الصحافة نفسها، قد اصبحوا برأيه أقل "تصلباً" من الجيل الذي سبقهم ولذلك فقد كان الشيعة ينتمون إلى جمعيات الشباب السنة[2]. وقد برز منذ بداية العقد الرابع من القرن العشرين، أحد رجال الدين العامليين، في مسألة التقريب هذه، وهو السيد حبيب آل إبراهيم، وكان قد إستقر في بعلبك سنة 1932م. وكانت أولى مبادراته في هذا الإتجاه أن نشر كتاباً قدّمه على أنه كُتب بهدف تقريب الفروق وإظهار النميمة والكذب وتوضيح المسائل الغامضة فيما يختص بالتشيع[3].

وقد صدر الجزء الأول من الكتاب بعنوان الحقائق في الجوامع والفوارق، سنة 1937م وقدّم له السيد محمد حسين آل كاشف الغطاء، وكان مكرساً للأصول. أما الجزء الثاني الذي صدر بعد ذلك بعامين، فقد تناول الفروع، موضحاً، مثل سابقه، نقاط الإتفاق ونقاط الإختلاف بين الفرقتين[4]. وقد ألّف هذا الكتاب بأسلوب محايد، تعليمي، ولو أنه إستعاد بعض المؤلفين السنّة من قدماء ومحدثين للرد عليهم. وقد إمتنع السيد حبيب آل إبراهيم من الدخول حتى ولو كان أقر بأن أقرانه العامليين من أنصار التقريب، قد ردوا،

---

(1) Archives MAE, fonds Beyrouth, carton n 1664, Bulletin d’information hebdomadaire, poste de Tyr, BIH n. 3 du 13/1 au 20/1/1932, p.8

(2) Tbid, BIH n 25 du 15/6 au 22/6/1932, p.7.8, carton n 456, cabinet politique, dossier: revendications de la communaute chiite, “Les Chiites”, note de Z. Pechkoff (1932?)

(3) حبيب آل إبراهيم، الحقائق في الجوامع والفوارق، الجزء الأول، الطبعة الثانية، مطبعة آل إبراهيم، بعلبك 1375 هـ /1956 م ص 11

(4) المرجع السابق الجزء الثاني الطبعة الأولى، مطبعة العرفان، صيدا 1358هـ/ 1939م، 192 ص.

بشدة أو بلين، على ما كانوا يعتبرونه جهلاً بالتشيع، أو تجريحاً فيه، أما هو فقد سكت عن ذلك[1].

تابع السيد حبيب آل إبراهيم أعمال جماعة التقريب، عن قرب، وإستعاد مقالات صدرت في مجلتهم رسالة الإسلام، في مجلته التي كان يصدرها منفرداً بلا معين تقريباً: الإسلام في معارفه وفنونه، ونشر فيها أيضاً أنظمة جماعة التقريب الأساسية. وقامت بينه وبين الجمعية مراسلات كان يعرض فيها آراءه وأفكاره. كذلك فقد إقترح إقامة نظام لتعليم الفقه مرتبط بأصول الفقة الأربعة، بدلاً من إرتباطه بالمذاهب الفقهية، ثم إنه نظّم في تموز سنة 1947 إجتماعاً في بعلبك ألقى فيه خطاباً عن جماعة التقريب وعن ضرورة التقريب بين المذاهب الإسلامية[2].

سأكتفي ببعض المعلومات تحت تاريخ الشيخ محمد جواد مغنية في هذه الدراسة[3]، فإنه كان من المجتهدين العامليين، أكثرهم إلتزاماً بأعمال جماعة التقريب. وقد أصبح من بين كتاب مجلتها الأكثر إنتاجاً، واجتهد فيها لإظهار وجهة النظر الشيعية ولتشجيع التفاهم المتبادل بين الفرق[4].

وقد أنتج الشيخ محمد جواد مغنية، إضافة إلى ذلك، كتابات عديدة ودعا إلى موقف فريد من التقريب، مما حمل الراحل الشيخ محمد مهدي شمس الدين (1936-2001م) الرئيس السابق للمجلس الإسلامي الشيعي، على القول إنه قام بعمل المؤسس في هذا المجال. أما في المرحلة، موضوع الدراسة، فقد برز من بين العلماء الذين تابعت مسيراتهم إثنان في العمل على التقريب، كل منهما على طريقته. وهما طبعاً: السيد محسن الأمين والسيد عبد الحسين شرف الدين. ولسوف نتفحص على التوالي أقوالهما في هذه المسألة.

(1) على أنه كان ينشر أحياناً ردوداً في هذه المجلة ومنها مثلاً مقالة عبد الحسين نور الدين في الرد على فجر الإسلام لأحمد أمين.
(2) حسن نصرالله، تاريخ بعلبك الجزء الأول، ص 118-122.
(3) لئن عبّر محمد جواد مغنية عن أفكاره، ولا سيما في الصحافة، فإنه من المستحيل علينا هنا، أن نحيط بإنتاجه الغزير وبمسيرته الغنية بالتطورات المتصلة بحركة الإصلاح.
(4) حول محمد جواد مغنية وجماعة التقريب أنظر Rainer Brunner, Annatherung und Distanz,p.149-150

ثامناً: السيد محسن الأمين:

- التقريب في الحياة اليومية في دمشق

قال السيد محسن الأمين للشيخ جعفر الخليلي، وقد زاره في حارة الخراب في دمشق أواخر العقد الرابع من القرن العشرين، إنني رجل أؤمن بالعمل. وحين وصلت إلى دمشق لم يكن للعمل قيمة، فعملت ما بوسعي للتأليف بين القلوب والكتابة والعمل على الوحدة... وكانت دعوتي عملية، نعم، عملية . ونستفيد من بقية مذكرات الأديب العراقي أن مجتهدنا كان قد إستقبل في دمشق أحد رسل الوحدة بين المذاهب الإسلامية. العالم النجفي السيد عبد الكريم الزنجاني. وكان هذا الأخير قد إقترح أن يلقي كلمة في الجامع الأموي، فخشي السيد محسن الأمين، وكان يحذر الخطب والكلمات، من أن يكون في هذا التدخل إنقسام بين المسلمين بدلاً من إجتماعهم. غير أنه إرتاح بعد أن سمع عظة السيد عبد الكريم الزنجاني[1].

وتظهر لنا هذه الرواية، على كل حال، أن السيد محسن الأمين كان يخشى أن ينهار البناء الذي أمضى سنوات عديدة في إقامته، بسبب سوء تصرف بسيط، فقد كان هذا البناء- أي الوحدة بين المسلمين- من الهشاشة بمكان. وهو يلخّص في مكان آخر، نهجه في مسألة التقريب: إختيار الأعمال اليومية بدلاً من الخطابات الحاسمة التي قد تؤذي السامعين.

والأمثلة على تطبيق التقريب في حياة السيد محسن الأمين اليومية متعددة. منها أنه كان يصر على أن يتم الأذان في حارة الخراب على الطريقة السنيّة وليس على الطريقة الشيعية، أكان ذلك في مسجد الحارة أم في المدرسة. حتى أن مؤذن المدرسة، علي قضماني، كان سنيّاً. ويروي أحد قدامى المدرسة أن السيد محسن الأمين أحرق كتاباً، كان قد اطلعه عليه، لأن فيه ما يغمز من قناة عمر والصحابة ثم أهداه بدلاً منه كتابين من مكتبته[2].

وإنك ما إن تذكر السيد محسن الأمين لأحد شيعة دمشق، حتى يأتي بسرعة على ذكر جهود مجتهدنا في محاربة التعصب. وما زالت تلك الحادثة ذات المغزى العميق في روح

---

(1) جعفر الخليلي، هكذا عرفتهم، الجزء الأول، ص 218. وكان عبد الكريم الزنجاني يعتبر نفسه حامل راية التقريب من جهة الشيعة. وكان قد أمضى شهرين في مصر سنة 1936، وأقام الصلات بينه وبين مصطفى المراغي (1881-1945) وكان شيخ الأزهر في تلك الفترة.

(2) العرفان، المجلد 39 العدد 7 ص 802- 805 (حزيران 1952).

التقريب لدى السيد محسن الأمين، تُروى إلى اليوم، مشافهة وفي السير المكتوبة، كلّ يرويها بطريقته مفصّلاً هنا ومختصراً هناك، إلا أن لبّ الموضوع لا يتعدى الكلمات القليلة، وهو أن إكتفى بالطلب من أحد السنة، وقد أراد أن يتشيع على يديه، أن يقرأ الشهادة، وهي مشتركة بين السنة والشيعة[1]. وكان يعني بذلك أن لا فرق بين المذهبين الإسلاميين.

وكان السيد محسن الأمين يخالط رجال السياسة من السنّة، وكانوا في معظمهم من المنخرطين في تيار القومية العربية، وكان له، على ما يظهر، تأثير على البعض منهم. وكان على صلة برجال الأدب من أمثال عبد القادر المغربي ومحمد كرد علي وبعلماء الدين السنّة من أمثال الشيخ جمال الدين القاسمي، وكان في أول أمره من كتاب مجلة العرفان، ولعلّ ذلك كان عن طريق السيد محسن الأمين[2]، وعبد الرزاق البيطار ومحمد بهجت البيطار وكامل القصاب[3]. وكان قد إلتقى سليم البخاري (1852- 1927) قبل أن يستقر في دمشق بزمن طويل، إذ كان قد إمتحنه بإعتباره من رجال الدين لكي يُعفى من الخدمة العسكرية في العهد العثماني. وقد أصبح الشيخ سليم البخاري من دعاة العروبة المؤمنين بها وعُيّن بعد ذلك رئيس العلماء في عهد فيصل، ولا بد أن يكون السيد محسن الأمين قد عاد فقابل رجل الإصلاح هذا الذي عرف الإمام محمد عبده، وكان يقبل بالأحاديث التي ترويها المذاهب الإسلامية الأخرى من خوارج وشيعة إمامية[4]. وكان السيد محسن الأمين قد إرتبط بصداقة حميمة بعبد المحسن الأسطواني (1859- 1963)، يعود تاريخها على الأغلب إلى الفترة التي كان فيها هذا الأخير إماماً لمسجد البزورية القريب من حارة الخراب، أي قبل سنة 1908م، ثم إنه قام بوظائف دينية وسياسية مختلفة، وكان العالمان غالباً ما يلتقيان ويناقشان مواضيع العلوم الدينية بسكينة[5].

---

(1) وهي شهادة أن "لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله"، ويضيف عليها الشيعة "وأن علياً وليّ الله"، وهو الجزء الذي لم يطلب محسن الأمين ذكره من طالب التشييع. أديب الروماني يرويها في كتابه سيرة وتاريخ، ص 653- 655

(2) العرفان، المجلد 4 العدد 7 ص 227، والعدد 9 ص 389 – 392

(3)J.H. Escovitz, “He was the Muhammad ‘ Abduh of Syria. A Study of Tahir al- Gazs’iri and his influence”, p 293-310, David Commins, “Abd al- Qadir al- Jaza iri and Islamic Reform” MW. 78/2 (avril 1988).p. 121-131

(4) مجلة المجتمع العلمي العربي، المجلد 9 (1929)، ص 742- 598، David Commins, IslamicReform, p.69 وكان سليم البخاري قد اصدر فتوى سنة 1921 يدعو فيها السنة والشيعة إلى الإتحاد، وقد أعلن أنهما يتبعان الدين الواحد ويؤلفان جسماً واحداً. أنظر: العرفان، المجلد 7، العدد 2 ص 125- 126

(5) الحافظ وأباظة، تاريخ علماء دمشق، المجلد الأول، ص 636، وص 770- 773

كان السيد محسن الأمين إذن، معروفاً في الوسطين الديني والأدبي في دمشق، بعقله المنفتح على التقريب، وبجهوده المبذولة في سبيله. وقد أراد محمد كرد علي، رئيس المجمع العلمي العربي، أن يصوره بوصفه من رجال التقريب، فأورد "النصيحة المهمة" التي أعطاها السيد محسن الأمين لأبناء طائفته في مقدمة كتابه أعيان الشيعة، مستشهداً بها مرتين: "... وأنتم أيها الإخوان الشيعيون عليكم أن تعلموا بما أمركم به أمامكم إمام أهل البيت (ع) جعفر بن محمد الصادق (ع) من التحبب إلى إخوانكم السنّة من زيارتهم والصلاة في جماعاتهم وتشييع جنائزهم وعيادة مرضاهم وتجنب كل ما يوغر صدورهم[1]. كما أن السيد محسن الأمين بنفسه، قد ذكر، في المذكرة التي تقدم بها إلى المجمع العلمي، ما بذل من جهد في تقليص ما قام من سوء تفاهم بين المسلمين وفي التقريب بينهم، منوهاً بأن هذه الجهود قد أثمرت[2].

ومما لا شك فيه، أنّ العمل الذي قام به السيد محسن الأمين في رعيته، إذ كان يمحضهم عصارة نصحه يوماً بعد يوم، أو في المدرسة التي أسسها، وكذلك المثال الذي كان يعطيهم إياه بنفسه، في سلوكه تجاه السنه، ناهيك عن طريقة تنظيمه للعقيدة الشيعية والحرص على إقامة شعائرها- في مجالس ذكرى إستشهاد الإمام الحسين (ع) على الأقل- كل هذا قد أسهم في أن يسهل التقريب من السنة- وحسّن الصورة السلبية، في بعض نواحيها، التي كانت في أذهانهم عن الشيعة.

أضف إلى ذلك أن السيد محسن الأمين قد رفض في عهد الإنتداب الفرنسي أن يختص الشيعة بالشرع الجعفري في سوريا، مفضلاً أن تبقى طائفته الشيعية خاضعة للشرع الذي يخضع له السنة. والنتيجة كانت بخروج الطائفة الشيعية من عزلتها، ولو بالقدر القليل، وإكتساب الإحترام والمكانة المرموقة. ولقد كان رئيس الجمهورية، شكري القوتلي (1891-1967) حينما يقيم إفطاره في رمضان، يُجلس إلى جانبيه مفتي السنّة والسيد محسن الأمين.

---

(1) محمد كرد علي، المذكرات، مرجع سابق، المجلد 3 ص 774، المجلد 17 (1952) ص 620

(2) مجلة المجتمع العلمي العربي، المجلد 17 ص 622. ونذكر أن التقريب الذي دعا إليه محسن الأمين، ولئن كان يتوجه بفي لمرتبة الأولى إلى السنة، فإنه لا يقتصر عليهم بل تعداهم إلى غيرهم من فروع الإسلام ولا سيما العلويين وكذلك إلى أصحاب الكتاب. وتروى عنه حوادث في هذا الموضوع. ومنها مثلاً أن محسن الأمين كان يزور رجال دين مسيحيين، كما أنه حظر على أحد المؤذنين إقامة الآذان لأن المئذنة كانت تقع في مقابل بطريركية الروم.

ويذكر العديد من المؤلفين الرسميين المقربين من مفتي الجمهورية العربية السورية الشيخ أحمد كفتارو، ما قدمه السيد محسن الأمين في مسألة التقريب، ممتدحين تسامحه، ومعتبرين أنه كان "نموذجاً في الوحدة والإتحاد". ومن المرجح أن تكون قد قامت بينه وبين الشيخ أحمد كفتارو في أواخر حياته، محاورات كانت تهدف إلى "تأليف القلوب" والحد من الخلافات[1] . وخاتمة أعمال السيد محسن الأمين، وأكبرها في سبيل وحدة المسلمين كانت، برأي هؤلاء المؤلفين، رفضه إقامة المحاكم الشرعية الخاصة بالشيعة. وذلك يعني أن التاريخ الرسمي قد إستعاد شخصية السيد محسن الأمين لتحقيق رؤيته لتاريخ الأفكار الدينية المعاصرة.

ويزيد في العجب من ذلك أن السيد محسن الأمين لا يرد ذكره في كتابات السنة التي قرأناها، ولا سيما في كتب التراجم المتعلقة بعلماء دمشق، والإستثناء الوحيد كتاب صدر سنة 1986م وله مجلد ملحق به صدر سنة 1991م، وهو لا يكتفي بذكر العلماء السنة بل الشيعة أيضاً، مثل السيد محسن الأمين، والعلويين. والملاحظ أن مؤلف التراجم المخصصة للوافدين الجدد، هو نفسه شيعي وإسمه سعيد الطريحي[2].

والواضح أن في مبادرة المؤلفين هذه، هدف سياسي، لأن إقحام العلماء الشيعة والعلويين في مثل هذا النوع من الكتب هو، من جهة، نوع من الإعتراف بهؤلاء العلماء، ومن جهة ثانية، إدخال الطائفتين الإمامية والعلوية في الأمة. على أن القاعدة العامة تُقصي العلماء الشيعة ومنهم السيد محسن الأمين من المصادر السنية.

وقد إنعكس هذا الغياب، بصورة طبيعية، على دراسات المستشرقين. ولذلك فإن "دافيد كومين"، في كتابه عن حركة الإصلاح في سوريا لا يقوم إلا بإشارة مقتضبة إلى عالم شيعي كان قد جاء إلى دمشق سنة 1910م، حتى أنه لا يذكر إسمه[3].

---

(1) أنظر، الشيخ كفتارو ومنهجه في التجديد والإصلاح، دار الشيخ أحمد كفتارو، دمشق، 1996، ص 161- 162. وأنظر أيضاً، محمد حسن الحمصي، الدعاة والدعوة الإسلامية المعاصرة المنطلقة من مسجد دمشق، دار الرشيد، دمشق ومؤسسة الإيمان بيروت، 1991، المجلد الأول ص 503 وما بعدها.

(2) الحافظ وأباظة، تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، دار الفكر، دمشق، 1986 جزءان وجزء للمستدرك، 1991، وسعيد الطرنجي كاتب سوري من أسرة أصلها من النجف، ويصدر في أوروبا المجلة الشيعية الموسم.

(3) أنظر Islamic Reform،84. على أن غياب محسن الأمين في كتاب "كومين" اقل عجباً من غياب عبد القادر المغربي (1867- 1956).

تاسعاً: السيد عبد الحسين شرف الدين والتقريب

أما السيد عبد الحسين شرف الدين فقد إلتقى الشيخ رشيد رضا مرات عديدة، وقد إتفقا على ضرورة التصالح بين فرعي الإسلام الأوليين، اللذين كانا قد فرّقتهما السياسة، برأيهما، ولسوف تجمعهما السياسة[1]. وهذه المفارقة هي الأبسط في موقف مجتهد صور من التقريب. ففيما لم يلق السيد محسن الأمين، وهو الزاخر بحسن النوايا، الصفح لدى صاحب المنار، توصّل السيد عبد الحسين شرف الدين، مع أن مسعاه كان يبدو أعقد، وحماسته أقل من حماسة سابقه، إلى إقامة الحوار معه.

والحق أن السيد عبد الحسين شرف الدين لم يعمل على إخفاء الفروق ولا على تمويه الخلافات، بل كان يعترف بها كاملة، بل ويشدّد عليها جهاراً. ومع ذلك فإن جميع الأدلة تحملنا على الإعتقاد بأن مجتهدنا كان يفضل، بدلاً من المجابهة في الجدال، وفيها خطر دائم في تعكير الجو بين المتجابهين، أن يعرض وجهة النظر الشيعية فلا يتوجه إلى محاور قد يعارضه فيها. ويوضح السيد عبد الحسين شرف الدين بأنه ردّ في رسالته حق اليقين، وهي في الدعوة إلى الأتحاد بين المسلمين، على مقالة نشرها عبد القادر المغربي في العرفان في شباط سنة 1914م، يهاجم فيها الإمامة. على أن العرفان قد نشرت في العدد اللاحق، مقالة للسيد عبد الحسين شرف الدين يثبت فيها إمامة علي (ع)[2].

ولئن كانت آراء السيد عبد الحسين شرف الدين حول التقريب تبدو متناقضة، فإن مواقفه السياسية، بالنظر إليها عن قرب، كانت كذلك. فهو قد شارك، بالتأكيد في ثورة الشيعة التي ناصرت فيصل وواجهت قيام الإنتداب وإعلان لبنان الكبير سنة 1920م. إلا أنه ما لبث أن قلب ظهر المجن، فقد كفّ، بعد عقد من الزمن، عن التبشير بالوحدة، وأظهر عن موقف شديد النقد للوحدويين، وكانوا ما يزالون يطالبون بإلحاق جبل عامل بسوريا.

ومع ذلك إستطاع السيد عبد الحسين شرف الدين أن يشهر نفسه على أنه بطل التقريب بين المذاهب، لدى معاصريه من السنّة والشيعة، ولدى الأجيال اللاحقة، وذلك

---

(1) المنار، المجلد 31، العدد 4، ص 292 (تشرين الأول- 1930م)، والمنار، المجلد 32، العدد 2، ص 147 (شباط 1932).
(2) "ثبوت الإمامة لعلي بنص الكتاب"، العرفان، المجلد 5، العدد 5، ص 164- 167

بواسطة بعض الكتابات التعظيمية التي كانت تصوره على أنه بطل الوحدة، فلنتفحّص الأسس التي قامت عليها هذه الصورة.

كان السيد عبد الحسين شرف الدين يتقن علم الحديث إتقاناً تاماً، كما ورد عند السنّة وعند الشيعة على حد سواء ويزيد ذلك في التقدير، إذا ما علمنا أن هذا الأمر كان مهملاً في الأوساط الشيعية في ذلك الحين. لذلك فإن السنّة لا بد وأنهم كانوا يعجبون بمعرفته بالحديث، وكان قد إكتسبها، على ما نظن، في أثناء دراسته في العراق، ثم في أثناء إقامته في القاهرة في أوائل العقد الثاني من القرن العشرين، وكان من عادة عبد الحسين شرف الدين أن يبني حججه بالرجوع إلى أحاديث السنّة، مهما كان موضوع كلامه، ثم يأتي بأحاديث الشيعة. حتى أنه في مؤلفاته المختصة بالشيعة كان يعمد إلى هذه الطريقة أيضاً[1]، فهل كان ذلك أسلوباً في الكتابة أم أنه مبدأ في التقريب، يجهد في تطبيقه على الدوام؟ وعلى كل حال، فإنه، في المؤلفات المصنفة في باب التقريب، تكون الغلبة لوجهة النظر الشيعية، مما يعطي إنطباعاً بأن المؤلف قد أثبت عن قدرته في بزّ خصمه بسلاحه.

ويندرج هذا النهج المقصود، في تصوّر السيد عبد الحسين شرف الدين لمبدأ التقريب بين الفرق. فقد كان له، على الرغم من كل التناقضات الظاهرة في مواقفه وكتاباته، تصوّر شديد الخصوصية، عالجه في نصوصه، ودعا إليه في جميع مؤلّفاته من أوّلها إلى آخرها، ولا سيما في كتابين في باب التقريب.

وقد نشر السيد عبد الحسين شرف الدين، بين أعوام (1912 – 1956م) تصورّه الواحد للتقريب القائم على إظهار الفروق بدلاً من التقليل من قيمتها. والملاحظة الوحيدة، أنه بين بداية عهده ونهايته، توطّدت مواقفه وإشتدت. وكان مجتهدنا على ثقة من نفسه في ذلك، فنشر، بين هذين الكتابين المتشابهين المراجعات، وهو نوع من "الحوار" النموذجي بين الفرقتين ينتصر في التشيع، ولم يثر هذا الكتاب ردود السنّة عليه. وهو ينهي معرفتنا بالتقريب بين الفرق كما كان يتصوره عبد الحسين شرف الدين.

---

(1) كما في المجالس الفاخرة، هو كتاب موجّه إلى الشيعة

وقد عرفت المراجعات، بعد صدورها عن مطبعة العرفان سنة 1936م، نجاحاً كبيراً لدى الجمهور الشيعي، فأعيد طبعها عدة مرات في لبنان والعراق، ثم ترجمت إلى الفارسية منذ أوائل العقد الخامس من القرن العشرين، وإلى الأردية بعد ذلك بعشر سنوات ثم إلى الإنكليزية والفرنسية.

وقامت الجمهورية الإسلامية في إيران، بعد ثورة سنة 1979م، بإستعمال هذا الكتاب في الترويج لمبادئها، فأطلته بذلك من جديد، إلا أنه بقي غير معروف في الأوساط السنيّة إلى العقد التاسع من القرن العشرين، فما إن وضعته الدعاية الإيرانية في الواجهة، حتى أصبح هدفاً للنقاد. فشككّوا، بالتلميح والتصريح، في صحّة نسبته. ومن البديهي أن المراجعات ليست حواراً تبادله السيد عبد الحسين شرف الدين والشيخ سليم البشري، شيخ الأزهر، كما هو وارد صراحة في ما أضيف من مقدمات على الكتاب.

وقد أثبت ذلك "رينر برونر" في دراسة حول حركة الوحدة الإسلامية في الأزهر في القرن العشرين. وتؤكد أبحاثنا على ذلك. ولقد إكتفى السيد عبد الحسين شرف الدين في الطبعة الأولى في مقدمة مقتضبة، بذكر تبادل الآراء بينه وبين أحد كبار العلماء المصريين. وكانت مجلة العرفان قد نشرت عرضاً مقتضباً للكتاب، حدّدت فيه أن الأمر يتعلق بحوار جرى بين المؤلّف والشيخ سليم البشري وغيره من رجال الدين، ثم ظهر إسم الشيخ سليم البشري لأوّل مرة في الكتاب نفسه على يد السيد مرتضى آل ياسين في مقدمة كتبها للطبعة النجفية للمراجعات.

في سنة 1929م اشار السيد عبد الحسين شرف الدين إلى مخطوطه فقدت، مع غيرها من المخطوطات، في الحريق الذي أحدثه الفرنسيون في بيته سنة 1920م، وعنوانها المناظرات الأزهرية والمباحثات المصرية[1]. وفي سنة 1934م ذكر أحد رجال الدين العامليين الرسائل الأزهرية، في معرض إمتداح قدرات السيد عبد الحسين شرف الدين في الرد على كُتّاب السنة[2] فأما العنوان الأول الذي ذكره المؤلف فيوحي بمحاورات شفهية،

---

(1) العرفان، المجلد 17، العدد 2، ص 174-176 (شباط 1929)، ويلاحظ "رينر برونر" أنه في الفترة نفسها تقريباً، في الطبعة الثانية للفصول المهمة، كان عبد الحسين شرف الدين قد أعلن عن قرب صدور المراجعات.
(2) محمد أمين شمس الدين، الضمير البارز، الجزء الأول، ص 17.

وأما العنوان الثاني فيوحي برسائل مكتوبة ثم إنه بعد أن طُبع أصبح المراجعات، مما يوحي بإحتمال تبادل للآراء، ويتضمن معنى سياق الدرس والبحث، إلا أنه لا يحتوي على ما يدل على طريقة النقاش المتبعة فيه. ويكشف المؤلف بعض الغموض إذ يشير إلى أن المتحاورين قد قررّا، بالإتفاق المشترك أن يتقدم السنيّ بأسئلته كتابةً وأن يردّ عليه الشيعي بالطريقة نفسها. معللاً إجابته بالبراهين العقلية والنقلية[1]. وعلى أي حال، فقد ظهرت المخطوطة المفقودة، بين سنتي 1929م و 1934م وكانت متداولة ومقروءة، ثم نشرها السيد عبد الحسين شرف الدين سنة 1936م، إلا أنه ترك بعض الشك وعدم الدقة يحومان حول ظروف تأليفها. وقد إرتفع ذلك جزئياً بعد أن نشرت مذكراته.

وقد إكتسب السيد عبد الحسين شرف الدين بفضل المراجعات صورة نصير القضية الشيعية لدى أبناء مذهبه. وكان، في الوقت نفسه، يعيد لهم صورة عن التشيع، أي عن أنفسهم، أفضل قيمة مما كانوا يعهدون. فليس من الغريب إذن، أن ينال الكتاب حظاً كبيراً من النجاح، وأن لا يفكر أحد، من الطائفة الشيعية، في أن يشكك في صحته- على الملأ في أقل تقدير[2].

إن الأزهر أدرج حياة السيد عبد الحسين شرف الدين ومؤلفاته في مواد كلية الشريعة، وكان عميدها الشيخ محمد المدني من جماعة التقريب[3]. والحق أن عالمنا الشيعي كان يتمتع بسمعة حسنة لدى هذه الجماعة، وكانت له معها صلات منذ إنشائها، حتى أن الشيخ محمود شلتوت قد ذكره بين ثلاثة من الشيعة الذين أولوه ثقتهم. وقد أسهم فيها إسهاماً عارضاً، إلا أنه متين، يناسب رؤيته للعمل المطلوب للتقريب بين فروع الإسلام، وهو: شرح المذهب الشيعي، وجعله مقبولاً على قدم المساواة مع المذاهب السنية الأربعة[4].

ليست الإحاطة بفكر السيد عبد الحسين شرف الدين أمراً سهلاً. لم ينفك عن الدفاع عن التشيع، وعن إمتدادح فضائله بكل حماسته وكل قدرته على الإقناع. والواقع أنه في خدمة دينه كان وخدمة طائفته.

---

(1) السيد عبد الحسين شرف الدين، المراجعات، مصدر سابق، ص 77.
(2) لم أجد في أي دراسة صادرة في لبنان أي عبارة تدل على الشك في المراجعات أو الإنتقاد إزاءها
(3)Rainer Brunner, Annatherung und Distanz, p. 149
(4) "رينر برونر" في الكلام على مساهمة عبد الحسين شرف الدين، المرجع السابق، ص 147 - 149

استنتاج الفصل الثاني:

إن موضوع هذه الأطروحة منصب موقف لهؤلاء العلماء، كذلك على أعمال بعض الأدباء الذين درسوا في المدارس العاملية التقليدية، وقد أسهمت كتاباتهم وأفعالهم في عملية الإصلاح وفي محاولة تنظيمه، أكان ذلك في مجال التعليم أم في المجالات السياسية والدينية: أحمد عارف الزين، مؤسس مجلة العرفان، وأحمد رضا وسليمان ظاهر ومحمد جابر آل صفا. وكان هؤلاء الرجال من علماء وأدباء، تحدوهم رغبة واحدة في تحسين مجتمعهم بواسطة نشر العلم والمعارف فيه، وكانوا يتوقون إلى إصلاح أمور الدين بتنظيم ممارساته وإخضاعها للعقل: وكانت تُحرِّكُهم عقيدة واحدة بالمُثُل والأفكار السياسية، ومنها، الوحدة الإسلامية والوحدة العربية، على سبيل المثال.

وكانوا يبحثون عن الوسيلة التي تُخرج جبل عامل من عزلته، لكي يتخذ مكانه في كيان سياسي عريض ويحافظ، في الوقت نفسه، على خصوصياته، وكانوا يطمحون إلى التعريف بطائفتهم الدينية لكي تتبوأ مكانها في الأمة بين غيرها من الطوائف. وكانوا، على الرغم من تعلقهم الشديد بأرضهم العاملية، يتماهون بالأمة العربية، إذ كانوا يأملون بإيجاد زعيم سياسي فيها، وبالطائفة الشيعية، إذ كان زعماؤها الروحيون في النجف يجسدون في نظرهم السلطة الدينية العليا.

ومع ذلك كان موقع العلماء مختلفاً إختلافاً جذرياً عن موقف الأدباء. فقد كانت جذور العلماء متأصلة في مجتمع تقليدي يقوم بأودهم، أما الأدباء، وكانوا من أسر من صغار التجار، فكان وضعهم الإجتماعي مزعزعاً . وهذا ما يفسر غلبة المسلك المتأني العملي لدى الأولين، وتحفز الأخيرين ومسلكهم الإرادي. وينتج عن هذا الوضع أيضاً، موقف إجتماعي محافظ لدى العلماء (أكان ذلك على صعيد الموقف من السلوك الجنسي وموقع المرأة، أم في المجالات الإقتصادية والإجتماعية).

وكان السياق الذي تطورت فيه حركة الإصلاح العاملية هذه، هو الفوضى التي احدثها إنهيار الدولة العثمانية، والبلبلة التي بذرتها الحرب الكبرى، والحيرة التي اوقعها قيام

الإنتداب الفرنسي وإنشاء لبنان الحديث. وكان على أولئك الرجال أن يتآلفوا مع جميع هذه العناصر مجتمعة، متخبطين بين الحفاظ على ما حلموا به من أحلام باتت مستحيلة التحقق، وبين وضع سياسي باتوا يحاولون السيطرة عليه. فكان الجواب على مثالية البعض منهم، بالموقف العملي لدى البعض الآخر.

وكانت حركة الإصلاح الشيعية هذه قريبة إلى حد ما، على الرغم من إغراقها في التعلق بالمعتقدات والقيم الإمامية، ومن نظيرتها حركة الإصلاح السنية التي أطلقها (الشيعي) جمال الدين الأفغاني الأسد آبادي وتلميذه محمد عبده. وكان محسن الأمين، تبعاً لروح العصر، يشاطر هذا الأخير قناعته بأن إصلاح المجتمع يتم بعليم جمهور الناس وتربيتهم وتدريبهم.

ولم تكن الكتابة حول هذا الموضوع، في رأي المجتهد المقيم في دمشق، كافية لإقناع معاصريه. ولذلك أسس فيها مدرسته في حارة الشيعة، منذ سنة 1901، وأدخل في منهجها علوماً وضعية حديثة إلى جانب العلوم الدينية التقليدية، ثم إفتُتحت فيها في سنة 1925 مدرسة للبنات، ودروس مسائية للراشدين تُوِّجت بالحلقات الأدبية. وقد حاول علماء جبل عامل أن يتبعوه في ذلك ولكنْ على إثر خلافات داخلية وتنافس على قيادة الحركة، لم تُفتَتَح إلا مدرسة واحدة سنة 1938، أسسها عبد الحسين شرف الدين.

أما الدروس الدينية العليا التي كانت تفتح الباب على الإجتهاد والدخول في سلك العلماء، فكان محسن الأمين وعاملي آخر من العلماء الشباب هو محسن شرارة، أول من وجّه إليها نقداً منهجياً في أواخر العقد الثالث من القرن العشرين. فقد هاجم كلاهما، الفوضى في الدروس، والكتب البالية، وفقدان التوجه التربوي، وعدم الإلتزام بالنظام، والمواقيت، والمنهاج الخ...

ثم إنضم إليهما، بعد جدال طويل، علماء آخرون فطالبوا بالإصلاح، ومنهم العاملي علي الزين الذي وصل به الأمر إلى أن نادى بإصلاح منهجي لنظام التعليم برمته، وإلى أن أعاد النظر في مسألة الإجتهاد. إلا أن الساعة لم تكن قد حانت لإصلاح نظام التعليم هذا، إذ

كانت مرونته وتحرره يؤمّنان له الإستقلال عن الدولة، كما كانا يؤمنان إستقلال المراجع الشيعية عنها. أضف إلى ذلك، أنه كان من المستحيل التصدي لمبدأ المناظرة بين العلماء، وهو مبدأ أساسي يقوم عليه إختيار المجتهدين وإنتخاب المرجع.

بعد أن جعل محسن الأمين إصلاح المدرسة واقعاً، إنكب على إخضاع الشعائر الدينية للعقل وللإنتظام وللتنظيم، ولا سيما شعائر عاشوراء الشعبية، وكان العثمانيون قد بدأوا بالسماح بإقامتها على الملأ بالتدريج، إبتداءً من العام 1895. وكان لا بد لهذه الشعائر، في رأي عالمنا، إذ أصبحت تُشاهد علناً، أن تعكس صورة صحيحة عن التشيّع وعن الطائفة الشيعية.

على أن الروايات الكاذبة، والكلام المغلوط الذي يلقيه القراء الأميون بالعامية، والشعائر الدامية التي يقوم بها التوابون في مواكبهم، والمشاهد التي يقوم الممثلون فيها بأدوار أهل البيت، لم تكن في رأيه تناسب الشرع الحنيف. ولذلك قام محسن الأمين بإصلاح مجالس العزاء الحسينية، كما أنه حرّم الشعائر القائمة على أذى النفس وعلى التمثيل المسرحي للفاجعة، وذلك تحت شعار تحريم البدع، وإحترام مقام أهل البيت. وقد أثار إصلاحه هذا، موجة عارمة من الإستنكار تخطت حدود جبل عامل بكثير، وأدى إلى قيام مجادلات صاخبة بين العلماء في العتبات المقدسة في العراق، وأطلق الغضب في صفوف عامة المؤمنين. وذلك أن محسن الأمين قد تجرأ على مهاجمة الشعائر التي كانت تعبر عن كنه روح التشيّع، ألا وهو حب الأئمة الظاهر في ذكرى شهيدهم المتجددة على الدوام.

دعا كل من المجتهدين محسن الأمين وعبد الحسين شرف الدين، إبتداء من العقد الثاني من القرن العشرين، إلى الوحدة بين المذاهب الإسلامية وهي وحدة ينبغي لها أن تقوّي المسلمين وتحصنهم في وجه هجمات أوروبا عليهم في جميع المجالات. وقد بدأ محسن الأمين الحوار مع رشيد رضا، وريث محمد عبده، والناطق بإسم الحركة السلفية وصاحب اداتها الإعلامية مجلة المنار. وقد ثابرا معاً على جدال طويل معبر عن طول المسار إلى الوصول إلى تفاهم لن يتم بعد اليوم على الصعيد السياسي بل على الصعيد المذهبي. والحق ان الشيعة الإمامية، وهم أقلية في مقابل الأكثرية السنية، قد جهدوا في سبيل القبول بهم في

صلب الأمة والإعتراف بهم جزءاً منها، إلا أنهم لم ينكروا لذلك خصوصياتهم، بل على العكس فإنهم أصروا عليها. وقد ساهم علماء جبل عامل مساهمة جليلة في هذه الحركة، أكان ذلك بممارسة التقريب في الحياة اليومية، كما فعل محسن الأمين، أم بالإصرار على إظهار المذهب الشيعي، كما فعل عبد الحسين شرف الدين. أضف إلى ذلك أن الأدباء العامليين كانوا المدافعين عن الوحدة الإسلامية، أكان ذلك في كتاباتهم أم في خياراتهم السياسية أم في مشاركاتهم في المؤتمرات ومنها مؤتمر القدس عام 1931.

الفصل الثالث

نهاية الحكم العثماني وبداية الإحتلال الفرنسي

الفصل الثالث

نهاية الحكم العثماني وبداية الإحتلال الفرنسي

أولاً: تأثر لبنان بإنقلاب موازين القوى

كان لبنان عبر تاريخه، مرآة لموازين القوى بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، ومع بدايات القرن العشرين أخذت موازين القوى تميل بشدة لمصلحة الغرب، فقد نجح خلال القرن التاسع عشر الميلادي ومطلع القرن العشرين في التغلغل السياسي والفكري داخل الكيانات الإسلامية المنقسمة والمشتّتة ثم حقق حالة السيطرة المباشرة على كثير من الأقطار الإسلامية، فسقطت أجزاء واسعة من الوطن الإسلامي الكبير كالجزائر وتونس ومصر.

وجاءت الحرب العالمية الأولى كي تكمل إنهيار موازين القوى لمصلحة الغرب بشكل تام فقد ظهر أنه من غير المناسب أن تدخل الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا، بل ظهر أنه كان من غير المناسب أن تدخل دولة كالدولة العثمانية الحرب مطلقاً، من حيث درجة إهترائها وتفكّكها وضعفها ووهن كيانها السياسي والإقتصادي، فكأن دخولها في الحرب كان وسيلة مقدمة متعمدة لإقتسامها وإنهائها.

إن الحرب دائماً مجال مناسب لممارسة شريعة الغاب في النهب والسيطرة، وكأنها المبرر الدائم كي يتصرف الغالب في المغلوب كما يريد... وعلى المستسلم في الحرب أن يوقّع على كل شروط الهزيمة. فكان دخول الدولة العثمانية في الحرب إلى جانب ألمانيا فرصة ذهبية حتى تنهي بريطانيا وفرنسا سياسة الممالأة والتدخل غير المباشر وتنتقلا إلى سياسة الدخول المباشر وإقتسام تركة الدولة العثمانية مباشرة. فإذا بالجيوش الأوروبية تسيطر على أغلب أصقاع العالم الإسلامي، بينما كانت الدول الإسلامية شبه المستقلة تعيش حالة الضعف والتبعية والإنقسام والعداء، إنها سُنَّة الحروب والغالب والمغلوب، وأخذ الحلفاء ينفّذون على الأرض ما إتّفقوا عليه في المؤتمر الذي دعا إليه "هنري بانرمان"[1] رئيس الحكومة البريطانية سنة (1907) ميلادية من أجل وضع الخطط للسيطرة على بلاد

---

(1)هنري كامبل بانرمان، (1836 – 1908م) سياسي بريطاني، صاحب التقرير الشهير المعروف بتقرير بانرمان والذي كان خاتمة لمؤتمرات الدول الإستعمارية الكبرى، توفي بعد تركه الحكم بأيام قليلة.

المسلمين، وقرروا فيه الإبقاء والمحافظة على حالة التجزئة التي تعيشها الدول الإسلامية، ومنع أي حالة من حالات الإتحاد، ثم العمل على فصل الشطر الإسلامي الإفريقي عن الشطر الإسلامي الآسيوي بإقامة حاجز بشري وكيان مصطنع يهودي بينهما، في فلسطين تساعد على إقامته بريطانيا، وماروني في لبنان تساعد على إقامته فرنسا[1]، فإنعكس الإنهيار التام في موازين القوى بين الدولة العثمانية والغرب الإستعماري بعد الحرب العالمية الأولى لمصلحة الغرب على لبنان وفلسطين، فرسمت خريطة جديدة لكيان جديد هو "لبنان الكبير" تحت الإنتداب الفرنسي، ووعد بلفور اليهود بكيان لهم في فلسطين، وتم تقسيم بلاد الشام، ليس بناءً لرغبات أي من أهل هذه البلاد، بمن فيهم الموارنة، بل بهدف إنشاء كيانات صغيرة وضعيفة وعاجزة حول فلسطين، مثل سوريا ولبنان والأردن، تكون غير قادرة على مقاومة الأطماع الصهيونية التي تريد إقامة دولة لها في فلسطين، بدلاً من أن تبقى دولة واحدة هي "سوريا الكبرى" الموحدة، بما فيها فلسطين، مما يعيق تحقيق الحلم الصهيوني.

ولكن أمراً طرأ على صورة إنقلاب موازين القوى بعد هزيمة الحملة العسكرية العثمانية على قناة السويس، وإنكفاء العثمانيين إلى فلسطين، وبعد نجاح الإنكليز في إقناع الشريف حسين أمير مكة بإشعال الثورة العربية والتمرد على السلطة العثمانية بعد أن أغدقوا عليه الوعود بتأسيس المملكة العربية المستقلة، فأعلن الثورة، في حزيران 1916م، بإشراف ورعاية الإنكليز الذين إستطاعوا توجيه وقيادة حركته، وثار العرب في مكة وقتلوا حاميتها التركية وأسروا أكثرها وحاصروا المدينة المنوّرة،[2] ما ألهب المشاعر القومية عند العرب، وجعل حركة الشريف حسين، بنظر مسلمي سوريا ولبنان، مقدِّمة لأمل جديد في الحكم العربي الذاتي وإعادة الحياة إلى الخلافة العربية. بعد ذلك كله إعتقد اللبنانيون المسلمون، والشيعة منهم بالخصوص، أن موازين القوى قد إنقلبت لمصلحة الثورة العربية بقيادة الشريف حسين وأولاده، وأنّ فرنسا لن تحتل بلادهم، بل سيحرّرون من قبل إخوانهم العرب. وهذه الآمال عبّرت عن نفسها في الإستقبالات الحماسية التي لقيها فيصل وجيشه من قبل مسلمي سوريا ولبنان في تشرين الأول 1918. فما إن إنتهت الحرب، وسقطت السلطنة

(1) عبد الفتاح عبد المقصود، صليبية إلى الأبد، مكتبة العرفان (ب – ت) ص 415
(2) محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، مصدر سابق، ص 220.

العثمانية، وحصل الإنهيار التركي ولم يكن هناك وجود فعّال لجيوش الحلفاء. حتى ظهر الشريف حسين مظهر تحالفه مع الإنكليز ودخلوا في أيلول 1918 دمشق، فانعكس هذا الوضع على لبنان، حول إعلان الحكومة العربية.

وتنفس المسلمون الصعداء، وأملوا في إنشاء دولة تضمهم إلى باقي العرب، أو على الأقل العيش في دولة سورية، تجمع بلاد الشام تحت راية واحدة، لذا أيّدوا مشروع فيصل إبن الحسين بإنشاء الحكومة العربية في دمشق، حيث أسسوا حكوماتٍ تابعةً للحكومة المركزية في دمشق. ولكن مع دخول الجنرال اللنبي إلى القدس سنة (1917م) وسقوط القسم الجنوبي من سوريا بيد الحلفاء بالتعاون مع الجيوش العربية التي عبّدت الأرض أمام أقدام الفاتحين، وإنسحاب الأتراك من سوريا ولبنان، ودخول جيوش الحلفاء إلى صور وصيدا في الطريق إلى بيروت، وتعيين ضابط فرنسي لإدارة صيدا، وإرسال قوة عسكرية إلى النبطية، وتعيين حاكم عسكري عليها[1]، كان إشارة إلى أنّ الموازين إنقلبت في الواقع إنقلاباً تاماً وحقيقياً لمصلحة بريطانيا وفرنسا، وأن إنقلاب موازين القوى لمصلحة الشريف حسين كان مؤقّتاً إن لم يكن إعتقاداً خاطئاً.

ولكن الإرادة والعزيمة، والإيمان بأن مسلمي سوريا ولبنان قادرون على تحقيق ما يطمحون إليه كادت تصنع المستحيل!.

وكانت الظروف السياسية مؤاتية للمسيحيين، قبل الحرب العالمية الأولى، فقد كانوا على قناعة بإمكانية تحقيق دولة خاصة بهم تحت الإحتلال الفرنسي، وكانت الكنيسة المارونية بقيادة البطريرك حويّك، قد تحوّلت إلى قوة سياسية أساس، في طريق تحقيق الدولة المسيحية، حتى وإن عاد المجلس الإداري، برئاسة حبيب باشا السعد، إلى محاولة لعب دور أساس في جبل لبنان، ولكنه لم يعد الممثل الوحيد للسكان.

وكانت الويلات قد جرت المجاعة على جبل لبنان خلال الحرب، بسبب توقف سيل العائدات من الخارج، وإنهيار الإقتصاد، وتوقف تجارة وإنتاج الحرير، فأضافت إلى مطالب

(1) محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، مصدر سابق، ص 224

المسيحيين اللبنانيين مطلباً جديداً هو توسيع حدود هذه الدولة، فقد كانت هذه الويلات بالنسبة لهم، دليلاً كافياً على أن جبل لبنان لا يحوز على أراضٍ واسعة، إذا أرادوا أن يكون لبنان العتيد دولة قادرة على الحياة. وإشتدَّ إعتقادهم بضرورة هذا المطلب، إلى درجة جعلتهم يتغاضون عن أن ذلك سوف يؤدي إلى إندماج مجموعات كبيرة من السكان المسلمين في الكيان. وأخيراً زادت مأساة الحرب في قناعاتهم، أنه فقط بمساعدة قوة أجنبية، يمكنهم تخطي أحداث مؤلمة مماثلة. وكانت القوة الأجنبية الإستعمارية جاهزة للتدخل، فقد كانت موازين القوى منقلبة لمصلحتها تماماً. ولكن مرّت سنتان من الصراع السياسي والعسكري، بين من إعتقد بإنقلاب موازين القوى لمصلحة العرب، وبين من إعتقد العكس، بين العاملين وحلفائهم السوريين والعرب من جهة وفرنسا وحلفائها المسيحيين من جهة أخرى. وإختلطت الأوراق في أوسع حلقة من التعقيدات السياسية المحلية والدولية، التي ترتبط بالتنافس بين بريطانيا وفرنسا حول النفوذ في الشرق الأوسط، وبالمعاهدات السرية خلال فترة الحرب، وبوعود بريطانيا للعرب، بالإضافة إلى ما أدّى إليه إنبعاث حركة قومية عربية قوية في سوريا بعد هزيمة تركيا في الحرب، وتركيز هذا التيار في سوريا. فكان لا بد للكيان العروبي الجديد في لبنان، والكيان اللبناني المسيحي الجديد في لبنان أن يتجاوزا كل تلك العقبات، ويتصارعا صراع الموت أو الحياة، حتى يبصر أحدهما النور.

ثانياً: الدور الفرنسي في تأسيس الكيان اللبناني

كان الكيان اللبناني المسيحي في نظر فرنسا ثمرة للإدعاء التاريخي الفرنسي بأنها حامية الكاثوليك وخاصة الموارنة. هذه الحماية التي تعود إلى معاهدات قديمة، ثم تجذرت سنة 1649م عندما تعهد لويس الرابع عشر، بحماية الكنيسة المارونية وطائفتها، وذلك في جواب على رسالة من البطريرك الماروني. وقد جدّد الملوك الفرنسيون اللاحقون هذا التعهُّد حتى أصبح في القرن الثامن عشر تقليداً محدّد الأسس. وفي سنة 1840 عندما أصبح لبنان حجراً أساساً في المسألة الشرقية، إعترف الجميع بحق فرنسا في حماية الموارنة. وتحولت الحماية الفرنسية المعنوية إلى حماية صريحة سنة 1860 عندما نزلت قوة من ستة آلاف جندي في بيروت لحماية الموارنة والمسيحيين ضد الدروز والمسلمين. وظهرت الحماية

الفرنسية أيضاً خلال إنعقاد اللجنة الدولية في بيروت، حين تبنّى المندوب الفرنسي المطالب المارونية، وكان لفرنسا الدور الأساس في إنشاء المتصرفية.

وقد ضمنت التسوية الشاملة لسنة 1861 مبدأ حق الدول الأوروبية في حماية المسيحيين في لبنان. ورغم كون فرنسا واحدة من الدول الموقّعة على المعاهدة، إستمرَّ الموارنة بإعتبارها الحامي الوحيد لحقوقهم وإمتيازاتهم.

وبالنسبة للموارنة، الذين تجانسوا كليّاً مع الفرنسيين حتى لقبوا أنفسهم "بفرنسيي الشرق"، كان الإحتلال الفرنسي يعتبر مطلباً وطنياً مارونياً، يخلّصهم من السيطرة العثمانية الإسلامية التي قاوموها دائماً، ويضعهم تحت حكم قوة مسيحية غريبة كانت لديهم معها علاقات ثقافية ودينية وإقتصادية متينة.

وأدَّى إنهيار السلطنة العثمانية في نهاية القرن وإزدياد المصالح الثقافية والإقتصادية الفرنسية في لبنان إلى جعل فكرة الإحتلال الفرنسي ممكنة. ومع وضوح عوارض الضعف التي عصفت بالسلطنة العثمانية، إشتدّت المطالبة المارونية لفرنسا بالتدخّل المباشر. وقد أصبح هذا المطلب هدفاً أساساً في العقد الثاني من القرن العشرين عندما إعتقد الموارنة أن فرنسا تستطيع مساعدتهم في تحقيق أهدافهم في إنشاء لبنان الكبير المسيحي.

ولمواجهة السرعة في إنهيار الإمبراطورية العثمانية وخصوصاً بعد هزيمتها المنكرة في حروب البلقان، الأمر الذي هدّد وجودها بالخطر، وإزدياد المنافسة من قبل الدول الأوروبية الأخرى، أسرعت فرنسا في إظهار وجودها في المنطقة والتي كانت تعتبرها واقعة ضمن دائرة نفوذها. وإزدادت تحرّكات المبعوثين الفرنسيين بين السكان وأصبحت زيارات السفن الحربية الفرنسية لموانئها أمراً معتاداً[1]، بل أصبح من تقاليد ضبّاطها أن يقوموا بزيارات لمقرّ البطريرك الماروني.

وكان تفويض فرنسا حق الإنتداب في سوريا ولبنان، في مؤتمر سان ريمو في نيسان 1920، إعترافاً رسمياً بالروابط الفرنسية الطويلة الأمد في المشرق، القائمة على الإدّعاءات

(1) من وثيقة في أرشيف المكتبة الشرقية- جامعة القديس يوسف بيروت.

الفرنسية بحماية المسيحيين الكاثوليك، وخاصة الموارنة، وكأنها أمر واقع وحق تاريخي!!. ولكنّ فرنسا أضافت أيضاً إهتماماتها الثقافية و"الإنسانية" (..) والإقتصادية، كمبرِّر "لحقوقها" الخاصة في المنطقة. وكان لهذه الدعوى الفرنسية في الحقيقة جذور ثقافية وإقتصادية إرتدت ثوب "الإنسانية" فقد نشطت الإرساليات الدينية الفرنسية منذ قرون في المنطقة، مثل الآباء اليسوعيين والآباء اللعازاريين، الذين كانت لهم مؤسسات تربوية وخاصة، مثل جامعة القديس يوسف في بيروت، كذلك أسّسوا المستشفيات ودور الأيتام وغيرها من المؤسسات الخيرية والتربوية والصحية، فقد قدّر البعض أن أكثر من أربعين ألف تلميذ درسوا، قبل الحرب، في ثمانين مدرسة فرنسية، وأن فرنسا كانت تدفع سنوياً لهذه المدارس مليون فرنك فرنسي، وأن اللغة الفرنسية أصبحت في لبنان هي لغة الثقافة والأدب للفئات المتعلمة وحلت مكان العربية، كلغة أولى في التخاطب بين كثير من مسيحيي لبنان.

وفي الحقيقة، كانت هذه الإرساليات تتلقّى دعمها المادي الأساس من الحكومة الفرنسية "العلمانية" التي فصلت الكنيسة عن الدولة في فرنسا، ولكنها دعمتها خارجياً، لتكون رأس الجسر لها للدخول إلى إفريقيا وآسيا والشرق الأوسط... وفصل الكنيسة عن الدولة، لم يعارض بجدّية هذا النوع من النشاطات خارج الوطن الأم، بل بالعكس، فقد ساهم هذا الفصل، في تعزيز النشاطات في المشرق عندما وجد كثير من القساوسة إمكانيات العمل هناك، مُنعت عنهم في فرنسا. وقد وجد رجال الإقتصاد في الكنيسة الكاثوليكية داعماً قوياً لسيطرتهم، وخاصة من قبل اليسوعيين واللعازاريين والفرنسيسكان.

وكان لفرنسا أيضاً إهتمامات إقتصادية شديدة في المنطقة. فقد وظفت البنوك الفرنسية، وممّولوها، أموالاً كثيرة في السلطنة العثمانية. فقبل الحرب كان 63% من الدّين العثماني في أيد فرنسية. وكانت فرنسا هي المسيطرة على فرع البنك العثماني في سوريا ولبنان حتى قدّرت رساميلها العامة فيهما بأكثر من مئتي مليون فرنك فرنسي[1].

(1) د. مسعود ضاهر، تاريخ لبنان الإجتماعي 1914 – 1926 ، دار الفارابي، بيروت 1974، ص 24.

وكان في سوريا الطبيعية إمكانيات إقتصادية تجذب فرنسا، ففيها أراضي زراعية خصبة ولديها فائض من المواد الخام، كالقطن والقمح والحرير والنفط. كما أنها سوق مهم للتصريف، وتعتبر موانئها ذات أهمية إستراتيجية.

وربما إعتبرت فرنسا أن سيطرتها على دمشق الإسلامية يغطي إستعمارها للجزائر التي كانت فرنسا تأمل في أن تغطي بإقتصادها خسائر فرنسا في الحرب، لكن كل الآمال الفرنسية ذهبت أدراج الرياح.

ومن رحم إتفاق سايكس بيكو ولد الكيان اللبناني. فقد أقرت بريطانيا لفرنسا بسيطرتها عليه، وحاولت نفي العروبة عنه وإعتباره كياناً ذا خصوصية تفترق عن الكيان العربي العام. وقد عُبِّر عن ذلك في المحادثات بين مكماهون والشريف حسين، عندما رفض البريطانيون مطالب الأخير بضم لبنان موضحين أن المنطقة لا يمكن إعتبارها عربية صرفة، وأنَّ لفرنسا مصالح تقليدية فيها.

ثالثاً: قيام الحكومة العربية في لبنان وزوالها على يد الإنتداب الفرنسي

جاءت الأحداث التي تلت الإنسحاب العثماني من بيروت ودمشق وبعلبك والمدن الساحلية، والتي حصلت تماماً بعد أسبوع من إحتلال لبنان من قبل الحلفاء، لتصدم المسيحيين وتجعلهم يرون أنه بالرغم من إنتهاء الحكم التركي، لم يكن موعد تحقيق أهدافهم قد أصبح قريباً، كما جاء هذا الإصطدام الأوَّلي بين الفرنسيين وحلفائهم المسيحيين من جهة والمسلمين المؤيدين لفيصل وحلفائهم البريطانيين من جهة أخرى ليرمز إلى المستقبل العام للبنان.

وأصبحت الأزمة بين هذين المعسكرين، هي العامل الحاسم خلف أحداث السنتين اللتين تبعتا ذلك، فما أن إنسحب الأتراك من سوريا ولبنان وقبل إحتلال دمشق من قبل القوات العربية والبريطانية في أوّل تشرين الأول 1918، حتى كان الأمير عبد القادر الجزائري قد أرسى دعائم أول حكومة عربية فيها، ورفع راية الشريف حسين، وطيّر برقيات باسم فيصل إلى رؤساء بلديات المدن الساحلية وزعماء الدروز والبطريرك

الماروني يطالبهم فيها بإعلان ولائهم لفيصل والحكومة العربية القادمة. وعيّن محمود الفضل مديراً للأحكام في النبطية، ورياض الصلح في صيدا، وعبدالله الخليل في صور، وتألفت الحكومة العربية في بيروت برئاسة عمر الداعوق.

جرى كل ذلك وكامل الأسعد الذي وفد عليه رسول الملك فيصل إيليا ذيب بكتابه الذي يفوض به إليه حكم البلاد المؤقت، ويطلب إليه إعلان الإستقلال العربي، وطرد عمال الأتراك من صور وصيدا ومرجعيون، قابع في كسر بيته لا يبدي ولا يعيد[1].

وبينما إستقبلت المدن الساحلية، هذه الأنباء بفرح، لم يكن الموارنة وبطريركهم في وارد المشاركة في هذا. فلم يكونوا قد ناضلوا ضد الأتراك لهذه المدة الطويلة، لإبدال الحكم التركي بحكم عربي جديد. وفوراً أرسل الحويِّك رسالة إلى قاعدة المخابرات الفرنسية في أرواد يطلب فيها مشورة الحكومة الفرنسية. وكانت هذه أوَّل إشارة وصلت للفرنسيين عن نية فيصل للإستيلاء على لبنان، بالرغم من إتفاقهم مع البريطانيين.

وبالرغم من هذا التأكيد لم تكن أحداث مشجّعة للمسيحيين. فقد وصل شكري الأيوبي مندوباً من قِبل الأمير فيصل إلى بيروت ماراً بالنبطية فصيدا، فرفع الراية العربية في ساحة الشهداء في بيروت[2].

وأعلن حكومة عربية في بيروت والمنطقة الساحلية وهي أراضٍ يعتبرها المسيحيون جزءاً مكمَّلاً لدولتهم في المستقبل، حتى أنه إنتقل إلى بعبدا في جبل لبنان وعيَّن حبيب السعد محافظاً.

وهكذا، على الرغم من أن جميع البلاد من بيروت إلى حد إسكندرون في الساحل، ومنها جبل عامل، أعلنت بأنها أجزاء من المملكة العربية، ورفعت الرايات العربية كما فعلت بيروت وطرابلس والشام واللاذقية وصيدا وصور[3]، إبتدأ الإنهاء الرسمي الفرنسي للحكم

---

(1) الشيخ سليمان ظاهر، صفحات من تاريخ جبل عامل، مصدر سابق، ص 72.
(2) محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، مصدر سابق، ص 221-222.
(3) الحركة العربية: المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة (1908-1924)، سليمان موسى، ط3، دار النهار للنشر، بيروت 1986، ص 403-404، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، زين نور الدين زين، ص 86، التكوين التاريخي للبنان السياسي والدستوري، إدمون رباط، ج1، ص 450- 451: ولسان الحال، 1918/10/26

العربي، وفيما كان الوفد الشيعي بالشام يتباحث مع الأمير فيصل حول مزيد من الخطوات الإستقلالية العربية، كان الفرنسيون يحجّمون هذا الإستقلال، وينفذون ما ألمح إليه فيصل من أن حاكمية السواحل السورية تقع خارج منطقة ملكي منطقة، العرب، مما يعني أن فيصل كان يلعب في منطقة، متفق على عدم اللعب فيها بين الحلفاء! ومما يعني أيضاً أن الشيعة بمواقفهم المتصلبة بالإنضمام إلى فيصل في السنتين القادمتين كانوا يتمسكون بمن ليس عازماً على التمسك بهم!

وعلى كل حال، فقد قام الحاكم الإداري الفرنسي العام الكولونيل دي بياباب، في 25 تشرين الأولعام 1918م بإجراء تشكيلات وتعيينات إدارية وعسكرية، كانت بالمعنى السياسي، تكريساً رسمياً للوجود الفرنسي وتمهيداً آخر المظاهر الحكومات العربية، وإذا بالحكام المدنيين، والذين كانوا رموز الحكم العربي، أمام أمرين: إما الإستقالة أو الإقالة[1].

ففي صور، التي كانت القوات الإنكليزية والفرنسية فيها منذ إحتلالها في 4 تشرين الأول 1918، كان إنهاء الحكم العربي سهلاً، فقد كان الحاكم المدني في صور، الحاج عبدالله يحيى الخليل، سلبياً وغير متعاون مع الحاكم الفرنسي، بل أثار في وجهه العراقيل، فقام هذا بإعتقاله في 20 تشرين الأول، فأصبحت حكومة صور العربية منحلة منذ ذلك اليوم.

وفي صيدا، طلب الحاكم العسكري الفرنسي من رياض الصلح، الحاكم المدني، جمع وجوه الأهلين بدار الحكومة، وطلب قيود الغلال سواء كانت للمؤونة أو للتجارة[2]. ورأى رياض أن هذه أمور مدنية وهي من صلاحياته كحاكم مدني، لكن الحاكم الفرنسي أنكر الحاجة إلى حاكم آخر، غير الهيئة البلدية، تكون الصلة بينه وبين الشعب، وأشار عليه بالإستقالة، فقدم إستقالته إحتجاجاً على الإجراءات الفرنسية في 29 تشرين الأول[3].

وصبيحة الإربعاء، 30 تشرين الأول 1918، وصل إلى الساحة العمومية في النبطية حاكم صيدا العسكري الفرنسي، ومعه فصيلة عسكرية من 300 فارس، شاهري السيوف،

---

(1) الحقيقة، 27 و 28 تشرين الأول 1918.
(2) مفكرات يومية، الشيخ سليمان ظاهر، 19-20- تشرين الأول، والحقيقة 1918/10/24، ذكريات مراد غليمة، ص 138، راجع: جبل عامل، حقائق بالوثائق، د. محمد بسّام ، ص 102.
(3) محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، مصدر سابق، ص 224.

متذرعين بأنهم في طريقهم إلى الحولة لمعالجة إضطرابات أمنية نشبت فيها، ثم خطب في الأهالي، وفي 31 تشرين الأول، تابعت القوة الفرنسية إلى جديدة مرجعيون، حيث أقيلت الحكومة العربية في مرجعيون، وأُنزلت الرايات العربية، ثم أعلن الحاكم الفرنسي تبعية ناحية النبطية لقضاء مرجعيون مثلما كانت أيام الأتراك[1].

وفي صيدا إختتمت الإجراءات الفرنسية لإستلام الحكم بإجتماع عام، ضم جميع مخاتير صيدا، عقد في 4 تشرين الثاني، بعد عودة الحاكم الفرنسي من جولته بالنبطية ومرجعيون، فطلب من المختارين كما في النبطية إعطاء بيان عن عدد نفوس قراهم، ثم ألقى فيهم خطاباً سياسياً مضطرباً، فتارة يصرح بأن البلاد لفرنسا، وطوراً يحمحم، وأخرى يوضح أن الفرنسيين يحكمون البلاد بإسم الحلفاء، ولم يفته أن يختم بتهديد كل من يسعى للعمل ضد الإحتلال الفرنسي قولاً أو فعلاً[2].

وعلى العموم كانت الإدارة العسكرية الفرنسية[3] سلطوية إحتلالية، في جبل عامل، دون أي مراعاة لمصالح اللبنانيين وطموحاتهم الإستقلالية. فقد طغى الموظفون الفرنسيون على الإدارة، وتدخلوا في شتى مرافقها ومجرياتها، من حيث الصلاحيات وقرارات النقل والعزل والترقيات، ما جعل مجلس الإدارة اللبناني يحتج مراراً على التسلط الفرنسي[4].

وعندما قام الفرنسيون بحل حكومات جبل عامل العربية، وجد الشيعة تجسيداً لمخاوفهم من فرنسا في ما حدث من طرد الحكام من المدن الساحلية[5]، ولم يكن بمقدورهم الرد على الإجراء الفرنسي بأكثر من الإستنكار، والإعراض عن التعامل مع الحكام الفرنسيين، وإحتقارهم، وتجاهل تدابيرهم ونشراتهم التي تكثّف صدورها في تلك الفترة، ما دعا الحاكم الفرنسي لسنجق صيدا لإصدار قرار في 10 تشرين الثاني، على بساطة عباراته،

---

(1) مفكرات يومية، الشيخ سليمان ظاهر، 3 تشرين الثاني 1918، راجع: جبل عامل، د. محمد بسام، ص 105
(2) مفكرات يومية، الشيخ سليمان ظاهر، 4 تشرين الثاني 1918، راجع: جبل عامل، د. محمد بسام، ص 105.
(3) التكوين التاريخي للبنان السياسي والدستوري، إدمون رباط، ص 450، النزعات السياسية بلبنان، محمد جميل بيهم، ص 12-19.
(4) حقائق لبنانية: بشارة الخوري، ج1، منشورات أوراق لبنانية، 1960، ص 274-277، مثال قرار مجلس الإدارة رقم 1304 في 1919/11/29، في سبيل الإستقلال، يوسف السودا ، ص 213
(5) الحركة العربية: المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة 1908-1924، سليمان موسى، المراسلات التاريخية 1914 – 1918، الثورة العربية الكبرى، عمان، 1973م. ص 413.

ينضح سخطاً وينمّ عن الشعور بالمهانة، حين يطلب وجوب إظهار الإحترام للقواد الفرنسيين حين يمرون في الأسواق[1].

وبعد أن أقال الفرنسيون الحكومات العربية، وفرضوا حكامهم العسكريين في الأقضية، فإستقرّ القائد العسكري شاربانتيه في صيدا، وإستقر غيره من الضباط في صور والنبطية[2]، فاوض الضباط الفرنسيون السيد عبد الحسين شرف الدين، وكان عضواً في الحكومة العربية المحلية، وعرضوا عليه إقرار التعيينات المحلية الجديدة المطلوبة على أن تكون له اليد الطولى فيها، فرفض ذلك[3].

وأما العامليون الشيعة فقد أدرك فيصل بسرعة أنه لا يستطيع الإعتماد عليهم، لأنهم، على وجه العموم، كيان موحد حول رجل واحد هو زعيمهم كامل الأسعد، الذي كان يدعي أن عليه أن يستمزج الآراء هنا وهناك قبل أن يحدد موقفه، ولأن علاقاتهم القديمة بالبدو طابعها الصراع[4].

ومن جهتهم، أبدى الشيعة قبولهم بفيصل، وذلك عبر نوع من التعلق الديني والعاطفي بالأمير وبأبيه حسين حامي الكعبة وقائد الثورة العربية، وبالأسرة الهاشمية، على أن أعيان الشيعة لم يكونوا متفقين حول مستقبل بلادهم. فقد كان نخب الساحل والأدباء وبعض العلماء يميلون من جهة، إلى حكومة فيصل، وكان الوجهاء التقليديون وبعض العلماء حاضرين لتقبل وصاية الفرنسيين عليهم، من جهة ثانية. وكان بعض الأفراد يترددون بين الخيارين. وهذا ما كان من أمر كامل الأسعد، الذي كان يتابع منذ سنة 1912 الإتصال بالفرنسيين.

إنعكست الإجراءات الفرنسية على الأمير فيصل إضطراباً وحزناً ويأساً، فكتب إلى أبيه، في اليوم نفسه الذي أنهيت فيه حكومة صيدا يقول: "إن البلاد لا تؤخذ إلا بالدم، وعار علينا السكوت"، وأعرب عن نيته بأن يحارب فرنسا إن لم يجد بدا من ذلك، وهدّد بالإستقالة إذا طرد ممثلوه من البقاع، وإحتج إلى اللنبي، وأعلن أنه لن يستطيع كبح جماح القوات

(1) مفكرات يومية، الشيخ سليمان ظاهر، 10 تشرين الثاني 1918، راجع: جبل عامل، د. محمد بسام ، ص 105.
(2) مكث شاربانتيه في صيدا طوال مدة الأزمة سنة 1920، وترقّى من منصب الحاكم العسكري إلى منصب المستشار الإداري.
(3) بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين، ج2 ص 148
(4) وضاح شرارة، الأمة القلقة، مرجع سابق، ص 259.

العربية، إلا إذا صدر على الفور تحديد رسمي لنوايا الحلفاء[1]، فكتب الشريف حسين إلى بريطانيا مهدداً بالإستقالة لأن هذا الإجراء الأخير في جبل عامل سيكون حكماً قاضياً على مخلصكم بالإنتحار[2].

وبينما كان الشريف حسين يغرق في مكائد السياسة البريطانية، متوهّماً وجود شيء إسمه شرف القول البريطاني، فينتدب إبنه فيصل ليكون ممثلاً له في المؤتمر، ويأمره بالتنسيق الكامل مع بريطانية، وأن يتّبع ما تكلفه به من قول أو عمل، ويتجنّب كل ما سوى ذلك[3]، توجهت بريطانيا في الأول من تشرين الثاني، وفور إنهاء حكومات جبل عامل، نحو التشديد على إصدار التصريح المشترك الذي تحدد فيه فرنسا "سياستها وأهدافها في سوريا"، وتتعهد بأنها "لن تضم أية أراضٍ عربية أو سورية"[4]، وإستأنفت مباحثاتها القديمة مع فرنسا لإصداره.

وأخيراً، في الرابع من تشرين الثاني، غداة إنهاء الحكومات العربية في جبل عامل في 31 تشرين الأول، إتفقت فرنسا وبريطانيا على إصدار هذا التصريح المشترك[5]، فصدر بعد ثلاثة أيام فقط، حافلة بالمفاوضات الدولية المكثفة والحرجة، كانت تفصل ما بين حدث إنهاء حكومات جبل عامل العربية المؤقتة وإصدار التصريح المشترك الفرنسي- الإنكليزي.

وأهم ما جاء فيها: إن فرنسا وبريطانيا تعتزمان أن تؤمّنا للعرب أفضل درجات الحكم الذاتي، بهدف تحريرهم وتطوير مدينتهم[6]، وأهم ما في هذا التصريح: إن الدولتين تتعهدان، سياسياً بتحرير الشعوب العربية تحريراً تاماً نهائياً. وإقامة حكومات وإدارات قومية تستمد سلطتها من المبادأة، والإختيار الحر للأهالي الوطنيين.

ويبدو أن البهجة العامة بالتصريح المشترك صرفت العرب عن التبصُّر بمضامينهن التي أخفاها غموض وإبهام عباراته، فقد إعتبروا أنه يشمل فلسطين وإن لم يذكرها صراحة،

---

(1) يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية، جورج أنطونيوس، بيروت، دار العلم للملاين، 1980م، ص 284.
(2) الحركة العربية، المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة 1908-1924، سليمان موسى، مرجع سابق، ص 406-404.
(3) لورنس كما عرفته، العمري، ص 242، الحركة العربية، المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة 1908-1924، سليمان موسى، ص 415-417 و406-408 و395 و 399.
(4) الحركة العربية، المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة 1908-1924، سليمان موسى، مرجع سابق، ص 395-396 و405 و 400 – 401
(5) المصدر نفسه: سليمان موسى، ص 408.
(6) سليمان موسى، مرجع سابق، ص 409، تاريخ لبنان الحضاري، يوسف السودا، ط 2، دار النهار، بيروت 1979

كونه نشر فيها وكون سوريا كانت تعني لديهم سوريا الطبيعية، من الإسكندرونة شمالاً إلى رفح جنوباً. مع أن الحكومة البريطانية أفصحت لاحقاً بأن النص المبهم لهذا التصريح صيغ قصداً بحيث يستثني فلسطين[1]، ولم يختلف عن الجو العام سوى فئة محدودة في سوريا وعلى رأسها جمعية العربية الفتاة رأت في هذا التصريح وعداً بالمساعدة، التي قامت عليها الثورة العربية[2]، كذلك أحمد مريود*، الذي رأى أن هذا الإعلان ما هو إلا ذر الرماد في العيون. وإذا كانت دول الحلفاء صادقة في نواياها تجاه العرب، فعليها إلغاء إتفاقية سايكس-بيكو أولاً، وعلى الجنرال اللنبي نفسه إلغاء قرار تقسيم البلاد[3].

رابعاً: لجنة التحقيق الدولية (كينغ – كراين – 1919م)*

وصلت آمال فرنسا إلى الطريق المسدود، عندما وَضُح أن فيصلاً غير مستعد للوصول إلى تسوية أو الإعتراف بالإنتداب الفرنسي على كل سوريا، وأنه قرّر الإعتماد على لجنة التحقيق الدولية، والتي كان واثقاً أنها ستضمن إستقلال سوريا. ولم يعد يرى ضرورة في التوسُّط لدى فرنسا من أجل السيطرة على لبنان، لإعتقاده أن أكثرية سكان المنطقة الساحلية سيدعمون إتحاداً مع سوريا تحت حكمه.

وتقدّم نتائج لجنة "كنغ- كراين"، فرصة نادرة للحصول على صورة عن مواقع الطوائف الست الأساسية في لبنان تجاه إقتراح إنشاء دولة لبنان الكبير. ووجهات النظر التي قدمت إلى اللجنة من قبل ممثلي مختلف الطوائف، يمكن النظر إليها كتقدير أوّلي يمكن الركون إليه لمواقف هذه الطوائف. فهذه الوفود كانت مؤلفة من وجهاء بارزين وزعماء دينيين، يمثّلون وجهات نظر طوائفهم أصدق تمثيل. وكان هؤلاء كما كل سكّان المنطقة، مقتنعين بأنّ نتائج عمل اللجنة ستقرّر مصير المنطقة.

---

(1) الحركة العربية، المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة 1908 – 1924، سليمان موسى، ص 410-411

(2) الحكومة العربية في دمشق (1918- 1920)، خيرية قاسمية، مرجع سابق، ص 60.

* أحمد مريود المهيدات (1886 – 1926م) مجاهد وقائد وطني سوري من بلدة جيباتا الخشب في الجولان، على قيادة عدد كبير من المعارك والمواجهات ضد الفرنسيين وخلفائهم، وكما كان على تنسيق تام مع سلطان باشا الأطرش والشيخ صالح العلي وابراهيم هنانو لقيام الثورة السورية الكبرى 1925م.

(3) أحمد مريود 1886-1926، محمود عبيدات، مرجع سابق، ص 133.

* لجنة كنغ كراين، هي لجنة تحقيق عينها الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون في مؤتمر الصلح في باريس عام 1919م للوقوف على آراء أبناء سورية وفلسطين في مستقبل بلادهم، وتألفت من هنري كنغ وتشارلز كراين أمريكي الجنسية وقدموا تقريراً أعلنوا فيه أن الكثرة من العرب يطالبون بدولة سورية مستقلة كاملاً ورفض أثناء وطن قومي لليهود في فلسطين.

ومن خلال وجهات النظر التي قدّمها هؤلاء إلى اللجنة، يبدو واضحاً أن الأكثرية الساحقة للموارنة وللروم الكاثوليك تؤيّد فكرة إنشاء دولة لبنان الكبير منفصل عن سوريا، وأما الغالبية الساحقة من السنة والروم الأثوذوكس، والدروز والشيعة، فقد طالبوا بالإنضمام التام للدولة السورية تحت حكم فيصل.

وصلت لجنة كنغ كراين إلى صور للتحقق من رأي الشيعة العامليين، وبمقتضى قول العسكريين الفرنسيين، فإن إسماعيل الخليل وعبدالله يحيى كانا قد ضمَّا إليهما، بمساعدة بعض موظفي الحكومة العربية، بعض الوجهاء قبل أن تصل اللجنة الأميركية، كذلك كان قد فعل رضا ورياض الصلح في صيدا. أما الفرنسيون فكانوا هم أيضاً قد نظّموا دعوتهم، وإستطاعوا أن يحصوا على عدد من العرائض الموقعة من مسيحيين ومن شيعة وسنة كذلك، من أهل صور وقرى القضاء، تطالب بالإلتحاق بلبنان الكبير وبالحماية الفرنسية.

وكان العامليون قد ألفوا وفداً من مائة شخص يمثّلونهم أمام هذه اللجنة، وقد فوّض عالمان هما الشيخ حسين مغنية والسيد عبد الحسين شرف الدين، فقد كان بعض العلماء الشيعة يقودون العامليين وينطقون بإسمهم، في غياب كامل الأسعد. ولم يتوصلوا إلى القيام بهذا الدور بسبب إلتزامهم السياسي بخط عروبي قومي، فقد كان الشيخ حسين مغنية يتجنب الخوض في أي دعوة عملية في هذا المجال، وكان السيد عبد الحسين شرف الدين على الرغم من معرفة فيصل به[1]، أكثر بُعداً عنه وعن العروبيين من يوسف الفقيه أو جواد مرتضى، إلا أن ما كان يوليهما الناس من سلطة روحية، بإعتبارهما من العلماء، رجّح "إنتخابهما".

وإستقبلت اللجنة الوفد العلمائي، وكان الشيخ حسين مغنية يُعد رئيس العلماء، لكنه أعطى الكلام للسيد عبد الحسين شرف الدين الذي كانت مطالبه ثابتة وواضحة فهو يقول: " أفضيت بتصوير رغبات الأمة وأمانيها في الوحدة السورية بحكومتها الدستورية وأن يكون

(1) أنظر: بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين، ج 2 ص 467.

على رأسها الأمير فيصل ملكاً ورفضت أن يكون لأية دولة أجنبية يد حكم أو دخل في إنتداب ولا سيما الحكم الفرنسي"[1].

وقد أرسل السيد عبد الحسين شرف الدين في أيلول من سنة 1919، رسالة إلى كامل الأسعد يذكره فيها بدوره في الدفاع عن جبل عامل وعن سكانه وحمايتهم، كأنه يحذّره من التهاون في مستقبل البلاد[2]. وبالفعل، فقد كان جبل عامل، على غرار غيره من مناطق "سوريا الكبرى"، تحت ضغط متعاظم، وكان الصراع يتزايد بين العسكر الفرنسي وحلفائهم، وكانوا من المسيحيين في معظمهم، وبين الحكومة العربية ومجموعات المقاومة المسلحة التي كانت تساندها.

وأما الشيعة فقد إعتبر الفرنسيون، كما فيصل، قضية الحصول على ولائهم، على درجة كبيرة من الأهمية، فكثّف الطرفان من دعايتهما في مناطق البقاع وجبل عامل حيث تعيش أكثرية هذه الطائفة. وبسبب التاريخ المرتبط بالسلطة للطائفة السُنية، منذ المماليك ومروراً بالحكم العثماني، وما عاناه الشيعة من هاتين الدولتين، كان الشيعة يتوجّسون الريبة، تقليدياً، تجاه السنة، وكان لديهم، في نفس الوقت، طموح في الحصول على إعتراف رسمي، حرموا منه منذ أمد بعيد، وهو إعتبارهم طائفة إسلامية مستقلة، كذلك لم يرتح الشيعة لفكرة هيمنة مسيحية- فرنسية أيضاً. وكانت خشيتهم من أن تُقلّص سلطة بريطانية أو فرنسية قوية، الحكم الذاتي، الذي تمتّعوا به في جبل عامل، والذي كان أمراً واقعاً، ولذلك كانوا يعتقدون أن حكومة عربية تستطيع ضمان هذه الإمتيازات لهم. فدعم أكثرية الشيعة حكم فيصل العربي في دمشق وعارضوا فكرة التعاون مع المسيحيين في إنشاء لبنان الكبير المستقل تحت الإنتداب الفرنسي.

وكان كامل الأسعد متأرجحاً في موقفه بين الطرفين، إلى أن كسبه فيصل أثناء زيارة قام بها إلى دمشق، حيث وعده بتعيينه محافظاً لجبل عامل. ومن جهة أخرى نجح الفرنسيون في كسب ودّ مجموعة من وجهاء الشيعة، مثل محمد التامر، وهو عديل لكامل الأسعد، بعد

(1) بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين، ج2 ص 148، مؤتمر وادي الحجير، منذر جابر، ص 14-16.
(2) المصدر نفسه، ج2 ص 467.

أن عرضوا عليه وظائف هامة في الإدارة ومكاسب أخرى. كذلك إتخذوا تدابير مشدَّدة، وطردوا بعض الموظفين في المنطقة، قبل وصول اللجنة، للقضاء على ظهور أي مواقف معادية لفرنسا.

وإرتفعت حدة المشاعر المارونية، بسبب التغيُّرات في السياسة الفرنسية خلال الأشهر الأخيرة، وزيارة اللجنة الأمريكية، والموقف السلبي المتشدد الذي أخذه فيصل والمسلمون، كذلك إنتفاء الدعم من قبل الطوائف الأخرى، الأمر الذي أقنعهم بالخطر الذي يتهدد أهدافهم، فقرر البطريرك الماروني إلياس الحويّك، السفر إلى باريس، في حزيران خلال لقائه مع مطارنته في بكركي، وفي 16 حزيران 1919 كلّفه مجلس الإدارة، وبالإجماع أيضاً! "بمداومة المساعي في سبيل تقرير إستقلال لبنان الكبير إدارياً وسياسياً، معلقاً على إنصاف الدول العظمى تحقيق أماني وآمال الشعب اللبناني"[1]، لمحاولة كسب دعم الحكومة الفرنسية والشعب الفرنسي، ولعرض القضية اللبنانية أمام مؤتمر السلام.

إحتج الأمير فيصل بشدة وحذر بأن العرب لم يحاربوا الأتراك لكي تتجزأ بلادهم، بين بريطانيا وفرنسا[2]، فكان أن إستُدعي شكلياً، لحضور المناقشات في باريس، وعندما وصل إلى مرسيليا في 17 أيلول، كانت الدولتان قد أبرمتا، قبل وصوله بيومين، في 15 أيلول، إتفاقاً يقضي بإنسحاب الجيوش البريطانية من كليكيا وسوريا وتسليم دمشق وحمص وحماه إلى الأمير فيصل، وتسليم المنطقة الواقعة شمالي خط سايكس بيكو (المنطقة الغربية تقريباً) إلى الجيش الفرنسي، لقاء خضوع الموصل للنفوذ البريطاني.

خامساً: ولادة فكرة المقاومة وإستخدام القوة في مواجهة فرنسا

وبين لندن وباريس، قام الأمير فيصل بالكثير من المفاوضات والإقتراحات والتمنيات لإلغاء إتفاق 15 أيلول 1919، أو تعديله، أو تأجيل تنفيذه، لأنه كان من أخطر المشاريع على بلاد العرب، فقد كان تكريساً لإتفاقية سايكس- بيكو، القاضية بتقاسم النفوذ الأجنبي في بلاد

---

(1) آل عقل شديد في تاريخ لبنان الحديث والمعاصر، جان شرف، نقلاً عن محفوظات البطريكية المارونية بكركي، الملف رقم 26، وثيقة عدد 30، ص 409.

(2) الحركة العربية، المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة 1908-1924، سليمان موسى، مرجع سابق، ص 503، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، زين نور الدين زين، ص 137.

الشام، وكان بمثابة قرار بالإنتداب على بلاد الشام دون أن يسمي الإنتداب صراحة، ولم يكن مجرد تغيير في الوضع العسكري، كما يبدو ظاهرياً، ولم يكن تسوية تحكم مستقبل الولايات العربية فحسب، بل كان إجراء من شأنه أن يعرّض سلم المنطقة للخطر[1]، ولكن فرنسا وبريطانيا كانتا ماضيتين في تنفيذ مخططاتهما الإستعمارية في الشرق[2]، بدون أن تعبأ بفيصل وبتوسلاته! وهو الذي ذهب لمساومة الفرنسيين وهو أعزل إلا من سلاح الحق، بينما كانتا تبديان الإحترام الزائد للزعيم التركي مصطفى كمال، بعد لجوئه إلى القوة دفاعاً عن بلاده، فإكتشف فيصل أن المسألة مسألة قوة لا حقّ، وأن الإستقلال يؤخذ ولا يعطى، ولا حق بلا قوة[3]، فولدت عنده فكرة اللجوء إلى البأس والقوة وتفعيل عناصر المقاومة في الأمة، لكل ذلك، كانت إشاراته إلى أبيه الحسين بأن الفرنسيين خائفون من حدوث قلاقل في سوريا، الله الله! القوة القوة، كلما كلنا أقوياء كلما إحترمونا وخضعوا لمطاليبنا[4]، وفي توجيهاته إلى أخيه زيد في دمشق بأنّ على الأمة أن تُري العالم أنها ليست أقل حمية ومحبة لوطنها من الترك[5].

وكانت أجواء دمشق مشجّعة على المضي في طريق مقاومة الإستعمار، فعقد المؤتمر السوري جلسة خاصة أصدر في ختامها قراراً يستنكر إتفاق 15 أيلول 1919 الإستعماري التقاسمي. وتظاهر الآلاف في شوارع دمشق، وأظهرت الحالة الشعبية فوراناً وحماسة وطنية، وتصميماً، على رفض الهيمنة الإستعمارية، والدفاع عن الوطن، وقد وصف زيد الناس، في ردوده إلى أخيه فيصل، بأنهم في هياج، وأن الحكومة تعدّ العدة لإحتمال اللجوء إلى القوة[6].

---

(1) الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، زين انور الدين زين، مرجع سابق، ص 130.
(2) لتفاصيل إتفاق 15 أيلول 1919 راجع: الحركة العربية، المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة 1908-1924. سليمان موسى، ص 500-516. لورنس في البلاد العربية، ريتشارد الدنجتون، ص 271، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، زين نور الدين، ص 134-137. السياسة الدولية في المشرق العربي (1453-1939) أميل خوردي وعادل إسماعيل، ص 39-44، تاريخ جيش المشرق في لبنان، 1919-1920، جورج فغالي، ص 258، وثائق بريطانية لدى: الحكومة العربية في دمشق (1918-1920)، خيرية قاسمية ص 126.
(3) الحركة العربية، المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة 1908-1924، سليمان موسى، ص 517، لورنس في البلاد العربية- ريتشارد الدنجتون ، ص 272.
(4) المراسلات التاريخية، موسى سليمان، مرجع سابق، 1914-1918...، ج2، عمان 1963 ص 144.
(5) أوراق الأمير زيد، رسائل فيصل في 26 و27 و 1919/9/30، لدى الحركة العربية، المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة، 1908-924، سليمان موسى، مرجع سابق، ص 517.
(6) الحركة العربية، المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة 1908-1924، سليمان موسى، مرجع سابق، ص 523 و 530 و531.

وهكذا، ما أن أنهى الإستعمار الفرنسي الحكومات العربية في جبل عامل، وما أن تجاوب الفرنسيون مع دعاة الرضوخ للإنتداب الفرنسي في لبنان، وما أن وقع إتفاق 15 أيلول، وتحولت السيطرة في سوريا إلى الفرنسيين، حتى تمت مجموعة من التطورات أدّت إلى إنفجار حركات المقاومة العربية الشعبية العاملية ضد الوجود الفرنسي.

وكانت آمال كليمنصو وتطلعاته في الوصول إلى إتفاق مع فيصل، الذي وصل إلى باريس في تشرين الأول، لا تتوافق مع آراء بيكو وزملائه، ولكن بعد أن تخلَّت بريطانيا عن فيصل، لم يعد أمام كليمنصو إلا إتخاذ خطوة إعتبرت أساسية لحماية مصالح فرنسا.

وجاء قرار كليمنصو في تشرين الأول سنة (1919م) بتعيين "غورو" مفوضاً سامياً عسكرياً في سوريا ولبنان وكيلكيا، وقائداً للقوات الفرنسية في الشرق، والذي وصل إلى بيروت في 21 تشرين الثاني 1919 على رأس حملة مؤلفة من ثلاثين ألف جندي، ليكون حدثاً أثر بشكل فعّال على مستقبل سوريا ولبنان، وليتحقق الإنقلاب التام لمصلحة الموارنة وحلفائهم، فإن الحدود الحالية للبنان أتت بناء على قرار لغورو. وكان تعيينه إختياراً مناسباً جداً للمسيحيين. فنجاحاته في الحرب أكسبته نفوذاً كبيراً في الجيش ولدى الرأي العام الفرنسي. كما كانت له بعض الخبرات الإستعمارية في البلدان المسلمة. بالإضافة إلى ذلك كونه كاثوليكياً متزمتاً، فتوقعت الصحافة في دمشق أن "يسيل الدم كالنهر مع الحقد المجنون، لأنه معروف بقسوته وبسفك الدماء"[1].

وكاد الإنفجار العسكري المتوقع يحصل عندما أعلن غورو عزمه على إحتلال الأقضية الأربعة في البقاع تطبيقاً لإتفاق 15 أيلول الفرنسي- الإنكليزي، وأعطى فيصل أوامره إلى الحكومة العربية بالتصدي للفرنسيين، وأعلن أن مناطق البقاع وحاصبيا وراشيا "لن تعرف العودة إلى لبنان، مهما كانت الإتفاقات المتعلقة بها"[2]. وبالفعل، بدأت التعبئة العربية بقيادة الأمير محمود الفاعور للتصدي لأي تقدم عسكري فرنسي. وفي هذه الأجواء المشحونة توسّطت بريطانيا، فتراجعت فرنسا عن إجراءاتها في البقاع.

---

(1) أحمد مريود 1886-1926، محمود عبيدات، مرجع سابق، ص 156.
(2) د. ميشال ثابت الخوري، حكومة دمشق الفيصلية في لبنان 1918-1920 بين المؤيد والمعارض، مرجع سابق، ص 114

وتأكدت السياسة الفرنسية الجديدة، خلال مفاوضات كليمنصو مع فيصل والتي أدّت إلى إتفاق فيصل- كليمنصو المؤقت الأول في 25 تشرين الثاني 1919، والذي كان مناورة سياسية[1] من قِبل كليمنصو، لكسب ود فيصل طمعاً بتسوية شاملة حول سوريا. ومن قبل فيصل لكسب الوقت، فكتب إلى أخيه زيد يقول: "نحن لم نرتبط بأي شيء... كونوا على عزائمكم الأولى في إستحضار الجند... لا تتظاهروا بوجه عدائي لأي جهة كانت"[2].

سادساً: المسيحيون يرتبون الآثار على إنقلاب موازين القوى لمصلحة الغرب:

يرجع تاريخ وجود المسيحيين في جبل عامل إلى أواسط القرن الثامن عشر: ففي سنة 1759 م، في عهد إمارة الأمير منصور الشهابي، إنتقل مسيحيون من لبنان الشمالي وإستقروا في قرى في جنوبي جبل عامل، ومنهم بعض مشايخ آل الشدياق اللبنانيين الموارنة الذين إستقروا في عين إبل في بلاد الشام. ثم كثُر النازحون إلى جبل عامل من جبل لبنان وحاصبيا وراشيا إبان الفتن الطائفية بين الدروز والمسيحيين، 1840- 1860، وتوزعوا في نحو مائة قرية فيه. فمنهم من إستوطن قرى خاصة به، وجمهرتهم في مرجعيون وقضاء صيدا في إقليم التفاح منه، ومنهم من إستوطن قرى خاصة في قلب بلاد بشارة كعين إبل[3]، ورميش، والقوزح، ودبل، وأقرط، وعلما الشعب، ودردغية، والنفاخية، في قضاء صور.

وأما المقيمين عند الشيعة من المسيحيين فمنهم من سكن مع الشيعة في قراهم، مثل يارون، قسم في الكفور، وفي قرية النبطية الفوقا التي أسس فيها دير للموارنة بمساعدة أمراء البلاد، وأنشئ له فيها أملاك، تبلغ زهاء النصف من أملاك القرية الواسعة، ومنهم قسم في دير الزهراني، وفي قرية أنصار، وفي مزرعة الحمرا، وفي القصيبة وزوطر وقلعة ميس في ناحية الشقيف. وفي قرى كثيرة من ناحية إقليم التفاح بقضاء صيدا عائلات كثيرة وقرى مختصة فيهم. وبالجملة فإن المسيحيين كانوا منتشرين في أنحاء جبل عامل.

---

(1) البشير، 1919/11/22، الحكومة العربية في دمشق (1918-1920)، خيرية قاسمية، ص 139، أحمد مريود 1886-1926، محمود عبيدات، مرجع سابق، ص 158-161، تاريخ جيش المشرق في لبنان، 1919-1920- جورج فغالي، ص 263 إعتبر الفيصليون تخلي الفرنسيين عن البقاع ضعفاً منهم.

(2) أوراق الأمير زيد، الحركة العربية، المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة 1908-1924، سليمان موسى، مرجع سابق، ص 529، برقية فيصل، 28 تشرين الثاني 1919

(3) البشير، نيسان 1920م، ألفا نسمة من الموارنة والكاثوليك.

أما في مرجعيون فمساكنهم الجديدة (وفيها القليل من المسلمين)، والقليعة، والخربة، ودير ميماس، ومزرعة البويضة، وكل سكان هذه القرى منهم. وفي بلدة الخيام نحو الثلث من السكان المسيحين، وفي بلاط كذلك، وفي إبل القمح نحو النصف، وفي إبل السقي الأكثرية من المسيحيين والأقلية من الدروز.

وقد أكرم مشايخ جبل عامل في ذلك العهد الإقطاعي مثوى هؤلاء، فكانوا يعيشون ضمن كثرة شيعية إلا أن أحداً لم يمسسهم بسوء منذ مجيئهم إلى هذه الربوع، بل أحسن الشيعة جوارهم، وما كان يحصل من مشاجرة بين شخص منهم وبين آخر من قرية مجاورة كان لا يعدو الحوادث الشخصية التي تحصل حتى بين أبناء القرى الشيعية نفسها، وكان ينتهي في حينه ولا يمتد ولا يبقى له أثر.

ولا أدلّ على حسن معاملة الشيعة لهم من تهافتهم على سكنى بلادهم، وذلك ناتج عن إيوائهم في حوادث سنة 1860م وقيامهم بالدفاع عنهم ومواساتهم لهم في أنفسهم في تلك الأيام العصيبة، وفي زمن المجاعة آوى الشيعة قسماً عظيماً منهم، وعاملوا الفارين من التجنيد أحسن معاملة .

ومنذ اليوم الأول لهزيمة الدول العثمانية، ووقوع العدوان والإحتلال الفرنسي على بلاد الشام ونزول الفرنسيين في السواحل اللبنانية، إنقلب ميزان القوى تماماً لمصلحة الغرب الإستعماري، وإنعكست صورة هذا الإنقلاب على الشيعة والطوائف اللبنانية، وخصوصاً الموارنة منهم، فبرزت عند الموارنة روح إستشعار القوة والبأس، وكان وضعهم السياسي والأمني مرتاحاً في جبل لبنان،بسبب الأكثرية المسيحية فيها كما أن الشيعة هناك تصرفوا بحكمة وتعقل في مثل هكذا ظروف مما أدّى إلى أن يعبر جبل لبنان سنوات العاصفة بنحو من الطمأنينة.

وكان عدد سكان جبل عامل، سنة 1932م، يبلغ مائة وخمسة وعشرين ألف نسمة ونيفاً، كان عدد الشيعة المسلمين منهم مائة ألف، أي الأكثرية المطلقة، والباقون من المسلمين والمسيحيين من مختلف الطوائف، ويبلغ عدد السكان المسيحين زهاء خمسة عشر ألف

نسمة، ومثل هذا العدد تقريباً يبلغ السكان المسلمون السنة[1]، وقد مالت الأكثرية الإسلامية، وهي من الشيعة، إلى رأي سياسي يخالف رأي المسيحيين، وهو إختيار الإنضمام إلى الدولة العربية، كما مالت الأكثرية المسيحية في جبل لبنان إلى فرنسا، ولم يقف مسيحيو جبل عامل نفس الموقف الذي وقفه شيعة جبل لبنان، وهو الموقف الذي يستند على إحترام رأي جيرانهم الشيعة، الذين هم أكثرية في جبل عامل، ومن حقهم أن يداريهم المسيحيون ويتصرفوا بحكمة وتعقل! حتى تمر العاصفة على البلاد بهدوء! ولكنهم لم يفعلوا، بل إستشعروا روح التفوق بسبب تفوق فرنسا الصليبية، فقدموا أنفسهم لفرنسا التي أرادت أن تستعملهم في إحداث الفتنة بينهم وبين جيرانهم الشيعة، حتى يصبحوا رهينتها، ويكون بيدها ذريعة للتدخل المباشر في المنطقة.

ولم يطل العهد حتى ظهرت بوادر التنكر من بعض المسيحيين لإخوانهم الشيعة. فظهر بين المسيحيين من يجاهر بعداوة المسلمين، وتطوع بعضهم إلى القذف والسباب في دينهم وقوميتهم العربية، وأخذت بوادر النفور تزداد، مما أوجس منه العقلاء خيفة.

فأنشأ بعض المسيحيين الأناشيد الجارحة لعواطف المسلمين، وجلّها طعن في الإسلام والعرب وملك العرب والأمير فيصل. فلم يكن المسلمون يقابلون تلك الأناشيد بمثلها، بل بما لا يخرج عن مدح فيصل وبيته والتغني بالإستقلال العربية وأمجاد العرب[2].

وإتخذ معظم المسيحيين جانب الفرنسيين، واستقبلوهم بالترحاب، وكان معظمهم يريد إلحاق جبل عامل بلبنان تحت حماية الفرنسيين، وكانوا يأوون الجنود الفرنسيين، ويسدون حاجاتهم إذا مروا في قراهم، وتحدوا جيرانهم وإستفزوهم، ونفخوا في موقد مطفأ، فأثاروا كوامن الجمر في النفوس، فأججوا غضب جيرانهم الشيعة، وتعرضوا لإنتقام العروبيين منهم.

ممّا وسم الصراع بسمةٍ غير السمة القومية، وهدد بإشتعال الصراع الطائفي بين المناطق المسيحية والإسلامية، وكان الفرنسيون يهدفون، بإذكاء الصراع الطائفي، إلى إثبات

---

(1) الشيخ سليمان ظاهر، صفحات من تاريخ جبل عامل، ص 24.
(2) المصدر نفسه، ص 27

أن الشعب لم يكن جديراً بالإستقلال[1]. ولكن التاريخ والإعلام الكاذب صور المسيحيين أنهم يدافعون عن أنفسهم في وجه جيرانهم. مع أن حكمة التاريخ لا تجعل الذي ينضم إلى المعتدي الفرنسي على جيرانه سوى أنه هو المسؤول عن نتائج موقفه، ومن المؤسف، ولسوء الحظ، أن يتحدث بعض المؤرخين عن ردة الفعل الشيعية فقط! وتبقى هذه المسألة في طي التكتم، ولا تقال فيها الحقيقةَ! وهي أن الطغيان الفرنسي أغرى بالجهالة، وإن الفرنسي لم يكن ليستطيع ذلك لو لم يكن عند المسيحيين تلك القابلية لذلك، فقد أعلنوا "تعلقهم بفرنسا في مناسبات عدة، وأحياناً بمظاهرات متهورة أو طائشة"، ورحبوا بفرنسا "وسُرّو بإحتلالها"، كما يقول المتروبوليت صايغ[2].

- الدور الفرنسي في تعزيز الإنقسامات الطائفية بين أبناء الوطن

وإختار الفرنسيون أعوانهم ودعاتهم من المتطرفين الطائفيين الذين باعدوا بين الحكومة والشيعة، بما كانوا يظهرونه من التعصبات الدنيئة المضرة، كما يقول حبيب رزق الله أحد أنصار الفرنسيين[3]. ومن الحوادث الإستفزازية[4]، يقول القس خليل الراسي: بعد إنسحاب الترك، "جاء الجنود الفرنسيون فخرج (الناس في مرجعيون) لملاقاتهم يتقدمهم الصليب وتلامذة المدارس بالأناشيد، يتخللها قرع الأجراس، وتوجهوا إلى دار الحكومة، فما كان من حامل الصليب إلا أن صعد إلى المئذنة وركز الصليب عليها مما أساء للمسلمين ودعا إلى رفع الإحتجاجات، لإعتبار ذلك العمل إستهانة بمشاعرهم الدينية"[5]، والأنكى من ذلك أن الفرنسيين سوفّوا في معالجة هذه الإساءة.

وجرى في الجديدة، قاعدة حكومة مرجعيون، حادث أمام مسلميها القلائل وأقعدهم وهو أن حاكمها العسكري فيها يقدم (الجنرال غورو) مفوضاً سامياً إلى بيروت، وأمر برفع الأعلام الفرنسية في الدور والحوانيت والمعابد، وحسّن إليه فريق أن يرفع العلم الفرنسي

---

(1) بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين، ج2 ص 160
(2) البشير، 11/ 5 و10 و1920/6/26.
(3) تقارير دورية، سليمان ظاهر، 6مصدر سابق، أيلول 1919
(4) مفكرات يومية، الشيخ سليمان ظاهر، مصدر سابق،11 و22 تشرين الثاني و2 و12 كانون الأول 1918، وتقارير 6 أيلول 1919 كان اعضاء محكمة صور مسيحيين عدا مسلماً واحداً، الحقيقة، 1918/12/24.
(5) ذكريات واعظة، القس خليل الراسي، مخطوط، ص 203، راجع: تاريخ جبل عامل، د. محمد بسام، مرجع سابق.

على منارة المسجد، فعارضت الأقلية المسلمة ذلك، وقدمت إحتجاجها على هذا العمل الذي رأته مهيناً لكرامة معبدها. ولكن الإحتجاج ذهب بدون جدوى، وذهب بعض الجند الفرنسيين مع بعض الأهلين المسلمين غير العابئين بمس شعورها الديني، ونصبوا العلم على منارة المسجد بطريق الإكراه[1].

وفي مرجعيون أيضاً، وقعت حادثة في كانون الأول 1919 "من بعض مهووسي المسيحيين"[2]، فعرضها الوجيه الحاج نجيب بكار في كتاب مفتوح إلى الجنرال غورو، جاء فيه: "إتفق حاكمنا العسكري على رفع العلم فوق معبدنا، فأرسل الشرطة... ودخلوا الجامع بأسلحتهم وصعدوا فوق منارته ورفعوا العلم، وأطلقوا الرصاص وأنشدوا الأناشيد الصبيانية"[3]. لكن الحاكم الفرنسي إستهان بالحادثة، على حساسيتها وخطورتها، وزعم "أن المؤذن رفع تلك الراية من تلقاء نفسه"[4]لا بل أعلن غورو: "إن الشرف يحل حيث يحل هذا العلم. ثم سجن الحاج نجيب في صيدا بحجة أن ينفّر المسلمين من فرنسا"[5]. وهذا ما دفع أعيان مرجعيون المسلمين إلى الإبراق إلى الأمير زيد في دمشق: "على أثر وصول الجنرال غورو إلى بيروت، رفع حاكم مرجعيون فوق قباب المآذن الراية الفرنسية، فإضطرتنا هذه البدعة غلى ترك الأذان والصلاة. وغرضُنا شكوانا"[6]. وتتابعت الإستفزازات الطائفية من قبل "الرعاع" في غير بلدة مسيحية، نتيجة رسوخ عقيدة في نفوس المسيحيين أن الحكم أصبح لهم نتيجة للسيطرة الفرنسية، وكان من جراء هذه السياسة الملتوية أن أخذ تعبير بعضهم بكلمات تجرح عواطف المسلمين، وتمس جوهر دينهم[7]، ومثل هذه الأقوال بعض أفاعيل يثور لها ثائر المسلم، فقد تجرأ رجل مسيحي من أهل قرية برعشيت، والسكان

(1) الشيخ سليمان ضاهر، صفحات من تاريخ جبل عامل، مصدر سابق، ص 85.
(2) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، العرفان، م 32، ج9 ص 851
(3) الحقيقة، 27 كانون الأول 1919
(4) الحقيقة، 7 و 8 كانون الأول 1919.
(5) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، العرفان، م 32، ج 9 و10 ص 849
(6) الحقيقة، 1 و2و4 كانون الأول 1919، جبل عامل في الحرب الكونية، ص 68، وصحيفة الإستقلال العربي الدمشقية، 25 تشرين الثاني 1919.
(7) الشيخ سليمان ضاهر جبل عامل في الحرب، دار المطبوعات الشرقية، بيروت 1986 ، ص 64 و 67.

المسيحيون فيها أقلية ضئيلة عاشوا مع المسلمين قبل الإحتلال عيشة وئام وسلام، أن يحمله جهله على تسمية كلب له باسم فيصل، وكلبتين باسم فاطمة وخديجة[1].

ومثال ذلك ما حدث في صور من الإعتداء على السيد عبد الحسين شرف الدين في 13 كانون الثاني 1918م، حيث هجم عليه في داره مدير أمن صور آنذاك (الحلاج) وعسكري فرنسي، وولجا داخل حرمه بحجة أن في بيته جمعية سرية، ولما أراد إخراجهم بالحسنى، شهر عليه الحلاج مسدسه، ولولا صراخ نسائه لقتله[2].

وفي صور سب شرطي مسيحي دين الإسلام ومحمداً صلى الله عليه وسلم وإبنته الزهراء عليها الصلاة والسلام، وكادت تنشب فيها من جراء ذلك ثورة دينية لولا تلافي عقلاء المسلمين شرها[3].

ومثال ذلك ما حدث في صيدا يوم الجمعة 24 كانون الثاني عام 1919، يوم مرّ فيها (ريكوراه) قائد فرقة المتطوعين اللبنانيين الشمالية في الفرقة السورية في الجيش الفرنسي، الذي ساح سياحة عسكرية أو سياسية في القسم الجنوبي من لبنان، وجاء صيدا فجديدة مرجعيون فصور فصيدا خاتمة المطاف في 31 كانون الثاني سنة 1919م، فرأى بعض المقربين من وجوه المسيحيين ضرورة دعوة القرى المسيحية للإحتفال بقدومه وفرقته. وقد رأوا تبرّم المسلمين من الإستقبال، وأسباب التبرّم كثيرة، فاستحسن (شارنتيه) الرأي، وكتب إلى وجهاء المسيحية يدعوهم للحضور. وفي اليوم نفسه، قدم أهالي القرى بقضّهم وقديدهم، فكانت مظاهرتهم مظاهرة عدائية للمسلمين تثير كلها ثائرة المسلمين.

دين المسيح الدين الصحيح   والحكم لفرنسا صريح

وجرى للنفر القليل من المسلمين الذين حضروا الإحتفال، من جرح العواطف الدينية، والتعرض لهم بكل إساءة من المحتفلين ورجال الدرك والشرطة، ومن التف إليهم من المتطوعة والجنود الفرنسيين، ما كادت تصبح به صيدا ساحة حرب، لو لم يتدارك العقلاء

---

(1) الشيخ سليمان ظاهر، صفحات من تاريخ جبل عامل، ص 81
(2) المصدر نفسه، ص 28
(3) المصدر نفسه، ص 84.

الخطر بإقصاء المسلمين عن أمكنة إجتماع الجماهير المحتشدة من البوابة الفوقا إلى دار الحكومة. ورأي الصيداويون من آثار تعصب وجهاء المسيحيين ما حدا بعقلاء المسلمين أن يضبطوا بالحكمة نزق شبانهم. ولكن سياسة الخفاء لم تشأ أن يذهب هذا الإجتماع الحافل بلا أثر يذكر، فكان ما كان من هجوم ثلة من العسكر المرابط بصيدا حينذاك، متذرعين بأسباب مختلفة واهية، على بعض المجتمعين من المسلمين بالبنادق وفي رؤوسها الحراب، وإنجلت المعركة عن حادثتين: فقد إنتهوا إلى نسيب شهاب المعروف بميوله العربية، فهشموا وجهه وقطعوا أنفه بحرابهم، وكادوا يقضون عليه لولا دفاع البعض عنه، وإصابة محمود العكاوي بضربة حربة تلقاها بكفه فحطمها بعد أن قطعت له إصبعاً، فإنتهت المظاهرة بهذه الحادثة المؤلمة[1].

- "دور أهالي عين إبل":

وأما عين إبل، فقد أسهم أهلها، كغيرهم من مسيحيي لبنان عامة وجبل عامل خاصة، في إصدار العرائض المطالبة بالإنضمام إلى "لبنان الكبير" تحت الحماية الفرنسية، لكنهم تمايزوا عن جوارهم بأنهم كانوا أول من أسسوا جمعية مؤيدة للفرنسيين، باسم "جمعية إتحاد الشبيبة الوطنية"، ومن أهدافها: "توحيد قلوب الشبيبة على عمل الخير، ونشر حسنات فرنسا، وبيان نياتها النبيلة نحو البلاد"[2].

ولم يُخفِ أهالي عين إبل أملهم المطلق وتعلقهم العميق بفرنسا "المسيحية" عبر إحتفالاتهم بالمناسبات الوطنية الفرنسية، واهازيجهم السياسية الطائفية، وعلى أثر وصول الجنرال غورو إلى بيروت، تشرين الثاني 1919، مفوضاً سامياً وقائداً عاماً لجيوش الشرق، تنقل "البشير" من عين إبل وقائع إحتفال سياسي، كان يستبطن، بالمنظار الطائفي لذلك الزمان، مشاعر سياسية طائفية. فقد أقامت "جمعية إتحاد الشبيبة الوطنية في عين إبل، حفلة شائقة، إكراماً لتشريف الجنرال غورو سوريا، ولإرتفاع العلم المثلث اللوان. وإفتتحت الحفلة بنشيد المارسيليارز، ثم رُفع العلم وحيوه، وألقى فيها الخوري يوسف فرح خطبة مستجادة،

---

(1) الشيخ سليمان ظاهر، صفحات من تاريخ جبل عامل، مصدر سابق، ص 28.
(2) البشير، 25 كانون الثاني، 1920.

ذكر فيها أمجاد العلم الفرنسي، وبين مناقب الجنرال، وزُيّن صدر الحفل في صورته، موضوعة ضمن إطار جميل طرزته راهبات قلبي يسوع ومريم الأقدسين في عين إبل وتخلل الحفلة إطلاق الرصاص والأسهم النارية والقصائد والأهازيج والزغاريد، ومباريات زجلية وأغانٍ شعبية تمدح فرنسا المسيحية بإنتصارها على تركيا المسلمة[1]، ومنها:

بـيـبـا لـفـرنـسا بـيـبـا يـحـيـا ديـن الصـلـيبا

فـرنـسا يـا شـعـب المليـح يـا مـعـزز ديـن المـسـيـح

ولكن هذه المظاهر لم تبق محصورة داخل القرية بل تعدتها إلى خارجها، عبر مواكب شعبية في مناسبات سياسية أو دينية للقاء الحاكم الفرنسي في صور، وكان أحدها موكبٌ عينبليّ يخترق القرى الشيعية، ويرفع لافتة بيضاء كُتب عليها بالفرنسية: "تعيش فرنسا- يعيش كليمنصو- يعيش الجنرال غورو" مع ما رافق ذلك من الهتافات والأهازيج الإستفزازية[2].

وأصبح أهالي عين إبل "معطّلين أشغالهم" بسبب الظروف الأمنية السائدة، وكان من الطبيعي أن تؤدي تلك الأجواء المتوترة إلى إنعزال مسيحي عين إبل عن محيطهم الشيعي، وإمتناعهم لمدة عن إرتياد السوق الأسبوعية العامة في بنت جبيل[3].

ثم منح الفرنسيون السلاح "لأهل عين إبل" وسوّل لهم المستعمر، فإغتروّا بحصانة موقعهم وبقوة أسلحتهم، وإبتدروا من مكامنهم منصلتين بالعداوة والمجاهرة بالإعتداء وكانت هذه حركة إستفزازية قابلها الفتيان العامليون بالإستياء والحفيظة"[4].

وفي حادثة إستفزازية أخرى يحدّث أهالي عين إبل: "ذهب وفد من عين إبل إلى صور لطلب الحماية من القائد (دي لاباستيير)، فإعتذر هذا عن تلبية الطلب محتجاً بأنه، شخصياً، يخشى صادق حمزة، ولا يستطيع أن يرسل جندياً واحداً لحمايتهم، وأنه هو نفسه

---

(1) البشير، 1919/12/18، المشرقن خياط، م 18، ص 779
(2) إلياس صادر، ثورة جبل عامل، مرجع سابق، ص 46
(3) البشير، 25 نيسان 1920.
(4) شرف الدين، الألواح، مصدر سابق، س 1، 1951، ع1، ص5

ينام في البحر خوفاً من هجوم العصابات، ولكنه قال للوفد: هذه مخازن السلاح خذوا منها ما شئتم من البنادق والذخيرة ودافعوا عن قريتكم بأنفسكم... ونريد رأس شيعي مقابل كل رصاصة...

- وكيف نحمل الرؤوس؟! سأل أحدهم...

قال لهم القائد الفرنسي: إحملوا الآذان فقط"[1].

وقد عصِيت عين إبل على غارات "العصابات العربية"، "لبسالة أهلها"، كما تقول الراهبة كلمنتين خياط[2]، لا بل عرضت الحماية على من يطلبها من القرى المسيحية المجاورة وإتفق بينها على دق الأجراس كإشارة عند الخطر. وربما شجع ذلك العينبليين على التمادي في الولاء السافر لفرنسا، والنزول معها في خندق واحد.

ولعل الأمر الأكثر خطورة هو إنعكاس الشأن السياسي على الديني، فقد أشيع عن أهالي عين إبل قيامهم بممارسات تمس الشعائر الدينية، وأنهم إرتكبوا إساءة من أعظم الإساءات ألا وهي أنهم كانوا يتدربون بالرماية على تماثيل ترمز إلى مقامات قدسية إسلامية[3]، فقد نصبوا تمثالاً أطلقوا عليه إسم محمد صلى الله عليه وسلم وإستهدفوه لرصاصهم[4].

وتعرضوا للسابلة التي تمر بضاحية قريتهم بالإهانة والشتائم، وأدّت الحال ببعض نواطير هذه القرية إلى الهجوم على نسوة كن يغسلن الثياب على عين ماء قريبة من القرية وهن عاريات، فذعرن من هذا الهجوم الذي لم يعرفن له مثيلاً قط، ولا سبق أن أسيء إلى أمثالهن مثل هذه الإساءة.وبلغ من إستخفافهم بمجاوريهم المسلمين أن أطلق بعضهم النار على رجل أشيب فأرداه قتيلاً، وإدعى أنه ظنه ثعلباً، فكأن السلاح الذي سلحتهم به السلطة الإحتلالية لم يكن له من غرض يرمي إليه إلا خلق أسباب إثارة النفوس المسلمة المطمئنة

---

(1) إلياس صادر، ثورة جبل عامل، مرجع سابق، ص 47.

(2) مجلة المشرق، كليمنتين خياط، م 18، ص 781

(3) حكمت بزي، من حقيبتي التاريخية، جبل عامل في تاريخه، ميشيغن – أمريكا – 1998، ص 508

(4) الشيخ سليمان ظاهر، صفحات من تاريخ جبل عامل، مصدر سابق، ص 85

وإحداث ما حدث[1]. وعلى الرغم من تبعية منطقة العرقوب لقضاء حاصبيا التابع لولاية سوريا تحت الحكم العربي، فإن قربها من مرجعيون الواقعة تحت الإدارة الفرنسية تجعل بعض مسيحيي العرقوب يُظهرون "ميلهم لفرنسا" ببعض المظاهر المستفزة. التي كادت تبكّر بإندلاع الصدام مع جيرانهم المسلمين لولا حكمة عقلاء المسلمين. وتقرّب إلى حكام صور وصيدا وجديدة مرجعيون جماعة من المسيحيين والمسلمين النفعيين، ولكن الكلمة النافذة والمسموعة في الدرجة الأولى كانت للمسيحيين منهم، فكانوا يصوّرون الشيعة في أقبح صور التعصب والهمجية، وقامت سوق الإعتداءات والوشايات على المحتلين، ويكاد يحمل على هذه الدعايات الضارة كل ما مُني به الوطنيون من تنابذ وتشاحن وثورات[2]، فقام آل فرنسيس، خليل وإبراهيم من القليعة، ومطران الروم الكاثوليك الذي كان في نزاع مستمر مع آل عبدالله من الخيام، وآل بركات وفرحة، من جديد مرجعيون، بأدوار مهمة في توسيع شقة الخلاف بين الفرنسيين والوطنيين المسلمين من السنة والشيعة. ولما كان لهؤلاء مصالح في القضاء فقد إغتنموا هذه الفرصة السانحة لتحقيقها[3].

- تشكيل فرنسا لفرقة الشرق:

وكانت حكومة باريس، قد بدأت، خلال الحرب الكبرى، تشكل فرقة الشرق من متطوعين أرمن ومغاربة ولبنانيين. وفي كانون الثاني 1919، قرر المفوض السامي، جورج بيكو، تشكيل الفرق السورية الفرنسية الخاصة من كتيبة سورية مسيحية كانت جاهزة، فإستقدم الفرنسيون المئات من المتطوعة المسيحيين من جزين حتى زغرتا إلى جبل عامل[4]. وفي التسليح، وزع الفرنسيون (20 الف بندقية) على "الجهّال" من العامليين مسلمين ومسيحيين[5]، "ومن يسلّح الجهّال يريد أن يحدث شغباً في البلاد"[6]. أوجين يونغ، كمصدر أوروبي، رأى أن الفرنسيين كانوا ينوون، من وراء ذلك، أن يجعلوا المسلمين يطمعون بالمسيحيين، ويعتدوا عليهم، فيجد المحتلون مبرراً لعملهم المنكر[7]. لذلك، راح

(1) الشيخ سليمان ظاهر، المصدر نفسه، ص 85.
(2) الشيخ سليمان ظاهر، صفحات من تاريخ جبل عامل، مصدر سابق، ص 81.
(3) الشيخ سليمان ظاهر،المصدر نفسه، ص 30.
(4) جورج فغالي، تاريخ جيش المشرق في لبنان، 1919 -1920، منشورات الجامعة اللبنانية – بيروت 1997م، ص 195-205.
(5) جبل عامل، د. محمد بسام، نقلاً عن تقارير غورو، في 7 و 1920/6/8، ومن وثائق وزارة الخارجية الفرنسية.
(6) الحقيقة، 6 آذار 1920، نقلاً عن صحيفة دير القمر.
(7) المرجع نفسه.

"غورو" يبث الدسائس بين الأهلين، العنصرية والطائفية، فإتخذها ذريعة لإجتياحه وإنهاء المقاومة فيه[1].

وكان حادث واحد كافياً لإشعال الفتنة، وعندما تحوّل الصراع العربي الفرنسي عسكرياً، تظاهر الفرنسيون بالعجز المريب، وورطوا "الحزب الميال لفرنسا" بحجة الدفاع عن النفس.

- فرنسا تسلح المسيحيين:

ثم قام الفرنسيون بتسليح المسيحيين بالأسحلة الفرنسية، فتورط المسيحيون بتنظيم تشكيلات عسكرية[2]، كان أشهرها عصابة القليعة برئاسة إبراهيم فرنسيس وهو من الموارنة المناصرين لفرنسا[3]، وعلى اثر إعلان الملكية في سوريا، وبعد رفع الأعلام العربية في قرى بلاد بشارة، قصد صادق حمزة عين إبل، فطلب منها مائة وخمسين بندقية كانوا تسلموها من حاكم صور الفرنسي، فرفضوا الإذعان للأمر، فأنذرهم وأعطاهم مهلة 24 ساعة[4]. ثم أرسل صادق إلى عين إبل رسولاً يعطيها الأمان، ويطلب منها الإنضمام إلى الحكومة العربية ونصب العلم الشريفي، وتسليم كمية من الأسحلة ودفع 400 ليرة لملك سوريا، فكان جواب أعيان البلدة متّصفاً بالحكمة والرزانة السياسي، بقولهم: "إنهم يهنئون الأمير لسمو مقامه، ولكنهم لا يمكنهم دفع سلاحهم ولا رفع العلم (العربي) إلا بأمر من حاكمهم الفرنساوي في صور"[5]. لكن جواب المسلحين العينبليين حمل بعض الإستفزاز، إذ قالوا بتحدٍ: فليأت صادق لأخذ سلاحنا بنفسه، ونحن بإنتظاره على بركة شلعبون (بين عين إبل وبنت جبيل)، وفي رواية أخرى أنهم أجابوا رسول صادق، بلّغ صادقاً أن موته لن يكون إلا برصاص شباب عين إبل[6].

---

(1) أميل خوري وعادل إسماعيل، السياسة الدولية في المشرق العربي (1453-1939)، دار النشر للسياسة والتاريخ، بيروت 1960م، ص 52، تقرير أيار 1920.

(2) صابرينا ميرفان، حركة الإصلاح الشيعي، دار النهار، بيروت 2003، ص 423

(3) صادق حمزة الفاعور، علي مرتضى الأمين، ص 58 وما بعدها

(4) الشيخ أحمد رضا، مذكرات للتاريخ، مرجع سابق،11 آذار 1920، العرفان، م 33، ص 733.

(5) مجلة المشرق، خياط، م18، ص 781.

(6) إلياس صادر، ثورة جبل عامل، مرجع سابق، ص 48-49.

وبعد مدة، أعاد صادق، للمرة الثالثة، طلب تسليم 150 بندقية كانوا تسلموها من حاكم صور الفرنسي، فرفضوا الإذعان للأمر.

ولمّا قصد صادق الحمزة عين إبل ليرد التحدث، ولكن شبانها المسلحين إنتظموا على حدودها الشرقية وبادلوه إطلاق الرصاص، وردوه على أعقابه، ولم يكررها ثانية، نزولاً عند رغبة وجهاء بنت جبيل تفادياً للفتنة[1].

وبعد أن وزع الفرنسيون الأسلحة على المسيحيين للرد على هجمات المسلمين عليهم، قاموا بنزع السلاح من المسلمين العامليين الشيعة، فبعثوا بقوات عسكرية تجولت في جبل عامل، ولكنهم لم يصنعوا شيئاً من ذلك مع المسيحيين، بل إخترقوا حرمات بيوت الشيعة، من زعماء ووجهاء وعلماء بإسم التفتيش على الأسلحة[2]. فهتكوا حرمة بيت السيد محمود الحسين محمود إبن أجل علماء الجبل، حيث تلقوا أخباراً من بعض مسيحيي جديدة مرجعيون، وإقتحموا دار الحاج محمد حسن عبد الله، الذي وشى به أحد أهالي جديدة مرجعيون، ولم يحترموا فيه أنه كبير أسرة عبد الله، ولما طلبوا منه سلاح قرية الخيام وأجابهم بأنه لا يعلم مكان وجود الأسلحة، ولا يعلم أن في القرية سلاحاً، أحالوه على التفتيش، فأوثقوه وأوسعوه ضرباً وشتماً، وهو مع رفعة شأنه يبلغ من العمر 75 عاماً[3].

وكانت قرية دردغية ضئيلة العدد، في محيط شيعي كثيف، من عشرات القرى، إحتضنها وتعايش معها وأحاطها بالحفظ والإحترام، بحيث أن عقوداً كاملة لم يسمع فيها لدردغية شكوى! وعندما وقع العدوان الفرنسي، أصبح خليل إبراهيم بدوي، شيخ قرية دردغية، عميلاً للفرنسيين، وأخذ يطارد جاره الشيعي، والوجيه في قريته، محمد مطر، وإتهمه بأن صادق الحمزة، المقاوم الشهير يأوي إليه، فلاقى محمد مطر من هذه الوشايات أعظم البلاء، فكان أن أعتبر صادق حمزة خليل إبراهيم بدوي خصمه المرتبط بالعدو الفرنسي، وإقتصى منه وهاجم قريته عدة مرات[4]. وهكذا زجَّ المسيحيون أنفسهم في الصراع العسكري، بعد عقود من حسن وئام الشيعة معهم، فتسلط الغرور عليهم، "فجاهروا

(1) عدنان أيوب، ثورة جبل عامل سنة 1920، مرجع سابق، ص 38.
(2) جبل عامل في الحرب الكونية، مصدر سابق، ص 25.
(3) الشيخ سليمان ظاهر، صفحات من تاريخ جبل عامل، مصدر سابق، ص 29.
(4) الشيخ سليمان ظاهر، صفحات من تاريخ جبل عامل، مصدر سابق، ص 28.

بالعداء وتسلطوا بالإعتداء"، وراحوا "يعملون على الأخذ بالثأر" (من العهد التركي)، عندما تسنت لهم الفرصة مع الإحتلال الفرنسي[1]. وعلى سبيل المثال، إستحضر حاكم ناحية بنت جبيل (الفرنسي) 50 مسلحاً من "مسيحيي عين إبل ليقبض على عصابة إسلامية"[2].

ومع ذلك فإن المراقب للموقف المسيحي على الأرض، يلاحظ أن المسيحيين عندما جمعوا على الجهر بالتأييد للمعتدي الفرنسي، فقد سالمت بلدات رميش وعلما الشعب والقوزح، جوارها الشيعي، وميّزت نفسها عن بلدة عين إبل، التي شكلت في داخل جبل عامل، ثقل الحزب الميال لفرنسا. كذلك يلاحظ المراقب أن ردة الفعل الشيعية لم تكن شاملة عمياء ضد المسيحيين! فقد كانت تبنين من القرى المختلطة، التي يعيش فيها المسيحيون والشيعة، فقام وجهاؤها، مع بعض المسلحين من البلدة، خوفاً على جيرانهم المسيحيين من أن يمسهم أذى غير منتظر، بحمايتها وحماية المسيحيين خاصة[3].

ولم يقصر العامليون الشيعة في نواحي صور والنبطية، في إغاثة المسيحيين المهجرين، وأنزلوهم بكل روح وطنية، ضيوفاً في بيوتهم، فكان للسيد عبد الحسين شرف الدين وأعيان صور، وللشيعة عموماً أيادٍ خيّرة في إغاثة مهجري النفاخية ودردغيا وطير سمحات وغيرها، وإستقبالهم في صور والقرى الشيعية، وبخاصة صريفا وأرزون وشحور بلدة شرف الدين نفسه، فاقاموا فيها بأمان لمدة أشهر.

وحينما هاجم جنود الحكومة العربية ورجال المقاومة الشيعية العاملية جديدة مرجعيون، وكان الهرب من لظى الحرب يشمل الصالح والطالح، واسى أهالي النبطية أهالي جديدة مرجعيون وجوارها، الذين فّروا بعائلاتهم إلى النبطية[4]، وما زالت عائلات كثيرة متوطّنة فيها إلى اليوم.

ولكن المعتدي الفرنسي نشر الأسلحة والفوضى والإضطراب وفقدان الأمن في ربوع جبل عامل، وكان يتصنع أن قواته غير كافية للقيام بالمطلوب، فكان يضغط على الجميع

(1) إلياس صادر، ثورة جبل عامل، مرجع سابق، ص 24، حكومة دمشق القنصلية، الخوري، ط1، ص 143.
(2) لسان الحال، 22 آذار 1920.
(3) البشير، 18 و 20 كانون الأول 1919، و27 كانون الثاني 1920 و 15 و24 حزران و3 حزيران و3 تموز 1920.
(4) الحقيقة، 30 و 21 حزيران 1920، مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، العرفان، ص 34، ص 356

للإستسلام للعدوان الفرنسي، حتى جعل المسيحيين يستنجدون به، فيناشد مطران صور للروم الكاثوليك غورو أن يتدخل ليعاقب المذنبين، وأظهر الوجهاء والزعماء الشيعة عاجزين عن السيطرة على الوضع وإعادة الأمن والسلام إلى البلاد، مستغرقين في الحيرة أمام وضع متعذر على الحل، ليس لهم عليه أي تاثير.

وسرعان ما سببت هذه السياسة الإستعمارية في إحداث هوة عميقة بين الضعفاء من الفريقين، فكان الفرنسيون يظهرون إيثار المسيحي على المسلم، وإنهم إنما إحتلوا البلاد من أجل حمايته من المسلم، وأثاروا، بهذه السياسة التي تناستها البلاد حقبة من الزمن، دفائن وأحقاداً كان منها أن تنكر الكثير من المسيحيين ولا سيما سكان القرى لإخوانهم وجيرانهم المسلمين، وكان لهذا التنكر أثره السيء في كل ما حدث في منطقة جبل عامل من أمور كان يأبى حدوثها عقلاء المسيحيين، ولكن الأمر كان قد خرج من يدهم وأصبح الشأن للغوغاء والدهماء[1].

سابعاً: خاصة الشيعة في مواجهة الفرنسيين:

"لم يكن رجال الدين الشيعة في العهد العثماني يسمون من قبل الدولة، بل إن ذلك قد بدأ بعد سنة 1926 في عهد الإنتداب الفرنسي. وذلك أن الرياسة الدينية لدى العامليين كانت تعود للمجتهدين الكبار في النجف، وكان المؤمنون في كل العالم الشيعي يعترفون بسلطتهم، ولم تكن هذه الرياسة تعود إلى شيخ الإسلام في إسطنبول"، بل "كان رجال الدين يستمدون موقعهم والإعتراف بهم من الشعب وليس من الدولة، فهم عنها مستقلون معنوياً ومادياً"، أما بالنسبة للقضاء فقد "كان في تاريخ جبل عامل الحديث نظامان متوازيان: الأول أسسه كبار المجتهدين والثاني أقامته الدولة العثمانية ثم الدولة اللبنانية".

وكان ثمة تنافس، في تلك المرحلة، بين الزعماء التقليديين والعلماء الدينيين، ويقول محمد جابر آل صفا: "أما العلماء فقد كانوا على نزاهة ما فوقها نزاهة، وسلطتهم هي السلطة العليا التي تحنى لها الرقاب، وتتطأطأ لها الرؤوس، ولم يكن يجسر زعيم قط مهما عظم شأنه

---

(1) الشيخ سليمان ظاهر، صفحات من تاريخ جبل عامل، مصدر سابق، ص 82.

وكبر مقامه وتوفر ماله وجنده، على مناوأة العالم أو رد حكمه الذي لم يكن سلاحه وجنده إلا تقوى الله والزهد والنزاهة والبعد عن زخارف الدنيا"[1].

أما بخصوص العلاقة بين جمهور الشيعة وعلمائهم: فالمؤمنون لم يكونوا يقتصرون في سؤال المجتهد على أسئلة تتعلق بكيفية سلوكهم الصحيح الذي يجنبهم الإخلال بقواعد الشرع فحسب، بل كانوا يتوجهون إليه على أنه رجل ذو علم شامل، وعلى أنه دائرة معارف حية تشكل مرجعاً علمياً ومعنوياً، وعلى أنه مرشد روحي، ومن جهة أخرى كان على رجال الدين أن يكونوا حاضرين لإستقبال الرعية وقريبين منها، وكانت آثار هذه العلاقة التربوية والإجتماعية بارزة في الحياة العاملية، حيث يقول السيد محسن الأمين: "مما إمتاز به جبل عامل إقدام أهله من جميع الطبقات على الطاعات والعبادات وشعائر الإسلام وثباتهم على العقائد الحقة وإتصافهم بالتقوى والورع إلا ما ندر"[2].

كانت الزعامة والرئاسة الدينية في جبل عامل، في هذه الحقبة التي نتحدث عنها، للشيخ حسين مغنية، وكان إلى جانبه كثير من العلماء والمجتهدين كالسيد عبد الحسين شرف الدين، والسيد محمد إبراهيم، والسيد محسن الأمين، والسيد عبد الحسين نورالدين، والشيخ عبد الكريم الزين، والشيخ منير عسيران، والشيخ عبد الحسين صادق (النبطية)، والشيخ حبيب مغنية (طيردبا)، والشيخ عز الدين عز الدين، والشيخ عبدالله عز الدين (كفرا)، والشيخ موسى قبلان (ميس الجبل)، والشيخ يوسف آل فقيه (حاريص)، والشيخ حسين سليمان (البياض)، والشيخ عبد المحسن الظاهر (الحلوسية)، والسيد عبد الحسين محمود الأمين(شقرا)، والسيد جواد مرتضى (عيتا الجبل)، والشيخ محمد أمين شمس الدين، والشيخ سليمان ظاهر، والشيخ أحمد رضا، والشيخ محمد جابر، والشيخ أحمد عارف الزين، صاحب مجلة العرفان...

(1) محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، مصدر سابق، ص 105.
(2) محسن الأمين، خطط جبل عامل، جار الحجة البيضاء، بيروت، 2002/ص 69.

ولكن عالماً منهم تصدى للشأن السياسي وقيادة قوى الشيعة المختلفة في مواجهة الفرنسيين، فبرز كشخصية مميزة كان لها أثر بعيد في بروز الشيعة في مرحلة تحول محلي وإقليمي ودولي، هو: السيد عبد الحسين شرف الدين.

السيد عبد الحسين شرف الدين:

كان أهم شخصية برزت في الكفاح ضد الإحتلال الفرنسي للبنان، أفتى بالجهاد ضد الإستعمار الفرنسي في صور، وشجع الناس على الثورة والمقاومة، فعزم الفرنسيون وذيولهم أن يتخلّصوا منه في ضحى يوم الثلاثاء 14 كانون الثاني 1919، فاقتحم جنود فرنسيون بقيادة ضابط مسيحي لبناني من صور الدار عليه، طالبين تسليمهم التفويض الذي أخذه من وجوه البلاد بتخويل الملك فيصل التكلم بإسم جبل عامل في عصبة الأمم، يقول السيد: "فألح في إنفاذ ما أراد بقلة حياء، فأغلظت له القول، فصوب مسدسه إتجاه وجهي، ففاجأته بدفعة منكرة في صدره برجلي، ألقته على قفاه وسقط المسدس من يده، فبادرته بحذائي ضرباً على وجهه، وفرَ أصحابه...، فنصر الله المؤمنين بهذا نصراً عزيزاً ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً"(1). وعلى أثر فشل الفرنسيين في النيل منه سرى النبأ، فتوافد الألوف من السواحل والجبل في مظاهرة وطنية تأييداً للسيد.

وبعد حملة نيجر حُكم عليه بالإعدام، وطاردته القوات الفرنسية، وأحرقت له دارين في صور وشحور، فإضطر لمغادرة جبل عامل إلى فلسطين ثم إلى سوريا، وبقي في دمشق حتى حصلت موقعة ميسلون، وتدفقت جنود المستعمرين الفرنسيين تجتاح دمشق، فخرج السيد منها إلى حيفا، ثم مصر. ثم آثر ترك مصر وعاد إلى فلسطين، ومنها إلى الحدود اللبنانية، فرابط على الحدود إلى أن صدر أمر العفو عنه، ولم يقبله إلا على جميع المحكومين من رفاق الجهاد، فكان ذلك وعاد إلى صور، حيث الطريق إليها مزدحم بالذين خرجوا لإستقباله. ثم حج بيت الله الحرام بتاريخ 8 تموز 1922، وقد كلف الشريف حسين وزير خارجيته بالمتابعة اليومية لأمور الإمام، كما كلف رئيس شرطته بمرافقته طوال رحلة الحج، وإشترك الشريف حسين والإمام بغسل الكعبة المشرفة وصليا معاً حيث ولد الإمام علي عليه

(1) بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين، ج2 ص 150.

الصلاة والسلام وأجيز للسيد أن يؤم الصلوات، ولم تعلم الدولة ثبوت هلال ذي الحجة، إلا بعد أن أفتى السيد شرف الدين بالأمر، بعدها عاد كما أتى عن طريق البحر إلى بيروت وكان له إستقبال ضخم. ثم زار السيد، في أواخر أيامه، العتبات المقدسة في العراق، وتابع سفره إلى إيران، ولدى زيارة العلماء له في قُم أو مشهد، كان يحثهم على التحرك، ويسفه رأي المتعاملين مع السلطة، ويشتد عليهم فقد كانت إيران ترزح تحت حكم رضا شاه، الذي أعلن مروقه على الدين وفرض السفور ووضع ثقافة مناهضة لثقافة إيران الأصيلة. وإذا عاد إلى لبنان مختصراً زيارته إلى إيران، فكانت له برقيات التأييد للحركات الوطنية العربية وكان يقول "من المأثور لدينا إذا رأيت الملوك على أبواب العلماء فنعم الملوك ونعم العلماء وإذا رأيت العلماء على أبواب الملوك فبئس العلماء وبئس الملوك! وفي أيامي هذه وأنا مقبل على ربي لا يجدر بي أن أنهي حياتي وأنا من بئس العلماء".

- **السيد محسن الأمين:**

وكان السيد محسن الأمين وجهاً علمائياً بارزاً في ذلك الصراع السياسي المحتدم، ولكنه سكن دمشق حيث إنصرف إلى العناية بالطائفة الشيعية هناك، وعينه الأمير فيصل مفتياً للشيعة في دمشق، وكان له مواقف في وجه الفرنسيين، حيث يقول لأحد المسؤولين الفرنسيين عندما زاره بمنزله بدمشق: "إنك ضيف في منزلي، وحرمة الضيافة وحدها تمسكني عن إهانتك، ولكن تأكدوا أن التاريخ لن يسجل أن القوة إستطاعت الإنتصار على الحق إنتصاراً أبدياً، ولا بد للعرب في سوريا أن ينتصروا في النهاية بحقهم على قوتكم"[1].
وكانت له أنشطة إجتماعية وتربوية وثقافية متعددة ومتنوعة، إلى جانب مؤلفاته العديدة والقيمة، كما كان له دور سياسي أيضاً، فعدا عن أن شيعة بلاد الشام كانوا يرجعون إليه ويشاورونه في أمورهم العامة، فقد حاول القيام بنشاط في مواجهة سلطة الإنتداب، حيث يروي بنفسه هذه الحادثة:

"إختلفت شركة الجر والتنوير الأجنبية مع الأهالي في دمشق وكان عندي فريق من زعماء الكتلة الوطنية فقلت ما بالنا لا نقاطع هذه الشركة الأجنبية؟...

(1) د. هادي فضل الله، رائد الفكر الإصلاحي، السيد عبد الحسين شرف الدين، مؤسسة عز الدين، بيروت 1987م، ص 239.

أغنياؤنا وكبراؤنا اليوم دخلهم مئات الليرات الذهبية فإذا دفعوا منها في الشهر عشر ليرات سورية لا يرونها شيئاً فيدخلون الدار ليلاً ويجلسون على الأسرة والأرائك ويفتلون زر الكهرباء فتضيء الدار كأنهم في النهار ويرون ذلك هو اللذة والسعادة ولا يبالون بتحكم شركة الكهرباء الأجنبية بهم ذلك لأنها قد ماتت منهم عاطفة الشمم والإباء ولو كان فيهم شمم وإباء لآثروا النواصة على ضياء الكهرباء ولم يرضوا بأن تتحكم بهم هذه الشركة الأجنبية... وفي اليوم الثاني قاطع الناس الشركة مقاطعة تامة وأحرقوا بعض عرباتها لم يعد يركب فيها أحد وقد نتج من جراء هذه المقاطعة الإضراب الخمسيني الذي اضطر معه الكونت دي مارتل المفوض السامي الفرنسي إلى النزول على رأي الوطنيين"[1].

وقد نجحت إتصالات عربية ومساع علمائية عاملية في الجمع بين الزعماء العامليين بجناحيهم: الأسعد والخليل وأتباعهما، للنظر في مصير البلاد، فإجتمعوا في حضرة السيد عبد الحسين شرف الدين في شحور (تشرين الثاني 1919) مع بعض الأعيان العامليين من علماء وزعماء ووجهاء. ونجح هؤلاء لأول مرة على إختلاف مواقعهم ومواقفهم الظاهرة، في توحيد كلمتهم على معارضة الإحتلال الفرنسي، وأجمعوا على القيام بكل "ما من شأنه أن ينزع وصاية فرنسة عن البلاد"[2].

ولكن مواقفهم من المقاومة المسلحة للإحتلال الفرنسي لم تكن متطابقة موحدة من حيث الدعم والرعاية. فقد قرر كبار العلماء العامليين تأييد المقاومة مطلقاً وبدون شروط، وهم السيد عبد الحسين شرف الدين، والشيخ حسين مغنية، والسيد عبد الحسين نور الدين، والسيد محسن الأمين والشيخ عبد الحسين صادق، والشيخ سليمان ظاهر، والشيخ أحمد رضا، والشيخ محمد جابر.

وأما تيار كامل الأسعد، وحلفاؤه من البكوات وأنصاره من وجهاء القرى، والعلماء، من آل الفضل، والزين، والعبدالله، وفرحات، والأمين، وقبلان وبزي، من الذين إتصفوا آنذاك بالتذبذب أو التريث، فلم يدعموا المقاومة بشكل صريح ومباشر، مع أنهم كانوا متهمين

---

(1) د. هادي فضل الله، السيد محسن الأمين، مرجع سابق، ص 241.
(2) البشير، 20 أيار و 22 و24 حزيران و1 تموز 1920.

من قِبل الفرنسيين وبعض المسيحيين، بأنهم زعماء هذه "العصابات" الثائرة[1]. ولكنهم رفضوا، وعلى رأسهم كامل الأسعد، طلب الفرنسيين، وعلى رأسهم الجنرال غورو، تشكيل حرس وطني عاملي للتصدي للمقاومة[2]، وسكتوا عن تشكُّل مجموعات المقاومة وإنخراط الشباب الشيعي العاملي في صفوفها، بمن فيهم أنصار كامل الأسعد في منطقة بنت جبيل[3]. ولكن مهما فعل الزعماء العامليون، فإن موقفهم يبقى شكلياً، وليس أكثر من غض نظر، أو عدم إنخراط في مشروع فرنسي يتصدى للمقاومين، ولم يكن تبنياً صريحاً للمقاومة، بل كانوا إلى حد ما متعاونين مع الإحتلال الفرنسي وسلبيين حيال المقاومة، فقد كتب كامل الأسعد إلى غورو، عام 1922، يقول[4]: "كنت في غالب الأيام أكاتب حكومة النبطية بتفاصيل الحوادث الجارية في جبل عامل، بواسطة المدير أو بكوات آل الفضل أو يوسف الزين، وكنت أجتمع في كل أسبوع مرة أو مرتين مع مستشار مرجعيون الكابتن "باكي"، ومستشار النبطية والملازم "توليه"، وفي كل إجتماع أنذرهما بخراب البلاد إذا بقيت خالية من القوة العسكرية، ولم أجتمع مرة بالكولونيل نيجر إلا إلتمست منه إيجاد قوة كافية لحفظ الأمن". ولو أن الزعماء العامليين تبنوا المقاومة للفرنسي أو دعوا أنصارهم إلى الإلتحاق بالمقاومة، مع ما لهم من شعبية ونفوذ عند الشيعة العامليين، لكتب تاريخ جبل عامل غير ما كتب! يقول سليمان ظاهر، الذي كان شاهد عيان على أحداث تلك الحقبة من تاريخ الشيعة، لم يكن إنضواء الشباب العاملي في المقاومة "بتحريض من الزعماء العامليين، ولو أنه كانت لهم يد في ذلك لكان لتلك الثورات شأن غير شأن، ولسارت على نظام قد لا يهون على القوى الإفرنسية أن تنال من ذلك الجبل الأشم، ومن رجاله الأشداء"[5].

ومع ذلك فقد إنضم كثير من أتباع الزعماء وأقربائهم إلى أعمال المقاومة، فكانت صفوف المقاومة العاملية لا تخلو من قريب لوجيه، أو لعالم، فهذا السيد عبدالله صفي الدين، من قرية شمع، يرأس مجموعة مقاومة في الشعب، من شمع وشيحين، في نواحي الناقورة، وكان والده السيد حسين صفي الدين رئيس بلدية صور. وكان إثنان من أولاد ناصيف الأسعد

(1) البشير 6 كانون الأول 1919، لسان الحال، 7 كانون الثاني، 1920.
(2) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 14 و15و16 نيسان 1920، م 33، ج8 ص 857 – 858.
(3) البشير، 26 حزيران 1902.
(4) الأرز، 1921/4/27.
(5) جبل عامل في الحرب الكونية، الشيخ سليمان ظاهر، ص 75

مع رجال المقاومة، وكانا يترددان إلى مدينة صور بحماية أخيهما حسيب، الذي كان ضابطاً في البوليس، ليتجسسا أخبار الفرنسيين في صور، وينقلاها إلى قياداتهم.

وبعد مؤتمر الحجير تصادق الحاج حسن دبوق، مدير ناحية بنت جبيل، مع صادق حمزة، وسرعان ما إنخرط إبنه محمد جواد دبوق في صفوف المقاومة، ولكن مهمته كانت أمنية، وحصّل ابوه وثيقة للمرور على الحواجز من الكولونيل نيجر، فصار يروح ويجيء بكل أمان من قريته خربة سلم إلى صور، متسلحاً بالوثيقة، وفي 31 أيار، بعد حادثة صور، القي القبض عليه، وعثر مأمور التفتيش معه على ورقة كتب عليها معلومات وتفاصيل عن حركة العسكر الفرنسي والمتعاملين المسيحيين، وقوافل تموينهم ومواعيد تحركاتهم. وكان السيد يوسف طاهر، من أعيان بلدة جويا، من ممولي الثورة بالمال والمؤن. وكانت له حظوة كبيرة لدى قادة الثوار، وبخاصة لدى صادق حمزة، وكلامه لا يرد، لصدق وطنيته العربية. وقد ذهب في مناصرته للثورة إلى حد الشهادة، فأعدم رمياً بالرصاص في وادي جيلو، بعد أن أُجبر على حفر قبره قبل إعدامه، يوم الجمعة 11 حزيران 1920، على ايدي الفرنسيينن فعُرف بالشهيد السعيد، و"شهيد العروبة".

وكان مع اقرانه ومرافقيه الخُلَّص "من الفرسان الأحرار خليّة ثوار، فتعرض هؤلاء للإعتقال والضرب المبرح والسجن والغرامات"[1]. وكان السيد مصطفى نور الدين، من جويا، من العامليين في دعم المقاومة، فكانت مؤن الثوار تأتي من السيد يوسف طاهر، وتُخبّأ عنده، وذلك لبعده عن الشبهات، وكانت المقاومة عنده من أولى الأولويات فعندما حوصر الثائر صادق حمزة من قبل الكتيبة الفرنسية، أدخله السيد غرفة حريمه، وأخرجه بينهن متنكراً بزيّهن، فنجا من الموت المحتم[2].

وكان للحرب النفسية عبر نشر الإشاعة دور في المقاومة، فعندما تحوُّل أمين مرعي بيضون، "رئيس الجمعية الفرنسية في بنت جبيل" عام 1919، إلى التعاون مع مجموعة المقاومة بقيادة محمود الأحمد بزي في الهجوم على عين إبل، على الرغم مما بينهما من

---

(1) "جويا بين الماضي والحاضر" نور الدين، ج2 ط1، ص 186.
(2) المصدر نفسه، نور الدين، ج2 ص 56 و 57 وص 180-182.

خلاف سياسي وعائلي، كان أمين بيضون، خلال حملة نيجر، يشيع في بنت جبيل أن الملك فيصل يجهز جيشاً جراراً ليستعيد البلاد من الفرنسيين، وسوف يقتص من الذين يقاومونه، وغيرها من الأقاويل ضد الفرنسيين[1].

فلم يكن بين الشيعة رجل واحد يخلص لفرنسا الحب والخدمة، بل حتى الذين كانوا يتظاهرون بالمودة للفرنسيين يؤيدون المقاومة سراً، فكان بين موظفي الحكومة نفسها والمقربين منها مدبرين ومحامين للمقاومة[2]. وكان من الذين أيدوا المقاومة، مطلقاً وبدون شروط، بعض الوجوه المسيحيين العروبيين، أمثال: مراد غلمية والقِسّان خليل الراسي وخليل هزار، وغيرهم كُثر من آل رحال وشديد وبيوض[3].

ثامناً: المقاومة العسكرية للفرنسيين في جبل عامل

إن تاريخ المقاومة في جبل عامل طويل، وقبل العدوان الفرنسي على المنطقة، فقد نشأ في عهد الدولة العثمانية، وعلى غرار ما كان في باقي بلاد الشام لمدة طويلة، نمط من المجموعات الحرة العاصية للنظام التركي، رؤساؤها، كانوا في غالب الأحيان، من الشرفاء الذي يتحدّرون من كبريات الأُسر أو الفروع الفقيرة منها.

وتعود نواة الخلايا الأولى للمقاومة الشيعية العاملية إلى هؤلاء الرجال المتمردين، الذين يحيون حياة سرية على هامش المجتمع، لأنهم إما كانوا من الثائرين الرافضين للتجنيد العثماني في أثناء الحرب العالمية الأولى، حينما كانت الدولة العثمانية تفرض التجنيد الإجباري[4]، فقد كان بعض العامليين الهاربين من الجندية يبقون متسترين في قراهم، لإعالة ذويهم.

(1) البشير، 20 أيار 1920، تقول: وكان في مقدمة المهاجمين أكابر القرى.
(2) البشير، 22 و26 حزيران و20 و 27 أيار 1920.
(3) جبل عامل، د. محمد بسام، ص 185، نقلاً عن تقارير دورية، سليمان ظاهر، 6 نيسان 1919
(4) وضعت (الحكومة) العثمانية قانوناً للتجنيد الإجباري وأسمته "القرعة المحمدية" وفرضته على المسلمين، وقد توزعت مدّة التجنيد على الشكل التالي: ثلاث سنوات تسمى (الخدمة الفعلية)، وعشر سنوات تسمى (رديف) يدعى المكلّف عند الحاجة الشديدة الضرورية وبعد دعوة الإحتياطي. وست سنوات تسمى (إحتياطي) ويدعى المكلف فيها عند الحاجة، وخمس سنوات تسمى (المستحفظ) وهم كبار السن يلعبون دور الشرطة الداخلية. والقانون يشتمل على بدل نقدي يجب دفعه على من لا يرغب بالجندية، ونشأ عن تطبيق القانون حركة فرار واسعة من الجندية، وسمّي الأشخاص الرافضون للجنديّة (فراراً)، راجع: تاريخ جبل عامل، محمد جابر آل صفا، دار متن اللغة بيروت ص 166

وكان آخرون منهم يشكلون عصابات من "الفراريين" أو "الطَّياح"، فيعتاشوا، وعيالهم، من أعمال السلب وقطع الطرق، فكان كل من يريد الفرار من الجندية يلتحق بعصابات الفراريين، مثال عصابة حسين الشيخ الحمزة من دبعال[1]، التي التحق بها أخوه صادق حمزة وإما لأنهم كانوا يمارسون نوعاً من التحدي للتجويع التركي للناس، فقد إشترك أدهم خنجر مع أحمد مريود في نقل وحمل القمح من سوريا على الخيول إلى القرى في جبل عامل عندما منعت الحكومة العثمانية تصدير الحبوب من ولاية سوريا إلى لبنان خلال سنوات المجاعة، أثناء الحرب العالمية الأولى[2]، وكانا يبيعانها بسعر المنشأ، فأنقذت عائلات من الموت جوعاً فهم يشبهون المعارضة السياسية من النمط الحديث.

ثم شهد جبل عامل، مع نهايات الحرب العالمية، حشداً من الفراريين من ساح القتال، وهم جنود أتراك، هربوا من جبهة السويس. وكان هؤلاء الرجال يتجمعون في عصابات يؤمنون معاشهم بقطع الطرق وسلب القوافل والمسافرين، أو كانوا يعمدون إلى بيع أسلحتهم من العامليين، مقابل ملابس مدنية يتخفّون بواسطتها عن أعين الجندرمة، أو قليل من الأقوات يدفعون به شبح الموت جوعاً. وفي كل الحالات، كان هذا الأمر أحد عناصر تزويد العامليين بالسلاح الذي غدا سلعة تجارية تُعرض في الأسواق العامة.

وكان في شرقي جبل عامل عصابات آتية من خارج المجتمع الشيعي العاملي، تغزو القرى وتسلب المسافرين أموالهم، وكانت من البدو الآتين من الشرق، وعندما وقع العدوان الفرنسي تغيرت النظرة إليهم، فإنقلب هؤلاء إلى ثوار وطنيين، وأصبحت غزواتهم وهجماتهم على جيش الإحتلال، مقاومة، وجزءاً من إستراتيجية الدولة العربية في مواجهة فرنسا، ولو أن هذه الهجمات من هنا وهناك كان يرافقها السلب، ولذلك كان من الصعب التفريق بين الثوار الوطنيين واللصوص في هذه الجبهة.

---

(1) صادق حمزة الفاعور، علي مرتضى الأمين، رسالة ماجستير في التاريخ، غير منشورة، ص 22
(2) أدهم خنجر، جهاد بنوت، ص 15-16

وفي المقابل، تشكلت عصابات أخرى في القرى المعرّضة للنهب، لترد هجمات اللصوص، ولا سيما في القرى المسيحية، وكانت أغنى من القرى الشيعية نظراً لنشاطها الإقتصادي، ولم يكن الرجال فيها خاضعين للتجنيد الإجباري[1].

إن التعبير الشائع، حرب "العصابات"، هو عبارة عن تكتيك حرب الشعب في المرحلة الأولى من الحروب الثورية التي تنظمها الشعوب ضد أعدائها المتفوقين عليها عدة وعدداً، وقد جرى إستعماله للتعبير عن المقاومة الشعبية العاملية ضد الطاغية أحمد باشا الجزار في القرن الثامن عشر[2]. ثم إستعمل المعتدون الفرنسيون وأعوانهم لفظ "العصابة" وهم يقصدون تحقير المجاهدين أو الثوار المقاومين، والإساءة إليهم، ولو إستعُمل من قِبل العروبيين بالمعنى السامي له الذي تدل عليه اليوم لفظة "الغوار"، فلهذا اللفظ دلالة وطنية، ولا ينبغي سحبه نحو الدلالة السلبية الشائعة اليوم، تحريفاً للتاريخ، وتشويهاً للمفاهيم الشعبية السائدة في زمانها، وإلا فليس أبلغ في التعبير عن تلك النهضة المشرقة من تاريخ الشيعة في جبل عامل من "الثورة العاملية في وجه العدوان الفرنسي (1919-1920)". ولذلك سوف نتجنب ما إستطعنا في تعابيرنا مصطلح "عصابة" ونستعمل تعبير "مجموعة" و"فرقة".

بدأت المقاومة العاملية بتشكيل مجموعات صغيرة، محدودة العدد والعدة، مختلفة الأداء، أكثريتهم من شيعة جبل عامل، متطوعين بدون اي راتب، بل إن بعضهم إشترى سلاحه من ماله الخاص، لذلك، كانوا من أشد المجاهدين صلابة وصبراً[3]، ولم يكن إنطلاقهم متسقاً بينهم، بل راحوا يتمحورون حول قادة شيعة عامليين، أبرزهم: **"صادق الحمزة وأدهم خنجر ومحمود الأحمد بزي".**

وكان تكتيك المقاومة العاملية يقوم على شن إغارات خاطفة، والدخول في مناوشات متقطعة لإقلاق المعتدي الفرنسي ومتطوّعته في ثكناتهم، وقطع طرق مواصلاتهم، على قاعدة أضرب وأهرب، وكان يفترض أن تتطور إلى "حرب عصابات" تنتهي بتحرير البلاد وطرد الفرنسيين من المنطقة العربية، لقد مارست هذه المجموعات المقاتلة التعبير العملي

(1) صادق حمزة الفاعور، علي مرتضى الأمين، مرجع سابق، ص 43-44، وص 58، مؤتمر وادي الحجير، منذر جابر، مرجع سابق، ص 20
(2) منذر جابر، مؤتمر سابق، ص 138
(3) أحمد مريود 1886-1926، محمود عبيدات، مرجع سابق، ص 187

الوثرة العاملية على الفرنسيين[1]، وكانت التجربة الميدانية ترفدها وتطورها، وعياً وممارسة.

إن غارات المقاومين العامليين على المعسكرات الفرنسية والقرى المتعاونة معها بدأت في مطلع كانون أول 1919، بشكل مفاجئ ومكثف، دون أية مؤشرات سابقة واضحة، وكانت الغارات تضم العشرات وأحياناً مئات من الثوار، ثم راحت تتصعّد بشكل شبه يومي على إمتداد الساحة العاملية[2]، وما ينبئ بأن بواكير تلك الأعمال العسكرية سبقتها حملة شبه منظمة لتشكل "العصابات" العاملية المقاومة للفرنسيين. وقد إختلفت آلية التأسيس والتطوع في جبل عامل إختلافاً نوعياً عنها في حاصبيا والعرقوب، فكانت صعبة ومعقّدة، نظراً إلى إختلاف ظروف المنطقتين: فجبل عامل أو المنطقة الغربية، كان تحت السيطرة الفرنسية، وكان التحرك العربي فيه محظوراً.

وإتخذت عمليات المقاومة العاملية صفة الكمائن، والعمليات الخاطفة على نمط حرب العصابات الشعبية، التي تعمل بمبدأ أضرب وأهرب، وكانت الإغارة للضغط الإقتصادي فقط دون القتل، من أساليب الحرب على الفرنسيين، فيبدأ المغيرون، من خيالة ومشاة، بإطلاق الرصاص في الهواء من بعيد إرهاباً، فيهرب أهالي القرية المستهدفة إلى أطرافها طلباً للنجاة.

في محاولة للضغط الإقتصادي، دون التسبب بخسائر بشرية، إلاّ بشكل محدود في القرى التي "تألب فيها بعض الشبان" لمقاومة الثائرين[3]. وكانت ضد القوات الفرنسية غالباً، وضد الذين كانوا بنظرهم عملاء للفرنسيين[4].

وكان المجتمع اللبناني مفككاً بالنسبة للموقف من الفرنسيين، إذ تعاون المسيحيون اللبنانيون مع قوات الإستعمار الفرنسي، فإندفعت المقاومة في مواجهة المتعاونين مع الفرنسيين قبل أن تواجه الفرنسيين أنفسهم، فإختلطت عندها أولويات العمل، وربما لو كانت

---

(1) الذكريات من الطفولة إلى الصبا، حسن الأمين، ج1، دار الغدير، بيروت 1971، ص 128
(2) راجع: على سبيل المثال: أعداد البشير ولسان الحال طوال شهر كانون الأول 1919.
(3) لسان الحال، 3 كانون الثاني، 1920
(4) د. علي مرتضى الأمين، صادق حمزة الفاعور، دار آسيا للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 1985

بوصلتها موجهة نحو العدو الأساسي، ووجهت طاقتها الحربية نحو محاربة الإنتداب لكان فعلها أجدى.

فقد هاجمت قوات صادق حمزة القرى المسيحية التي هللت للفرنسيين وإستقبلتهم وتشكلت فيها مجموعات عسكرية بسلاح فرنسي تعمل على حماية الإنتداب، فقامت فرنسا بالرد على هذا الهجوم فظهرت فرنسا أنها تدافع عن المسيحيين اللبنانيين وأنها صديقة مخلصة لهم، وهذا ما أضرّ كثيراً بقضية المقاومة وأظهرها طائفية وساعية نحو الفتنة وأظهر فرنسا بمظهر المحافظ على الأمن والسلام بين المواطنين! مما خلط الأوراق وإنتقلت المعركة إلى داخل اللبنانيين، ما جر إلى فتن طائفية، إستفاد منها المستعمر الفرنسي، ليقوّي تدخله وإرهابه، ويحكم سيطرته على البلاد.

كما ساهم في إخفاق العمل العسكري المقاوم التطور الكبير في سلاح المستعمر وعتاده وعديده في مواجهة مقاومة عاملية كانت قوى عسكرية ناشئة قليلة العدو وذات خبرة محدودة وغير مدعومة من الخارج وقليلة التسليح، فلم تستطع المقاومة أن تحقق أهدافها بسبب تطور الآلة العسكرية الإستعمارية بشكل غير قابل للمقارنة مع قدارت الثوار. بينما كانت آلتها العسكرية مما تغنمه عليه مما تغنمه من العدو الفرنسي، فلم يكن هناك تكافؤ بالقوى، بين المقاومين وأعدائهم الإستعماريين الفرنسيين، لأن السلاح الذي كان بحوزتهم، كان سلاحاً قديماً، أو سلاحاً غنموه من الفرنسيين في بعض الحالات التي كانوا يفاجئونهم بها، من خلال الكمائن.

1- المقاومة الشيعية العاملية ورجالها:

بعد دخول الفرنسيين إلى المنطقة عام 1918، وبعد ظهور نواياهم تجاه جبل عامل خاصة، إستمرت هذه المقاومة ضدهم، فأصبح جبل عامل مسرحاً لعمليات الإغارة على الفرنسيين منذ نهاية 1919 حتى صيف 1920، وأخذ المسلمون الشيعة يمارسون معارضة الإنتداب في البداية على شكل تشكيل مجموعات عسكرية مناوئة للإحتلال.

وعلى شكل توزيع المنشورات الداعية إلى طرد الفرنسيين والإنضمام إلى حكومة الأمير فيصل، إختياراً منهم للوحدة العربية ولعدم الإنفصال عن الوطن العربي الكبير، فقد إستفاق الناس ذات يوم في النبطية، وإذا بعشرات الإعلانات والمناشير الثورية أُلصقت على جدران الأسواق والمعابر، وسرايا الحكومة ومقر الجند وعلى باب غرفة الحاكم، ومآلها حضّ الناس على مقاومة الفرنسيين المحتلين وطردهم من ربوع جبل عامل، ورفع الراية العربية[1]. ثم أخذوا يهاجمون الجنود الفرنسيين، وأصبح جبل عامل بمعظمه خارج السيطرة العسكرية الفرنسية، إلا من شريط ساحلي ضيق بين صيدا وصور، وبعض حواضره الداخلية، كالنبطية، ومرجعيون، حتى لا يكاد ينفَّذ للفرنسيين حكم في الداخل[2]، فأخذت ردّات الفعل أو الفعل الفرنسي مأخذها، بتأييد ودعم ماروني تام[3]، في مهاجمة القرى وإحراقها، وممارسة شتى ضروب الإضطهاد والظلم في جبل عامل، خصوصاً بعد الإستفتاء الدولي.

- **المجاهد صادق الحمزة:**

وتنامت المقاومة مع تنامي الوعي السياسي والمد القومي السوري، خصوصاً بعد إعلان ملكية فيصل في دمشق، وكان أشهر قيادات هذه المقاومة "صادق حمزة"[4]، الذي كانت أعماله العسكرية جنوبي نهر الليطاني، وتتركز غالباً في منطقة صور. وتناقل الناس أخباره وذاع صيته، فأخذ الفارون يفدون إليه من كل ناحية ويجتمعون به وعنده، فكثُر أعضاء فرقته وعظُم شأنها وأصبحت تصول وتجول في المنطقة، تفرض الضرائب وتُغير على القرى المتعاملة مع المعتدي الفرنسي في وضح النهار، تسلب ما وصلت إليه الأيدي من متاع وأموال وغلال[5].

---

(1) محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، مصدر سابق، ص 225.

(2) سليمان ضاهر، جبل عامل والحرب الكونية، مصدر سابق، ص 68

(3) التطور التاريخي للمشكلة اللبنانية، سليمان تقي الدين ، ص 33- 34.

(4) هو من آل الفاعور، الذين هم تاريخياً من أمراء عرب الفضل في الجولان، وسكنوا في البدء بلدة معروب، ومن هم إنتقل بعضهم إلى دبعال، من أ'مال صور، فإتخذوها موطناً جديداً، حيث ولد صادق حمزة في عام 1894م. وكان أخوه حسين المعروف بحسين الشيخ قد خرج محتجاً على تعسف الدولة العثمانية وإستطاع خلال فترة وجيزة أن يجمع حوله عدداً من أبناء جيله فكونوا مجتمعين فرقة عسكرية لعبت دوراً في منطقة صور. وقد إنضم صادق حمزة إلى عصبة أخيه بعد أن ورد إسمه في لائحة المطلوبين للجندية في العهد التركي، وعرف عن صادق أنه كان طويل القامة، مفتول السواعد، قناصاً ، ماهراً بإستعمال بالبندقية، إستشهد سنة 1926 وكانت فرقته من أقوى فرق المقاومة، التي وصل عديدها إلى مائة وخمسين أو إلى مائتي رجل، حظي بالشهرة، إذ قام بالكثير من الأعمال الباهرة، ولا سيما بهجومين على مدينة صور سنة 1920، وساهم في محاولة إغتيال غورو في 13 حزيران سنة 1921، وقيل إنه ينتسب إلى فرع فقير من آل الصغير، أي إلى الأسعد.

(5) مذكرات للتاريخ: الشيخ أحمد رضا، العرفان، م32، ج8 ص 856، راجع: البشير، 1 تموز 1920، ولاحظ أسبقية صادق بالثورة.

- المجاهد أدهم خنجر:

و"أدهم خنجر"[1] الذي أعلن ثورته على المعتدي الفرنسي عندما توجه مع بعض رجاله إلى إحدى إقطاعيات أبيه في قرية العدوسية المسيحية، لإستيفاء بعض الحقوق، فتمردوا عليه إستقواءً بالفرنسيين، فقتل أحدهم وإنطلق بإنتفاضته[2].

وفي حادثة أخرى أنه أطلق النار على جنديين فرنسيين على طريق صيدا- الغازية، فأصاب أحدهما، وفاز بسلاح الآخر وفرسه. ثم سارع إلى الإلتحاق بصادق حمزة، ثم قرر، بعد نحو عشرين يوماً، أن ينفصل عنه ويقود مجموعة مستقلة[3]. وأول إشارة لعمليات أدهم، في 17 نيسان 1920، عندما جاءت الأخبار بأنه تألفت في جهات قرية المروانية مجموعة من أدهم خنجر بك ومحمد علي حدرج الهونيني وحيدر قاسم حيدر الدويري.

وأنها بدأت عملها بسلب دركيين من درك الحكومة[4]، فطاردتها فرقة من المتطوعين مع الفرنسيين. وكان أدهم خنجر يعمل شمال نهر الليطاني، ويتخذ من قلعة الشقيف أرنون مركزاً له، وكان مسرح عملياته ساحلية في الغالب: على الطريق الدولية بين صور وصيدا، من العدوسية قرب صيدا حتى الزهراني وصولاً إلى القاسمية، متنقلاً، أحياناً، صعوداً نحو المصيلح- خان محمد علي- حبوش، وعلى محور آخر: من البيسارية إمتداداً حتى شحور... وصولاً إلى قلعة الشقيف.

---

(1) أدهم خنجر الصعبي، ولد في قرية المروانية في 1895 وهي إحدى قرى الزهراني في إقليم الشومر، جبل عامل، من أسرة إقطاعية ممتدة من الأسرة الصعبية، التي منها آل الفضل، بكوات النبطية، ويعود نسب عائلة الصعبي إلى إبن نور الدين إبن صلاح الدين الأيوبي الذي أتى إلى منطقة جبل عامل قادماً من حلب في عهد الدولة الصلاحية. جده لأبيه الثائر محمد بن علي الشبيب الصعبي الذي قاد مع أخيه حسن الشبيب حركات التمرد ضد جنود إبراهيم باشا سنة 1826-1839. وكان أدهم على ما يصفه رفاقه شاباً طويل القامة، جميل الصوت، أزرق العينين شديد التهذيب سريع البديهة، توفي والده وهو لا يزال صغيراً وكان والده أحد وجهاء العشيرة الصعبية، حكام بلاد الشقيف، وقد عينت المحكمة العثمانية حسين بك الدرويش وصياً على أدهم وممتلكات والده، تلقى علومه في قراءة القرآن الكريم على يد الشيخ زين كوثراني، وإنتقل بعدها إلى صيدا لمتابعة دراسته حيث أقام عند شقيقه وكان دائماً يتذمر من الفرنسيين، أحب ادهم فاطمة إبنه حسين الدرويش، وبقي وفياً لها طول عمره، وظل عازباً بسبب خصومته مع والدها. إنطلق في أعمال المقاومة عندما وقع خلاف بينه وبين حسين الدرويش بسبب سوء معاملة حسين للفلاحين الذين كانوا يميلون إلى أدهم، فقصد صيدا حيث إستدان وإشترى سلاحاً ووزعه على أنصاره وبدأ عمله المقاوم. وقيل إن السبب كان خلافاً وقع بينه وبين أحد الجنود الفرنسيين فقتله أدهم بمسدسه بعد أن إنتزعه منه بالقوة، وفر من وجه الحكومة فتعرف على صادق حمزة وكان ذائع الصيت يومها كثائر ضد الفرنسيين. إستقر في الشقفيف.وكان نسيباً لآل عسيران بالمصاهرة. وقد إعتقله الفرنسيون وحكموا عليه بالإعدام بجرم القتل وأعدم رمياً بالرصاص فسقط شهيداً في 30 أيار سنة 1923. وماثل أدهم خنجر صادق الحمزة بروح التمرد على الإحتلال، ولكنه تميز عنه بوضع إجتماعي مرموق، وبتنور فكري، حيث كان طالباً في مدرستي الفرير في صيدا، والمدرسة الأميركية بالمية والمية، بما فيهما من تغريب ثقافي وملامح تعصب طائفي كانت تستثيره، فكان يتمرد على المناهج التغريبية الفرنسية: أداء نشيد المارسيلييز الوطني الفرنسي، وأناشيد فرنسية أخرى، وتمييز طائفي، راجع: "أدهم خنجر، صقر عاملة"، محمد علي الصباح، النبطية 1988، ص 23-24، وأدهم خنجر 1895-1922، جهاد بنوت، الحركة الثقافية في لبنان وجمعية أدهم خنجر الإجتماعية، بيروت 1998، ص 19-20، وص 15-16.

(2) أدهم خنجر، بنوت، ص 21، والمقتبس، 28 تموز 1922، والسفير، 31 تموز 1990.

(3) صحيفة المقتبس، 28 تموز 1922، صقر عاملة، الصباح، ص 9-13، أجهم خنجر، بنوت، ص 15-16.

(4) راجع: مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، العرفان، ج 8 ص 858، البشير، 12 ، 15 حزيران 1920، وكذلك: صقر عاملة، الصباح، ص 10.

- المجاهد محمود دنبري:

ومن كبار رجال المقاومة "محمود بزي"[1]. الذي كان يعمل في منطقة بنت جبيل، من وجهاء بنت جبيل، برز كشخصية سياسية مقاومة نتيجة خلافات عائلية مع عمه الوجيه محمد سعيد بزي، وربما يكون ذلك برضى ضمني من عمه " العربي الهوى"، مع وفود ضابط الإرتباط السوري علي خلقي إلى بنت جبيل مكلفاً من الحكومة العربية بتشكيل فرق المقاومة العاملية ضد الفرنسيين، وقد بدأ بتأسيس "جمعية عربية" في بنت جبيل. وشكل مجموعة من شبان القرى المجاورة لبلدة بنت جبيل، وأول إشارة إلى هذه المجموعة بالإسم كانت في صحيفة البشير، 3 نيسان 1920، بعد إعلان ملكية فيصل في دمشق في 8 آذار 1920، حين تكثّف وجود المقاومة عُدة وعدداً. أما مسرح عمليات هذه المجموعة فكان في نواحي بنت جبيل، وإمتداداً أحياناً، حتى بلاد الشّعب غرباً.

وكان قادة رجال المقاومة، أدهم خنجر، وصادق حمزة الفاعور، ومحمود بزي[2] ذوي بطش، وشجاعة، وجرأة، طموحين إلى الحرية والإستقلال، مستعدين لمجابهة الفرنسيين مهما كلف الأمر، نالوا الإمرة على أتباعهم إقتداراً، لشجاعتهم، وكانوا، إضافة إلى ذلك، أوفياء لأسراهم في سجون ومعتقلات المعتدي الفرنسي، فيغيرون بكل جرأة على السجون في قلب المدن، حيث يركز الفرنسيون قوتهم العسكرية، والحادث الأكثر دلالة على هذا الإقتدار تدخل المقاومين بقيادة صادق حمزة لإنقاذ أدهم خنجر من الأسر، وتمكنهم من تحرير بعض رفاقهم من سجن صور، حيث هرب من الحبس أربعة من رفاقهم من الثوار العامليين، الذين كانت قد إعتقلتهم قوات الإحتلال الفرنسي[3].

وكان التنسيق والتعاون قائماً بين قيادات المقاومة، فقد خاضوا معاً العديد من العمليات المشتركة في أنحاء جبل عامل، بل كان التنسيق قائماُ بينهم حتى في الأمور السياسية، فقد شارك أدهم خنجر وصادق حمزة ومحمود بزي في مؤتمر وادي الحجير،

---

(1) قرّ وإلتجأ إلى أفريقيا، بعد أن قاد الحملة على قرية عين إبل، توفي سنة 1945، راجع، بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين، ج2 ص 155، مؤتمر وادي الحجير، منذر جابر، ص 24.

(2) مخطوطة الشيخ بدر الدين شومان، ص 73، راجع: جبل عامل، د. محمد بسّام، ص 276.

(3) البشير، 20 نيسان 1920، من أخبار 15 نيسان 1920، لسان الحال، 2 آذار 1920.

حيث وصلوا محاطين بمائتي فارس وأعلنوا عن وصولهم بزخّات كثيفة من الرصاص، وجلسوا في الجهة المقابلة لكامل الأسعد ورجالات جبل عامل[1].

ولم يكونوا، كأهل البطش والفتك، سفهاء أجلاف، بل تميزوا برقة الطبع ودماثة الأخلاق، وكانوا حريصين، مثل بقية الشيعة، على طاعة العلماء، وإحترام مقامات الناس، كالوجهاء والزعماء، وإستمرت هذه المقاومة فترة من الزمن، لدرجة أن الأمير فيصل، الذي قد أُعلن في ذلك الوقت ملكاً على سوريا، طلب من بعض علماء الشيعة، بأن تخف هذه المقاومة، لأن الفرنسيين خرجوا من حرب فكل حركة تصدر ضدهم سوف يقاوموها بعنف. ولكن ما فعله الفرنسيون في جبل عامل لم يجدهم نفعاً، فعندما إضطرّوا فيما بعد إلى سحب جنودهم إلى كيليكيا، إزدادت هجمات المقاومة العاملية وعادت إلى سابق عهدها، وكان الرد الفرنسي على ذلك المزيد من قصف قرى الشيعة، وتوزيع الأسلحة والذخائر على المسيحيين.

لقد علّق الشيعة آمالاً على حكومة الأمير فيصل في دمشق، ورفضوا من اللحظة الأولى الوجود الفرنسي في البلاد، وعندما قامت القوات الفرنسية بتوسيع إحتلالها العسكري ثاروا في وجهها، وأعلنوا المقاومة المسلحة بدءاً من الهرمل، مروراً ببعلبك، وإنتهاءً بجبل عامل، وشملت الإنتفاضة جميع المناطق من طرابلس وعكار إلى البقاع وجبل عامل، فهاجم الشيعة والدروز مركزاً للبريد الفرنسي في تلّ كلخ وباغتوا الفرنسيين في مستنقعات الليطاني فألحقوا بهم خسائر فادحة، وهاجموهم بالقرب من مزرعة مصيلح وجنوبي مرجعيون[2]، وكان أن أرسل الفرنسيون كتيبتين يعاونها دلاّلون موارنة من القليعة وجديدة مرجعيون وروم من دير ميماس إلى الحولة، فكمن لها الشيعة وألحقوا بها خسائر فادحة وقتلوا الكثير من جنودها[3].

(1) تاريخ الثورات السورية في عهد الإنتداب الفرنسي، أدهم آل الجندي، مطبعة الإتحاد، دمشق 1960، ص 187.
(2) تاريخ جبل عامل، محمد جابر آل صفا، ص 227.
(3) الإتجاهات الإجتماعية- السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي 1860-1920، د. وجيه كوثراني، ص 232.

2- تمويل المقاومين وأنصارهم:

كان المصدر الأساس لحركة المقاومة الشيعية في جبل عامل بالدرجة الأولى أنفسهم، فقد إشترى كثير من الثوار بنادقهم من مالهم الخاص، ولحق بالمقاومين[1]، ووجه الثوار نداءً للشباب: "فليبعْ من لم يكن له بندقية ثوره أو حماره ويشتري بها"[2].

وكان بعض العامليين يعتبرون صادق حمزة الفاعور ثائراً عاملياً وممثلاً للحكم العربي في جبل عامل، فيلاقونه ورفاقه من قادة المقاومة ورجالها بالإحتفالات وكأنه "ملك البلاد"، فيحملونهم على الأكتاف، وسط الزغاريد، وإقامة الولائم وحلقات الدبكة، ويقدمون له التبرعات المالية والعينية، كالخبز، واللحوم، والأغذية، والحبوب، تمويلاً للثورة التي تتصدى للإحتلال الفرنسي. وكانت النسوة يتولين غسل الثياب للثوار، وإعداد الطعام لتوصيلها إليهم في الوديان والكهوف"[3].

وكان الثوار أحياناً يكلّفون بعض الوجهاء والمتمولين مبالغ معينة لتغطية النفقات العسكرية والتموينية للثوار المتطوعين[4]. وأما الحكومة العربية في دمشق، فقد كانت تقدم لهم بعض العون المالي والعيني كالعتاد، والذخيرة[5].

وكان المقاومون يستفيدون أيضاً من إستيفاء الأموال الأميرية من كثير من القرى العاملية، إضافة إلى ريع "الأراضي والممتلكات السائبة"، التابعة للمهاجرين أو للقرى المسيحية المهجّرة، والتي وضع الثوار اليد عليها بدعوى أنها "أصبحت ملك الحكومة العربية"[6].

- الحملات الإعلامية لتشويه صورة المقاومين:

وقد بذل الفرنسيون جهدهم، والمسيحيون المتعاملون معهم، والشيعة المتذبذبون، في ترويج سمعة سيئة للثوار المقاومين، عبر الإشاعات والصحافة، فطفحت أخبار المقاومة

(1) شؤون جنوبية، مرجع سابق، ع 39، أيار 2005، ص 42.
(2) البشير، 22 كانون الأول 1919.
(3) البشير، 20 و 22 و29 نيسان و6 أيار و26 حزيران 1920.
(4) أمين الريحاني، ملوك العرب، مصدر سابق، ج2 ص 399.
(5) شؤون جنوبية، ع 39، أيار 2005، ص 42.
(6) الشيخ أحمد رضا، مذكرات للتاريخ، مصدر سابق، العرفان، م 33، ص 469 و470 و734.

الشيعية للمستعمر الفرنسي في جبل عامل، بأخبار الغارات على المواطنين والممتلكات، فكوّنت صورة قبيحة عن المقاومين الثوار الشرفاء وحالت أن تلطخ سمعتهم، مع أن أنشطتهم كانت في الحقيقة، وتبعاً لنفس الأخبار، عمليات ذات أهداف عسكرية، ودلالات سياسية، أو حرباً إقتصادية غير مباشرة على "الحزب الميال لفرنسا".

وقد حفلت يوميات جبل عامل في تلك الحقبة بأخبار السرقة والنهب والسلب، لا علاقة للمقاومين بها من قريب ولا من بعيد، وهي "حوادث عادية في القرى، يقوم بها بعض أشقياء العربان لا المتاولة"، فقد "دخلت بين عصابات الثوار جماعة خرجت عن الجادة"، ودخلت في الفوضى وأصبحت تلتهم الأخضر واليابس، ولا تتورع عن فعل ما لا يجوز في سبيل الأطماع الشخصية"[1]، ويؤكد ذلك الشيخ بدر الدين شومان، فيقول: "تعصبت فرق (سلب) غير هذه الفرق (الثوار)، وصاروا يهجمون على القرى ليلاً ونهاراً، ويطلقون القنابل على أهل البلاد، وينهبون البيوت، وكثُرت العصابات... وأمنت الناس بأس الحكومة، حتى أن أغلب الناس هاجرت إلى محلات أخرى"[2].

بينما نجد أن الثوار العامليين يتعفّفون عن بعض الأموال، ونراهم بعيدين عن اللصوصية البحتة المهينة، واللافت غالباً، إستيلاؤهم على الخيول دون الأموال، فكانوا مصداقاً للفروسية العربية.

فعندما إصطدم صادق حمزة في 3 نيسان 1920، بالجباة في تبنين، وإستولى على ما معهم، أخذ الخيل لنفسه، أما المال فعاد ووزعّه على من كان جُمع منه، طبقاً لما هو مذكور في الدفتر، وأفشل أدهم خنجر عملية سلب قرب قرية حبوش، فقتل اللصوص الثلاثة، وأعاد المسلوبات من أموال وحلي إلى أصحابها من الرجال والنساء والأطفال، وأخذ الخيول[3].

بل كان صادق حمزة صارماً في محاسبة المجاهدين إذا ما إعتدوا على أموال الناس، وفي ضبط الثوار وردعهم من بعض الدناءات، فقد قتل أحد رجاله الحاج علي عاشور من برعشيت، ليأخذ فرسه الأصيلة، فأمر صادق بقتله في المكان نفسه. ومرة كان "رجال

---

(1) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، العرفان، م 33، ج8 ص 858.
(2) جبل عامل، د. محمد بسام، ص 427، نقلاً عن مخطوطة الشيخ بدر الدين شومان، ص 74.
(3) السفير، 31 تموز 1990

صادق" جياعاً، فتصدوا لمكاري ينقل طعاماً على ظهر دابته في وادي الدب قرب كفرا، فعاقبهم صادق "وفرجاهم نجوم الظهر"[1].

ومن يمارس هذه السلوكيات لا يقوم في الجوهر، بالسلب لأجل السلب أياً يكن الشكل، ففي 30 آذار، هاجم "اللصوص" بستان الصبرات (ومن وقف الروم الكاثوليك) وسلبوا منه ماشية وأثاثاً. فكتب المتروبوليت صايغ إلى خليل إبراهيم بدوي (مختار دردغيا)، ليهتم بالأمر. وفي الوقت نفسه هاجمت عصابة من 50 فارساً بلدة قانا ونهبت بيوت المسيحيين فلجأوا إلى صور، وفي 13 نيسان، سرقت عصابة جملين لجميل وطفة (من النفاخية) وأتلفت للمسيحيين حقولاً كبيرة من الفول... وفي 14 منه، سلبت 44 رأس غنم من مزرعة الرّمالة[2].

إن حادث سلب وسرقة جملين لجميل وطفة، وإتلاف حقول الفول للمسيحيين، ومجيء الشيعة "ليكفّوا عليها"، يظهر هكذا، بلا شرح وتعليق، وكأن القصة عدوان وسلب مجردين، ولكن إذا دققنا في خلفية الخبر فسوف يتضح أن جميل وطفة وخليل بدوي والأخوين يوسف وإبراهيم بو سمرا، هم جميعاً وجهاء في قراهم، تجمعهم روابط صداقة ومصاهرة، وتربطهم بالفرنسيين علاقات سياسية وعسكرية وثيقة. وأن خليل إبن إبراهيم بو سمرا كان يستفز المسلمين، في السياسة والدين، ما أدّى إلى مقتله على أيدي الثوار، فهؤلاء المتعاملين مع الفرنسي ليسوا مجرد "مواطنين أبرياء"[3]، وإنما هم مسلحون متعاونون مع الفرنسيين، وبتراخيص منهم بحمل السلاح.

وفي الخبر روح تعمد إتلاف حقول الفول، لأن الشيعة أكملوا عملية الإحراق لما لم يحترق في المرة الأولى، والأذى المتعمد يحمل هنا على الضغط الإقتصادي السياسي أكثر منه في باب "السلب والنهب" العبثين ما يعني أن الثوار يريدون بهذه الغارات مضايقة المسيحيين إقتصادياً، كي يتحولوا عن الفرنسيين سياسياً، وقد إعترف بعض المسيحيين "بأن

---

(1) منذر جابر، مؤتمر وادي الحجير... مرجع سابق، ص 44

(2) البشير 3 و 20 نيسان 1920.

(3) البشير، 20 نيسان 1920، جبل عامل في الحرب الكونية، الشيخ سليمان ظاهر، مصدر سابق، ص 67.

غرض الثائرين لم يكن القتل والنهب، بل كانوا ينشدون الهدف الوطني الأسمى"، (الإستقلال والتحريرمنذ بداية الإحتلال الفرنسي عام 1918م.)[1].

ولذلك يُستبعد أن تكون تلك الإغارات سرقة ولصوصية، بل الأقرب أن تكون نمطاً من الصراع السياسي الإقتصادي أكثر منه الطائفي، فقد حكم بالإعدام رمياً بالرصاص ميدانياً، على المجاهدين العامليين: السيد يوسف طاهر وأدهم خنجر بصفتهما محاربين عسكريين وليسا لصين، فصلى الأول ركعتين قبل إعدامه في وادي جيلو، وبلغ العنفوان بالثاني أن رفض عصب عينيه عند تنفيذ حكم الإعدام فيه، في الرملة البيضاء في بيروت (1923).

ونفس هذه الإستعلائية في النظر إلى عمليات المقاومة تنقلب إلى دونية في النظر إلى عمليات الجيش الفرنسي، الذي صوروه أولاً بأنه جيش نظامي حضاري، ثم تغاضوا عن ممارساته في القرى الشيعية، فهو إرهابي ظالم حين يعمم القصاص دون تمييز، ويفرض الغرامات المالية والعينية المرهقة، ويقوم (بمصادرة) كيفية للممتلكات، من مواد تموينية وابقار وأغنام. ولا تقول الصحافة والأبواق العملية للفرنسيين بأنهم كانوا يسرقون وينهبون! فكان عملاء فرنسا يبيحون السرقة والنهب والسلب للفرنسيين ومؤيديهم للضغط على الأهلين، ويسمونها (مصادرة)! ويعيبونها على رجال المقاومة، ويسمونها سلب ونهب.

إن وقائع العمليات والمواقف والسلوكيات تدل على أن الصراع لم يكن طائفياً أبداً، بل كان بين "الحزب الميال لدولة الوحدة السورية المستقلة" وبين "دولة فرنسا الإستعمارية"، وليس ضد الحزب الميّال لفرنسا من مسيحيين ومسلمين، ولكن هؤلاء، بغباء، أو حقد طائفي، أو سوء تقدير، أو بتغرير من الفرنسيين! حشروا أنفسهم بين المتحاربين، ضد إخوانهم وجيرانهم وأبناء وطنهم، وحوّلوا أنفسهم إلى دروع وأكياس رمل للأجنبي الفرنسي، مع ما في ذلك من إستدراج الوطن إلى فتنة طائفية. بينما إنتبه شيعة جبل لبنان ولم يرتكبوا خطأ مسيحي جبل عامل، والتاريخ يشهد على الموقفين!.

---

(1) مصطفى بزي، جبل عامل في محيطه العربي، مرجع سابق، ص 139

ذلك، وفيما كان المقاومون المسلمون الشيعة، يهاجمون مسيحيين، فيقتلون ويهجّرون، كان مسلمون شيعة آخرين في نواحي صور والنبطية، يقومون بإغاثة المسيحيين. وينزلونهم ضيوفاً في بيوتهم لمدة أشهر. كما أن كثيراً من مهجّري المسيحيين في نواحي مرجعيون لجأوا إلى الطيبة، وكانوا بحماية كامل بك الأسعد[1]، وفيما كانت قرية عين إبل المسيحية تتعرض للهجوم من رجال المقاومة الذين لم يلتزموا بمقررات مؤتمر الحجير، كانت قرى مسيحية مجاورة لها وهي القوزح، ودبل، ورميش، تُعفى منه. أما نزوح سكانها الفوضوي فكان خشية من تطور الأحداث نحو الأسوأ. بل إن بعض القرى الشيعية المجاورة، مثل شقراء، وبنت جبيل، وكونين، التي تعرضت للإساءة المباشرة التي أشعلت المعركة، قامت بإحتضان بعض نساء عين إبل وأطفالها.

والدليل الساطع على أن المقاومة الشيعية للفرنسيين لم توجه بندقيتها نحو المسيحيين توجيهاً طائفياً طوال أيام الصراع، أن رجال المقاومة لم يهاجموا، ولا مرة واحدة، قرية رميش المسيحية المحاذية لعين إبل، ولم يتعرضوا كذلك بأية أذية إلى معظم مسيحيي القرى المشتركة طائفياً، قانا، ويارون، وبرعشيت، وديركيفا، وغيرها الكثيرة في جبل عامل، والتي كان التعرض لها وقتل أفرادها وسلب ممتلكاتهم من أسهل ما يكون! وما ذلك إلا أن المقاومة الشيعية العاملية لم تكن طائفية، بل سياسية بإمتياز. وها هم الثوار العامليين يعفّون عن مسيحيين من قانا ذوي هوى عروبي، ويغيرون على شيعة ميالين لفرنسا، في جويا، وفي خربة سلم[2].

ولكن الحقيقة لا يمكن أن تخفى إلى الأبد! فها هو العدو التي يحترم أعداءه، ولا يتردد في أن ما في البوح بالحقيقة، الجنرال غورو، الذي يرى في عمليات المقاومة الشيعية، حرباً شديدة جداً، ذات طابع عسكري وذات هدف سياسي، فهي تريد أن تنتزع من فرنسا أصدقاءها القدامى، أو تأمين إنضمام مناطق إلى الحكم العربي، أو طرد فرنسا من المنطقة العربية[3].

---

(1) مفكرات يومية، الشيخ سليمان ظاهر، ص 6، ومقابلة مع سلام الراسي، آذار 1980، والبشير، 5 و 1920/6/12

(2) البشير، 20 نيسان 1920، مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، العرفان، م 32، ص 470

(3) الشواطئ الغربية لبلاد الشام بما فيها كل لبنان، راجع: إنذار غورو، وتقرير 17 آذار 1920، وتقرير 8 أيار 1920، وتقرير 2 نيسان 1920، راجع: جبل عامل، د. محمد بسام، ص 431.

تاسعاً: إشتعال الجبهة الشرقية:

ويبدو ان فيصل أراد الضغط على محادثاته مع كليمنصو بإحداث إضطرابات في البقاع ومرجعيون، فأصدر توجيهاته إلى الدوائر والإدارات العربية، فتألفت لجنة الدفاع الوطني التي أخذت تحض الناس على التطوع الإختياري، وباشر ياسين الهاشمي، رئيس ديوان الشورى الحربي العربي، الإستعدادات العسكرية لمقاومة إحتلال الفرنسيين في المنطقة الزرقاء، ووزع نحو خمسة آلاف بندقية على الأهلين لتشكيل قوات شعبية، كما قررت الحكومة تدريب وتشجيع الأهلين على تشكيل مجموعات المقاومة، ومدّها سراً بما أمكن من المال والسلاح لمناجزة الفرنسيين[1]، وأعلنت عشائر الفضل وعرب الحولة، ومريود، والشراكسة، والدروز، وعشائر حوران، التعبئة الشعبية فواكبتها الحكومة العربية في دمشق بخطوات تنظيمية رسمية، ودعمتها بضباط عسكريين لقيادة مجموعات المجاهدين[2]، وسرّحت، شكلياً، نخبة من الضباط والأنفار للعمل مع الثوار[3]، وأعلنت أن هؤلاء الضباط تمردوا على رؤسائهم، وتركوا الجيش[4]، وتم إلباس عدد من الجنود النظاميين على شكل ثوار لمهاجمة الفرنسيين ليظهر الجيش النظامي بأنه حيادي، إلا أن الفرنسيين كانوا يعرفون ذلك من جواسيسهم[5]. وإستقال نحو ثلاثماية عنصر نظامي من المتطوعين السوريين في "جيش المشرق" الفرنسي، بينهم ثمانون عنصراً خدموا سابقاً في سرايا الرشاشات في قوات جيش المشرق الفرنسي[6]. بدأت حركة الثوار بالتحرش بالمستعمرات اليهودية الواقعة في جهات صفد، وبخاصة مستعمرة المطلة، في غارات متلاحقة إضطرتهم إلى الفرار داخل البلاد، وقتل وجرح أكثر من عشرين عسكرياً من القوات الفرنسية المرابطة فيها، وإغتنام كثير من الأسلحة والذخيرة[7]. وبدأت مرجعيون تتلقى يومياً الإنذارات بالهجوم عليها.

(1) الحركة العربية، المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة 1908-1924، سليمان موسى، ص 530 – 531. الحكومة العربية في دمشق (1918-1920)، خيرية قاسمية، ص 151-153.
(2) ثورة الجولان ضد الإحتلال الفرنسي، محمد غالب حسين، ص 44- 46، وص 67-69، الحركة العربية، المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة 1908-1924، سليمان موسى، ص 531.
(3) أحمد مريود 1886- 1926، محمود عبيدات، ص 147 و 150 ثورة الجولان ضد الإحتلال الفرنسي، محمد غالب حسين، ص 45، مذكراتي عن الثورة، قدري، ص 209
(4) الدور الأردني في النضال العربي السوري، عبيدات، ط 1 ص 226
(5) الحكومة العربية في دمشق (1918- 1920)، خيرية قاسمية، ص 152
(6) تاريخ جيش المشرق في لبنان، 1919- 1920، جورج فغالي،ص 284
(7) الدور الأردني في النضال العربي، عبيدات، ص 226.

وللضغط على المفاوضات السياسية الجارية في باريس بين كليمنصو وفيصل، إنفجر الوضع في كانون الأول 1919، بمسلسل من الحوادث الأمنية في جهات مرجعيون الحولة وأنحاء قضاء صور، فإمتدت جبهة العاملين في مقاومة العدوان الفرنسي من المجاهدين العرب المتصلين مباشرة بدمشق على طول خط من القرى والبلدات، على جبهة طويلة من تل كلخ شمالاً، حيث وصل إلى تلكلخ، في 13 كانون الأول، مئتن من الدنادشة وطوقوا المركز الفرنسي للقضاء عليه، ووردت برقية من أحمد مريود إلى الأمير الفاعور بأن "الدنادشة إشتبكوا بالحرب مع الفرنساويين"[1]، مروراً بمناطق: بعلبك، حيث قام الثوار، في 15 كانون أول 1919، بمنع الدرك الفرنسي من دخول بعلبك وراشيا ونزعوا أسلحتهم. وزعم ياسين الهاشمي عجزه عن التدخل. مروراً بالبقاع، وراشيا، وحاصبيا، وجزين[2]، ومن قطنا حتى آخر قرى العرقوب حتى الناقورة جنوباً، في جبل عامل. وكان أبرز مراكزهم جباتا الخشب (بلدة أحمد مريود) والقنيطرة وشبعا وحاصبيا. فكانت جماعات الثوار العرب والعامليين الشيعة تُغير بإستمرار على القرى المسيحية[3]، وبخاصة ما بين 10-20 كانون الأول، وقد كان الموقف سهلاً طالما بقيت الإغارات على القرى البعيدة الشرقية، ولكنه أصبح خطراً عندما وصلت الغارات إلى أطراف جزين، فدبَّ الرعب في نفوس السكان، ولجأ شبان جبل الريحان إلى جزين وطلبوا أن يرسل إليهم قوة من الجندرمة للمحافظة على أرواحهم وأموالهم، إذ بلغهم أن العرب والشيعة سوف يكتسحونهم بعد فراغهم من مرجعيون[4].

وكان الفرنسيون يعتقدون أن الذي يقوم بهذه الغارات هم بدو محمود الفاعور، يساندهم مجموعات من الشيعة يتزعمها كامل الأسعد، وصادق حمزة وغيرهما من الزعماء العروبيين، الذين كانوا يجدون في الإقليم الشرقي المشاركة والتواطؤ والملاذ والسلاح، وإمكانية اللجوء إليه وإلى فلسطين المجاورة عندما تضايقهم قوات جيش المشرق الفرنسي[5].

---

(1) أحمد مريود 1886-1926، محمود عبيدات، ص 54، تاريخ جيش المشرق في لبنان، 1919- 1920، جورج فغالي، ص 263
(2) تاريخ جيش المشرق في لبنان، 1919- 1920، جورج فغالي، ص 264- 268
(3) لسان الحال، 18 و 23 و 1919/12/30، و 1920/1/6، البشير 1919/12/20.
(4) لسان الحال، 30 ك 1، والبشير، 1919/12/9 و 3 و 1920/1/17.
(5) جروج فغالي، تاريخ جيش المشرق في لبنان، 1919- 1920، مرجع سابق، ص 270

وفوجيء غورو بالمهجرين من نواحي صور ومرجعيون، يتقدمهم أساقفة الكاثوليك في صور ومرجعيون، فوعدهم بالدعم العسكري، ولكنه لم يف بوعده لصور فلم يصل إليها سوى دورية عسكرية لليلة واحدة في بلدة تبنين، وأما مرجعيون، فقد كان يعدُّ للحسم العسكري هناك[1]، حيث أمسى الوضع العسكري خطراً للغاية، وفي أواخر كانون الأول 1919، تلقى غورو الضوء الأخضر من رئيس الوزارة كليمنصو بالرد على الثوار. فبدأ الإعداد لتجريد حملة عسكرية لتأديب الشيعة، وإعادة المهجرين المسيحيين إلى ديارهم. وإستعادة هيبة فرنسا السياسية والعسكرية. والضغط الفرنسي المقابل في مفاوضات باريس بين الأمير فيصل والرئيس كليمنصو، والقيام بحركة هجومية التفافية هدفها فتح ثغرة من ناحية مرجعيون- الحولة، والإلتفاف عن طريق الجولان للسيطرة على سوريا الداخلية، والتحضير لإسقاط الحكم العربي في دمشق[2]...

- الحملة العسكرية الفرنسية:

وصلت القوات الفرنسية إلى النبطية، ثم إنطلقت بسرعة إلى مرجعيون، وتمركزت في 25 كانون الأول 1919، في قريتي القليعة والمطلة، وأعلنت الأحكام العرفية، وشكلت محكمة عسكرية فورية في الجديدة لمحاكمة المقاومين، أخذت خلال يوم واحد تصدر أحكاماً إرتجالية وقاسية، تراوحت بين الإعدام والسجن والغرامات المالية[3]. وفي اليوم التالي، توجهت الحملة إلى قرى جبل هونين، بدءاً بقرية هونين التي طلبت الأمان فأمّنتها، ولكنها غدرت بها وإعتقلت بعض أهاليها. ومنها إلى عديسة حيث صادرت كمية من الأسلحة والذخائر، ثم إلى كفركلا التي اعتُبرت "مركز تجمع للثوار"، وكانت خالية إلا من الشيوخ والنساء والأطفال، فدمرت بعض بيوتها، وقام الفرنسيون بنهب أربعمائة رأس بقر ومائتي جاموسة، ومواشٍ، وكثير من الأثاث، وفرضت على كل قرية غرامة مالية مقدارها ألف ليرة ذهبية، وإعتقلت من الأهالي ثلاثين رجلاً وخمسين إمرأة[4]. وفي اليوم التالي، إحتلت الحملة

(1) لسان الحال، 20 و 23 و 30 كانون الأول 1919، تاريخ لبنان العام، يوسف مزهر، ج2 بيروت، د.ت، ص 907، والبشير 27 كانون الثاني 1920

(2) ذكريات، مراد غلمية، ص 150 راجع: جبل عامل، د. محمد بسام، ص 295، أحمد مريود 1886-1926، محمود عبيدات ص 155.

(3) الثورة العربية الكبرى، أمين سعيد، ج2 ص107- 110، لسان الحال، 7 كانون الثاني 1920.

(4) راجع: تفاصيل الحملة: لسان الحال، 7 و 21 كانون الثاني 1920، الثورة العربية الكبرى، أمين سعيد، ج2 ص 107 تاريخ جيش المشرق في لبنان، 1919- 1920، جورج فغالي، ص 274، مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 15 و 23 كانون الثاني 1920

بلدة الخيام، وأحرقت بعض البيوت وصادرت بعض المواشي وكميات من الحبوب، علفاً لدواب الحملة، وفرضت عليها غرامة قدرها خمسماية ليرة ذهبية[1].

إعتبر الفرنسيون كامل الأسعد "أحد محركي الثورة في مرجعيون"، فوجهوا إليه في اليوم التالي، قوة خاصة من ألف جندي برفقتهم إبراهيم فرنسيس الماروني، من القليعة، لإعتقاله في مقرة بالطيبة. ولكن الأسعد كان قد إستبق الحملة باللجوء إلى دمشق[2]، فإستبيحت داره، وصودر أثاثها وبيع بالجديدة وصيدا وفُرض على القرية غرامة ألف ليرة ذهبية، وأُمهل أهلها أربعة أيام لتسليم الأسعد نفسه[3].

وتواردت المعلومات إلى الجديدة والنبطية عن تجمعات من قبائل العرب يقودهم ضباط من الحكومة العربية، في جهات الحولة. فعادت الحملة (في 3 كانون الثاني 1920) من النبطية إلى الطيبة وعسكرت في المطلة، إستعداداً لإستئناف العمليات العسكرية، وبناءً لطلب غورو، أرسلت فرنسا تعزيزات عسكرية من تسعة ألوية، وثماني بطاريات مدفعية، وكتيبتي هندسة، وسرب طيران، وكوكبات خيالة مغاربية[4].

صباح الأحد 4 كانون الثاني 1920، توجهت حملة فرنسية إستباقية إلى الخصاص على نهر الوزاني جنوبي شرق المطلة، ولكن الحملة فوجئت بكمين للمقاومة، جناحه الشرقي عرب الحولة والجولان يؤازرهم عدد من جنود الحكومة العربية في دمشق، يهاجمهون مؤخرة الحملة، وجناحه الغربي، من جهة جبل عامل، وهم المقاومون الشيعة العامليون، الذين صبوا، من جهتهم، حمم نيرانهم على الفرنسيين. وبعد جهد كبير ومضن إستطاعت فلول الحملة الفرنسية النجاة من الكمين، والوصول إلى المطلة والتمركز فيها، بعد أن تدخلت سرية المشاة المقيمة في مرجعيون لمؤازرتها[5].

بعد الإندحار النسبي للحملة الفرنسية، وعدم قدرتها على الإنتشار والسيطرة على المنطقة، إنتقل المقاومون إلى الهجوم السريع، فشنوا، فجر اليوم التالي، هجوماً شاملاً على

(1) تقارير، ظاهر، 7 كانون الثاني 1920.
(2) تاريخ جيش المشرق في لبنان، 1919- 1920، جورج فغالي، ص 273
(3) لسان الحال، 1920/1/7، الثورة العربية الكبرى، أمين سعيد، ج 2 ص 107، البشير 6 كانون الأول 1919
(4) وعن التعزيزات راجع: الدور الأردني في النضال العربي، عبيدات، ص 257
(5) تاريخ جيش المشرق في لبنان، 1919-1920، جورج فغالي، ص 274 و 281

المواقع العسكرية الفرنسية في جديدة مرجعيون، وعلى مواصلاتها، بقصد عزلها وإجلائها عن المنطقة، إن أمكن[1]، وكان المهاجمون من الخيام وشبعا والهبارية وكفر حمام، وهم من المسلمون السنّة، ودخل المهاجمون القرية وحرقوا ونهبوا بعض البيوت وقتلوا ستة من المتعاملين مع الفرنسيين، ثم إنسحبوا تحت نيران الثكنة، تاركين قتلاهم على أرض المعركة[2].

وفي فجر اليوم التالي، الإثنين 5 كانون الثاني، وصلت معلومات بأن الفرنسيين أخلوا الجديدة، إلا من بضعة وعشرين جندياً، تركوهم لحراسة المؤن فقط[3]، فقامت مجموعات من الجنود التابعين لحكومة دمشق، ومن الثوار الشيعة العامليين وثوار العرقوب، وفرسان العرب الذين كانوا يتجمعون في نواحي الخيام، بعمليات واسعة على محاور ثلاثة: مجموعة يقودها الضابط فؤاد سليم، تقود بغلين محملين بالمتفجرات، حاولت إجتياز جسر الخردلي غرباً أو تفجيره لقطع الإمدادات، فإصطدمت بفرقة فرنسية، ونشب قتال ضار تكبد فيه الفرنسيون خسائر فادحة بلغت الخمسين بين قتيل وجريح ومفقود، وإضطرت الفرقة الفرنسية إلى ترك ثلاثة رشاشات في مستنقعات الليطاني على إعتراف البلاغ الفرنسي، وكانت نتيجة المعركة نجاح القوة العربية في قطع الإتصالات والمواصلات بين الجديدة والنبطية[4]. وأما المجموعة الثانية، فقد توجهت إلى إبل السقي ولكنها لم تدخلها، بل نجحت في منع أية مؤازرة منها إلى الجديدة[5]. وإنحدرت مجموعة ثالثة، وكانت شيعية عاملية، إلى شرقي المطلة، من الجبل المشرف على عديسة وكفركلا، في محاولة لإحكام الحصار على المطلة، بينما كانت تهاجمها فرقة درزية من الشمال الغربي[6].

---

(1) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 6 كانون الثاني 1920، م 32، ج 9 و10، ص 849، لسان الحال، 28 شباط 1920، تاريخ جيش المشرق في لبنان 1919-1920، جورج فغالي، ص 274

(2) لسان الحال 28 شباط 1920.

(3) لسان الحال، 10 آذار 1920، تاريخ جيش المشرق في لبنان، 1919-1920، جورج فغالي، ص 275، ذكريات، مراد غلمية، ص 155، راجع: جبل عامل، د. محمد بسام.

(4) لسان الحال، 10 آذار 1920، تاريخ جيش المشرق في لبنان، 1919-1920، جورج فغالي، ص 275، ذكريات، مراد غلمية، ص 155، راجع: جبل عامل، د. محمد بسام

(5) لتفاصيل من ذكريات، مراد غلمية، ص 155- 156، راجع: جبل عامل، د. محمد بسّام، البشير، ولسان الحال 3 آذار 1920.

(6) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 1920/1/12، العرفان، م 32، ج9 و 10 ص 851 وم 33، ج3 ص 252.

وكانت المجموعة الرابعة هي الأكبر ومحور الهجوم العام، فقد قامت بالهجوم الأساس، عن طريق عين الخيام (الدردارة) وموقع الخيام (نبع الحمام) مستهدفة جديدة مرجعيون وحاميتها العسكرية، فتضعضعت حاميتها وهربت بإتجاه دبين- البويضة، فدخلها الثوار "دخولاً مدهشاً"، وسيطروا عليها سيطرة تامة، وكان صادق حمزة الفاعور وأدهم خنجر مشتركين في هذا الهجوم.

وفي غضون ساعات تحررت مرجعيون "التي كانت محط أنظار المقاومة والقوات العربية وهدفها الرئيس"، ورفعت فوق قلعتها ودار الحكومة العلم العربي وفتكت قوات الثورة بعدد كبير من جنود الحامية الفرنسية، وألحقت بمواقعها الخسائر الفادحة. "وقد إستُقبلت قوات الثورة بالأهازيج والهتافات"[1]. وظلت الجديدة تحت سيطرة العرب لعدة أيام، ساعدهم في ذلك تساقط الثلوج "بعلو ذراعين"، الأمر الذي أعاق أية تحركات عسكرية فرنسية[2].

كانت هزيمة الفرنسيين مؤكدة وخسائرهم كبيرة ولافتة، وتباينت الأخبار في أرقام القتلى والجرحى والأسرى، فهم بين 65 قتيلاً، و80 أسيراً[3]، و15 قتيلاً و25 أسيراً[4]، و50 جريحاً بينهم ضابطان[5]، و70 قتيلاً و16 أسيراً، وأما غنائم المقاومون فهي مدفعان جبليان و15 رشاشاً وعدد من الخيل، وجيء بأسرى الفرنسيين إلى دمشق، وأُرسلوا إلى بيروت[6]. وفي ليل 5 كانون الثاني ورد إلى النبطية، 4 سيارات عسكرية و150 بغلاً، تنقل جرحى من العسكر الفرنسي، بينهم قائد الحملة[7]، وخسر العرب والمقاومة الشيعية أكثر من 20 قتيلاً[8].

(1) أحمد مريود 1886- 1926، محمود عبيدات ص 155، الدور الأردني في النضال العربي، عبيدات، ص 227.
(2) تقارير دورية، سليمان ظاهر، 7 كانون الثاني 1920، الحقيقة، 1920/1/8، الحقيقة 1920/1/8، العرفان، م 32، ص 851، شؤون جنوبية، ع 39، أيار 2005، ص 42، الزين طباجة يتذكر، ذكريات واعظة، القس الراسي، ص 203، راجع: جبل عامل، د. محمد بسام.
(3) ذكريات، مراد غلمية، ص 154-155، راجع: جبل عامل، د. محمد بسام.
(4) أحمد مريود 1886-1926، محمود عبيدات، ص 154.
(5) تاريخ جيش المشرق في لبنان: 1919- 1920، جورج فغالي، ص 275 و 280 و 284.
(6) الثورة العربية الكبرى، أمين سعيد، ج2 ص 106.
(7) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 1920/1/5، العرفان، م 32، ص 848.
(8) تاريخ جيش المشرق في لبنان، 1919- 1920، جورج فغالي، ص 275 و280 و 284.

1- الهجوم الفرنسي المعاكس:

ويبدو أن المحتل الفرنسي أراد إستغلال الهجوم الذي قام به المقاومون لتنفيذ هجوم عسكري عام يهدف إلى الضغط على الزعماء العامليين وقادة العمل العسكري في المنطقة الشرقية لإيقاف عملياتهم الحربية، وللضغط من جهة أخرى على الأمير فيصل الذي كان يفاوض كليمنصو في باريس. ولذلك قام المعتدي الفرنسي بإرسال النجدات العسكرية الفرنسية، فإنطلقت قوة من بعبدا إلى الشويفات، فصيدا، في 5 كانون الثاني 1920، ومنها سارعت قوة من 450 جندياً و36 فارساً[1] للسيطرة على جسر الخردلي مساء 6 كانون الثاني. ووصل مئات من الجنود إلى النبطية فجر الإربعاء 7 كانون الثاني[2]، ثم قدمت تعزيزات عسكرية من صور، فوصلت إلى القليعة فجر 8 كانون الثاني. وفي الحال أمنت الإتصال مع الوحدات في منطقة مرجعيون، وتقدمت بإتجاه القوة الفرنسية المحاصرة في المطلة، وفي العاشرة من ذلك الصباح فُك الحصار عنها، بمؤازرة الدبابات والطائرات.

وكالعادة، وبعد كل هزيمة أو نكسة عسكرية في ميدان القتال، تبدأ مرحلة الإنتقام الفرنسي من المدنيين فداهمت في 12 كانون الثاني 1920، فرقة عسكرية فرنسية قرية كفركلا، لإشتراك أهلها في القتال ضد الفرنسيين في الجديدة والمطلقة، وأحرقت عدة منازل، وحاول العسكر الفرنسي هتّك أعراض الفتيات فـ "علا صراخهن، وساعدهم عسكر المغاربة المسلم"، ثم إنتقلت الفرقة إلى العديسة حيث أحرقت منازل بعض الثوار، وفرضت على القرية كمية من الحبوب، والأخشاب (للتدفئة) كغرامة حربية[3]. وفي 18 كانون الثاني، داهمت تولين، قرية محمد التامر، وقريتي شقراء وحولا، وفرضت عليها غرامات مالية بمئات الليرات الذهبية، ومقادير من الشعير. ورغم حجم القوة الفرنسية المهاجمة تربصت حشود رجال المقاومة العرب والعامليين، وبقيت مرابطة قبالة المطلة- الجديدة، وبقي نحو ثلاثماية جندي نظامي من قوات الأمير فيصل، كانون يعملون مع مجموعات محمود

---

(1) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 7 و 1920/1/8، العرفان، م 32، ج9 و 10 ص 850 و 851.
(2) تقارير دورية، سليمان ظاهر، 7 كانون الثاني 1920.
(3) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 15 و 19 و1920/1/23، العرفان، م 23، ج3 ص 252 – 253

الفاعور، بينهم ثمانون، خدموا سابقاً في سرايا الرشاشات في قوات جيش المشرق ثم إستقالوا وإنضموا للثوار[1].

وفي نفس هذا الوقت، الذي كان يهاجم فيه جيش الإحتلال الفرنسي، ما بين 6 و22 كانون الثاني، لم تهدأ حركة المقاومين الشيعة، فكانوا يناشدون قوات الإحتلال الفرنسي وعملائه من المتطوعين. فأغار رجال المقاومة على قرى ناحية الريحان في قضاء جزين، هي الوردية، وداريا، والعيشية، ومزرعة سبيل، لأن بعض أهاليها كانوا من المتطوعين مع الفرنسيين في الجديدة. وجددت مجموعات أخرى بقيادة أحمد مريود الهجوم على الجديدة ودير ميماس[2]. وقامت مجموعات ثالثة بالهجوم على الجسور والمواقع العسكرية، كموقع المطلة[3]، فقد تسللت، ليلة 26 كانون الثاني مجموعة مزودة بكمية كبيرة من المتفجرات محمولة على البغال، إلى قرية برغز، ثم إنتقلوا إلى بلاط، وبعد توقف لساعات، بقي فيها نصف المجموعة، وتوجه الباقي لتفجير جسر الخردلي، فإشتبكوا مع حاميته المخيمة هناك، وإنجلت المعركة عن قتل أربعة فرنسيين وجرح إثنين وأسير واحد، وتدمير 3 مدافع... وإنسحب المهاجمون بإنتظام بحماية نار بنادقهم إلى بلاط، إنما دون أن ينجحوا في تدمير الجسر، بعد حادثة الخردلي حصل تقصير بالدعم العربي، وحذّر أحمد مريود القائد علي خلقي "من غدر الأشقاء" فترك الجبهة وعاد، مرحلياً كحاكم عسكري للقنيطرة والجولان[4].

2- المقاومة في منطقة صور:

كانت الهجمات على الفرنسيين وعملائهم في نواحي صور أخف منها في مرجعيون، فلم يكن وضع مسيحيي قضاء صور مأساوياً إلى درجة أن يطلب الكاهن المسيحي في صور المتروبوليت مكسيموس صايغ من المعتدي الفرنسي إستعمال منتهى الشدة مع الشيعة، والإقتصاص من زعمائهم ووجهائهم، ويتهمهم بأنهم يزودون القرى الشيعية بالسلاح، بل يطالب بتنفيذ بعض الإعدامات في قضاء صور، وإقامة حاميات عسكرية، ويحذر الفرنسيين

---

(1) تاريخ جيش المشرق في لبنان، 1919- 1920، جورج فغالي، ص 284
(2) لسان الحال، 30 كانون الأول 1919، البشير، 3 و 17 و20 كانون الثاني 1920.
(3) تاريخ جيش المشرق في لبنان، 1919 – 1920، جورج فغالي، ص 284، هاجم الثوار المطلة في 30 كانون الثاني و4 آذار 1920.
(4) تاريخ جيش المشرق في لبنان: 1919- 1920، جورج فغالي، ص 284، الدور الأردني في النضال العربي، عبيدات، ص 228، البشير 13 كانون الثاني 1920، المشرق م 18، ص 477، مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، العرفان، م 23، ص 256.

من التفاوض مع رجالات الشيعة، ويستعجل الحل العسكري، مستثيراً العنفوان الفرنسي على جيرانه الشيعة: "فلنضع حداً لهؤلاء القوم، ولنعمل كرجال أشداء و"كفرنسيين"، مثلما كان الترك يفعلون لتحقيق ما يريدون، وكما يفعل جيراننا (الإنكليز) في حيفا"[1].

مع أن الشيعة كانوا في مرجعيون يقاسون الويلات من الحملة الفرنسية، وهجّر زعيم الطائفة، كامل الأسعد، إلى دمشق، الأمر الذي دفع السيد عبد الحسين شرف الدين، إلى إستنكار الفظائع الفرنسية والمطالبة بوقفها، "والبحث في هذه الأحوال وتلافيها بغير ما هو جارٍ الآن"[2].

وبدلاً من أن يسجل المتعاملون تراجعاً عن إستفزاز الشيعة المعادين للفرنسيين، يتصرفون وكأنهم ملكيون أكثر من الملك، ولكن يبدو أن المعتدي الفرنسي كان أقل حماساً من المسيحيين في عملية إستفزاز المجتمع الشيعي وإثارته، وخصوصا أن ضغط الوضع العسكري في مرجعيون حال دون فتح جبهة جديدة في منطقة صور.

ولكن رجال المقاومة كانون يكيلون الضربات للفرنسيين ولكل متعامل، فهاجموا المسيحيين المتعاملين في قرى الطويري، وطير سمحات، والقصير، ويارون، وبرعشيت، وصفد البطيخ، ودردغيا. فداهم الفرنسيون القرى الشيعية المحيطة بهذه القرى، وإعتقلوا ثلاثين شخصاً بتهمة الهجوم على دردغيا، وشكلوا محكمة عسكرية في صور، فأصدرت حكماً بإعدام المقاوم نعيم صالح من بلدة باريش العاملية، وأجّلت الأحكام بحق الآخرين، وتدخل السيد عبد الحسين شرف الدين، فنجح، بحنكته ومهابته، في تخفيف أحكام الإعدام[3].

لقد تظافرت على المعتدين الفرنسيين عوامل الخسارة، رغم الإنقلاب الحاد في موازين القوى، فالمستوى القتالي للجندي الفرنسي الذي هو غالباً حديث السن، هو دون المستوى القتالي عند المقاوم، الذي يتمتع بروح التضحية والإيثار وعشق الشهادة أضف إلى البسالة والشجاعة وربما كان لتأثر المسلمين المغاربة، المجندين مع الفرنسيين، بالعامل

---

(1) راجع: جبل عامل، بين سوريا الكبرى ولبنان الكبير 1918- 1920، حقائق بالوثائق، د. محمد بسام، طبع دار الكوكب، بيروت، الطبعة الأولى 2011 ص 306- 308.
(2) الشيخ أحمد رضا، مذكرات للتاريخ، مصدر سابق، العرفان، م 33، ج3 ص 253
(3) لسان الحال، 14 شباط و 10 آذار 1920

الديني، وتراخيهم في القتال دور في التفوق التكتيكي للمقاومين، فكانوا يتحاشون إطلاق النار على رجال المقاومة، ويتركون لهم العتاد الحربي[1].

من جهتهم توهم جنود وضباط حكومة دمشق العربية ورجال المقاومة الشيعة ضعف القوات الفرنسية، كما توهموا أنهم أقوى مما كانوا عليه، ذلك ما أطمعهم بالجيش الفرنسي، فخاضوا ضده حرب عصابات فيها مواجهات مباشرة، كشفت أن هذه الحرب طويلة وثقيلة العبء وصعبة، فعوضوا عن ذلك بإظهار الكثير من الحمية، والقليل من القوة الفعلية[2].

وأما الفرنسيون فقد كان لديهم الكثير من القوة والقليل من الفهم العسكري والسياسي والديني للبيئة المعادية وظروفها، فإستهانوا بضراوة "حرب العصابات" التي شنتها المقاومة العربية والشيعية، ففشلوا على المستوى العسكري، ولكنهم نجحوا في توريط المسيحيين الموالين لفرنسا في الصراع، وإستجاب هؤلاء، وقد كانت تربيتهم الدينية وتقاليدهم التي ورثوها تعدّهم لهذا الدور دائماً، رغم ما سوف يدفعونه من تهجير وردات فعل، فمُني الطرفان بخسائر فادحة، وإنتهيا إلى توازن نسبيك كرّوفرّ هجومات وإندحارات دون أي حسم تام[3].

(1) تاريخ جيش المشرق في لبنان، 1919- 1920، جورج فغالي، ص 275 و 280 و 284، تقارير، ظاهر، 8 و 16 آب و6 و25 أيلول 1919، أحمد مريود 1886- 1926، محمود عبيدات، ص 168

(2) مذكراتي على هامش القضية العربية، أسعد داغر، ص 116- 118.

(3) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 4 شباط 1920، العرفان، م 33، ص 251 و 620، وراجع: لسان الحال، 3 و 7 كانون الثاني 1920 و30 كانون الأول 1919، أحمد مريود 1886 – 1926، محمود عبيدات، ص 151- 152.

استنتاج الفصل الثالث:

ما قام به العلماء من إصلاح تعدى أثره الرعية إلى هيئة العلماء التي كانوا يشكلونها. وقد تأتت بعض التغييرات من عوامل خارجية. ولذلك فإن إندماج الطائفة الشيعية في المؤسسات اللبنانية، وإنشاء المحاكم الجعفرية في لبنان، أديا إلى الإسراع في تنظيم العقيدة، وقد أصبحت منذ ذلك الحين علنية. كذلك قامت إلى جانب طبقة العلماء التقليديين، طبقة جديدة من العلماء (من ذوي المناصب الرسمية). وقد إستمرت هذه الإدارة المزدوجة، ومكنت الشيعة من أن يكون لهم تمثيل رسمي داخل الدولة اللبنانية، بالإضافة إلى تمثيل شبه رسمي. ولقد تمكنت هيئة العلماء من حسن التحكم بهذا التغيّر، إذ كانت ضئيلة بإمتيازاتها وبما كان يشكل خصوصيتها الأولى، وهو إستقلالها، على حد سواء، ولا ريب في أن الإستقلال عن الدول، والمرونة في نظام إختيار المرجع القائم على المناظرة بين العلماء، وليس على تنظيم بيروقراطي، قد كبحا مسيرة الإصلاح، أكان ذلك في جبل عامل أم في النجف، إلاّ أن الشيعة كانوا يحرصون على إستقلالهم قبل كل شيء، حتى ولو كان ذلك على حساب محاربة الفوضى التي طالما نبذها دعاة الإصلاح. فلم يكن الرهان على وجود الطائفة بإعتبارها فرع الإسلام عدداً فحسب، بل كذلك على الصلة التي كانت تربط كل مؤمن بالمجتهد، أي بممثل الإمام.

هذه الأطروحة التي تعيد تشكيل المشهد الديني لـ "جبل عامل ليثبت أن جبل عامل في الزمان التاريخي والجغرافية البشرية كان، ولا يزال إلى اليوم، محور سياسات في المشرق، وأنه الرقم الثابت في تشكيل الخرائط المتحولة لجغرافية المنطقة. وجبل عامل، وإن تم سلخه في إطار مخططات "سايكس – بيكو" عن جغرافيته في التاريخ، فإنه وقع بفعل ذلك، على خط تماس الجغرافيا والتاريخ مع القضية الفلسطينية، وإستطاع، في كل مرحلة سياسية، أن يعيد لهذه القضية جوهرها، بصفتها القضية المركزية للعرب.

ولأنني أستحضر البحث العلمي الغائب من تاريخ جبل عامل إلى تاريخ المنطقة لنرى أن "العامليين" أو "المتاولة" أو "اللبنانيين الجنوبيين" كانوا، في الأساس، إستقلاليين

عروبيين، سواء كانوا وحدويين مع السوريين، أو متوحدين مع "اللبنانيون"، فوشائج القربى بين جبل عامل والجولان لم تكن أوثق منها بين جبل عامل وكسروان.

ونعيد صياغة الوقائع التاريخية لمرحلة مهمة من تاريخ المنطقة، وجبل عامل ضمناً، وهو يشتغل على فعل "الجماعة- الناس" أكثر منه على "الأشخاص- الرموز"، معتمداً على الوثائق والمحفوظات في الأرشيف الفرنسي بخاصته، وعلى المخطوطات ولا يضيع تاريخ وراءه باحثون.

نتوقف عند النضالات التاريخية السياسية العاملية الإستقلالية الوحدوية، العابرة للطوائف، سواء في الوطن أو في المنافي: من المشايخ حسين مغنية، وعلي مهدي شمس الدين، إلى "عبيد الحسين" الصادقين السادة من آل شرف الدين ونور الدين، إلى "العروبيين المتنورين"، من "الثلاثي العاملي": رضا وظاهر وجابر في النبطية، إلى علي رياض الصلح ونسيب عبد السلام شهاب في صيدا، كما نحيي المؤاخاة الجهادية بين قادة الثوار في جبل عامل والحولة والعرقوب والجولان: من "الصادق" و"الأدهم" وغيرهم... من المجاهدين العامليين، عبور جبل عامل الطريق إلى لبنانيته وعربيته في آن... إن بعض الحقائق التاريخية الموثقة في هذه الأطروحة تسمح لنا أن نتجاوز عن الفتن الطائفية الغريبة عن التاريخ العاملي، والتي غرسها ورعاها المحتل الأجنبي، وباشرها "جُهّال" من هنا "ورُعاع" من هناك، وحاول إستنقاذها، بالمؤاخاة الوطنية، "عُقّال" الحواضر العاملية: من مرجعيون إلى النبطية وشحور وصور وتبنين وشقراء وبنت جبيل. وعليه، فإن هذا الشعب كان، في ماضيه وحاضره، ضحية للفتنة ولم يكن طرفاً في أية فتنة طائفية أو مذهبية، وقياداته، على الدوام، كانت ولا تزال تدعو إلى توجيه السلاح نحو العدو الذي يهدد لبنان بالعدوان والإحتلال.

الفصل الرابع

المقاومة في جبل عامل

الفصل الرابع

المقاومة في جبل عامل

أولاً: إتفاق 6 كانون الثاني 1920 وإضطراب موقف زعماء الشيعة:

في باريس، في مفاوضات كانون الأول، أصرَّ رئيس الوزراء الفرنسي على ضرورة فصل لبنان عن سوريا، وأن الذي يتوجب مناقشته فقط، هو مسألة تحديد حدوده، فإقترح على فيصل الإعتراف بإستقلال لبنان تحت إنتداب فرنسي بحدود يتم تحديدها في مؤتمر السلام. وفي إقتراح مقابل، وافق فيصل على الإعتراف بإستقلال لبنان وحقّه في تقرير مصيره بنفسه ولكن ضمن حدوده الحالية.

وقد توصل الطرفان في 28 كانون الأول إلى إتفاق مبدئي حول ذلك، فبالإضافة على جبل لبنان، تدمج معه مناطق صيدا وصور ومرجعيون وحاصبيا وراشيا. وتم تحديد الحدود كما يلي: مجرى الليطاني حتى 5 كيلومترات من خط السكة الحديدية بإتجاه بعلبك، وبعد ذلك مجرى العاصي بالإضافة إلى مداخل الهرمل مع مناطق البترون، زغرتا، مع شرط أن تُعاد بعض الإصلاحات الضرورية في الحدود المحلية. وأما طرابلس، ومنطقة عكار، وأجزاء واسعة من سهل البقاع وبعلبك فقد بقيت تابعة لسوريا. وجاء النص النهائي للإتفاقية في 6 كانون الثاني 1920، مبقياً مسألة تحديدالحدود على عاتق مؤتمر السلام، على أن تؤخذ حقوق ومصالح وإرادة السكان بعين الإعتبار.

وخلال المفاوضات علم فيصل وكليمنصو، بأحداث جبل عامل، وعلم كليمنصو بالعجز الفرنسي عن الحسم العسكري، وكان الإنكليز والولايات المتحدة قد تخلّوا عن فيصل، الذي يبدو أنه إطمأن لكليمنصو وأُخذ بخطابه عندما قال له[1]: "أنا غير إستعماري، وناضلت كصحفي خمسين عاماً ضد الإستعمار، وأعرض عليك معاهدة لا تجد فرنسياً غيري يجرؤ على عرضها عليك، ففكّر ملياً وأعطني جوابك". فإجتمعت عوامل إتفاق مؤقت على التهدئة، وأفضى ذلك إلى إتفاق فيصل كليمنصو الثاني على التهدئة[2] في 6 كانون الثاني 1920،

(1) الحكومة العربية في دمشق (1918-1920)، خيرية قاسمية، ص 141، السياسة الدولية في المشرق العربي (1453- 1939)، أميل خوري وعادل إسماعيل، ص 44 -47.
(2) جيل الفداء، قدري قلعجي، ص 385، البشير، 11/22/ ولسان الحال 1919/12/18، والبشير 27 كانون الثاني 1920.

والذي جاء في مقدمته: تعترف فرنسا بالعرب "أمة مستقلة"، ويعترف فيصل بمصالح فرنسا في سوريا، ويقر بعجز السوريين عن "أن يحققوا وحدتهم، وينظموا إدارتهم دون معاونة... فرنسا"،.

أما البنود السياسية فقضت بأن "تضمن فرنسا إستقلال سوريا وتمنحها المعونة، وبالمقابل تقبل سوريا المستشارين الفرنسيين...، مع الإعتراف بإنفصال لبنان الصغير عن سوريا إلى أن يقوم مؤتمر السلام بتعيين حدوده". وبشكل أوضح، يبقى لبنان الصغير "مستقلاً إستقلالاً إدارياً تابعاً في مسائله العامة لسوريا"[1].

- **"ردّة الفعل على اتفاق فيصل كليمنصو":**

كان هذا الإتفاق تعبيراً عن بداية إقرار الأمير فيصل بالنفوذ الفرنسي في سوريا، ومساساً بالوحدة السورية عبر القبول بإنفصال لبنان عن سوريا، بعد أن كان هذان الأمران مرفوضين، بالمطلق، ومع ذلك فإن هذا الإتفاق لم يوقّع رسمياً إلا بالأحرف الأولى، ولكنه أدّى إلى ردات فعل مختلفة في باريس ودمشق، فقد تسبب في الإضطراب داخل الوفد العربي في باريس[2]، وانتفض الشارع العروبي غضباً بمجرد وصول أنباء الإتفاق إلى دمشق، ما سبب بنحو من لجم عقلية التنازل عند فيصل، الذي عدّل لاحقاً في سياسته التسوية تلك.

ومن جهة كليمنصو فقد تكتل معارضوه بسبب هذا الإتفاق الذي هو بنظرهم إعتراف بإستقلال سوريا ووجدتها وحملوه على الإستقالة من رئاسة الحكومة في 17 كانون الثاني 1920. وأما بريطانيا فوجدت في الإتفاق بداية تقارب بين فرنسا والعرب[3]. وكان الإتفاق المبدئي في 6 كانون الثاني هو آخر محاولات كلمنصو لحل المشكلة السورية عن طريق المساومة، فقد أكدت النتائج عقم هذه المحاولات. فالحكومة الفرنسية الجديدة كانت مصمّمة على حماية مصالح فرنسا في المنطقة، بينما لم يستطع فيصل إقناع العناصر المتشددة في معسكره، بأن إيجاد تسوية أفضل من المواجهة العسكرية. وشهدت الأشهر اللاحقة تسارعاً

---

(1) النص الكامل للإتفاق في الثورة العربية الكبرى، أمين سعيد، ج2 ص 119- 122، والعناية الصمدانية، حرفوش، ص 609 مذكراتي عن الثورة العربية، أحمد قدري، ص 154 وصفحف 13 و 15 كانون الثاني 1920 في سبيل لبنان، يوسف السودا، ص 218 – 223.
(2) الهاشميون والثورة العربية الكبرى، أنيس صايغ، دار الطليعة، بيروت 1966، ص 144.
(3) الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، زين نور الدين زين، ص 143. السياسة الدولية في المشرق العربي (1453-1939)، أميل خوري وعادل إسماعيل، ص 45-47، حول الحركة العربية الحديثة، محمد عزة دروزة، ص 111، مذكراتي على هامش القضية العربية، أسعد داغر، ص 112-113.

في توتُّر العلاقات، بين السلطات الفرنسية في لبنان والحكومة العربية في دمشق. وبصفته رجلاً عسكرياً، أدّت عمليات المقاومة ضد المواقع الفرنسية في القطاع الغربي، والتي شجعتها دمشق، إلى الذوبان السريع لكل مشاعر التعاون مع الحكومة العربية لدى غورو، ومثل كل الفرنسيين، كان غورو يزدري القدرات العسكرية العربية، ولم يكن يعتقد بإمكانية صمودها أمام قواته. فجاءت تلك الهجمات والتي أحرزت نجاحات هامة، لتشعره بالمهانة والغضب، وخاصة الهزيمة الكبيرة التي واجهها الفرنسيون في كيليكيا على يد القوميين الأتراك، بين كانون الثاني ونيسان 1920.

أما المسيحيون وخاصة الكنيسة المارونية وبطريركها، فقد أسرعوا إلى إغتنام الفرصة وكسب ود "غورو" على حساب تذمُره من العرب المتطرفين في دمشق. وتأثر غورو بشكل خاص بالحويك، ويبدو الإحترام المتبادل بينهما واضحاً في رسائلهما المتبادلة. وكان غورو قد وقع تحت ضغط شديد من الدوائر الفرنسية في بيروت، خاصة الجيزويت (اليسوعيون)، الذين عادوا إلى بيروت بعد الحرب، كي يتابعوا عملهم الديني والتعليمي والثقافي، وكي يساهموا في عملية تقرير المصير المرتقبة.

أدى إبدال حكومة كليمنصو بحكومة ميليران، إلى التأثير الكبير على تطورات الوضع في المشرق، فرئيس الوزراء الجديد، كان هو نفسه مقتنعاً بضرورة الحفاظ على مواقع فرنسا ومصالحها التقليدية في المنطقة، ولم يكن يحفل كثيراً بمسألة التحالف مع بريطانيا. وبهذا ابعد أحد أهم الموانع التي وقفت أمام سياسة فرنسية أكثر تشدداً في المشرق. وساهم تردي العلاقات مع فيصل، في تعزيز هذا الإتجاه. وظهر التغيير في سياسة فرنسا، فور إستلام حكومة ميليران في كانون الثاني 1920، فقد دعم رئيس الوزراء الجديد موقف غورو المتشدد في وادي البقاع، واسرع إلى إرسال قوات عسكرية جديدة، وتأمين الأموال اللازمة لتقوية مواقع فرنسا، وكان الأكثر أهمية من ذلك قراره إعطاء غورو صلاحية مطلقة في التعامل مع المسائل في سوريا ولبنان.

ثانياً: إضطراب الموقف السياسي عند زعماء الشيعة:

تظافرت الأحداث الأمنية، وعمليات الإنتقام التي مارسها العسكر الفرنسي ضد القرى الشيعية العاملية، والتهويل والتهديد للشيعة وقياداتهم وزعمائهم[1]، وحملة صحفية منسقة بإشراف الفرنسيين، كانت تغالي في عرض مأساة المنكوبين المسيحيين[2]، على إحداث حالة من القلق والخوف، في نفوس بعض القيادات الشيعية، دفعت كامل الأسعد إلى النزوح إلى دمشق، بذريعة التشاور مع الأمير زيد ورجالات الحكومة العربية، فأستُقبل "بحماس كبير من قِبل أعضاء الجمعية الوطنية (المؤتمر السوري)"[3]. لكن مصيره وهو زعيم البلاد[4] قد اصبح في خطر، وقد عبّر علماء جبل عامل في غيابه عن آراء تكاد تكون مجمعة على فيصل.

بينما كان الفرنسيون في الوقت عينه، يقومون بحملة دعائية فعالة لحمل الشيعة على تأييد مشروعهم[5]، ما جعل قيادات وزعماء الشيعة يغلّبون التفاهم مع السلطة الفرنسية المحتلة، وإذا كان لدى بعضهم شيء من التردد في الإستمرار بمكافحة المعتدي الفرنسي، فإن مواقف الأمير فيصل المتذبذبة ونصائحه لهم بالتصالح مع الفرنسيين، كان يقدم لهم الأعذار والمخارج للتحول السياسي.

وفيما كانت الأعمال العسكرية في جهات مرجعيون على أشدها، تلقى السيد شرف الدين (في 14 كانون الثاني) دعوة سريعة من الحاكم الإداري الفرنسي في بيروت، للبحث في أحوال جبل عامل الأخيرة. وفي اليوم التالي، كان وصول السيد إلى بيروت متزامناً مع وصول الأمير فيصل، عائداً من باريس بإتفاقه مع كليمنصو (في 6 كانون الثاني 1920).
وإنتهت المباحثات بين السيد شرف الدين والجنرال غورو إلى طلب السيد من أعيان جبل عامل تأليف وفد[6] "لمقابلة غورو، ويعرفه ما عليه الطائفة الشيعية من السكون، وأن رئاسة

---

(1) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 3 شباط 1920، العرفان، م 23، ج3 ص 257.
(2) البشير، 6 و16 27 كانون الثاني، ولسان الحال، 3 كانون الثاني 1920.
(3) تاريخ جيش المشرق في لبنان، 1919- 1920، جورج فغالي، ص 273- 274، لسان الحال، 5 و 21 كانون الثاني 1920.
(4) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 1920/2/4، العرفان، م 33، ص 469.
(5) نذكر ان الفرنسيين كانوا قد شجعوا إنشاء جمعية سميت "الجمعية الفرنسية، أعضاؤها من الشيعة المؤيدين" لسياستهم، من أعمالها مثلاً توقيع العراض وتوزيعها، وكان من هؤلاء الأعضاء قاضي صور حبيب مغنية.
(6) لسان الحال، 14 كانون الثاني 1920، جبل عامل في الحرب الكونية، ظاهر، ص 64

البلاد لكامل بك الأسعد". ثم سافر السيد إلى دمشق على رأس وفد عاملي، كان محمود الفضل وأحمد رضا وبعض الوجهاء من بين أعضائه، فوصل إليها في 18 كانون الثاني، بعد وصول فيصل إليها بقليل[1]، ليرجع بكامل الأسعد[2] إلى بيروت في 20/19 كانون الثاني 1920.

بدأت المهانة بين العامليين والفرنسيين بإبراق يوسف بك الزين من بيروت، إلى الشيخ عبد الحسين صادق في النبطية، لإستعجال الوفد العاملي المفاوض، وبعد مشاورات فيما بين وجوه النبطية، إرتأوا أن يكون الوفد من "أكابر العلماء والزعماء"، إنما "قليل العدد"، من الشيخ عبد الحسين صادق والشيخ محمد أمين شمس الدين، ومن محمود بك الفضل وفضل بك الفضل، كي لا يُصوّر الأمر خضوعاً للفرنسيين، أو خيانة للأمير فيصل، أما من حيث المضمون، فقد حُصرت مهمة الوفد بأمرين محددين: الإستشفاع بكامل الأسعد، وطلب "هدوء الحال، على أن لا يمس المبدأ الإستقلالي"[3].

وبعد عودة كامل الأسعد والسيد شرف الدين من دمشق، طلب غورو الإجتماع بهم وبغيرهم من رجال الطائفة الشيعية في بيروت. فلم ينتظر الموجودون في بيروت وصول الوفد العاملي، بل بدأت، في 27 كانون الثاني، وبعد تردد طويل، المباحثات الشيعية العاملية-الفرنسية بمن وُجد من الأعيان في بيروت، إذ لبى الدعوى كامل الأسعد والشيخ يوسف آل فقيه الحاريصي والسيد شرف الدين وآخرون.

ولما وصلوا أُدخل الأسعد على غورو، وإنفرد به، ثم خرج مستبشراً قائلاً "جئتكم بالبشارة الكبيرة والخبر العظيم، قالوا: وما هي؟ قال: الإنضمام إلى لبنان! إن آباءنا كانوا يقولون: نيّال من له مرقد عنزة بلبنان"...عندها إنقسم الحاضرون، وكان بينهم علماء، فعارضوا هذا الرأي، وإرتأوا أن يُستفتى الرؤساء والوجهاء[4]. فقد قال الشيخ الفقيه:

---

(1) مؤتمر وادي الحجير، يستشهد به منذر جابر ، ص 12. Archives MAE, fonds beyrouth, carton n 2432, letter du chef de de’tachement au gouverneur militaire de saida, 171918/11.

(2) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 1920/1/23، العرفان، م 33، ج3، ص 253- 254.

(3) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 26 و 27 كانون الثاني 1920، العرفان م 33، ج3 ص 254- 255.

(4) مؤتمر وادي الحجير وآثاره، منذر جابر، ص 13

"إن ههنا إثني عشر عالماً وفي البلاد نحو أربعين، وزعيم واحد وفي البلاد خمسماية وجيه، ونحن لا نستطيع البت بدون إستشارتهم"[1].

وأيد آخرون منهم بشارة كامل الأسعد، التي جاءت نتيجة مباحثات سريعة لم تراع التحفظات الإستقلالية التي كان يحملها الوفد النبطاوي، وروعيت فيها نصيحة الأمير فيصل "بمهادفة الفرنسيين"، فقد كان واضحاً أن الوفد الآتي من دمشق كان يحمل رأياً متزلزلاً غير صارم للأمير فيصل في شأن المنطقة الغربية وإنضمامها إلى سوريا، ولذلك بدا الإرتباك على السيد عبد الحسين شرف الدين، فقد لمس ضعفاً وتفككاً في الجبهة المعادية لفرنسا. وهذا ما كشف هذه الجبهة أمام السلطات الفرنسية التي إستطاعت أن تقنع بعد ذلك كامل الأسعد إلى حين، بأن أجرت له معاشاً شهرياً[2]. ولكن الزعيم لم يتخذ قراراً نهائياً، فلم يكن يبدو في نظر مناصريه العامليين أنه قد حزم أمره في الدفاع عن فيصل[3].

وفيما كان الوفد النبطاوي في الطريق إلى بيروت، أبرق المجتمعون إلى النبطية بالتالي: "تجلت للحكومة الفرنسية قداسة كامل بك، قريباً يعود مسروراً طمنوا الجميع". وبعد ساعات، وصل الوفد إلى بيروت، وإنضم إلى أعيان الشيعة العامليين هناك، وقبل الجميع، كلٌّ له دوافعه، بنتائج تلك المباحثات، بعضهم تذرع بالضرورة، حفظاً لحياة كامل بك الأسعد، وبعضهم الآخر بالتقية، وأما السيد عبد الحسين شرف الدين، فقد بقي خارج إنسياق الزعماء العامليين مع التهدئة التي دعا إليها فيصل، فيقول: "وكان لهؤلاء الإقطاعيين المذبذبين شأن في هذا العصيان، فهم معنا بوجه ولسان، ومع الفرنسيين بوجه ولسان، ومع الأمير فيصل بوجه ولسان غير هذين"[4]. ولكن السيد سلّم بالتيار السائد بين هؤلاء الأعيان، وإعتبر أن الأمر "منكر أُنكره ولا أستطيع دفعه"[5].

---

(1) د. منذر جابر، مؤتمر وادي الحجير وآثاره، مرجع سابق، ص 13

(2) وُجه إلى كامل الأسعد عدد لا بأس به من الإنتقادات ولا سيما أناشيد ساخرة تأخذ عليه أنه باع نفسه للفرنسيين. فالواقعة إذن كانت معروفة في جبل عامل ولا سيما لدى العملاء من المسيحيين.

(3) الشيخ سليمان ظاهر، رائد عروبي، أحمد أبو ملحم، وجوه ثقافية من الجنوب، طبعة المجلس الثقافي في ج1 ص 57.

(4) صفحات من حياتي، شرف الدين، الألواح، س1 ، ع 14، ص 6.

(5) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 2 و3 شباط، العرفان، م 33، ص 255- 257 و 469 – 470. مفكرات يومية، الشيخ سليمان ظاهر، 2 و 4 شباط 1920

وبعد أيام كان وفد من ثلاثة وثلاثين عالماً ووجيهاً من جبل عامل، برئاسة كامل الأسعد، يعلنون للجنرال غورو ولاءهم لفرنسا[1]، فيما كانت إحدى مجموعات المقاومة تهاجم، في 30 كانون الثاني، قرية المطلة وتحرقها، ثم جاءت ردة الفعل الأولى على موقف كامل الأسعد من عرب الفضل الذين نقموا عليه تسليم نفسه للفرنسيين[2]، وإحتشدوا في سهل الخيام، يبعثون بالإنذارات بإجتياح مرجعيون، ويخطرون المسيحيين بالإنضمام إلى حكومة فيصل، فدب الرعب في قلوبهم، وبدأت قوافل النازحين تتوافد من المنطقة نحو النبطية وصيدا وبيروت[3]. كذلك قوبلت المفاوضات مع الفرنسيين بالإستغراب من قِبل "العروبيين"، وسجّل بعض العلماء الشيعة العامليين رفضهم توقيعها[4]، كما عبّر البعض الآخر، من قرى الطيبة وحولا ومركبا، عن رفضه لها بالتمرد والإلتحاق بجماعات المقاومة[5]. ما أوقع الزعيم كامل الأسعد بين مطرقة المقاومة وسندان الفرنسيين، فقد ضيق الوطنيون الخناق عليه لكي يتوقف عن المماطلة، وعن إتخاذ المواقف المزدوجة في كلامه، ويختار بين فيصل وغورو، فإما أن يتابع في إعتبار نفسه حامل راية الزعامة الوحيد في جبل عامل وأن يتحمل مسؤوليتها مهما تكن النتائج، وإما أن يقبل بإقتسام السلطة بينه وبين غيره من الوجهاء، وأن يتكيف مع هذه التشكلية الجديدة.

كان هذا الموقف السياسي لأعيان الشيعة بداية التناقض مع الجناح الثوري للشيعة، وسبباً لتطور وعي وطني عند الثوار، وفهم أعمق لطبيعة الصراع، إنعكس على عملهم السياسي ونشاطهم العسكري. فقد كان الجو العام الفكري والسياسي والعسكري السائد في أوساطهم ينطلق من وعي عروبي مبني على أن العروبة والإسلام وجهان لعملة واحدة، فالمسلمون عامة معادون لفرنسا!

والمسيحيون عامة حلفاء لفرنسا، وكانوا، اثناء غاراتهم على القرى المختلطة طائفياً، ينحّون المسلمين عن مسرح القتال ويعفّون عن أذاهم، أما بعد الموقف الأخير للزعماء أخذ

---

(1) البشير، 7 شباط 1920

(2) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، العرفان، م 33، ص 469- 470

(3) البشير، 3 شباط، ولسان الحال 26 شباط و10 آذار 1920.

(4) مفكرات يومية، الشيخ سليمان ظاهر، 27 كانون الثاني و 2 و4 شباط 1920.

(5) البشير، 20 كانون الأول 1919

الثوار يركزون هجماتهم على مواقع الجنود الفرنسيين، وطرق مواصلاتهم بين الساحل والداخل. وإدراكاً منهم لكون التعاون مع الإحتلال لا طائفة معينة له، أصبحوا يعفّون عن المسيحيين العروبيين، فقد إلتقى رجال صادق الحمزة بجماعة مسيحية من قانا، وبعد التحقيق معهم عفّوا عن بشارة موسى لمجرد تشفُّعه بصداقة الحاج إسماعيل الخليل ذي التوجه العروبي آنذاك[1]. وأصبحوا يشملون بغاراتهم "الميالين للفرنسيين" والمسلحين معهم، دون تمييز بين طائفة وأخرى[2]، ويستهدفون حتى بيوت الشيعة التي يملكها أنصار فرنسا، فعندما تواصل كامل الأسعد مع الجنرال غورو تمهيداً للتعاون الميداني بينهما، كان سليم زيدان يرأس جماعة الأسعد في جويا، ففرض صادق عليه بالقوة غرامة قدرها 100 ليرة ذهبية، فتهرّب سليم من دفعها وماطل، فرد صادق بمهاجمة بيته وأخذ المال بالقوة.

ولما علم كامل الأسعد بالخبر إتصل بالفرنسيين يطلب النجدة، فخرجت قوة فرنسية من 800 جندي وهاجمت الثوار قرب عين الذهب وإستخدم الفرنسيون المدفعية، ففر الثوار نحو الخالصة وتحصنوا بالصخور، وتجددت المواجهة وكانت النتيجة مئات الإصابات في القوة الفرنسية، وغنمت المقاومة عدداً من الأسلحة وكميات من الذخائر[3].

كذلك كانت المقاومة البقاعية تلاحق المتعاونين مع الفرنسيين بغض النظر عن دينهم وإنتمائهم الطائفي[4].

وأما الجنرال غورو، فبعد أن إطمأن إلى الموقف السياسي الجديد للأعيان، راح يطمح إلى تعميق الصدع في جبهة المعارضة الشيعية للإحتلال الفرنسي، بشقيها، المفاوض والمعاند، وذلك برفع مستوى مساهمة الشيعة العامليين، دولياً، في تنفيذ المشروع الفرنسي في لبنان. فطلب من كامل الأسعد أن يكون في عداد الوفد اللبناني الثالث إلى مؤتمر الصلح في باريس، ولكن كامل الأسعد تهرب من مرافقة هذا الوفد بحجة الإنصراف إلى دور ميداني، لتأمين العرائض المطلوبة، وعاد، في الأول من شباط، إلى النبطية ليبدأ، بتسويق

---

(1) البشير، 6 أيار، 27 كانون الثاني 1920.
(2) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، العرفان، م 33، ص 490- 491- 618- 734، البشير، 7 نيسان 1920.
(3) الجذور التاريخية للمسألة الطائفية اللبنانية، مسعود ضاهر، ص 159.
(4) شؤون جنوبية، ع 39، أيار 2005، ص 42، مقالة د. بعلبكي، أحمد مريود 1886- 1826، محمود عبيدات، ص 167.

عرائض الإنضمام إلى لبنان الكبير[1]. ثم عوّض غيابه عن الوفد اللبناني بتوكيل بعث به إلى "غورو" يقول: وقد وكلت باسم طائفتي سيادة المطران عبدالله خوري لدى مؤتمر الصلح، لكي يتابع الطلب والإلتماس بربط أنحاء الجبل المذكور (جبل عامل) في لبنان الكبير، والإشتراك بكافة إمتيازاته المخصصة تحت حماية فرنسا، ممثلاً إيانا بكافة المراجعات المطلوبة[2].

وفي 24 و 25 شباط 1920، قام الجنرال غورو برحلة إلى جبل عامل، لتدعيم التحول في سياسة الزعامات العاملية، وتوطيد دعائم السلطة الفرنسية، فحاولت الإدارة الفرنسية إضفاء طابع شعبي على هذه الجولة وتحشيد الأهالي لإستقبال غورو، فأبلغ الأمر "إلى مختاري القرى في صورة رسمية، وأخذ تواقيعهم بالتبليغ"[3]. ولكن تجاوب العامليين إقتصر على الأعيان والموظفين الرسميين. فكان لقاء أهل صور مع غورو على نهر القاسمية وليس في صور المدينة، مركز الحكومة[4]، وحضر اللقاء المونسنيور مكسيموس صايغ والمفتي الشيخ خليل عز الدين، والقاضي الشيخ حبيب مغنية، والحاج إسماعيل الخليل، وكبير العلماء السيد عبد الحسين شرف الدين، ورئيس البلدية السيد حسين صفي الدين. ورفض الحاضرون إستدراج الجنرال غورو لهم نحو التصدي لرجال المقاومة، عبر دعوتهم إلى المشاركة في "حفظ الأمن والراحة" في البلاد، وإنما أعربوا عن "عدم رضاهم عن الصهيونية".

وأما النبطية فلم يأتِ من القرى المجاورة لها أحد، ولم يحضر من نفس النبطية لإستقباله سوى بضعة عشر رجلاً من الوجهاء[5]، فإعتبر الأعيان يوم غورو في النبطية يوم "ظلم ونحس"، ولم يقبلوا بهذا الإستقبال، وطلب مدير ناحية النبطية وقائد البوليس من أهلها أن يستقبلوا غورو إستقبالاً شعبياً وأن يحضروا الطبل (والسنجق) تبعاً للتقاليد العاملية، فأجابوا: "إن الطبل مفخوت"[6]. فحرّض غورو العدد القليل الذي أتى لإستقباله على

(1) تقرير غورو إلى ميللران في 2 شباط 1920، راجع: جبل عامل، د. محمد بسام، ص 319.
(2) مفكرات يومية، الشيخ سليمان ظاهر، 14 شباط 1920، البشير، ولسان الحال 12 و 18 شباط 1920.
(3) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 25 شباط، العرفان، م 33، ج3 ص 472.
(4) الحقيقة، 2 آذار ولسان الحال 28 شباط 1920، البشير 28 شباط و6 آذار 1920.
(5) الحقيقة 2 آذار 1920، رضا، 25 شباط 1920، العرفان، م 33، ص 472.
(6) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 25 شباط 1920، العرفان، م 33، ص 493

"العصابات"، وألمح إلى الضرر الإقتصادي اللاحق بزراعة البلاد وأسواقها الأسبوعية، وحمّل الشيعة وزعمائهم مسؤولية الإساءة للمسيحين، لأن "مع العصابات قوماً من الشيعة". فرد كامل الأسعد بأن وجود بضعة أشخاص مع العصابات ليس معناه أن البلاد كلها مشتركة معهم... إذ يوجد معهم جماعة من المدن الكبيرة مثل بيروت، ولا يقال إنها مشتركة معهم.

ولما كان رجال المقاومة قد أغاروا على جويا، وخربة سلم، وحداثا، في شباط 1920 وهي قرى شيعية، فقد إعتبر كامل الأسعد ذلك دليلاً على نفي تهمة الطائفية عن الشيعة، فقال: "إن عمل العصابات غير محصور بالمسيحيين، بل يتعدى إلى غيرهم من المسلمين، فهذه جويا كلها من المسلمين قد نهبوها"[1].

وهكذا! تضعضعت جبهة الشيعة في جبل عامل، فقد تبرّأ الزعماء والأعيان العامليون من أعال المقاومة، حتى ولو لم يندفعوا مع غورو إلى حد التورط في التصدي العسكري لهم.

فلم تحقق مناورة غورو الهدف الأهم من أغراضها، رغم النتائج المحدودة لتلك الجولة، ألا وهو توريط الزعامات في التصدي للمقاومة، مما عزز القناعة لدى غورو بالقيام بعمل عسكري كبير، يكون فيه إخضاع جبل عامل للسلطة الفرنسية.

وهكذا، بدأت التعزيزات تفد من فرنسا إلى سوريا بشكل كثيف وشبه يومي[2]، من ألوية المشاة، والمدافع والطائرات والسيارات المصفحة والدبابات. ولكن العمل العسكري الحاسم تأخر حتى أيار 1920 فجاء بما عرف "حملة نيجر على جبل عامل".

وبإنتظار ذلك الحسم العسكري، عمدت السلطات الفرنسية إلى خطوات سياسية وأمنية تمهيدية، لتدعيم وضع فرنسا على الساحل، ولترغيب وترهيب المسلمين المعارضين، وتعميق الإنقسام الطائفي بين الشيعة والمسيحيين من جهة أخرى، وأما على مستوى الترغيب فقد قرر غورو، في 1 آذار 1920، الإستعانة بوجهاء المنطقة المحتلة، وتشكيل إدارة محلية من خلال هيئة إستشارية للإدارة المركزية في المنطقة الغربية من خمسة عشر عضواً من مختلف الطوائف اللبنانية، على أن يضعوا ميثاقاً لهم، وينظموا حكومة محلية

(1) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، العرفان، م 33، ص 473، الحقيقة 2 آذار 1920
(2) البشير، 20 آذار و 26 شباط، وطوال أشهر شباط وآذار ونيسان وأيار وحزيران 1920

لمناطقهم بإشراف المستشار السياسي، وسُمي لاحقاً كامل الأسعد الممثل الشيعي الوحيد في هذه الهيئة[1].

وأما على مستوى الترهيب، فقد أصدر الفرنسيون في 3 آذار 1920، قراراً بتأليف محكمة عسكرية في قضاءي صور ومرجعيون، لمحاكمة المجرمين والمسببين، وتشكلت فعلاً هذه المحكمة، واصدرت أحكاماً فورية[2]. وقراراً ثانياً بتحميل الشيعة مسؤولية الإضطرابات بدون أن يثبت إشتراكهم فيها، ولكن تطبيقاً لشريعة الغاب، المبنية على أن تزر وازرة وزر أخرى، فيؤخذ الجار بجاره والأخ بأخيه، فقرر العسكريون الفرنسيون ما سمي مسؤولية الأقرب، وهي أنه إن إعتُدي على قرية، فأقرب قرية إليها تكون المسؤولة. ثم قرروا إيجاد نقطة عسكرية متجولة مؤلفة من ستماية جندي لحفظ الأمن[3]. وأما على مستوى إثارة النعرات الدينية فقد حرص الفرنسيون على تمتين روابطهم مع المسيحيين، عبر التعويضات على المنكوبين[4]، وتوريط المسيحيين عسكرياً في الصراع الدائر بين القوات الفرنسية والمقاومة، وذلك بتسليح المسيحيين القرويين للمحافظة على كيانهم.

ردت حكومة دمشق على الإجراءات الفرنسية بدعم حركة المقاومة الشعبية العاملية عملياً، فراحت الوفود من لجنة الدفاع الوطني تجوب جبل عامل، تحث الشباب على الإنخراط في المقاومة، وفرزت حكومة دمشق بعض الضباط النظاميين، مثل علي خلقي، وفؤاد سليم، وسعيد عون، لتدريب المتطوعين، فتنامت مجموعات المقاومة عُدة وعدداً[5]. وتغاضت السلطات الإنكليزية، من جهتها، عن نشاط حكومة دمشق في المنطقة الخاضعة للسيطرة البريطانية، وعن رجال المقاومة الذين كانوا يلجأون إلى مناطقها، هرباً من الفرنسيين، بل كانت تموِّنهم، ولا تعاقبهم[6]. وتجدر الإشارة إلى أن الموقف البريطاني هو نتيجة صراع على النفوذ في المنطقة وليس حباً بالثوار.

---

(1) لسان الحال، 1 آذار و3 نيسان، والبشير 18 و 26 آذار و3 و17 نيسان و7 و 15 حزيران و1 تموز 1920
(2) لسان الحال 1920/3/10.
(3) الحقيقة، 6 آذار 1920
(4) المصدر نفسه، 6 أيار 1920
(5) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، العرفان، م 33، ص 856
(6) شؤون جنوبية، ع 38 و 39 نيسان وأيار 2005، ص 42 في العددين.

وإنشغل الفرنسيون بمعارك كيليكيا، وكان كل حشدهم العسكري هناك، فعجزوا عن تغطية كل الأعمال العسكرية في المنطقة الغربية والدفاع عن حدود طولها أربعمائة كلم. فإقتصر الحجم العسكري لهم في جبل عامل على مئات من الجنود، وعلى المتطوعين اللبنانيين، توزعوا على مدن وطرق الساحل وفي النبطية ومرجعيون. وإضطروا إلى إتباع تكتيك تجميع قوتهم العسكرية في الثكنات والتدخل في أي مكان تبعاً لهجمات رجال المقاومة[1]، فخلت المناطق الداخلية في جبل عامل من القوة الكافية لمواجهة المقاومين، الذين سيطروا على عدة قرى من المنطقة الغربية، وهددت حشودهم طرق المواصلات بين البحر والمواقع الفرنسية في النبطية والجديدة، وأدّت المواجهات بينهم والقوات الفرنسية إلى مشاكل تموينية، خاصة في المراكز والنقاط العسكرية البعيدة عن بيروت، قاعدة التموين المركزية، فنشأ في جبل عامل شبه توازن تكتيكي، نتيجة لإنتقال زمام المبادرة الهجومية إلى المقاومة، وبقاء الفرنسيين في خط الدفاع الثابت.

- **عمليات المقاومة العسكرية:**

وقد لعبت مجموعات المقاومة بقيادة أدهم خنجر الدور الأساس في هذا التكتيك من حرب العصابات، فرابط العشرات من رجاله في مغارة "الواسطة" المشرفة على الطريق الساحلية بين صيدا وصور، وفي منطقة البروقية في ساحل الزهراني، وفي المغاور والتلال المشرفة على طريق الزهراني المصيلح النبطية، وخاضوا مواجهات جدية مع القوافل العسكرية الفرنسية، على الطريق الساحلي وعلى الجسور الداخلية القائمة على نهر الليطاني، الخردلي والقعقعية، كمعركة مصيلح، التي هي من أهم أعمال أدهم العسكرية، بعد أن وصلت إليه معلومات بمسيرة قافلة من الجيش الفرنسي بإتجاه منطقة النبطية، فجمع رجاله وسلك درباً وعرة بين منطقة الظهور والداوودية، ثم كمن على الطريق العام، وقسّم مجموعته قسمين، قسم يتصدى لمقدمة الجنود حيث قائد المجموعة وقسم للمؤخرة، فوقعت القافلة بين المجموعتين وإنهمر عليها الرصاص، ودامت المعركة أكثر من ساعة ونصف مما أدّى إلى سقوط أكثر من ثلاثين قتيلاً من الفرنسيين[2]، وكانت خسائر المقاومة العاملية

---

(1) تقارير من الجنرال غورو إلى وزارة الخارجية الفرنسية في 2/27و1920/3/13، راجع: د. محمد بسام، مصدر سابق.
(2) تاريخ جيش المشرق في لبنان، 1919- 1920، جورج فغالي، ص 189، وأدهم خنجر، صقر عاملة، الصباح، ص 50.

تكاد لا تذكر بالنسبة لخسائر الفرنسيين الضخمة، ولاذ الباقون بالفرار، تاركين أسلحتهم مرمية في ساحة المعركة، غنائم لرجال المقاومة، الذين أخذ يصافحهم أدهم فرداً فرداً وقال لهم: "هذه أصغر عملية يجب أن نقوم بها، علينا قطع طريق صيدا النبطية وعلى طريق الساحل بين عدلون والزهراني أما في الداخل فعلينا أن نتصدى لكل من يؤيد فرنسا ويناصرها"[1]، وعاد أدهم إلى قريتي زفتا والمروانية، وطلب من شبابهما الذهاب للساحة (المعركة) وجلب السلاح[2]. وكمين جسر الخردلي على نهر الليطاني الذي نصبه أدهم خنجر، حيث أطبق على الفرنسيين، ودارت معركة بالأسلحة الرشاشة، فأنزلت بهم المقاومة هزيمة قاسية، ثم إنسحب المقاومون إلى قلعة الشقيف، فعمدت قوات الإنتداب لقصف القلعة مباشرة من إحدى تلال النبطية، فما كان من أدهم إلا أن دعا رجاله لحلقة دبكة على انغام دوي القنابل تعبيراً عن فرحة النصر، التي كان قد جمع فيها عدداً من الشبان المؤيدين من تفاحتا وكوثرية السياد. وبعد هذه المعركة راح أدهم ورفاقه يطوفون على القرى يجمعون البنادق ويضمون إليهم مزيداً من الأشخاص حتى زاد عدد الفرقة على خمسين رجلاً، وإتخذوا مقراً لهم بين المروانية والنميرية[3].

أما الهجوم على جسر القعقعية، فكان ليل 4 شباط 1920، غداة المفاوضات السياسية بين غورو والأعيان العامليين، وكان صادق حمزة ورفاقه يغسلون ثيابهم ويغتسلون في مياه نهر الليطاني عند منطقة يقال لها قعقعية الجسر، وإذا بإمرأة تقبل مسرعة نحو الجسر، وتنادي بصوت عال لاهثة، أين صادق الحمزة، وأخبرته أنها سمعت أن الفرنسيين يعلمون بمكان وجوده في القعقعية وأنهم آتون، وهم بدأوا حصار المكان فعلاً. فإختبأ صادق ورفاقه خلف الصخور. وعندما أطلّ جنود الإحتلال، عاجلهم صادق وأطلق على موقعهم النار فأردى أول جندي قتيل، ثم إنهمر الرصاص من كل ناحية، مما أدّى إلى فرار الجنود، وإنجلت المعركة عن قتل أحد عناصر الجندرمة وأسر آخر وفرار الآخرين[4]. وفي 28 شباط، هاجم رجال المقاومة مخفر درك برج الناقورة، وقتلوا ثلاثة دركيين.

---

(1) من دفتر الذكريات الجنوبية بيروت، حسن الأمين، ص 17-18.
(2) السفير، 31 تموز 1990، أدهم خنجر، جهاد بنوت، ص 23-24 و30.
(3) جريدة السفير، تاريخ 1990/7/31، سويدان ناصر الدين وبمشاركة محمد شريم، من الجنوب وإلى الجنوب.
(4) جريدة السفير، عدد 1990/7/31، رواية حسين حجازي.

وإتخذت مجموعات المقاومة العربية ومجموعة صادق حمزة، الحولة، مركزاً آمناً لتجمعاتها، ومنطلقاً لغاراتها على داخلية جبل عامل وأطرافه الشرقية، بالتنسيق بين صادق حمزة وزعيم عرب الخالصة، ويساندهم محمود الفاعور بالسلاح والعتاد، ويساعدهم سكان محليون كانوا يؤدون خدمات معلوماتية، ويقومون بأعمال الرصد والعسس[1]. وخاض هؤلاء معاً معارك ناجحة ضد الفرنسيين وأعوانهم، أهمها معركة جويا في 18 شباط، هاجم نحو العشرين من مجموعة صادق حمزة جويا، وفي أوائل آذار، هاجمت مجموعات، بقيادة محمود الفاعور، المطلة وأحرقتها[2].

ثالثاً: العامليون إبان المؤتمر السوري ، مؤتمر سان ريمو:

في أوائل آذار، بعث قائمقام حاصبيا، محمد عز الدين الحلبي، إلى زعيم جبل عامل، كامل الأسعد، يدعوه للإحتفال بتتويج الملك فيصل المرتقب، الإثنين 8 آذار، ويطلب إعلانه "في جبل عامل ليقيموا المهرجانات" وأن يشتركوا بهذا الإحتفال برفع الأعلام العربية". ولكن الأسعد، المعروف بسياسة التريث والتأني، أحال هذه المهمة إلى محمود الفضل بالنبطية، ولكن هذا أخفى الأمر، أيضاً، بحجة أنه "مع الإحتلال لا يمكن عمل شيء من ذلك"[3].

ترافقت الرسائل مع صدور قرار عن الحاكم الإداري الفرنسي الكولونيل نيجر، في 8 آذار 1920، "يخطر الأهلين أن كل مظاهرة أياً كان هدفها هي ممنوعة قطعياً. وكان لهذا القرار أثره السلبي على إبتهاج العامليين بإعلان الملكية، فلم يلبِ دعوات الإحتفالات سوى "فريق قليل من الأهالي"[4].

أما صيدا عاصمة التيار الوحدوي فإقتصرت إحتفالاتها على إقفال متاجرها نهار الجمعة 13 آذار. أما جنوبي جبل عامل، بلاد بشارة القبلية، فكانت إلى حدٍ ما تحت سيطرة الثوار العامليين، و"كان لمنشور إعلان الإستقلال السوري وملكية الملك فيصل الأول بن

(1) لسان الحال، 10 آذار 1920.
(2) د. منذر جابر، تاريخ جيش المشرق في لبنان، 1919- 1920، مرجع سابق، ص 285.
(3) الشيخ أحمد رضا، مذكرات للتاريخ، مصدر سابق، آذار، العرفان، م 33، ج7 ص 724
(4) لسان الحال 9 و 20 آذار 1920.

الحسين، الهاشمي النسب، وقع عظيم في نفوس الناس، وكان الإحتفال شيقاً رائقاً، والإبتهاج به عاماً"..

وعند إعلان فيصل ملكاً على سوريا، إستدعى صادق حمزة الفاعور إلى دمشق حيث رحّب به وأكرمه وعيّنه مسؤولاً عن منطقة بانياس. فقدم صادق إليها، وإختار بلدة (زعورة) مقراً له. ثم طلب منه أن يتولى مسألة الدعاية للحكومة العربية في جبل عامل. فدخل صادق جبل عامل من ناحية هونين، وكان ذلك يوم الخميس 11آذار 1920، وشاع أنه أتى قرية العديسة (قضاء مرجعيون) ورفع عليها الراية العربية، المربعة الألوان يتوسط اللون الأحمر نجمة سباعية، ثم فعل كذلك في الطيبة وبليدا وغيرها من قرى جبل هونين، بعد أن مر بالنبطية، وكان معه مائة وخمسون من رجاله ما بين راجل وراكب[1]، ورفعوا فيها عملاً بتعليمات الملك فيصل، بأن يثبتوا إمتلاكهم للبلد برفع العلم العربي في القرى، ولكن الفرحة لم تطل فقد بددتها معركة ميسلون[2]... وكان المؤتمر السوري قد دعا، في 8 آذار، لإنهاء الإحتلال الأجنبي في كل مناطق سوريا، وإقامة حكم عربي برلماني مستقل. ثم باشرت قوات الحكومة العربية توسع رقعة تنفيذ هذا القرار في مختلف المناطق العربية، كإقامة المخافر، ورفع العلم العربي[3]، والدعاء للملك فيصل في الجوامع في خطبة الجمعة، والإنخراط في البنية الأمنية والعسكرية للحكومة العربية في دمشق، لتكرّس الحكم العربي في جبل عامل، فبدأت قوافل السلاح تأتي من شبعا وبانياس، تحت مرأى السلطات في المنطقة الشرقية[4]، فتصل إلى مناطق الحولة، وجبل عامل، في هونين وبنت جبيل. حتى أصبحت بنت جبيل، بواسطة آل البزي، مركز التموين بالسلاح، ما أسهم في تنامي مجموعات المقاومة العاملية عدة وعدداً، فإتخذت الأعمال العسكرية للثوار العامليين شكل حرب مفتوحة، وإلى حدٍ ما تحريرية، حتى اصبحت بلاد بشارة القبلية، وقضاء صور وملحقاته خصوصاً، منطقة شبه محررة من الإحتلال الفرنسي، عسكرياً وأمنياً ومالياً، بإستثناء مراكز الأقضية والحواضر العاملية، كصيدا، وصور، وجديدة ومرجعيون، والنبطية، والقرى التي فيها موالون

---

(1) الشيخ سليمان ظاهر، صفحات من تاريخ جبل عامل، ص 108.
(2) المصدر نفسه، ص 108.
(3) جبل الفداء، قدري قلعجي، مرجع سابق، ص 388، من نص إنذار غورو.
(4) خيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق (1918-1920)، مرجع سابق، ص 152، البشير 1920/1/7.

للفرنسيين، سواء كانوا افراداً، أو جماعات، وقد تعامل المقاومون معها بهجمات متلاحقة، حتى لا يكاد يوم يخلو من الغارات، مما يسمح بالقول بأن سيطرة المقاومين على بعض مناطق جبل عامل كانت سيطرة كاملة، بحيث أنهم ملكوا ناصية المنطقة، ولم يعد للحكومة أدنى أثر ولا سلطة. حتى اصبح ظهور زعماء الثوار علنياً في بلاد بشارة عموماً، وفي بعض حواضرها، أحياناً، حيث مراكز السلطات الفرنسية نفسها، حتى أن بعض الذين يديرون حركة الثوار كانوا موجودين في صور نفسها، وبعض الذين أغاروا على بوابة صور في نيسان 1920، خرجوا من نفس المدينة إلى رمل البلدة[1]. ، كما أن هجماتهم التي شنوها في آذار ونيسان 1920، تدل على كفاءة قتالية، وعلى نجاح في تطبيق قواعد حرب العصابات، جعلت قوات الإحتلال الفرنسي في وضع حرج، والمنطقة في وضع يشبه حالة العصيان التام[2].

وقد إستنتج القادة الفرنسيون إن قادة الثوار يميلون إلى فصل مقاطعات صغيرة مستقلة على غرار فيصل[3]، وأن قائدهم صادق حمزة أعلن نفسه حاكماً للمنطقة، وفرض سيطرته، إدارياً ومالياً، على بلاد بشارة القبلية، وبدا قاب قوسين أو أدنى من أن يعلن في جبل عامل "قيام حكومة مستقلة، واضعاً البلاد أمام مخطط مسبق كان قد إتفق عليه مع سوريا"[4]. ما يعني أن المقاومة الشيعية العاملية كانت تتبع تكتيك التحرير المتحرك للمناطق والسيطرة عليها حتى ولو أدّى الأمر إلى التخلي عنها إذا هاجمها العدو، وهو تكتيك يرهق العدو ويورطه في حرب متحركة لا يملك هو زمامها.

رابعاً: مؤتمر وادي الحجير

تولى كامل الأسعد التحضير للمؤتمر بإجتماعات مصغرة لبعض الوجهاء في دارته بالطيبة[5]، وإجراء إتصالات غير مباشرة مع قادة الثوار العامليين حول زمان المؤتمر ومكانه، وبعد عشرة أيام، حدد موعد يوم السبت في 24 نيسان 1920، للقاء الشخصيات

---

(1) البشير، 29 نيسان 1920، عن أخبار 25 نيسان.
(2) مذكرات للتاريخ الشيخ أحمد رضا، 5 نيسان 1920، العرفان، م 33، ج8 ص 856.
(3) تقرير لوزارة الخارجية الفرنسية رقم 15 سري في 14 أيار 1920، راجع: جبل عامل، د. محمد بسام، ص 397.
(4) تاريخ جيش المشرق في لبنان، 1919- 1920، جورج فغالي، ص 286.
(5) البشير، 29 نيسان 1920.

السياسية والدينية والعسكرية، والمخاتير، والأهلين في جبل عامل، ومن ثم بادر كامل الأسعد إلى دعوة جميع الفاعلين العامليّن، وأرسل بطاقات الدعوى للعلماء والأعيان والمفكرين، ولم يدعُ الوجهاء والعلماء وحدهم، بل كذلك الناس العاديين، ولا سيما زعماء المقاومة، وذلك لأنه لم يكن في إستطاعة أحد أن يضمن السلام من غير موافقتهم عليه.

وكان مكان المؤتمر على رأس نهر الحجير، وهو مكان يتوسط البلاد العاملية، واقع على بعد خمسة عشر ميلاً من النبطية لجهة الجنوب، وعيّن له يوم السبت الواقع في 5 شعبان 1338هـ 24 نيسان 1920م[1].

إن تحديد وادي الحجير مكاناً لإنعقاد المؤتمر كان يُخضع التاريخ للجغرافيا، إذ كان خروجاً على تقليد تاريخي عاملي معروف، بإنعقاد الإجتماعات العامة في "عواصم" البكوات ودورهم، بينما مؤتمر الحجير لم يُعقد في أية حاضرة عاملية، ولا في أية دارة للزعماء العامليين، وإنما عُقد محفوفاً بالتلال والهضاب الوعرة، نزولاً عند إرادة قادة المقاومة العاملية الذين رفضوا أن يُقام في الطيبة، في حمى كامل الأسعد، وفرضوا عقد المؤتمر في هذا المكان لتوسطه البلاد العاملية ولأن الثوار كانوا يسيطرون عليه، زيادة على أنه كان صعب المنال على الجيش الفرنسي، لأنه يخرج عن نطاق تواجد "القوات الفرنسية"، ويقع تحت سيطرة الثوار العسكرية، فيكون أماناً لهم.

ووادي الحجير، بتوسُّطه بين الساحل والداخل، وبين بلاد بشارة وبلاد الشقيف من جبل عامل، يعبر عن توازن المعادلة بين مختلف القوى العاملية المؤثرة. وهو، أخيراً، بطبيعته الفيئة ومياهه الجارية الوفيرة يستطيع إستيعاب ذلك الحشد الجماهيري الوافد مع المؤتمرين.

وقد توافد شيعة جبل عامل، في صباح ذلك اليوم إلى وادي الحجير من كل صوب، وكان ضيوفه الأكثرية من صفوة الجبل، وكان يضيق بالرايات، ويضج بالهتافات، وكأن عاملة نشرت فيه ببعث جديد. ولبى الدعوى "ممثلوا طبقات العامليين" "فيهم الشيخ والشاب

---

(1) تاريخ جبل عامل، محمد جابر آل صفا، ص 226، مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 24 نيسان 1920، العرفان، م 33 ص 988، الحقيقة، 4 أيار ، والبشير، 22 حزيران 1920.

والجاهل والعالم"، وعدُّهم "زهاء ستماية شخص"، فيهم جُلّ علماء البلاد وأعيانها ومفكريها، من أقضية صور وصيدا ومرجعيون، وكان السيد شرف الدين من أوائل الوافدين، وقد إستقبل بالتصفيق وأطلقت له طلقات نارية، "فجلجل الوادي وجرجر صداه وإنطلقت الحناجر والأكف والبنادق تمد الصدى موجات إثر موجات" تتجلجل في عنق الجبل ثم تنطلق في الفضاء"، مما يوجب الإستنتاج بأن العامليين كانوا يثقون كل الثقة بعلمائهم في حل هذه الأزمة والحكم في الخلاف القائم بين قيادات المقاومة، التي كانوا يدعمونها، وبين كامل الأسعد.

وتتابع وصول الوفود، ونحو الساعة (العاشرة صباحاً) وصل قادة الثورة، صادق حمزة الفاعور، وأدهم خنجر وأنصارهما[1]، محفوفين بمظاهر القوة والمهابة، حاشدين المئات من الأزلام، يحيط بصادق نحو الخمسين من رجاله، وإنتحوا جانباً من الوادي وناحية عن الناس، فكان "صدى البنادق يدوي في سماء الوادي"، حتى غدا المؤتمر تظاهرة سياسية "للأكثرية من صفوة الجبل وأسوده ووجهائه وأعيانه، يضيق بالرايات ويضج بالهتافات ويدوي بالمفرقعات والصهيل، وكأنما عاملة نشرت فيه ببعث جديد"[2]، ثم جاء زعيم جبل عامل كامل الأسعد، وبوصوله إنعقد المؤتمر.

كان مؤتمر وادي الحجير إجتماعاً للطائفة الشيعية بأسرها، متحدة إتحاد الجسم الواحد، فقد جاء شاملاً لكل الأعيان العامليين، على إختلاف نزعاتهم وطموحاتهم، وقد بلغ الحشد مبلغاً تحوَّل معه المؤتمر من مجلس للعقال إلى حفل جماهيري حاشد، أظهرت فيه مختلف القيادات كل "عراضات" القوة التي تنم عن خلافاتها المضمرة والمعلنة!.

فزعماء الثوار، الوافدين على الزعامة العاملية من فوهة البندقية المقاومة، وفدوا إلى وادي الحجير تحفُّ بهم العشرات من مرافقيهم شاهرين أسلحتهم الحربية، وإنتحوا برجالهم نواحي متعددة من وادي الحجير، بعيداً عن الناس وعن سرادق المؤتمرين ومباحثاتهم، وإستقبلتهم جماهيرهم بالهتافات والأهازيج الحماسية، التي كانت تاريخياً، حكراً على

---

(1) جبل عامل في الحرب الكونية، الشيخ سليمان ظاهر، ص 72.
(2) الألواح، شرف الدين، ص 3. العروبة، محمد علي الحوماني، س1، ع 20، ص 26.

الزعماء، وكانت تشكل تحدياً لبعض الزعامات التقليدية في جبل عامل، ومن الروايات الشعبية غير المحققة أن كامل الأسعد توجه نحو صادق الحمزة القابع في مكان مرتفع من الوادي بالقول: إبن سعدى (كامل بك) بيطلع لعند إبن خديجة (صادق الحمزة)! عندها تقدم صادق وسلم عليه. ويغالي الراوي بالقول إن الأسعد قدم له سيفه، وثمنه 300 ليرة ذهبية، قائلاً: لا يليق بإبن سعدى بل بإبن خديجة! وتتابع الرواية أن الأسعد توجه نحو أدهم خنجر غاضباً!. وقبل أن يصل إليه تقدم أدهم، وهو أعزل من السلاح وسلم عليه[1].

أما الأعيان العامليون، فبعضهم في نظر السيد عبد الحسين شرف الدين، من "الإقطاعيين المذبذبين... فهم معنا بوجه ولسان، ومع الفرنسيين بوجه ولسان آخرين، ومع الأمير فيصل بوجه ولسان غير هذين"[2]. وبعضهم نادى "بنزع وصاية فرنسة عن البلاد"،وبعض آخر زاد بدعم الثورة بالمال والسلاح، وبعض ثالث خالف الفرنسيين.

وكان أهم من حضر من العلماء: السيد عبد الحسين شرف الدين، وأمين سره السيد علي شرف الدين، والسيد عبد الحسين نور الدين، والشيخ عبد الحسين صادق (النبطية)، والشيخ حسين مغنية والشيخ حبيب مغنية (طيردبا) ، والشيخ عز الدين عز الدين، والشيخ عبدالله عزالدين (كفرا)، والشيخ موى قبلان (ميس الجبل)، والشيخ يوسف آل فقيه (حاريص)، والشيخ حسين سليمان (البياض)، والشيخ عبد المحسن الظاهر (الحلوسية)، والسيد عبد الحسين محمود الأمين (شقرا)، والسيد جواد مرتضى (عيتا الجبل).

ومن الأعيان: كامل وعبد اللطيف الأسعد، ويوسف الزين، ومحمود وأخوه فضل الفضل، والحاج إسماعيل الخليل، ومحمد التامر، والحاج حسن دبوق، والحاج محمد سعيد بزي، وأخوه عبد الحميد بزي، والحاج خليل العبدالله، ومحمد أسعد أبو خليل، وأحمد أبو عرب، وسعيد وتوفيق حلاوة، وسعد الدين فرحات، وحسن مهنا، ومحمود مراد، ومحمد وهبي ومن الأقطاب العروبيين والمشايخ: سليمان ظاهر، وأحمد رضان ومحمد جابر، ومحمد علي الحوماني، ومن قادة الثوار: صادق حمزة الفاعور وأدهم خنجر ومحمود بزي.

---

(1) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، العرفان، م33، ج 9 ص 988، ومن الأهازيج في إطراء الثوار، صقر عاملة، الصباح، ص 50، مؤتمر الحجير، منذر جابر، ص 71- 73، وصقر عاملة، الصباح، ص 104، الزعامة السياسية في لبنان الجنوبي، عبد الأمير طباجة، دبلوم الجامعة اللبنانية، 1987، ص 119.

(2) صفحات من حياتي شرف الدين، الألواح، س1، عدد 15، 1951، ص 2.

ولكن سليمان ظاهر يتفرد بتغييب محمود الأحمد بزي، فلم يسمِّه بين الحضور! ويقول: "إن الثائرين الذين حضروا مؤتمر الحجير لم يكونوا بين مرتكبي جريمة عين إبل"، ومحمود الأحمد بزي كان في حادثة عين إبل.

ثم إنتقل السيد عبد الحسين شرف الدين، بعد اللقاء الجماهيري، إلى "صفوف العلماء والزعماء" ليتخذ مكانه بينهم، ثم إنتقل كبار المؤتمرين من العلماء والزعماء والوجهاء وممثلي القرى[1] إلى سرادق خاص، وإتخذ الأدباء موقعاً بين الشخصيات التي شاركت في النقاش، في خيمة خُصصت لهذا الغرض[2]. أما زعماء المقاومة الثلاثة الأساسيون فقد إنتحوا جانباً على حدة وكانوا مسلحين ببنادقهم ومسدساتهم وقنابلهم اليدوية[3].

وبدأت مداولات المؤتمر رسمياً برئاسة كامل الأسعد، فلم تشهد وقائع مؤتمر الحجير أية تناقضات ظاهرة في ما بينهم، بل ظهروا جميعاً بلسان إجماعي واحد، فقد عرض الأسعد للغاية الملحة من هذا الإجتماع، وهي تحديد موقف عاملي موحد من الإنذار الذي وجهه زعماء الثورة العربية المسلحة، المرابطة بقواتها على الأطراف الجنوبية الشرقية، تنتظر من "جبل عامل أن يصرح بخطته ومنهاجه": إما معهم أو عليهم. وأبلغ الحضور أنه إستمهل موفدي الثورة تأجيل هجومهم "إلى ما بعد موسم الحبوب"، وإعتبر أن الموقف يدعو إلى التأمل، وإقترح أن يتم إرسال وفد عاملي "إلى الشام، ليفاوض جلالة الملك بهذا الأمر"...

كان كل ما يطلبه كامل الأسعد والوجهاء التقليديون، إزاحة العصابات التي كانت تهدد سلطتهم تهديداً مباشراً، في عقر دارهم، ولم يكن ذلك متيسراً من دون تدخل الملك، والأسعد

كان يعرف رأي فيصل في هذه المسألة، فقد كان قد نصحه بعدم مقاومة الفرنسيين[4]، فكان يأمل أن يتدخل فيصل في تهدئة حماسة رجال العصابات وفي جعلهم يلقون السلاح، وبإنتظار نتائج هذه الإستشارة، كان على المؤتمرين أن يدلوا برأيهم في مسألة متابعة القتال ضد الفرنسيين وأعوانهم، ولكنهم لم يكونوا مجمعين على هذا الرأي، محتجين بعجز

(1) بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين، ج2 ص 153 – 154.
(2) منذر جابر، مؤتمر وادي الحجير، مرجع سابق، ص 62- 63.
(3) للتاريخ، أحمد رضا، العرفان، ج 33 ص 988- 989.
(4) منذر جابر، مؤتمر وادي الحجير، مرجع سابق، ص 53

العامليين عن مواجة فرنسا[1]. وبعد المداولة فيه، قرر القوم صوابية هذا الرأي[2]. فقد رأى "المفكرون في عاملة" أن هذا الطلب "جد شاق من طرفيه: فهم إن أجابوه ففرنسا دولة غنية مجهزة لا قِبل لهم بها، وإن إمتنعوا عنه فهذه جبهة وطنية تدعوهم إلى جهاد وطني، وذلك ما لا قِبل لهم بالإمتناع عنه أيضاً"، كما يقول السيد شرف الدين"[3].

ثم تطرق البحث إلى القضايا الرئيسية للمؤتمر: الخيار السياسي العاملي، والحالة الأمنية، والعلاقات المسيحية-الشيعية في جبل عامل، وبعد المداولات، أقرّ المؤتمرون بالإجماع إنضمامهم للوحدة السورية، والمناداة بجلالة الملك فيصل ملكاً على سوريا ورفض الدخول تحت حماية أو إنتداب الفرنسيين وتفويض أمر جبل عامل إلى حكومة الأمير فيصل في الشام[4].

وحول الأوضاع العاملية الداخلية: ضبط الأعمال العسكرية في القرى والتعهّد بعدم التعرّض لأبناء جبل عامل، والحفاظ على الأمن، وحماية الناس مسيحيين كانوا أم مسلمين، والإبتعاد عن الخصومات الطائفية، ونادى كامل الأسعد وكبار العلماء بلزوم الطاعة، والإبتعاد عن الشرور والمحافظة على أموال وأملاك المسيحيين وأرواحهم، وإنذار المعتدين والمخالفين بشر الجزاء.

وقد أُلفت لجنة من أحمد رضا، وسليمان ظاهر، ومحمد جابر آل صفا ، والحاج إسماعيل الخليل، ومن عالم هو الشيخ عزالدين علي عزالدين، مهمتها تدوين القرارات المتخذة وتحرير نصها لكي تقدم إلى الملك[5]. وفي الختام، "وقع المحضر ما يزيد عن مائة شخصية" من علماء وزعماء ووجهاء ومخاتير وأدباء ومفكرين، "مثّلوا الطائفة الشيعية بسائر طبقاتها"[6]. وكان يحتوي على المسائل الآتية:

---

(1) حسن قبيسي، تطور مدينة صور الإجتماعي، مرجع سابق، ص 124
(2) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 24 نيسان 1920، العرفان، م 33، ج9 ص 989.
(3) صفحات من حياتي، عبد الحسين شرف الدين، الألواح، السنة الأولى، 1951، عدد 15، ص 2
(4) محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، المصدر السابق، ص 226.
(5) المصدر نفسه، ص 226
(6) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 24 نيسان 1920، العرفان، م33، ج9 ص 990، من حقيبتي التاريخية، حكمت بزي، ص 508

1- الموافقة على القرارات الصادرة في المؤتمر السوري، أي إستقلال سوريا الشامل بإمرة فيصل، ورفض تقسيم سوريا والإنتداب الفرنسي.

2- مبايعة الملك فيصل على تطهير البلاد من الإحتلال الفرنسي[1].

3- إنضمام جبل عامل للدولة العربية في إطار الإستقلال الإداري[2].

4- قرر المؤتمرون أن مسألة المتابعة في قتال الجيش الفرنسي والوسائل المؤدية إليه، يناقشها الوفد مع فيصل.

5- المحافظة على النصارى وحلف اليمين على ذلك.

6- تفويض حجة الإسلام المجاهد السيد عبد الحسين شرف الدين والعلامة الجليل السيد عبد الحسين نور الدين وزعيم جبل عامل كامل بك الأسعد بتمثيل البلاد لدى الملك فيصل، ومفاوضته في موضوع تنفيذ هذا القرار[3]. لكن كامل الأسعد ، الذي يرغب في إبقاء الطريق الخلفي مع الفرنسيين سالكاً، آثر عدم مرافقة الوفد، فاستعيض عنه بالسيد محسن الأمين، الذي كان الأمير فيصل قد عينه "مفتياً للشيعة في دمشق وملحقاتها".

فإقتصر الوفد على كبار العلماء المجاهدين دون الزعماء[4]. ولم يكن تأييد هؤلاء العلماء الثلاثة وبقية علماء جبل عامل لحكومة الأمير فيصل سوى الوقوف في وجه فرنسا، التي أرادت جعل الشيعة تحت هيمنتها، إلى جانب حاكم عربي مسلم، ولعلّه كان من قبيل اللجوء إلى أهون الشرّين إذا كان لا بد من أحدهما.

- خطبة السيد عبد الحسين شرف الدين:

إفتتح السيد عبد الحسين شرف الدين المؤتمر بخطاب جامع، ألقاه، من على شقيف مرتفع أمام الجماهير المحتشدة، مندفعاً، يتكلم ويشرح[5]، وقدّم صورة شاملة عن الأجواء السياسية، وعرضاً للمواضيع الهامة المطروحة للبحث، فتجاوزت بلاغته أن تكون خطاباً في

---

(1) بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين، ج 2 ص 441.

(2) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، العرفان، ج 33 ص 989، جبل عامل في الحرب الكونية، سليمان ظاهر، ص 72-73. بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين، ج2 ص 441، ولا يعطي محمد جابر آل صفا إلا تلخيصاً موجزاً للقرارات، أنظر: تاريخ جبل عامل، محمد جابر آل صفا، ص 226

(3) صفحات من حياتي، شرف الدين، الألواح، س1، ع 15، 1951، ص 3. خطاب السيد في الحجير ومقرراته في: بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين، ج2، ص 441، وعن قرارات المؤتمر، الحقيقة 4 أيار 1920.

(4) الحقيقة، 23 آب 1919، مذكرات للتاريخ ، الشيخ أحمد رضا، 24 نيسان، 1920، العرفان، م 33، ج9 ص 990.

(5) العرفان م 33، عدد تموز 1947- ص 988 (يوميات للتاريخ- أحمد رضا) وقد ذكر الأسماء ووصف جو المؤتمر

مؤتمر لتغدو مؤتمراً في خطاب، تذكيراً بالموقف الحرج وإيذاناً بخطر الإجتماع، أمام جميع الحاضرين.

وبداية، بناء على طلب من السيد جواد مرتضى الحسني، عرض السيد إلى الحوادث الجارية في البلاد، وآخرها حادثة صور بين متطوعة العسكر من اللبنانيين[1] والأهالي، فإستهل كلامه بعبارة تنبي عن حبيس المشاعر، وقال: "إن في القلب أسى وفي العين قذى"، ثم أورد الأحداث التي هزت صور قبل ذلك بقليل في 18 نيسان، مبيناً خلفياتها ومراميها الطائفية، فقد قامت في صور مواجهات بين سكان المدينة وبين متطوعين من جبل لبنان إنخرطوا في الجيش الفرنسي، وذلك إثر إستفزاز صدر عن النصارى بتحريض من الحكومة العسكرية الفرنسية، وتسويف الحاكم الفرنسي في معالجتها، ثم حذّر السيد، في الوقت نفسه، من مضاعفاتها المحتملة، وحث على التآلف الإسلامي المسيحي للنفاذ من حبائل السياسة الفرنسية، فقال:

يا فتيان الحمية المغاوير، الدين والنصيحة ألا أدلكم على أمر إن فعلتموه إنتصرتم؟! فوّتوا على الدخيل الغاصب، برباطة الجأش، فرصته، وأخمدوا، بالصبر الجميل، فتنته، فإنه والله ما إستعدى فريقاً على فريق إلا ليثير الفتنة الطائفية، ويشعل الحرب الأهلية، حتى إذا صدق زعمه وتحقق حلمه،إستقر في البلاد. ألا وإن المسيحيين إخوانكم في الله وفي الوطن وفي المصير، فأحبوا لهم ما تحبون لأنفسكم، وحافظوا على أرواحهم وأموالهم كما تحافظوا على أرواحكم وأموالكم، وبذلك تحبطون المؤامرة، وتخمدون الفتنة، وتطبّقون تعاليم دينكم وسنّة نبيكم (لتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى، ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون) بهذا السلوك يا أبنائي الأعزاء دون غيره تردون كيد الفرنسيين إلى نحورهم، وتعيدون جحافلهم إلى جحورهم وتنعمون بالحرية لا يتطاول بعدها إليكم متطاول.

---

(1) يعني من الموارنة من جبل لبنان

ثم إنتقل السيد شرف الدين إلى الجانب السياسي، فنبّه إلى أهمية هذا المؤتمر وخطورة قراراته والمسؤولية التاريخية المترتبة عليه، والتداعيات التي قد تنجم عنه على الصعيدين الإقليمي والدولي، وذلك كي يتحمل الحضور مسؤولياتهم بكامل وعيهم وإرادتهم ، فقال:

أيها الفرسان المناجيد: إن هذا المؤتمر وما بعده، سيطبق نبؤة الآفاق السورية، ويتجاوب صداه في الأقطار العربية ويتجاوزها إلى عصبة الأمم، وقد إمتدت به إليكم الأعناق، وشخصت الأبصار، فانظروا ما أنتم فاعلون. ألا وإن جبل عامل بعد هذا المؤتمر بين أمرين، عز لا تنفصم عروته، ولا تقرع مرّته، أو ذل تهاوت معه كواكب السعد، وتقوّض فيه سرادق المجد، فإن نبذتم الأهواء الشخصية وآثرتم شرف القضية، فلتكونن في حرز لا يفصم، وتكون بلادكم في حمى لا يقحم، أما إذا غلبكم الهوى، فلتكونن مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبشة العجلان، أمام قوة العدو وشدة الفتن وتظاهر الزمان.

ولكن السيد سارع إلى تقديم رؤيته الشخصية لتكون هي القرار، فقال: إخواني وآبائي: إن هذا المؤتمر يرفض الحماية والوصاية، ويأبى إلا الإستقلال التام الناجز المعتمر تاج فيصل العرب عاهلاً ومؤهلاً وقائداً محجلاً، يقيم حكومة شرعية تجعل من الوطن جبهة منيعة ينحدر عنها السيل، ولا يرقى إليها الطير.

وتحصيناً للقرار، كانت للسيد التفاتة إلى الخلافات الداخلية بين قادة الطائفة، إخواني أعلام الأمة: إننا اليوم في هذا المفترق الخطير، أشد حاجة من أي وقت إلى الإعتصام بحبلهم، والسير على نهجهم. فإما عزة لا تفصم أو ذلة أو ترحم. إما حياة حرة. أو هوان تهدر في حمأته إنسانية الإنسان. إما إستقلال دون وصاية، أو إستعباد نكون معه كالأيتام على مأدبة اللئام"[1].

ثم تجاوز السيد شرف الدين، بخطاب أدبي بليغ، التحولات الإجتماعية والسياسية المستجدة على الساحة العاملية، ورأى إعادة لواء الزعامة والقيادة إلى "الزعيم" كامل الأسعد. فقال: "هذا زعيم (عامل) وبدره (كامل) قد أرهف للجهاد معكم عزمه، وحشد لبلوغ

---

(1) بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين، ج2 ص 439.

الغاية عدته، فاركبوا معه كل صعب وذلول، صادقي العزائم، متساهمي الوفاء، وما التوفيق إلا بالله، يؤتي النصر من يشاء، عليه توكلنا، وإليه أنبنا، وإليه المصير"[1].

تميزت حركة السيد شرف الدين بالوعي السياسي والتفهم للظروف المحيطة، والمعرفة بنوايا الإستعمار وأساليبه التي يتبعها لإخضاع المسلمين وتشتيت جهودهم، والقدرة على التعبير عن إرتباطه بالفكر السياسي الشيعي الأصيل المنبثق من عهد الأئمة عليهم السلام، حيث ألقى خطاباً كان أثره في النفوس كبيراً وعظيماً، وعنيفاً، يهدف إلى تعبئة العواطف ضد الفرنسيين، معبراً عن وجهة نظر المؤتمرين بإستقلال جبل عامل ضمن المملكة السورية التي دعوا إليها بإسم الوحدة السورية. ثم حث على التضامن والإتحاد، وبيّن عاقبة الإختلاف والفوضى التي تفسح المجال للقول بأننا لا نستطيع التمرس بالحكم، ومن هنا يأخذ المستعمر طريقه إلينا. وحث على المحافظة على الأمن في البلاد عامة وتأمين المسيحيين، وحضّ الشيعة على أن يتوقفوا عن قتال المسيحيين، بهدف إفشال الخطة الفرنسية، ثم أجمل ما توافقوا عليه، وهو أنه لا بد من الوحدة السورية أولاً، ولا بد أن تكون هذه الوحدة ثانياً بإشراف الأمير فيصل.

ولم يكن معنى موقف السيد من كامل الأسعد أنه قد خرج من تذبذبه وأصبح ثورياً! وإلا فما حال الزعماء الآخرين الذين كانوا قد ساهموا في تأسيس الثورة ودعمها، كآل الخليل وعرب مثلاً؟ بل هي محاولة منه لتركيز عناصر الوحدة الشيعية في جبل عامل، فالوحدة مع فساد القائد خير من الإنقسام حتى ولو كان القائد مؤمناً.

- **"قسم اليمين":**

وبعد فراغ السيد شرف الدين من خطابه الجامع المؤثّر، تناول قرآناً من جيبه[2]، وبادر المؤتمرون العامليون إلى حلف اليمين على الإلتزام بقرارات المؤتمر. يقول السيد شرف الدين: "ثم أقسمتُ اليمين، وأخذتها على العلماء والزعماء والوجهاء أن نتضامن على حفظ الأمن وإقرار الهدوء، والحرص على سلامة المسيحيين بوجه خاص"، فأقسموا اليمين

---

(1) بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين، مصدر سابق، ج 2 ص 441.
(2) العرفان العددان 1 و2 م 75 ونيسان سنة 1987 ص 95- 96. جبل عامل في محيطه العربي، مصطفى بزي- ص 172-173.

على القرآن. ثم إستدعي صادق حمزة إلى الخيمة وحيداً، فدخلها بمواكبة رجال المسلحين واتخذ له مكاناً في مقابل رجال الدين، فحثوه على أن يعد بعدم مهاجمة العامليين، فإنصاع صادق حمزة لطلبهم بشرط أن يتابع في محاربة جميع عملاء الفرنسيين مسيحيين كانوا أم مسلمين، لأن جهاده كان بحسب قوله، سياسياً وليس دينياً. ثم جاءوا ببقية زعماء المقاومة الشيعية العاملية، فأقسموا اليمين هم أيضاً على القرآن، بدافع من العلماء، وقد دعاهم كامل الأسعد والعلماء إلى الطاعة وأنذرهم بمعاقبتهم إذا ما إرتكبوا الحماقات، يقول السيد: "وأحضرت بعدئذٍ رؤوس الثوار، كصادق الحمزة وأدهم خنجر ومحمود الأحمد بزي...وأمرتهم أن يكفوا عما هم فيه، بل هددتهم إن لم يكفوا بالعقوبة والمطاردة"[1].

إن أمر السيد عبد الحسين شرف الدين زعماء الثوار بالكفّ "عما هم فيه"، من التعرض للمسيحيين، وتهديدهم "بالعقوبة والمطاردة" هو محاولة منه لإلزام المقاومين بإدارة دقيقة لسياستهم الحربية ضد فرنسا، تقضي بالتفصيل بين المواطن العاملي حتى ولو كان متعاملاً مع الفرنسي وبين الفرنسي المعتدي والمحتل، وتوجيه البندقية إلى الفرنسي، مع الصبر على هذه السياسة الطويلة النفس، التي سوف توحّد جبل عامل حول المقاومين والرافضين لفرنسا، وتعزل فرنسا وعملاءها، دون الخوض في حرب واسعة عريضة تطال حتى المسيحيين، قد تؤدي إلى فتن داخلية لا يستفيد منها إلا العدو، وفي ذلك تركيز من السيد على تجنب الخلل الحاصل في ترتيب أولويات المقاومين، والكامن في الأعمال الحربية ضد بعض المسيحيين "الميالين لفرنسا" وليس تجاهلاً لحركتهم الوطنية المقاومة للإحتلال الفرنسي، فقد كان السيد يسدي "النصح للثائرين بإلتزام السكينة وإيثار الهدوء، لنعمل في جو صالح للعمل السياسي"[2].

وعندما دُعي صادق، باسم الثوار، لتؤخذ "عليه وعلى رجاله الإيمان المغلظة أن لا يتعرض لأحد من المواطنين أبناء جبل عامل، مسلمين كانوا أو مسيحيين، بسوء أو أذية"،

(1) جبل عامل في الحرب الكونية، سليمان ظاهر، ص 73، للتاريخ، أحمد رضا، العرفان، ج 33 ص 990. بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين، ج2 ص 155، تاريخ جبل عامل، محمد جابر آل صفا، ص 226، الحركة العربية في جبل عامل في ظل الحكم التركي والإنتداب الفرنسي، محمد مخزوم ، مخطوطه لمحمد جابر آل صفا، ص 386.
(2) صفحات من حياتي، شرف الدين، الألواح، س 1، عدد 15، ص 3.

دخل "الشيخ صادق الحمزة السرادق يحف به رجاله شاهري بنادقهم حوله!" وأقسم على عدم التعرض للمواطنين عموماً، لكنه "إستثنى من كان منهم إلباً للفرنسيين على الوطن وإستقلاله، مجاهراً بذلك مع الغاصبين المحتلين، مسلماً كان أو مسيحياً أو من أي مذهب كان، لأن جهادنا سياسي لا ديني"[1].

إن طلب السيد من صادق حمزة مجرد حلف اليمين على الإلتزام بقرارات المؤتمر، قرارات الزعماء السياسيين، هو السلوك الطبيعي لكل الدول والثورات والأمم التي تجعل القرار عند القيادات السياسية والإجتماعية، والتنفيذ عند الثوار والعساكر والجيوش، وليس إستبعاداً وتهميشاً للثوار، بقدر ما هو وضع الأمور في مكانها، فالرأي قبل شجاعة الشجعان، هو أول وهي المحل الثاني! وخصوصاً أن المؤتمرين أجمعوا على تلك القرارات. ولقد كان إختصاص صادق حمزة، دون غيره من قادة الثورة العاملية، بحلف اليمين على منح "الأمان للنصارى"، إشارة إلى موقع صادق في قيادات المقاومة ودعوة لتوحيد فرقها ومجموعاتها تحت قيادة واحدة، وليس من الضروري أن ذلك "أحفظ غيره من الزعماء الثائرين العامليين مثل محمود الأحمد بزي"، ما جعل الشيخ أحمد رضا يحسب "أنهم سيعملون لعكس ذلك"[2]، فإن أحداث عين إبل لا تدل على وجود ردات فعل عند قيادات المقاومة على قرارات المؤتمر، أو على بعض ما جرى فيه من تفاصيل سلبية أو إيجابية...

وأما أن يعمد صادق حمزة الفاعور، في قسمه، إلى إبراز دور الثوار الوطني بأن جهادهم "سياسي لا ديني"، ملتزماً، فقط، بأمانه "العسكري" لكل المواطنين، إلا "من كان إلباً للفرنسيين على الوطن من أي مذهب كان"، فهو إختراق لذلك "الإجماع"، ويحمل خطر الفردية في التصرف، وتحويل قرارات أجمع عليها كل أعيان الأمة إلى حبر على ورق[3].

لقد كان المؤتمر خطوة تاريخية مناسبة في الزمان والمكان وطريقة معالجة الأمور المصيرية، وكانت قيادة السيد عبد الحسين شرف الدين لعملية إستيعاب التعارضات القائمة في المجتمع الشيعي، والناتجة عن تحولات إجتماعية وسياسية محدودة طرأت على المجتمع

---

(1) مذكرات للتاريخ، ، الشيخ أحمد رضا، 24 نيسان 1920، العرفان، م 33، ج9 ص 991.
(2) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 24 نيسان 1920، العرفان، م 33، ج9 ص 989 – 991.
(3) مؤتمر وادي الحجير، منذر جابر، ص 71 وما بعدها، من أحداث 1920 في جبل عامل، أحمد إسماعيل، العرفان، م 75، ع 1 و2 نيسان 1987، ص 91- 96.

الشيعي في جبل عامل، تعكس إبداعاً سابقاً على زمانه في إدارة شؤون السياسة والمجتمع عند السيد. فقد كان المؤتمر محاولة لشد العصب الشيعي، وإدخال الشيعة عنصر قوة وإقتدار في هذه المرحلة الإنتقالية التي يرسم فيها مستقبل المنطقة، فإذا كانوا مع فيصل، فأقوياء، وإذا كانوا مع لبنان، فأقوياء، أيضاً! فلم يكن هدف السيد تحقيق وحدة عاملية بكامل شروطها في ذلك المؤتمر؟! ولذلك جرت أثناء وبُعيْد المؤتمر مصالحات ولقاءات وإتصالات، بين الأعيان والوجهاء والزعماء، بل بين قادة الثوار وبعض الوجوه العاملية الشيعية المعروفة بميلها لفرنسا[1]، كالتحولات والمصالحات السياسية بين صادق حمزة من جهة، والحاج حسن دبوق والشيخ حبيب مغنية وسليم زيدان من جهة أخرى، واللقاء بين كامل الأسعد وقادة المقاومة، فقد كان السيد عبد الحسين يحاول إبعاد كامل الأسعد عن فرنسا، بإبعاد قادة المقاومة عن التعرض للمسيحيين، لتحقيق نحو من التوازن في الموقف الشيعي مع شد للعصبية الشيعية، وهنا ينبغي أن لا ننسى أن السيد عبد الحسين شرف الدين لا يمكن أن يكون قومياً، لا عربياً ولا غير عربي! فهو العالم الشيعي المستضيء بخط أهل البيت، الذي "لا فضل عنده لعربي على أعجمي إلا بالتقوى"، والناس سواسية كأسنان المشط، و"أكرم الناس عند الله أتقاهم"، ولكن العروبة كانت في تلك الآونة في جبهة معادية للظلم والإستعمار والعدوان على الشعوب، فوضع يده في يدها.

ولم يحضر المسيحيون العامليون المؤتمر، ولم يدعوا إليه، ولم يكونوا ليحضروه لو أنهم دعوا إليه، ولم يكونوا ليغنوا من الحق شيئاً لو أنهم حضروه، فقد كان المؤتمر محاولة من المغلوبين للإنتقال إلى حال من التوازن مع المنتصرين، المسيحيين والفرنسيين! والذي ينظر إلى التاريخ من غير هذه الزاوية فهو كمين يعتقد بأن النزاعات بين القوى المتحكمة بالبشر هي أزمات أخلاقية، وأنه يكفي في حل هذه النزاعات التمسك بمكارم الأخلاق!.

ولم يلاحظ المسيحيون أنه لم يدعوا إلى المؤتمر، فلم يكن يعنيهم ذلك لا من قريب ولا من بعيد، لأن الفرنسيين والميالين إليهم كانوا هم الذين يسببون حالة التوتر القائم والإستنفار الطائفي المسيطر، وهم المستفزون للشيعة كطائفة بجهالات بعض المغرورين بالفرنسيين،

---

(1) البشير، 24 و 26 حزيران 1920

وبعضهم الآخر هم المتصدون، قولاً وعملاً، للثوار بحملهم السلاح الفرنسي في وجههم. وكان المسيحيون قد شهدوا بأنفسهم، قبل أن يأتي الفرنسيون، كما كان آباؤهم وأجدادهم قد شهدوا منذ عصور الظلمات العثمانية، صدق الأخوّة الشيعية، وحسن جوارهم، مطلقاً، في أيام قوتهم وإقبال ريحهم، وفي أيام ضعفهم وتقهقر شأنهم! وكان الفرنسيون هم الذين يقودون الساحة المسيحية في جبل عامل! فلا يهمهم دعوا أم لم يدعوا! بل كان ينبغي لهم أن يتشاءموا من هذا الإجتماع وأن يحسبوا له ألف حساب، ويسألوا من المقصود منه! فلم تكن مشاركة المسيحيين في المؤتمر لتغني شيئاً، وربما كانت دعوة غورو لحضوره أجدى نفعاً، فحضور الأصيل يغني عن حضور الوكيل! وحينئذٍ يمكن الكلام والحوار مع المسيحيين وتوضيح الأمور: فإما أنهم يعتدلون فيحل الوئام، وإما أنهم يتطرفون فيتحملون مسؤولياتهم[1].

بعد مؤتمر وادي الحجير بدأ الشيعة في جبل عامل الإستعدادات للإنضمام إلى الدولة السورية، ويقول السيد شرف الدين: "إبتدأ نشاطنا... وبدأ العمل في هذه البلاد بإنشاء حكومات مؤقتة، تحفظ الأمن بإسم الملك (الشريف) حسين، وكان هذا بإتفاق معه... فأنشأنا في صور حكومة على هذا الغرار"[2].

ويقول السيد "كانت لنا مواجهات مع المسيطرين من الفرنسيين كبيكو وغورو وشربنتييه ودلبستر ونيجر، وقد حضر هؤلاء إلى صور وفاوضونا دون خجل، في أن تكون لنا الإدارة المطلقة في أسس الحكم المحلي وفي التعيينات، ولكننا رفضنا هذه المساومة"[3].

لقد بايع الشيعة حكومة الأمير فيصل وأصروا على أن يكونوا جزءاً منها، وأن لا ينفصلوا، لأنها كانت حكومة العربية، وذات طابع وحدوي، فقرروا أنهم جزء من سورية العربية، وبايعوا الملك فيصل على أساس أنه حاكم هذه المنطقة.

لقد كان موقف الشيعة وحدوياً في مقابل مشروع التجزئة الفرنسي، الذي كان يهدف إلى تقسيم البلدان العربية، ولا سيما في المنطقة السورية. فأعلن الشيعة بوضوح رفضهم المطلق

(1) مقابلة مع السيد جعفرشرف الدين، تموز 1980، أفاد أن نائب جزين إلياس سالم كان ينوي الحضور، وفي مقابلة مع سلام الراسي قال: إن خوري الجش (في فلسطين) والخوري (في رميش) كانا حاضران في المؤتمر؟! راجع: جبل عامل، د. محمد بسام، ص 380

(2) مجلة الألواح، 1920، عدد 14 ص 5 السيد عبد الحسين شرف الدين.

(3) السيد عبد الحسين شرف الدين، د. هادي فضل الله، ص 155

للإحتلال الفرنسي وطالبوا بالإنضمام إلى الوحدة السورية.وربما لعب الولاء والحب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم دوراً في الموضوع، بأن وقف الشيعة مع الدولة العربية الواحدة، التي دعا إليها الشريف حسين، بإعتبار أن هذه السلالة الهاشمية ترجع بالنسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى علي عليه الصلاة والسلام، لأنهم حسنيون، من أولاد الإمام الحسن بن علي عليه الصلاة والسلام.

كانت الولايات المتحدة قد قررت إرسال لجنة أمريكية لتقصّي الحقائق ولمعرفة الحكومة التي يرغب السوريون واللبنانيون والفلسطينيون في أن تكون هي المنتدبة عليهم، فقابلها وفد من المسلمين الشيعة في صيدا وكان مؤلفاً من مئة عالم ووجيه من وجهاء جبل عامل وكان ذلك في سنة (1918م)، "وصرّحوا كلهم بلسان واحد برفض الإنتداب الفرنسي، وبالإنضمام للوحدة السورية، وطلب الإستقلال التام الناجز تحت لواء جلالة الملك فيصل الأول ملك سوريا"[(1)].

- رحلة الوفد الشيعي العاملي إلى دمشق:

في أواخر نيسان أو أوائل أيار 1920، سلك الوفد العاملي طريق مرجعيون القنيطرة، متوجهاً إلى دمشق، وكان مؤلفاً من السيدين عبد الحسين شرف الدين وبعد الحسين نور الدين، يرافقهما محمد بك السهيل والحاج خليل عبدالله التنوخي، على أن ينضم إليهم في الشام مفتي الشيعة في سوريا السيد محسن الأمين.

وحين مروا بقرية واسط في الجولان، أقام لهم محمود الفاعور إستقبالاً وطنياً، ثم تباحثوا في شؤون الثورة، فرأى العامليون ضرورة إستنفاد الطرق السلمية قبل المبادرة إلى الحرب، وخصوصاً أن فرنسا هي دولة موصولة بالعواصم العالمية والمعامل والجيوش. وتم الإتفاق على إقامة الهدنة ريثما تصدر نتائج محادثات الوفد الشيعي العاملي مع فيصل، وإلتزم الفاعور بكلامه، وإمتنع البدو عن هجماتهم[(2)].

(1) تاريخ جبل عامل، محمد جابر آل صفا، ص 230.
(2) بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين، ج2 ص 156.

وما إن وصل العالمان إلى دمشق حتى إلتقيا مفتي الطائفة الشيعية السيد محسن الأمين الحسني[1]، وكان هو أيضاً قد ورد إسمه في وادي الحجير من ضمن الوفد، ولم يكن السيد عبد الحسين شرف الدين والسيد محسن الأمين متفقين منذ البداية حول الهدف من زيارتهما لفيصل، فناقشا الأمر قبل أن يلقيا الملك، فرفض السيد محسن الأمين أن ينضمّ إلى الوفد إذا لم يكن واثقاً من أنهم سيقتصرون على إستشارة فيصل في مسألة التمرد على الفرنسيين، وأن يطيعوه فيما يأمرهم به فيها[2]، فتصرّف السيد محسن الأمين وكأنه من أتباع الملك! وقد جاء ليستشيره في الخطوات التي يجب اتباعها! ويبدو أنه كان متأثراً بأولويات الحكومة السورية، فقد كانت دمشق تشهد، في أواخر نيسان، أزمة وزارية، تترجم الإنقسام والتجاذب بين السياسيين والسوريين في أعقاب مؤتمر سان ريمو وقراراته الإنتدابية، الأمر الذي أثّر على قرارات دمشق حيال جبل عامل وثورته[3]، بينما كان الذي يشغل بال الوفد هو أن أتى إلى لقاء فيصل لمناقشة مصير جبل عامل...

وأما السيد عبد الحسين شرف الدين، فقد جاء يطرح كل مسألة الصلة بفيصل وبمملكته، ويعرض ما عنده ويطلب أن يعرض الملك ما عنده من أفكار مشتركة حول مصير جبل عاملن وحول القضية السورية على وجه العموم! وهو لم يأت لطلب المشورة والتعليمات، فقد كان يعتبر نفسه نداً للملك، ويرى في نفسه مقام العالم المجتهد الذي ينبغي أن يظهر على أنه محاور الملك المميز.

وبعد ظهر الخميس، 29 نيسان 1920، قابل الوفد العاملي الملك، وقدّموا له مقررات الحجير[4]، وألقى السيد شرف الدين بين يديه خطاباً بليغاً زخرت فقراته بآيات الولاء، لأنه "الخلف من أهل البيت في جيل هذه الأمة ببيعة قائمة... مستمرة حتى بلوغ الهدف... وتطهير أرضنا الطيبة من رجس الإحتلال... وجمع شتاتها تحت لواء وحدة وحرية وإستقلال"، وأكد السيد على ثبات جبل عامل على هذه المبادئ والجهاد في سبيل تحقيقها، بعد أن واجه بها

---

(1) الحقيقة، 199/8/23، عين الملك فيصل السيد محسن الأمين "مفتياً للشيعة في دمشق وملحقاتها"
(2) العروبة، محسن الأمين، "فيصل المحسن"، العدد 5 (1947)، ص 85.
(3) الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، زين نور الدين زين، ص 162، والعاصمة الدمشقية، س 2 ع122و 123، 3 و6 أيار 1920. أحمد مريود 1886-1926، محمود عبيدات، ص 182.
(4) العاصمة، ع 122، 3 أيار 1930.

لجنة الإستفتاء، و"ولا عبرة بمن شذ عن ذلك، من كل مستأجر شَرَك الشيطان في جنانه، ونطق على لسانه"، واليوم تأتي "مقررات مؤتمر وادي الحجير الحد الفاصل بين الحق والباطل".

وإذا كان السيد شرف الدين قد أغفل، بإسترساله الأدبي وحماسه الثوري، أمر "مفاوضة فيصل في تنفيذ قرار الثورة"، فإن السيد محسن الأمين أعاد، بمداخلته المبسّطة، البحث إلى نصابه المصيري، فقال: "إنهم يحملون إلى جلالتك تفويضاً من الجبل، ويستنبؤنك صحة ما إعتزموا عليه من الثورة في وجه الفرنسي المستعمر، فبماذا تشير عليهم"؟ وما هو رأيه حول حظ الثورة في جبل عامل من النجاح؟

أما رد الملك فقد نقله السيدان مختلفاً في الشكل متفقاً في الجوهر(1). يقول السيد محسن الأمين: إن الملك فيصل سأل عن مدى إستعداد العامليين للثورة، وإعدادهم لها من سلاح وعتاد ورجال وخيل ومؤن؟ فكان جواب السيد الأمين مختصراً معبراً عن الواقع، بمفردات قروية: "ليس لدينا إلا العصا والمنساس". فقال الملك ضاحكاً: "إن أهل جبل عامل قوم ضعفاء، لا قبل لهم بالثورة، فليلتزموا السكون"(2). فنصح العامليين بعدم محاربة الفرنسيين، لأنهم لم يكونوا على إستعداد لذلك.

أما السيد عبد الحسين شرف الدين، الواثق من نفسه، والذي أصاب سهمه، وإختصه فيصل بمقابلات شخصية، بعد أن حاز الرضى في دمشق، لكلامه المرتكز على الدعوة إلى الجهاد في وجه المحتل، إلى أن تنال سوريا الموحدة إستقلالها، فنال ثقة الملك(3)، فيقول: جرى التباحث مع الملك في "جلسات متعددة، إنفردتُ به في بعضها وكان معي السيد محسن والسيد عبد الحسين نورالدين في بعضها، وكان النظر في مصير جبل عامل خاصة، وفي القضية السورية عامة، والمحاذير، وأخيراً بذل لنا ما نحتاج إليه في الوثوب من عتاد وجند وأطباء، وكان لا بد لهذه التدابير أن تمكن العامليين من أن يكونوا على إستعداد في اللحظة

---

(1) شيعة جبل عامل ونشوء الدولة اللبنانية، الشلبي، ط1، ص 172.
(2) العروبة، السيد محسن الأمين، عدد 5 ، 1955، ص 86، فيصل المحسن، محسن الأمين، ص 85-76، وسيرته، ص 187.
(3) بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين، ج2 ص 157 – 158، وخطابه أمام فيصل، ص 442- 444.

المناسبة، ولكن الظروف كانت تقضي "بالأناة والتريث"، فإتفقنا على أن يكون ذلك جاهزاً إذا إشتد الأمر وأمكنت الفرصة".

فالسيدان. إذن، يتفقان على إثبات نصيحة الملك فيصل للعاملين: سواء "بالتزام السكون"، أو بإقتضاء "الأناة والتريث" في الوثوب، ويمكن لنا أن نصدّق السيدين معاً، وأنه ليس هناك تناقض في إجابات فيصل لهما. فالسيد عبد الحسين شرف الدين يقول إن فيصلاً قد شجع على الثورة ووعد بمدها بالعون المادي، ولكنه آثر التريث والأناة، ولما فجّر العامليون الحرب، ولم يكونوا في أجواء مخاوف فيصل، فقد حاول الملك فيصل إمداد جبل عامل ببعض مستلزمات الثورة عندما إشتد الأمر على الجبل أثناء حملة نيجر. لكن الزعيم كامل الأسعد أرجح ذلك كله، تعويلاً على الحلول السلمية، وأخْذا بالأناة والتساهل"[1]، ونصح العامليين "بعدم المقاومة"[2]، إذ كان لا يزال يأمل بحل سلمي للصراع مع الفرنسيين[3].

ويقول السيد محسن الأمين إن أبناء قومه لم يأخذوا بنصيحة الملك بالأناة والتريث، فباؤوا بنتائج عملهم الإقتصادية والسياسية طول سنوات عديدة، وذلك لأنه بعد أن ألحق جبل عامل بلبنان الكبير، لم يعترف أحد بفضل الشيعة في نضالهم ضد الإحتلال[4].

ثم أن فيصلاً شاء القيام بنفقة الوفد العاملي، فأجابه السيد: "إذا كانت هذه الهبة من الملك فالأمة أولى بها، وإن كانت من مال الأمة فمال الأمة محرّم علينا".

عندها أهدى فيصل للوفد مصحفين كريمين قديمي العهد موروثين من أجداده[5]، وإستقبلت الأوساط الأدبية والسياسية في دمشق السيد عبد الحسين شرف الدين إستقبالاً حاراً[6].

وفي 5 أيار، وقبل وقوع نكبة عين إبل بساعات معدودة، وصل الكولونيل نيجر إلى النبطية، وإستدعى كامل الأسعد ليبلغه مقررات مؤتمر سان ريمو الإنتدابية، وينبئه بقرب

(1) بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين، مصدر سابق، ج2 ص 161.
(2) الشيخ أحمد رضا، مذكرات للتاريخ، 21 أيار 1920، العرفان، مصدر سابق، م 34، ج2 ص 200.
(3) بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين، مصدر سابق، ج2 ص 157- 158.
(4) المصدر نفسه، ص 442
(5) المصدر نفسه، ص 443
(6) المصدر نفسه، ص 158

دخول القوات الفرنسية إلى "داخلية" جبل عامل، وليجدد تذكيره بالمطالب الفرنسية: تشكيل حرس وطني، ورغبة الجنرال غورو بأن يكون كامل الأسعد أحد مستشاريه، بعد صدور قرارتعيينه رسمياً في 15 نيسان 1920. وكما كان متوقّعاً، فقد كانت مقررات الحجير مخرجاً شخصياً للأسعد من الإحراج الفرنسي، فبعد خلوة بينه وبين نيجر دامت ساعتين، "وكانت على ما قال كامل بك محاورة شديدة من الترغيب والترهيب... قال له: إن ذلك الآن غير ممكن، حتى يرجع إلينا وفدنا الشامي الذي أوفدناه إلى الملك فيصل"[1].

ولم يكن لأعمال الوفد العاملي في الشام، ومباحثاته مع فيصل، أي أثر على مجريات الأحداث، لأن جبل عامل، في 5 أيار 1920، وقبل عودة الوفد من دمشق في 18 أيار 1920، شهد أحداثاً، تبعتها حملة عسكرية فرنسية بقيادة الكولونيل نيجر، في الثلث الأخير من أيار، وكانت نتائج هذه الحملة حاسمة، فلم تدع للعامليين مجالاً لخيار "التزام السكون" أو "التريث في الوثوب"، ولا حتى في المقاومة الدفاعية.

- حالة الحرب بعد الحجير

لم تكن أوامر وإرشادات السيد عبد الحسين شرف الدين مؤثرة في قيادات وأفراد المقاومة، فقد هاجموا بعد المؤتمر بأيام القرى المسيحية. ونظراً لما يتمتع به زعماؤهم من حسّ عملي مباشر، وفطرية، وعدم القدرة على إدراك المفاهيم المعقدة في كلام النخبة الفكرية العاملية، ولا سيما في كلام السيد عبد الحسين شرف الدين، فلم يدركوا أنه في الإمكان الجمع بين أن يُدعى إلى الجهاد على الفرنسيين وأن يدعى إلى مسالمة المسيحيين، وهم حلفاؤهم! فإستهلوا رفض الطاعة، وأظهروا ضعف الإجماع الذي حققته تلك النخب الفكرية في مؤتمر وادي الحجير، وبرهنوا على أنهم لم يكونوا يعترفون بسلطة هؤلاء الشخصيات مجتمعين. كذلك كان قادة وأفراد المقاومة يستهزئون بسلطة الزعيم كامل الأسعد، التي كانت قد بدأت بالتآكل بعد أن ظهر أنه عاجز عن فرض قراره. فكانت بادرتهم عصياناً لقرارات أعظم إجتماع شيعي عاملي في تاريخ الشيعة منذ نشوء التشيع في هذه الديار! تبلورت في أوامر وتوجيهات الفقيه المجتهد السيد شرف الدين، ودليلاً على فقدان

(1) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 5 أيار 1920، العرفان، م 33، ص 992

الزعامة مصداقيتها، وعدم قدرتها على ضبط وتوجيه قاعدتها الشعبية وعدم التأثير فيها، فلم يفشل مؤتمر وادي الحجير، بل كان أول مناظرة سياسية علنية ناجحة بين النخب الشعبية في جبل عامل، بينما كان الشعب ينتظر نتائج المناظرة، وبرز الفقيه القائد متعهداً نتائج هذه المناظرة، وآمراً بتنفيذها، فلم يعد الزعيم قادراً على إدارة البلاد، وعلى تجسيد وحدتها، فشكل إنعقاد مؤتمر وادي الحجير علامة على قدرة الشيعة العامليين على إدارة التكيف مع الوضع الجديد، وعلى تخطي الحيرة التي أوقعهم فيها...

ولم تعلن الهدنة، كما هو مفروض، بعد مؤتمر وادي الحجير. فقد إستخدم المتمردون الأيام القليلة التي فصلت بين المؤتمر وبين أوائل هجماتهم على القرى المسيحية، في تدبير خططهم والتحضر للحرب. لذلك فإن الوفد لدى عودته إلى جبل عامل وجده في حمة الحرب والدماء، وقد تطورت في غيابه الأحداث في جبل عامل، وساءت الأحوال. وقد حمّل السيد عبد الحسين شرف الدين الفرنسيين مسؤولية التجاوزات، إذ أنهم أذكوا الفتنة والصراع بين الطوائف[1]. وأما الفرنسيون فقد إتهموه ببذر التعصب لدى العصابات وبإصدار فتوى ضد المسيحيين! إلا أن أحمد رضا يلقي المسؤولية على عاتق الزعماء الشيعة، لأنهم تركوا العصابات يهاجمون المسيحيين أكانوا عملاء للفرنسيين أم لم يكونوا، وعلى عاتق رؤساء المسيحيين، لأنهم تركوا الجهلاء ينتقمون[2]. ما أن إختتم مؤتمر وادي الحجير أعماله، في 25 نيسان 1920، حتى وصل صادق حمزة الفاعور إلى محلة الرمل في صور، وهاجم الفرنسيين، ورمى القنابل على الحاكم الفرنسي. وبعد يومين، في 27 نيسان، هاجم أدهم خنجر موقعاً للجند الفرنسيين والمتطوعين في عديسة. وفي اليوم التالي عاود الهجوم عليهم في عديسة وهونين[3]. وفي 29 نيسان، وبعد سلبية الإنكليز تجاه ملكية فيصل، شملهم الثوار بنيرانهم بعد طول تحييد، فتصدى آل صفي الدين، عند الناقورة، لسيارة عسكرية إنكليزية قادمة من بيروت، تقل الموفد من قِبل الإنكليز إلى دمشق، وأجبروها على العودة إلى صور، وإضطر الموفد إلى السفر إلى حيفا عن طريق البحر.

---

(1) بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين، ج2 ص 160-161.
(2) مذكرات للتاريخ، أحمد رضا، العرفان، ج34، العدد 2، ص 205، كانون الأول 1947.
(3) البشير، 29 نيسان 1920.

ومع مطالع أيار 1920، بدأ رجال المقاومة الشيعية العاملية ينفذون عمليات منظمة، وفق خطة عسكرية منسقة، بهدف عزل صور، وقطع النجدات عنها من البر والبحر، تمهيداً لإقتحامها، فقام نحو ثلاثين منهم، في 3 أيار، بمباشرة حصار صور من جهات جب السدر ووادي عين بعال، وفي اليوم التالي، في 4 أيار، تم إستدراج الفرنسيين والمتعاملين معهم إلى تعقب رجال المقاومة إلى البازورية، فدارت معركة قتل فيها خمسة من المقاومين[1]، ثم كان الرد الكبير للمقاومة في 4 أيام، من السادس إلى التاسع من أيار، وفق خطة عسكرية منسقة، فقد حشد صادق حمزة، في 6 أيار، من مئتين وخمسين إلى ثلاثماية من رجاله المدججين بالأسلحة والقنابل اليدوية، وباتوا في البساتين للهجوم على صور، بعد إستدراج العسكر إلى خارجها. وخلال الليل، قطعوا اسلاك البرق والتلفون حولها لعزلها كلياً، ثم إنتظروا خروج العسكر لمقاتلتهم خارج المدينة، فلم يخرج غير فارسين أحدهم جركسي والآخر مسيحي... وطال الوقت فأشار عليه أحد رجاله بدخول المدينة فأبى، معتذراً بأنّه إنما جاء "لمحاربة القوة الفرنسية لا ليذعر الأهالي الآمنين[2]"، حتى ينفذ تعهده في مؤتمر الحجير أمام السيد شرف الدين بعدم مهاجمة المدنيين المسيحيين. وفجر اليوم التالي، الجمعة، السابع من أيار، بدأ القتال مع "السرية السورية في ثكنة المدينة"[3]، وهم المتطوعون المسيحيون مع الفرنسيين، الذين تجمّعوا، وتحصنوا بالبيوت والمتاريس، وشرعوا بإطلاق النار على صادق ورجاله[4]، فقابلهم هؤلاء بالمثل، ودامت المعركة ساعة ونصف، وإنقشع غبار المعركة عن سبعة عشر قتيلاً من المتطوعة، كان منهم ثلاثة كاثوليك من النفاخية وواحد ماروني من جبل لبنان، وبعد هذا رجع صادق برجاله، وهرب "حاكم المدينة الفرنسي، مع بعض وجوه المسيحيين فيها، إلى صيدا" بحراً[5].

ودب الذعر بين "سكان مدينة صور المسيحيين فغادرها معظمهم" على متن المراكب الشراعية لأن طريق البر إلى عكا وصيدا كانت مقطوعة من قِبل رجال أدهم خنجر شمالاً، ومن مجموعة صفي الدين، عرب الشعب، جنوباً.

---

(1) لسان الحال 10 أيار، والبشير 6 و 11 أيار 1920.
(2) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 8 أيار 1920، م 33، ج10 ، ص 1114.
(3) تقرير سري لوزارة الخارجية الفرنسية، رقم 15، راجع: جبل عامل، د. محمد بسام، ص 397.
(4) صادق حمزة الفاعور، علي مرتضى الأمين، دار آسيا للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 1985، ص 80-81.
(5) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 8 أيار 1920 العرفان، م 33، ج. 10 ص 1114-1115، تاريخ جيش المشرق في لبنان، 1919 – 1920، جورج فغالي، ص 287

وأما رجال صادق حمزة فإنسحبوا إلى بستان البقبوق، وإنتشروا شرقاً في الجبال المجاورة، في حركة من الكر والفر[1].

إستنجدت صور ببيروت خشية "من هجوم آخر تحت جناح الليل، سيما وقد عرف المقاومون أن حامية البلدة ضعيفة". فوصلت إلى صور، مساء ذلك اليوم، ثلاث سفن مدرعة فرنسية، وأنزلت زهاء المئة جندي، وبدأوا بإصلاح أسلاك التلفون والتلغراف، ولكن رجال المقاومة أعادوا قطعها في الليلة ذاتها.

مما يدل على مهارة وحسن تمويه، وعلى أن قواعد إنطلاقهم قريبة من صور، وعند فجر اليوم التالي، في الثامن من أيار، قصفت المدافع الفرنسية البازورية وبرج الشمالي، حيث كانوا يعتقدون أن مجموعات الإغارة على صور تنطلق من هناك.

وكان أدهم خنجر وعلي حرب وستة من رجالهما يرابطون على الطريق الساحلية بين صور وصيدا، ويحاصرون صور من ناحية الشمال، وكانوا يعتمدون طريقة الحاجز الطيار، وأخذوا يفتشون المارة ويتركون عيوناً.

وأقاموا حاجزاً مسلحاً على القاسمية، صباح الجمعة، في السابع من أيار، لإعتراض عربة البريد الذاهبة من صيدا إلى صور. وكانوا ينتظرون فيه يوسف شداد مدير الجمعية الفرنسية في صور، وأوقفوا العربة المستهدفة، وأنزلوا شداد ورفيقيه من المسيحيين، وهما من الدامور وصور، وقتلوهم، وعفوا عن الركاب المسلمين.

ويغلب الظن أنهم قد عرفوا بمرور يوسف شداد في ذلك النهار بدسيسة سرية، فتعمدوا قتله لأنه كان مدير الجمعية الفرنسية في القضاء، وكان يرسل تقارير لمخابراتهم، ويقال إن الفرنسيين عينّوه قائمقاماً لصور، أما رفيقاه فقد ذهبا ضحية مرافقتهما له، وإستولى

(1) راجع: البشير، 11 و15 و25 أيار، ولسان الحال 10 و12 أيار 1920

أدهم على سيارته (فورد أبو دعسة). ووصل الخبر إلى صيدا، فتوقف سير العربات والنجدات العسكرية بين صيدا وصور[1].

وبمحصلة هذه الهجمات المتتالية على القوات الفرنسية في صور، أصبح الحاكم العسكري (دي لاباستيير) "يبيت ليلاً على متن دراعة فرنسية في عرض البحر"[2].

وفي التاسع من أيار، إنتقلت الإضطرابات إلى منطقة صيدا، وكانت قافلة عسكرية آتية من النبطية بإتجاه صيدا، فتصدى لها أدهم خنجر قرب المصيلح، فلم يبق أمام الفرنسيين سوى تعزيز حامية صيدا بثلاث فصائل من الفرقة السورية، وفصيلة رشاشات من الفوج 415 الآتي من بيروت[3].

وفي الثاني عشر من أيار، نفذت المقاومة أيضاً، بقيادة أدهم خنجر، عملية غربي خان محمد علي، عند عقبة زلوم، ضد ثلة من جنود النقل الفرنسي كانت تحرس عربة تنقل "أرزاق العسكر" فأبادت حاميتها.

ورجعت العربات المدنية، الذاهبة إلى صيدا بركابها إلى النبطية، من نصف الطريق لأن الطريق شغلت بالمعركة التي حميّ وطيسها، وإستّدعي العسكر الفرنسي على أثرها وتجمعوا ودخلوا قرية جبشيت لجمع السلاح، وقد وقع في هذه المعركة عدة جرحى من العسكر الفرنسي، ولم يجرح من المقاومة غير واحد[4].

خامساً: وقوع الفتنة الطائفية بين الشيعة والمسيحيين في جبل عامل (معركة عين إبل):

وبدلاً من أن تكون معركة عين إبل ونتائجها درساً للمغامرين المتهورين الذين ينجرّون إلى أوهام القدرة والتفوق إذا ما غزا الأجنبي بلادنا، بحيث يتعلمون إحترام رأي

---

(1) راجع: أدهم خنجر، بنوت، ص 25- 26، صحيفة المقتبس، 28 تموز 1922، وراجع: تاريخ جيش المشرق في لبنان، 1919- 1920، جورج فغالي، ص 287، مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، العرفان، م 33، ص 1115، جبل عامل في محيطه العربي، مصطفى بزي، المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى ص 141.

(2) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 8 أيار، العرفان، م 33، ص1115

(3) تاريخ جيش المشرق في لبنان، 1919- 1920، جورج فغالي، ص 287، صحيفة المقتبس، 28 تموز 1922

(4) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، م33، ج10 ص 1117، أدهم خنجر، م.س، ص 19-20.

ورغبة جيرانهم الشيعة، كما إحترم شيعة جبل لبنان رأي ورغبة جيرانهم المسيحيين! فجنبوا جبل لبنان محناً وكوارث كانت سوف تقع على رؤوس الشيعة قبل غيرهم! ولّدت هذه الحادثة الأحقاد عند المسيحيين ضد جيرانهم الشيعة، حتى أن أشخاصاً من عين إبل، عاشوا أكثر من عشرين سنة بعد الحادث، قاطعوا بنت جبيل ولم يذهبوا إليها ولو لمرة واحدة رغم أنها عاصمة المنطقة، وظل اهالي عين إبل يحتفلون بذكرى الخامس من أيار من كل عام، ويذكرون الحادثة في خطب تدور حول يوم حريق عين إبل بحضور تلامذة المدارس، ولا تزال كنيسة البلدة ركاماً على مدخل عين إبل لم تتم إزالة ركامها أو إعادة بنائها حتى يومنا هذا، إمعاناً في زرع الحقد الطائفي[1].

وبعد ستين عاماً، تكرر خطأ التعامل مع الأجنبي في جبل عامل، ولكن جيشاً شيعياً منضبطاً بأوامر قيادته، طرد العدو من جبل عامل، بعد ثمانين عاماً كاملة على معركة عين إبل، في 25 أيار 2000، فدخل القرى المسيحية بدون أن يعاقب مسيحياً واحداً بضربة كف واحدة، وبدون أن يمس بيتاً أو مالاً أو عرضاً!.

ولقد توفر للمقاومة الشيعية في جبل عامل قائد فقيه مجتهد، هو السيد عبد الحسين شرف الدين، مارس دور الفقيه المتصدي لولاية الأمر، فأمر المقاومين لفرنسا، في مؤتمر وادي الحجير، أن لا يهاجموا القرى المسيحية حتى ولو كانت متعاملة مع العدو الأجنبي، ولكن لم يتوفر لهذا الفقيه جيش منضبط مطيع ينفذ أوامر الفقيه الحكيمة والعاقلة، فكنا أمام مسيحيين إنجرفوا بأوهام التفوق الفرنسي، وشيعة إنجرفوا بعواطفهم الغاضبة وإستفزهم إستهتار جيرانهم المسيحيين بهم وبكرامتهم ومشاعرهم العروبية.

وتجاهلاً لدوافع وأسباب ما جرى في عين إبل، إستنفر هذا الحادث المسيحيين في لبنان، ولقي صدى واسعاً لدى الصحافة البريطانية والفرنسية، فإذا به مجرد "إعتداءات على المسيحيين" حتى أنه تحول إلى قضية في المفاوضات التي دارت بين الإنكليز حول رسم الحدود الفاصلة بين مناطق نفوذ الطرفين، فخشي الفرنسيون أن يطرح الإنكليز قضية إنعدام

---

(1) الإمام شرف الدين مجتهد العصر، عبد العزيز سيد الأهل، دار الأرقم، صور، ص. 71-72، بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين، ج2، ص 255.

الأمن في المنطقة مما سوف يقوّي مطالبهم بالسيطرة على أنحاء جنوب الليطاني. فتجمعت عند الفرنسيين الأسباب التي سوف تدفعهم إلى السرعة في مهاجمة قرى الشيعة في جبل عامل.

وترامت أنباء معركة عين إبل إلى أنحاء جبل عامل[1]، فذهب كامل الأسعد إلى بنت جبيل، حيث إلتقى بالخوري إبراهيم الحداد في دار الحاج محمد سعيد بزي، وبعد التداول وتبادل عبارات الأسف والإستياء، ذهب الجميع إلى عين إبل، وعلى أطلالها أدرك الأسعد خطورة ما حصل[2].

وفي بيروت وجبل لبنان ترددت أصداء المعركة ونتائجها، فتوجّه وفد من أعيان صور ووفد من الجمعية المسيحية إلى بكركي، وطلبوا من البطريرك إبلاغ شكواهم إلى الجنرال غورو، وإجتمع بدار الأسقفية في بيروت أعيان من جبل لبنان وبيروت وصور ومرجعيون، وكلفوا المطران أغناطيوس مبارك مطالبة غورو بتجهيز قوة من ألفي جندي معززة بالمدافع الجبلية والطيارات الحربية، والقبض على الزعماء "المتهوسين"، وإبقاؤهم رهائن حتى إستتباب الأمن.

ولاحقاً، طيّب الجنرال خاطر المحتجين ووعدهم بتنفيذ الخطة الموضوعة! وسارع نيجر إلى تسكين الخواطر بإعلان الإستعداد "للبطش" بالأشقياء، فتوفرت لفرنسا مسوغات العدوان وتوجيه ضربة تكسر ظهر الشيعة حتى لا يقوم لهم قائمة بعد اليوم، وربما تكون الخطة الموضوعة هي تهجير الشيعة من ديارهم وإحلال المسيحيين مكانهم، كما فعلت فرنسا في جبل لبنان.

---

(1) راجع: البشير 1 حزيران 1920، ولسان الحال، 25 و 26 أيار 1920.
(2) البشير، 20 ايار، مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 6 و 8 أيار 1920.

سادساً: الحملة الإعلامية الفرنسية المسيحية على السيد شرف الدين ومؤتمر الحجير:

بعد حادثة عين إبل، عادت الصحافة المسيحية المرتبطة بالمستعمر الفرنسي لتتمادى في الأكاذيب والإفتراءات والتأويلات والتشكيك بالمؤتمر ورجالاته ومقرراته، وقد أكّد الشاعر بشارة الخوري صاحب صحيفة "البرق" وأحد محرري صحيفة "الأحوال" أن تلك الحملة المشبوهة على المؤتمر كانت بتحريض من بعض "رجال الدين" المسيحيين، وبتوجيه من المسؤولين الفرنسيين[1].

وشن المسيحيون والفرنسيون حرباً إعلامية ضد السيد شرف الدين، وضد المؤتمر، وضد الشيعة، وضد العقل السليم، فاتهموا السيد بشخصه، بأنه أصدر فتوى ضدهم، ولما هوجمت القرى بعد ذلك إعتبروه مسؤولاً عن ذلك، وقد ظنوا أنه أثار المتمردين عليهم. وشاع عن المؤتمر غير ما كان فيه[2]. ونُسبت إليه قرارات لم تصدر عنه، وحُمِّل "مسؤولية كل ما جرى من أحداث"[3].

على أن المسيحيين لاحقاً، صدقوا ما فبركته لهم فرنسا وصحافتها المأجورة فتقول: "وقد أهاج عواطف القوم السيد عبد الحسين شرف الدين، من قرية شحور، وهذا زعيم الشيعة الديني في صور، بتكراره على شقيف مؤتمر الحجير تلك الفتوى الشرعية التي كان قد اصدرها قبل حوادث دردغيا، فإفناء المسيحيين عن بكرة أبيهم في قضاء صور!. إذ حلل للشيعة دم المسيحيين وأموالهم وأعراضهم".

وتقول: في تشرين الثاني 1919، أعطى شرف الدين "تلك الفتوى الهائلة التي تبيح دم وعرض ومال المسيحيين على أنهم نجسون، ونَفَسهم ينجّس على بعد أربعين ذراعاً هاشمياً"، وتضيف: إن (السيد) كرر الفتوى في مؤتمر الحجير[4]. فأصبحوا كمن إخترع كذبة ثم صدقها، وأي كذبة؟ حتى صدق عليهم قول القائل: حدّث العاقل بما لا يليق! فإن لاق

---

(1) الشيخ أحمد رضا، مذكرات للتاريخ، مصدر سابق، 17 تموز 1920، العرفان، مجلد مزدوج 34- 35، ج3 ص 359، ج 4 ص 502.
(2) الشيخ أحمد رضا، مذكرات للتاريخ، مصدر سابق، العرفان، م مجلد مزدوج 34- 35، ج4 ص 442.
(3) مخطوطة الشيخ بدر الدين شومان، ص 75، راجع: جبل عامل، د. محمد بسام، مصدر سابقص 401.
(4) البشير، 1 تموز و20 أيار 1920

فلا عقل له! والذي يضحك الثكلى أن أمين الريحاني كتب في (ملوك العرب)، معرضاً بالسيد عبد الحسين شرف الدين، أن أحد رجال الدين كان قد إستخار الله بالمسبحة في مؤتمر وادي الحجير ليقرر إن كان ينبغي له ذبح المسيحيين أم لا[1]! فوافقت على إرتكاب هذه المذبحة[2].

ووجهت الراهبة كلمنطين خياط الإتهام عينه إلى المؤتمر، فقالت: إن "أهل الشيعة... بعد إجتماع شيوخهم وزعمائهم في الحجير... صمموا النية على مهاجمة القرى التي لم يجسر المتاولة بعد أن يلحقوا بها ضرراً، وخصوصاً عين إبل، ودبل ورميش وعلما! لبسالة أهلها"[3].

وذهب المتروبوليت مكسيموس صايغ للروم الكاثوليك بمزاعمه إلى أبعد من ذلك، فيقول: (كان السيد عبد الحسين شرف الدين العامل الأهم في الإثارة ضد المسيحيين، فأعطى فتوى بأن الذكور من المسيحيين، من سن الثامنة وما فوق، يمكن قتلهم شرعاً، وأموالهم وأعراضهم مباحة للمسلمين. وقد بنى فتواه على كون المسيحيين مسلحين ، والشرع يمنع على غير المسلمين حمل السلاح في وجه المسلمين، تحت طائلة القتل، إن وجود هذه الفتوى بالتأكيد ثابت على الرغم من أننا لم نستطع الحصول على نسخة منها[4].

وينكر السيد شرف الدين هذه الإتهامات جملة وتفصيلاً، ويرمي الشبهة فيها على الفرنسيين وأتباعهم، فيقول: "شاء ذيول الإفرنسيين من منافقي الأفندية والمتزعمين أن يستغلوا هذا الحادث أسوأ إستغلال، فنسبوا إلينا فتوى بجهاد النصارى... كانت دعواهم هذه تحريفاً سيئاً لموقفنا المشهود في الحجير... في غير ذمة ولا دين."كان إستياؤنا بهذه الكارثة عظيماً، أزعجنا مظهرها الفوضوي البربري بقسوته التي لا تبيحها شريعتنا المقدسة، وأزعجنا أنها أساءت إلى خطتنا التي أعلناها في الحجير، من المحافظة على الأمن والمبالغة في تأمين النصارى وسائر الأقليات... وكانت هذه الكارثة من العراقيل التي أعاقتنا عن الوصول إلى غايتنا من الإستقلال والتحرير"[5].

---

(1) الإتجاهات السياسية في جبل عامل، محمد سعيد بسام، 1918- 1929، ص 136-139، مستشهداً بالعديد من مقالات البشير، ملوك العرب، أمين الريحاني، ج1 بيروت، الطبعة الراعبة، (ب.ت) ص 315-316. يستشهد به في مؤتمر وادي الحجير، منذر جابر، ص 80 وص 84.

(2) جبل عامل في الحرب، ظاهر، ص 73، مخطوطة شومان، ص 75، البرق، 21 حزيران 1920

(3) المشرق، كليمنتين خياط، م 18، ج1، 1920، ص 782.

(4) تقرير المتروبوليت صايغ إلى غورو، راجع: جبل عامل، د. محمد بسام، ص 402

(5) بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين، ج2 ص 160-161

وهذا السيد الجليل في أيام المجاعة من الحرب الكبرى بجمع المؤن والأموال الشرعية من الميسورين ليوزعها على الفقراء من كل الأديان، ومنح خليل إبراهيم بدوي مختار دردغيا لقب "شيخ المسلمين" وطبع على ذقنه قبلة إكراماً لوجاهته المسيحية بين مسلمي منطقة شحور دردغيا، وتقديراً لتسامحه الديني. ومنذّك إمتنع "الشيخ" عن حلاقة ذقنه بالموس، بل كان "يخففها بالماكينة" حفاظاً على "مشيخته" ومكان قبلة السيد المباركة، وأثناء تهجير دردغيا المسيحية، إستقبل الكثير منهم في داره في صور، حتى أطلق عليه خليل بدوي لقب "مطران النصارى".

ورفض المتاولة في عام 1860، المشاركة في المجازر ضد المسيحين[1]. ويؤكد أهالي عين إبل: يخبرنا شيوخنا أن أجداد كامل بك الأسعد، لم يشتركوا في حادثة سنة الستين، لا بل دافعوا عن المسيحيين، والتاريخ يذكر لهم هذه الحسنى بالشكر والثناء"[2]. كما رفض العامليون، خلال الحرب الكبرى، الإنخراط في مشروع جمال باشا بتهجير المسيحيين إلى الأناضول[3].

سابعاً: نكبة جبل عامل الثانية: (أيار – حزيران – 1920)

وبدأت طائرات حربية فرنسية تقوم بطلعات إستطلاعية تستكشف جبل عامل أياماً متوالية، وما عسى أن يكون فيه من القوى تمهيداً للحملة، فلم تجد فيه ما يقف في وجهها، لأن جبل عامل لم يكن مستعداً للمصادمة مع دولة كبرى إستعمارية مثل فرنسا[4]!، ومع ذلك فقد أخذت هذه الطائرات تلقي بقنابلها على القرى المستهدفة، وبخاصة بنت جبيل[5].

(1) تقرير من المتروبوليت صايغ إلى الجنرال غورو في 15 أيار 1920، راجع: جبل عامل، د. محمد بسام، ص 402
(2) البشير، 20 أيار و1 حزيران 1920.
(3) تاريخ جبل عامل، محمد جابر آل صفا، ص 202
(4) المصدر نفسه، الشيخ سليمان ظاهر، ص 95.
(5) البشير، 20 أيار 1920، لسان الحال، 18 و 19و 20 أيار 1920

ثم إستدعى الفرنسيون الشيخين أحمد رضا وسليمان ظاهر، فوراً ، من النبطية إلى صيدا، وأبلغوهما أن الحكومة رأت أن تحجز عليهما في صيدا تحت الإشراف العسكري، وأن يبقيا هنا أحراراً، على أن يثبتا وجودهما كل يوم، وحذروهما أن يتدخلا في السياسة[1].

كانت الخطة أن تنطلق الحملة العسكرية العدوانية الفرنسية على جبل عامل بعد منتصف ليلة الجمعة 20 أيار والثاني من شهر رمضان، وفي توقيت أقل ما يقال فيه إنه لئيم، فهي ساعة التهجد والسحر عند العامليين في ليل شهر الصوم. وأن ينقسم العدوان على بلاد بشارة، جنوبي نهر الليطاني، إلى مفرزتين منفصلتين، تنطلق واحدة من صور بقيادة الكولونيل نيجر NIEGER وقد ساق معه "الرهائن" من الأعيان العامليين. والثانية تنطلق من النبطية، بقيادة المقدم ARLABOSSE أرلابوس[2] والليوتنان توليه. فتجتاحان القرى التي على طريقهما على أن تلتقيا في تبنين. في مسار موحد متزامن. وكانت القوة معززة بالعربات المدرعة، تساندها المدفعية من البر والبحر. ويتقدمها عدد كبير من المتطوعين المسيحيين[3]، كان همهم، في قسمي الحملة ومن إنضم إليهم من المسيحيين الموتورين، وخاصة مرافقي قسم حملة صور، وهم من قرى عين إبل، ودبل، وأقرط، ورميش، والقوزح، ألإمعان في السلب والإثخان بمن يتفق مروروه بطرق الحملة[4].

في الوقت المحدد، إنطلقت من النبطية المفرزة العسكرية الفرنسية الثانية، المؤلفة من كتيبة إستطلاع وفصيلة مدفعية وفصيلة خيالة[5]، تحت حماية مدفعية النبطية الفوقا، التي أمنت لها طريق زوطر، ومنها قطعت جسر القعقعية صعوداً إلى فرون، فوصلتها ظهراً بلا مقاومة، فنّهبت واستبيحت[6].

وكان صادق حمزة الفاعور كامناً في وادي الحجير، مع زهاء عشرين من رجال المقاومة، فلم يشأ مقاومة الحملة إلا بعد إستشارة كامل الأسعد وحتى يصل إليه دعم موعود من الحكومة العربية، ويبدو أن الذي وصل إليه بعض رجال كامل الأسعد، بعثهم ينصحه

(1) صفحات من تاريخ جبل عامل، الشيخ سليمان ظاهر، ص 96
(2) مفكرات يومية، الشيخ سليمان ظاهر، 18 أيار 1920، ص 1، البشير، 27 أيار 1920
(3) صفحات من تاريخ جبل عامل، الشيخ سليمان ظاهر، ص 95
(4) المصدر نفسه، الشيخ سليمان ظاهر، ص 98.
(5) تاريخ جيش المشرق في لبنان، 1919- 1920، جورج فغالي ، ص 288
(6) المصدر نفسه، 1919- 1920، جورج فغالي، ص 288

بعدم التعرض للحملة الفرنسية، بعد أن كان قد ردّ ما ورد عليه من الذخائر والأعتدة الحربية مما يبلغ محمولها حمل ثلاثين بغلاً لتوزع على المقاومين[1]. ومع ذلك، فقد إشتبك صادق حمزة ورجاله مع طليعة القوة الفرنسية، بين فرون والغندورية، في قتال ضار إستمر لعدة ساعات، وفي معركة مهولة، كما وصفها متطوع مسيحي مع الفرنسيين، إشتعلت فيها النار، حتى نفذت الذخيرة من المقاومين، وساد الصمت مواقعهم، فإنسحبوا بعد أن كبدوا المعتدين خسائر بشرية، وأخروا سير الحملة، التي تابعت سيرها، بعد إنسحابهم، إلى الغندورية، ومنها إلى صريفا، فوصلتها مساء الجمعة 20 ايار، حيث عسكرت وباتت ليلتها[2].

في صباح اليوم التالي، توجهت فصيلة من القوة الفرنسية إلى شحور لإعتقال السيد عبد الحسين شرف الدين، وكان قد عاد من الشام، فمرت في طريقها بأرزون التي كانت خالية من السكان، فنهبتها وأحرقتها بتمامها، فيما كانت فصيلة أخرى تستطلع القرى المسيحية، دردغيا والنفاخية[3]، ولم تجد أثراً للسيد، فقد كان قد إنسال من داره جنح الظلام، هبوطاً إلى وادي الليطاني، واطلق عليه الفرنسيون النار، ونجاه الله منهم، فأحرقوا داره في شحور وأتلفوا مكتبتها الغنية بذخائر المؤلفات، كما هاجمت الحملة الفرنسية منزله في صور، وأحرقته.

ومما كتبه السيد عبد الحسين شرف الدين فيما جرى، وكان قد وصل شحور قادماً من صور في نفس الليلة: "ومهما يكن فقد كان نصيبنا من هذه الجيوش حملة جرارة قدرت بألف فارس مجهزين بالمدافع الثقيلة والدبابات والمدرعات، ورجعت بقيادة الكولونيل "نيجر" إلى شحور ما كاد الفجر يتوضأ بأضوائه الندية، حتى كانت المدافع الثقيلة منضوية على جبلي "الطور وسلطان" المشرفين على القرية وهبط الجيش يتدفق بين كروم التين ويلتف حول القرية في رهبة أوحشت سكينة الفجر المستيقظ لذكر الله تعالى في مستهل شهر رمضان المبارك سنة 1338 الموافق 1 حزيران 1920م وكنت أهوم بعد الصلاة بنعاس بعد تعب السفر، وكانت وصيفتنا الصالحة السعيدة تتهيأ لصلاتها، فأشرفت على مدخل القرية، وهي

---

(1) صفحات من تاريخ جبل عامل، الشيخ سليمان ظاهر، ص 98
(2) مفكرات يومية، الشيخ سليمان ظاهر، ص 2 و10 تاريخ جيش المشرق في لبنان، 1919- 1920، جورج فغالي، ص 290، مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 21 أيار 1920، العرفان، م 34، ج2 ص 199.
(3) تاريخ جيش المشرق في لبنان، 1919- 1920، جورج فغالي، ص 290

تبين الصبح فراعها أن ترى إلى آذان الخيل تنتشر بين أشجار التين في مثل هذا البكور، فأجفلت مذعورة ورجعت توقظني من منامي، نهضت مسرعاً إلى أرديتي وإنسللت أتخطى الأزقة المضائق، ثم خرجت من بين العسكر وهم لي منكرون، وتركتهم يتظننون وإنسحبت أهبط الوادي إلى غار على شواطئ الليطاني. كان لجأ إليه جدنا السيد صالح في محنة الجزار. أما الجند فطفق يسأل عني وإستوقف الصغار من أفراخي.. يستنطقهم والسيف مسلط فوق رؤوسهم ولكنهم أجمعوا على أني في دمشق، ولما إستيأسوا من العثور علي تفرقوا في القرية يأكلون ويشربون ويحطمون ولم يغادروا شحور قبل أن يحرقوا الدار (ويأسروا أخويّ) ويسوقونهم مع عدة من أعيان القرية إلى السجن والتنكيل[1].

وأما القوة العسكرية الفرنسية الأولى المؤلفة من كتيبتي مشاة من فوج الإستطلاع الجزائري، كانتا قد أنزلتا بحراً على شاطئ صور مع قافلة من البغال. وفصيلتي مدفعية ميدان. فإنطلقت من صور، في الوقت المحدد، بعد أن أعتقلت الشيخ حسين مغنية وأجبرته على أن يرافق الحملة كرهينة، وسلكت طريق البازورية[2]. فأحرقت فيها عدة بيوت، منها بيت يعقوب القرعوني الذي حُكم بالإعدام. وتابعت إلى جويا، فوصلتها صباح الجمعة، ولم تلق أية مقاومة، بل استُقبلت بالعلم الفرنسي، وتسلمت ثلاثين بارودة من أهاليها، حسب توصيات إسماعيل الخليل، وأحرقت ونهبت بيوت المعروفين بميولهم القومية العربية، خاصة بيت السيد يوسف طاهر، الذي وشى به ضعفاء النفوس، فأعتقله الفرنسيون وقتلوه بصورة فظيعة[3]. وجاء بعض سكان القرى المجاورة إلى جويا وأعربوا عن خضوعهم وطلبوا الأمان، وطلب الشيخ حسين مغنية أن يتركوه متعللاً بعجزه وشيخوخته، فأخلى الفرنسيون سبيله[4].

وبعد أن عسكرت الحملة في جويا وباتت ليلتها[5]، بعثت فصائلها إلى القرى المجاورة لجويا، بافلية، وباريش، ودبعال، وهي قرية صادق حمزة الفاعور، لتأديبها، فأحرقت بيوت رجال المقاومة فيها، وأرسلت قوة أخرى من المشاة والخيالة للسيطرة على

---

(1) من حقيبتي التاريخية، حكمت بزي، ص 518.

(2) تاريخ جيش المشرق في لبنان، 1919- 1920، جورج فغالي، ص 288.

(3) الشيخ سليمان ظاهر، صفحات من تاريخ جبل عامل، مصدر سابق،ص 96.

(4) جويا الماضي والحاضر، نور الدين، ج2، ص 186.

(5) مفكرات يومية، الشيخ سليمان ظاهر، ص 1 و2 و40 و44 تاريخ جيش المشرق في لبنان، 1919-1920، جورج فغالي، ص 290، البشير، 1920/6/12.

مثلث الطرق الذي يربط جويا الشهابية والغندورية، تسهيلاً لنفاذ القوة بكاملها إلى مضيق تبنين عند إنبثاق الفجر[1].

وبينما كانت الحملة الفرنسية بمفرزتيها تتقدمان بإتجاه تبنين، وصل إلى تبنين، في 20 أيار، الحاكم الإداري للقنيطرة، الضابط علي خلقي، على رأس فرقة عسكرية بلباس جنود عرب، وعشرة أشخاص من منطقة العرقوب، وإجتمع بمحمود الأحمد بزي وتقرر مهاجمة القوة الفرنسية لدى وصولها إلى مشارف طيرزبنا، عند وادي سلعا. وفي ليلة السبت 22 أيار، إشتبكت إحدى مجموعات المقاومة مع الفرنسيين، وإستطاعت الإقتراب من المعسكر الفرنسي، فقتلت ثلاثة من الفرنسيين وجرحت ثلاثة، بينهم ضابط صرعه الرصاص عن قرب[2].

ثم إنسحب رجال المقاومة وبعد هذا الإشتباك وإنتشروا في مرتفعات السلطانية للدفاع عن التلال المشرفة على تبنين[3]، بينما تابعت الحملة الفرنسية الآتية من زحفها بإتجاه تبنين، وقد وصلت إلى قائدها نيجر، بواسطة بعض الأهالي، أخبار حركة رجال المقاومة فإتخذ إجراءات دفاعية وتقدم بإتجاه وادي الحريق[4].

وكان نيجر يعمل للمّ شعث المسيحيين الذين لجأوا إلى فلسطين وأرادوا العودة إلى قراهم، مطمئنين إلى دور وجود الفرنسيين، فإنطلقت فصيلة فرنسية نحو عين إبل للإستطلاع وتقدير الخسائر التي لحقت بالسكان والممتلكات[5]، بينما كانت فصائل فرنسية وفرق من المتطوعين المسيحيين تجوب القرى الشيعية المجاورة لتأديبها، فلم يجدوا في عيناثا ومارون الراس وما حولهما من القرى أحداً من أهلها الذين هجروها بتاتاً، فحل فيها متطوعة عين إبل ورميش، وأعملوا فيها السلب والنهب والتخريب في صورة فظيعة[6]،

---

(1) تاريخ جيش المشرق في لبنان، 1919- 1920، جورج فغالي، ص 290، مفكرات يومية، الشيخ سليمان ظاهر، ص 2.
(2) تاريخ جيش المشرق في لبنان ، 1919 – 1920، جورج فغالي، ص 290، ومفكرات يومية، الشيخ سليمان ظاهر، ص 1.
(3) تقرير الجنرال غورو في 4 حزيران 1920، راجع: جبل عامل، د. محمد بسام، ص 460
(4) الشيخ سليمان ظاهر، مفكرات يومية، مصدر سابق، ص 1-2.
(5) تاريخ جيش المشرق في لبنان، 1919- 1920، جورج فغالي، ص 219 و 292
(6) مذكرات التاريخ، الشيخ أحمد رضا، العرفان، م 34، ج2 ص 200.

فأكلوا دجاجها، ودبوا فيها الحريق فرمّدوها[1]، وفعلوا فيها الأفاعيل، من تدمير منازل وإتلاف زروع وإزهاق نفوس[2].

وذهبت فرقة إلى يارون، حيث أحرق الجنود نحو 15 بيتاً[3]، ويروي متطوع مسيحي مع الحملة الفرنسية فيقول: "في يارون، لاقتنا أهاليها بدق الجرس، ونسوانها بالزلاغيط، فدخلناها وحرقنا منها حارة المتاولة (16 بيتاً)، وأقمنا في تلّها قبال بلد إسمها فارة، وأخرى هي صلحا، فكنا نرى العالم تنغل مثل النمل (من نازحي الشيعة)، فإشتغلت المتروليوزات عليهم حتى روحت منهم كثيراً وجملة مجاريح، وطلعنا على مارون وحرقناها، ولما أصبح الصباح، سافرنا (من مارون) على المالكية فما وجدنا فيها أحداً فخرجناها وبتنا فيها، وثاني يوم مشينا على قدس"[4]. وهكذا تكون الحملة الفرنسية طائفية بإمتياز، هدفها إبادة الشيعة وتدمير ممتلكاتهم. ولكنها لم تستطع قتل أو إلقاء القبض حتى على واحد من رجال المقاومة إلا أنها أحرقت بيوت الآمنين في القرى التي داهمتها، وفتكت بكثير من الأبرياء والآمنين ثم إستقرت في هونين[5].

يقول السيد عبد الحسين شرف الدين: جهز الفرنسيون جيوشهم "وفرقوها في اطراف الجبل، وأوعزوا لها بالإمعان بالقسوة والإرهاب والإهانة، فمضت على غروائها تخيف القرى الآمنة، وتزعج الأسراب البريئة، وتنهك المعائش بما تستنزف من ماشيتها وبيضها ودجاجها وألبانها وضرورياتها الزهيدة، حتى وهن الكاهل تحت الثقل"[6].

كان الجيش الفرنسي يدير حركته الإنتقامية تبعاً لإرادة الموتورين من المسيحين، ورزق الله نور العينبلي الأصل، في إرهاق الأهالي بالنهب وطرّح الضرائب وإستصفاء الأشياء والأبقار والماشية، وإزهاق النفوس والتسلّط على الأعراض[7].

---

(1) الشيخ سليمان ظاهر، مفكرات يومية، مصدر سابق، ص 11.
(2) المصدر نفسه، ص 4.
(3) البشير، 12 حزيران 1920
(4) الشيخ سليمان ظاهر، مفكرات يومية، مصدر سابق، ص 12
(5) محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، مصدر سابق، ص 228
(6) بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين، ج2 ص 16
(7) الشيخ سليمان ظاهر، مفكرات يومية، مصدر سابق، ص 3- 5 و15.

كانت غالبية القرى الشيعية خالية من السكان الذين هاموا على وجوههم نحو فلسطين والجولان، بمجرد سماعهم بنبأ الحملة، فدخلها العسكر وفعل فيها الأفاعيل. فبعض دَمّر أو أحرق أو إنتُهب فيه بعض البيوت، فدمروا في البازورية ستة بيوت، ونهبت في جويا بيوت "آل طاهر"، ونهبت أبقار بافليه وكانت أربعين رأساً، ودمرت بعض بيوتها، وإنتهبت ماشية حانين وقتل راعيان منها على أيدي أهالي دبل، ودمرت عمرة محمد التامر في تولين بالمدفعية، ودمرت قرى أرزون ومالكية الجبل بكاملها، وفي بعض القرى المختلطة ودمرت بيوت حارة المتاولة كما في يارون[1]. ومن القرى التي دمر بعضها: برعشيت، ومارون، وكفركلا، وصلحا، وعيترون، ورشكنانية، والطيري، وفرون، والغندورية، وباريش، وخمسة بيوت من كفرصير، وثمانية بيوت من القصبية.

أما بنت جبيل ذات الخمسة آلاف نسمة، ببيوتها الفخمة ورياشها الثمينة وغلالها الوافرة التي تقدر بمليون ليرة، فقد دخلها العسكر والمتطوعون المسيحيون المشبعون بروح الثأر والإنتقام، و"لم يروا نافخ نار، والبيوت متروكة بكل ما تحويه من أثاث، ودكاكين وما تضمه من البضائع الكثيرة، فقام مسيحيو تلك الجهات بالسلب وحمل ما يخف حمله، وبقي الباقي طعاماً للنار"، وتُجمع المصادر على تدمير وحرق حوالي ثلاثة أرباع دور البلدة[2].

وحمل المتطوعون المنهوبات إلى النبطية ما وسعهم حمله، وكثير منهم ملأ جعبته نقوداً، وآخرون يحملون غروضاً (أغراضاً)، وأن متطوعين (إثنين) من النبطية أدخلا إلى بيوتهم ما هو محمول زهاء عشرين إمرأة[3]. وأما الموسم، فقد أصبح جُلّة طعاماً لحيوانات الحملة، والحيوانات التي أخذت طعاماً لهذا الجيش الجرار لا تدخل تحت إحصاء، وبالجملة فإن القلم ليعجز عن وصف ما أحاق بالبلاد التي غشتها الحملة التمدينية، من ضروب الإثخان والتنكيل، وجملة القول إن فظائع تيمورلنك، وهو من رجال قرون الجهل، لا تزيد على فظائع هذه الحملة، وعندما نقل بعض العاملين شكواهم من الفظائع وهتك الأعراض إلى نيجر، قائد الحملة الفرنسية. كان جوابه الإستعماري: "أنا أمرتهم بأن يفعلوا ذلك"، أو "إنني

---

(1) مفكرات يومية، الشيخ سليمان ظاهر، 23 حزيران 1920، ص 44 و 45 و ص 1و2.
(2) المصدر نفسه، الشيخ سليمان ظاهر، 19 أيار ، 1920 ص 4 و5.
(3) المصدر نفسه، الشيخ سليمان ظاهر، 4 حزيران ، 1920 ص 14.

أبحث ذلك للعسكر"! ولم تصادف الحملة رجلاً شيعياً إلا وسألته عن "العصابات" فإن لم يُجب تُرديه قتيلاً. كما أُطلقت النار على النساء[1].

ثم أمر نيجر بتأمين عودة المسيحيين إلى قراهم، والضغط على الشيعة لتسليم أسلحتهم، والتعجيل بدفع الغرامات الحربية المفروضة عليهم لمصاريف الحملة، وبقيت فرقة من المتطوعين في تبنين، تطوف القرى وتفرض عليها النفقات[2]، وسيطر جو من الخوف على قرى جبل عامل، وأصبحت طريق صور تبنين سالكة للقوافل العسكرية بقليل من المواكبة. فبدا أن القسم الرئيس من الحملة العسكرية قد شارف على الإنتهاء، ليبدأ الإخضاع السياسي لجبل عامل، وفي الطيبة عقد إجتماع بين قيادة الفرنسيين وأعيان من الشيعة العامليين، حيث أبلغ العامليون بالمطالب الفرنسية: جمع السلاح، والمحافظة على الأمن في البلاد، وإعادة منهوبات المسيحيين بأعيانها وإعادة البيوت المتهدمة، وعقد إجتماع في صور لوجهاء الطائفتين الشيعة والمسيحيين.

وبعد طول مباحثات، تنصّل الأعيان الحاضرون من مسؤولية تمثيل طائفتهم، فتقرر عقد إجتماع في صيدا، السبت 5 حزيران، يحضره "العلماء والوجهاء العامليون الذين إقترح حضورهم، ومن يتأخر عن ذلك يُعتبر، في نظر الحكومة، راضياً بإخلال الأمن في البلاد"[3].

في يوم السبت الخامس من حزيران، وفيما كانت الحملة الفرنسية تجتاح القرى العاملية، تعيث فيها خراباً وترهق المواطنين بغراماتها وأعبائها الإقتصادية، جمع نيجر نحو مائة وخمسين شخصية شيعية، وحشرهم في كنيسة الروم الكاثوليك في صيدا، وإعتُبر المتخلفون عن الإجتماع "عصاة" وسيجري تعقبهم.

إفتتح نيجر الإجتماع بخطاب ناري شديد اللهجة، يتضمن التهديد والوعيد، تهجم فيه على الشيعة، على مسمع من الإكليروس المسيحيين ووجهائهم، وإستعرض فيه الإضطرابات،

---

(1) الشيخ سليمان ظاهر، مفكرات يومية، مصدر سابق، ص 3 و5و7و15و41.
(2) الشيخ أحمد رضا، مذكرات للتاريخ، مصدر سابق، 7 حزيران، 1920، العرفان، م 34، ص 205، مفكرات يومية، الشيخ سليمان ظاهر، ص 8.
(3) الشيخ سليمان ظاهر، مفكرات يومية، مصدر سابق، ص 5 و13، مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، حزيران 1920، العرفان، م 34، ص 201.

وإدعى أنه سوف يقتص من المجرمين فقط، وإتهم الطائفة الشيعية بما ارتكب من جرائم بحق مسيحي البلاد، إما مباشرة أو بالدفع إلى إرتكابها وأما بالرضا عنها، ففيهم المباشر فعلاً، والمسهّل، والراضي! وهذا من اغرب المحاسبات على النوايا، ثم أملى على الحاضرين من علماء وأعيان الشيعة شروط الجنرال غورو الباهظة والثقيلة لوقف الحملة العسكرية، وهي:

1- التعهد خطياً بتحمل المسؤولية المعنوية عن القرى التي تنتمي إليكم.

2- الإتفاق مع أعيان النصارى بإزالة دواعي الخوف التي تعترض عودتهم إلى قراهم، ومعاونتهم على حصاد مواسمهم تلافياً لحصول المجاعة.

3- التعهد خطياً برد المسلوبات، تحت إشراف المتصرف والقائمقامين.

4- تقرر على الشيعة "مائة ألف ليرة... غرامة أو تعويضات للمنكوبين".

5- دفع كامل الأموال الأميرية مع المتأخرات المترتبة عليكم.

6- "التبرؤ من المحكومين ووجوب تسليمهم إلى الحكومة، أو إعلامها بهم"(1).

7- مصادرة ممتلكات المحكومين بالإعدام أو النفي، للتعويض على المنكوبين.

8- إعادة الأمن في البلاد وجمع السلاح كلياً. إلا أنّه يمكن "ترك السلاح للأعيان الذين يقدمون لنا ضمانات أكيدة... لأجل المحافظة على قراكم، بالإتفاق مع جنودنا ويمكنكم إرسال الأفراد الذين تحكمون بأهليتهم، لينخرضوا في تشكيلات الجندرمة الوطنية".

ثم تلا نيجر أسماء ستة وثلاثين شخصاً من زعماء جبل عامل محكومين بالإعدام، وثلاثة عشر من المحكومين بالنفي، مع مصادرة أملاكهم جميعاً وأما المحكومون بالإعدام فهم: صادق حمزة الفاعور، محمود الأحمد بزي، موسى بوزقلي، الشيخ عبدالله عزالدين، رياض محمد حسن فرحات، عبد المجيد محمد بزي، محمود فرج، سليمان طرفة، الحاج فياض شرارة، الحاج سويدان، أدهم بن خنجر بك من المروانية، علي حرب، محمود أحمد قاسم، عبد الحسين سرور، محمد بك التامر، السيد يوسف طاهر، حسين علي ندى من الريحان، محمود قاسم من البازورية، أحمد قاسم بركات، محمود محمد قاسم سليمان طباجة

(1) الشيخ سليمان ظاهر، مفكرات يومية، مصدر سابق، ص 18، مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 5 حزيران، العرفان، م 34، ص 203.

من العديسة، شبيب ولطفي ونجيب العبدالله من الخيام، محمد العرب وكامل الحسين اليوسف والحاج محمود (الخالصة)، عزوز مصطفى (الدوارة)، كامل شحرور هونين.

وأما المحكومون بالنفي والمؤبد: كامل الأسعد، عبد اللطيف الأسعد[1]، الحاج محمد سعيد بزي وأخوه عبد الحميد بزي، السيد عبد الحسين شرف الدين، السيد عبد الحسين نورالدين، مراد غلمية، حسن يوسف، نصرالله الصعبي (من دير الزهراني)، الحاج جواد والحاج خليل عبدالله (الخيام)... وبعض عائلة فرحات (برعشيت وبليدا).

ثامناً: قادة الشيعة في جبل عامل بعد العدوان الفرنسي:

حاول صادق حمزة وأدهم خنجر الرد على حملة نيجر، فإصطدموا بمحاولة التصالح التي عزم عليها وجهاء الشيعة مع البطريرك، وأرسل الوجهاء الرسائل إلى صادق يخوفونه من إمكانية أن يكون رد الفرنسيين عنيفاً، إلا أنه أبى التراجع، وهاجم بعض القرى المسيحية، وأحرقها[2]. وبعد ذلك بدأت تتلاحق في الجرائد أسماء المطلوبين المحكوم عليهم بالموت غيابياً، وقد لجأ الكثير من علماء وزعماء ووجهاء جبل عامل الذين حكم عليهم إلى الشام، منهم كامل الأسعد، والسيد عبد الحسين شرف الدين، اللذان فرّا إلى دمشق، وصادق حمزة، ومحمود بزي، وأدهم خنجر، الذين فرّوا إلى فلسطين وسوريا. ونفي البعض الآخر، كما صودرت ممتلكاتهم ودُمّرت منازلهم. وترك نيجر الباب مفتوحاً لمحاكمة كل من يتبين إشتراكه في الحوادث والإضطرابات والمتأخرين عن إجابة الدعوة لهذا الإجتماع.

ثم أخرج الحاضرون من غير الشيعة من القاعة، وتُرك أعيان الشيعة في جو من الحصار النفسي، في قاعة مطوقة برجال الدرك والبوليس، ثم وضع نيجر والمتصرف والقائمقامون والأعيان المضبطة التالي نصها[3]:

"نحن الموقعين أسماءنا أدناه، رؤساء الطائفة الشيعية وعلماءها وأعيانها الملاكين ومختاريها، نتعهد بموجب هذه المضبطة بإستعمال كل ما لنا من النفوذ لصيانة الأمن

---

(1) شؤون جنوبية، ع 39، أيار 2005، ص 42، مقالة د. بعلبكي، "الزين طباجة يتذكر".
(2) مجلة العرفان، م 34، ج3، ص 354.
(3) البرق، 9 حزيران، لسان الحال، 9 و12 حزيران ، والبشير 10 و12 حزيران 1920، مفكرات يومية، الشيخ سليمان ظاهر، ص 18، مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 5 حزيران 1920، العرفان، م 34، ص 203

والسكينة في البلاد، ونتعهد بحماية القرى المسيحية ونضمن لسكانها حرية الحصاد، وإذا إعتدت عصابات اللصوص على إحدى القرى المسيحية تبادر كل القرى الشيعية المجاورة إلى مساعدتها، لتنجيها من الإعتداء طبقاً لما تفرضه الشريعة، وفي الوقت نفسه تكون القرى المجاورة مسؤولة عن كل هجوم يحدث على قرية مسيحية مجاورة، ونحن ملاكي القرى، نتعهد أنه لا ينضم أحد من الذين ينتمون إلينا إلى عصابات الأشقياء.

أما الغرامة التي فرضها الجنرال غورو على الطائفة الشيعية والتي قيمتها تبلغ مائة ألف ليرة، فإننا نتعهد بدفعها تماماً على مقتضى التدابير التي تقررها الحكومة، ونحن خاضعون للحكومة تماماً لتنفيذ قراراتها، إننا نرذل كل الرذل مسببي الفتن الذين حكمت عليهم الحكومة، ونتعهد بتسليمهم إليها حال عودتهم إلى قراهم، وإننا سنبذل كل ما في وسعنا لإعادة المواشي والأموال المنقولة التي نُهبت إلى أصحابها، إذا كانت موجودة في منطقتنا، ونتعهد بتسليم كل الأسلحة، وبدفع كل المتأخر من الضرائب.

وأُمهل الحاضرون حتى الثالثة من بعد ظهر ذلك اليوم، للتوقيع على هذه الشروط كما وردت. وفي الثالثة عُقد الإجتماع التالي، فأظهر الأعيان الشيعة عجز الطائفة عن القيام بهذه الشروط التعجيزية[1]. وبعد مراجعة غورو، أبدى هذا بعض التساهل بشأن الغرامة المالية، بأن يحسم منها الغرامات التي جمعها العسكر من قرى بلاد بشارة باسم الغرامة فقط، على أن جميع أموال المحكومين تبقى محجوزة[2]، ولا تحسب من أصل الغرامة. بل "ستنفق في التعويض" على المسيحيين وعندما إعترض أحد أعيان الشيعة بأن المنهوبات من الشيعة أكثر من المنهوبات من المسيحيين، أجاب الفرنسي بمنتهى الفجور الإستعماري: نعم، لكن ذلك جزاء والتعويض غير الجزاء! وأنى للشيعة كلما قرأوا هذا أن ينسوا؟

ثم أُمهل المجتمعون ثانية حتى السادسة للتوقيع على الشروط المعينة، في جو مضاعف من الحصار النفسي والجسدي، إذ هددهم نيجر، ما لم يوقعوا هذه الشروط، بأن يبقوا تحت الحجز، وأن لا تبقى ملكياتهم الشخصية محترمة. وحتى السادسة ظل المجتمعون الشيعة في تردد وضياع، فحضر نيجر وطلب حسم أمرهم للمرة الأخيرة، كي يأمر بوقف

(1) مفكرات يومية، الشيخ سليمان ظاهر، ص 19-21.
(2) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 5 حزيران، 1920، العرفان، م 34، ص 204.

الأعمال العسكرية، وأنذرهم أنهم لن يخرجوا من هنا إلا بعد توقيع الشروط، ولن يغادروا صيدا إلا بعد توزيع الغرامة على القرى الشيعية، بالنسبة إلى غناها، وإلى درجة إشتراكها بالمسؤولية في الحوادث[1].

وإستدعي كهنة المسيحيين لتوزيع الغرامة على منكوبيهم، وبقي الشيعة مترددين في أمرهم حتى السادسة والنصف، حين إنبرى بعض العلماء والزعماء إلى البدء بتوقيع الشروط، بعد أن أيقنوا أن لا مناص من توقيعها، ويفعل الله ما يشاء، وتبعهم آخرون، على أن تجري محاولات لاحقة للتخفيف من أعبائها، وإمتنع الشيخ حسين مغنية عن توقيعها، وبعد جدال "وقّع عنه الحاج إسماعيل الخليل حسماً للنزاع"، كما إمتنع آخرون فاستُدعوا في اليوم الثالث إلى مقر المحافظة، "فوقّعوا كلهم إلا زين العابدين وراشد (عسيران)، فأوقفهم المتصرف، وإنتهى الأمر بتوقيع الأول وتوقيع أخي الثاني نجيب أفندي (عسيران) عنه"[2]. ثم عزل غورو كامل الأسعد من منصبه كمستشار للإدارة المركزية، بناءً على فراره للخارج[3].

وكان تطبيق بند إعادة منهوبات المسيحيين بأعيانها وإعادة البيوت المتهدمة، عرضة لكثير من الظلامات والإنتقام[4]، فكان كل ما يدعي به المنكوبون من المسيحيين "لا مجال لرده، فكل شيعي مأخوذ بمجرد الشبهة، وكل حيوان أو غروض يزعمون أنه نُهب منهم فمحكوم به لهم لا محالة. وقد يؤدي الأمر إلى إعدام المشتبه به، بتهمة الإشتراك في معركة عين إبل، فصودرت من العامليين الشيعة، مواشٍ وأبقار ومواسم أغلال، بذرائع وإدعاءات وشُبهات" حتى قيل، "إن المنهوبات من قرى الشقيف بأيدي المسيحيين تزيد أضعافاً عن منهوبات المسيحيين"[5]. و"يُقدر البقر المصادر بأكثر من ألف رأس، والماشية من غنم

---

(1) مفكرات يومية، الشيخ سليمان ظاهر، ص 21و22، البشير 12 حزيران 1920.
(2) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 5 حزيران 1920، العرفان، م 34،، ج2، ص 204، مفكرات يومية، الشيخ سليمان ظاهر، ص 22، البشير، 12 حزيران 1920.
(3) الحقيقة، 14 حزيران 1920، البشير 15 حزيران 1920.
(4) مفكرات الحملة، الشيخ سليمان ظاهر، ص 6 .
(5) مذكرات التاريخ، الشيخ أحمد رضا، 2 حزيران 1920، العرفان، م 34، ج2، ص 201و 202، مفكرات يومية الشيخ سليمان ظاهر، ص 7 وص 40-41.

ومعزى بألفي رأس، ومن الخيل والحمير ألفان، وكان جملة ما أخذه الفرنسيون من العامليين من دجاج وطيور يُقدر بعشرة آلاف ليرة ذهبية"[1].

وأما الغرامة النقدية التي فرضها الإرهاب الفرنسي على شيعة جبل عامل في إجتماعات صيدا، بقيمة مائة ألف ليرة، فقد كانت في الأصل غير محددة، وكان الأساس أن تدفع بالعملة المتداولة، وهي يومئذٍ الورق السوري[2]، فقد فهم أعيان الشيعة العبارة عن إطلاقها، والمطلق يُحمل عادةً على العملة المتداولة.

رأى المنكوبون المسيحيون أن يستفيدوا من سيطرة القوة الفرنسية ويجعلوا قيمة الغرامة أكبر بكثير مما نهب منهم، وعقدوا إجتماعاً قرروا فيه الإبراق إلى داود عمون، رئيس مجلس إدارة لبنان، وإلى البطريرك الحويّك للدعوة إلى إجتماع يعقد في بيروت، يحضره "بعض وجوه طائفتهم البيروتيين ومندوب عن البطريرك" وبعض وجهاء الشيعة، حيث أبلغ المجتمعون الحكومة بمطالبهم، فأمرت بتحويل الغرامة إلى الليرات الذهبية[3]، ففتح باب نهب الشيعة وسلبهم وإفقارهم.

ثم عُقد إجتماع للموظفين الفرنسيين والمسيحيين في صيدا بحضور بعض الأعيان العامليين، جرى فيه إنتخاب لجان لتوزيع الغرامة على أقضية جبل عامل الثلاثة، بإستثناء مدينة صيدا[4]، ثم إجتمع ممثلو الأقضية في دائرة بلدية صيدا لتوزيع هذه المبالغ، تفصيلياً، على القرى، بالنسبة إلى غناها ودرجة إشتراكها بالمسؤولية في الحوادث، وجرى التوزيع بالتراضي[5]. وأخيراً تُرك "للجان القرى" أمر توزيع الغرامة على المواطنين، فكان هذا التوزيع عرضة لشتى الألاعيب، تبعاً للإنتماءات والتكتلات العائلية المحلية[6]. ولكن تلاعباً

---

(1) البشير، 15 حزيران 1920
(2) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 7 حزيران 1920، العرفان، م34، د2 ص 204.
(3) مفكرات يومية، الشيخ سليمان ظاهر، 1920/12/6 ن .ص. 23، مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، العرفان، م 34، ج2 ص 204
(4) الشيخ أحمد رضا، 17 تموز 1920، العرفان، م 34،ج2، ص 204
(5) الشيخ سليمان ظاهر، المصدر نفسه، 8 حزيران، 30 تموز 1920، ص 28، ص 25، البشير، 12 حزيران 1920
(6) المصدر نفسه.

آخر كانت المعنية به "شركة العازوري" التي أوكل إليها أمر تحصيل الضريبة، إذ "نزلت عن القرى التي رشتْها، وضمّته على القرى الأخرى"[1].

ثم طلبت الحكومة من مجلس الإدارة في كل قضاء، في قرار بالغ اللؤم والعدوان، أن تباشر الإدارة الحالية جمع بقايا الضرائب من الفلاحين المتأخرة منذ ست وثلاثين عاماً، يعني منذ أيام تركيا. وقد قدّروا هذه الضرائب مع قيمة الغرامة المفروضة بمائتي ألف ليرة ذهبية[2]. ثم وزعت الحكومة على العامليين بشكل إنتقائي وعشوائي، ضريبة باسم "المعارف" وهي مبالغ باهظة من اجل بناء مدارس في جبل لبنان[3].

وكان نيجر قد قرر، في إجتماع صيدا، الحجز على ممتلكات الزعماء العامليين المحكومين، للتصرف بها بيعاً أو ريعاً، للتعويض على المنكوبين المسيحيين، ثم صدر قرار بإستحداث ضريبة جديدة على الزعماء العامليين المحكومين، باسم "ضريبة حربية" فحددت الحكومة هذه الغرامة بمبلغ مليوني ليرة ذهباً، توزّع "على المسؤولين والمجرمين في تلك الحوادث"[4].

وأما تحصيل الغرامة فقد تجاوز قيمتها الفعلية إلى خمسة أضعافها، ففي حال من الضيق الإقتصادي وخلو البلاد من النقود، سلّط الفرنسيون "العسكر على جباية الغرامة، وجعلوا أمرها راجعاً إلى حكومة صيدا ودكتاتورها القومندان شاربنتيه، وكلهم ذوو أطماع، فعقدوا اللجان على هواهم"، فكان الجند يحتلون القرية لجباية ما فُرض عليها من الغرامة، فيقصّر الأهالي بالدفع نقداً، فيستاقون مواشيهم إلى لجنة من "هاتيك" اللجان، فتحدد أثمانها على نسبة المائة بعشرة أو عشرين، ثم تستلمها اللجنة بهذه الأثمان البخسة، وتبيعها (لحسابها) في أسواق فلسطين بأثمانها الصحيحة"[5]، هذا فضلاً عن الرشوة وتلاعب المأمورين في أسعار صرف العملات[6].

---

(1) مفكرات يومية، الشيخ سليمان ظاهر، ص 26 و42 و51، مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 29 تموز، العرفان، م 34، ج5، ص 687
(2) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 7 حزيران 1920، العرفان، م. 34، ج2، ص 205.
(3) مفكرات يومية، الشيخ سليمان ظاهر، 29 تموز 1920، ص 27، 30 أيلول 1920، ص 7.
(4) البشير، 8 و 20 و24 آب 1920، مفكرات يومية، الشيخ سليمان ظاهر، ض 3 و 60
(5) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 7 حزيران 1920، العرفان، م 34، ج2، ص 205
(6) مفكرات يومية، الشيخ سليمان ظاهر، 7 آب 1920، ص 39 و 51

أما كارثة المهلة الزمنية فكانت مضاعفة، سواء لضيق أمدها أو للتأخر شبه المتعمد في إبلاغها للمكلفين، فقد حُدد لكل قرية آخر مهلة لدفع كامل الضريبة المقررة عليها، والقرى التي تتخلف عن الدفع في التاريخ المعين "غرم على كل يوم بأخذ زيادة خُمس الضريبة المفروضة، وحتى عدة أيام قبل إنتهاء المدة لم تكن القرى قد أُبلغت"، إما عمداً أو إهمالاً، "بالقيمة المطلوبة منها، ولا المدة المضروبة لتحصيلها"، ما جعلها عرضة للزيادة في الغرامة ، فقد تأخرت الخيام مثلاً بدفع مئة ليرة من الغرامة المطروحة عليها، فطلبها حاكم الجديدة مضاعفة[1].

وخلافاً لوعود غورو لأعيان الشيعة، في إجتماع صيدا 5 حزيران، فإن قيمة ما جمعه العسكر من الغرامات والمصادرات لم تُحسم من الغرامة الأصلية[2]. غير أن سياسة الشدة هذه أدّت إلى تمرُد بعض العامليين على ضعفهم، وإمتناعهم عن دفع الغرامة.

فقد "تمنع بعض القرى الشيعية كصريفا وشحور على جمع الغرامة الحربية، وقدرها 1500 ليرة ذهبية"، ولما كانت هاتان القريتان مميزتين في مقاومة الإحتلال، أرسل حاكم صور الفرنسي الجندرمة إلى شحور ليجمع الغرامة، ما أدّى إلى إشتباكات ومضاعفات، فقد إتفق شباب صريفا وأرزون والقرى المجاورة على "الغدر بالدرك وأخذ المال" المستوفى، وجرى بينهم تبادل إطلاق النار، فأرسلت "الحكومة" تعزيزات من الجندرمة والمتطوعين إلى صريفا، وأتوا بمواشيها إلى صور[3].وقد جمع حاكم صيدا الفرنسي وأعوانه تلك الغرامة أضعافاً مضاعفة حتى بلغ ما حصّله الفرنسيون من الشيعة ما قيمته نصف مليون ليرة ذهبية، وأمعنوا في البلاد سلباً ونهباً، وإذا أضفنا إليها قيمة المنهوب والمحروق من أملاك الناس بلغت الخسارة يومها ما لا يقل عن مليوني ليرة ذهبية، فما بالك بقطر صغير تبلغ نفوسه مائة ألف نفس يناله من الخسائر في الأموال وما إليها هذا المبلغ، وما عسى يكون وضعه الإقتصادي بعد هذه الضربة الفادحة؟ فنضبت ثروة جبل عامل ووقع في مهاوي الفقر والخراب[4].

---

(1) مفكرات يومية، الشيخ سلميان ظاهر، 25 و26 حزيران 1920، ص 48 – 52.
(2) مذكرات للتاريخ، الشيخ أحمد رضا، 6 حزيران 1920، العرفان، م34، ج2 ص 205
(3) البشير، 7 آب، 1920
(4) تاريخ جبل عامل، محمد جابر آل صفا، ص 229.

ثم عمرت سوق الإنتقام من العامليين، وأصبحوا لقمة سائغة للآكل، وكثر الفارون من جبل عامل إلى خارجه طلباً للسلامة وفراراً بأنفسهم من الظلم والإرهاق، فهجر ما لا يقل عن ثلاثين ألفاً من شيعة جبل عامل بلادهم إلى مختلف البلدان، وهذا العدد من المهاجرين هو ثلث السكان. وقد إستقرت بهذه الهجرة، إلى غير رجعة، مئات العائلات العاملية، ومن بنت جبيل بخاصة، في بلاد حوران الزراعية وإنخرطت في المجتمع السوري وحملت الجنسية العربية السورية حتى اليوم. ولو أن الحكومة الإستعمارية المارونية أصرت على إستعمال الشدّة مع شيعة جبل عامل، فإن البلاد كانت سوف تخلو من السكان في مدة قريبة. ولعل ذلك هو ما ترمي إليه فرنسا[1]. وهو السعي إلى تهجير العامليين الشيعة من بلادهم إلى غير رجعة، وذلك لتعديل الميزان الديمغرافي الطائفي "لبنان الكبير".

1- نهاية قادة المقاومة الشيعية

لجأ الكثير من زعماء ووجهاء جبل عامل الذين حكم عليهم إلى الشام، وقبل مغادرة الملك فيصل دمشق، بعد إنذار الجنرال غورو، دعاهم وأعلمهم بإنسحابه من الشام، وفضّل لهم أن يذهبوا إلى فلسطين، لاجئين سياسيين عند الإنكليز. فذهب الحاج محمد سعيد بزي وكامل الأسعد وأخوه عبد اللطيف إلى بلدة الجاعونة، وتوجه السيد عبد الحسين شرف الدين إلى بلدة علما الجيرة قضاء صفد ومنها إلى مصر، ولم يستمر نفي السيد عبد الحسين شرف الدين طويلاً لأن السيد محمد الصدر تدخل لدى الفرنسيين فعفوا عنه.

في الجاعونة زار كامل الأسعد مطران حيفا المطران حجار ومطران صور المطران صايغ يرافقهما توما الصباغ قنصل فرنسا في فلسطين حيث سألوا كامل الأسعد أن يذهب لمقابلة الجنرال غورو في بيروت طلباً للعفو عن المحكومين بالإعدام من أبناء جبل عامل. فذهب كامل الأسعد لمقابلة الجنرال غورو في قصر الصنوبر مع البطريرك الحويك. فكان له

(1) مفكرات يومية، الشيخ سليمان ظاهر، 26 حزيران، 1920، ص 52، وتؤكد ذلك البشير، 15 حزيران 1920، نقلاً عن الكنانة والدفاع الدمشقيين، بأن النازحين العاملين في القنيطرة يقدرون ب 30 ألفاً.

ما أراد من العفو عن المحكومين ما عدا ثلاثة أشخاص أدهم وخنجر وصادق حمزة ومحمود بزي[1].

وفي خريف عام 1920 غادر صادق حمزة لبنان مع أدهم خنجر، وإستوطنوا أرض الحولة من فلسطين حيث إستقبلهم عرب الغوارنة وعرب الحولة[2]، وفي أثناء الأسباب لإشتداد البلاء على الشيعة، فكم من دم أريق من دون حق، وكم من مال سرق، وأملاك صودرت، وأعراض هتكت، لقد أسس الفرنسيون جواً من العداء بين القرى المسيحية في جبل عامل وجيرانها من القرى الشيعية التي عوقبت بسببها سوف يدوم عقوداً ويسفك على مذبحه الكثير من الدماء.

وجاء الجنرال ويغان بدلاً من الجنرال غورو، واصاغ سمعه إلى شكايات الشيعة العامليين، وقابل وفد علمائهم عام 1923 واعداً إياهم تحقيق مطالبهم، فقد إستقر وضع الفرنسيين في جبل عامل وأصبح الشيعة العامليون جزءاً من لبنان الكبير وقد ألحقوهم به بغير إختيارهم، ووضع حد لتطلع العامليين إلى الإنضمام إلى سوريا، وهو الأمل الذي طالما راودهم.

2- حدود لبنان من جهة المناطق الإسلامية:

أن إتفاق "سايكس- بيكو" الذي أدّى إلى تقسيم "بلاد الشام" إلى "دويلات" منها لبنان، ثم في الوقت الذي كان "الشريف حسين" يفاوض إنكلترا، على إنشاء مملكة عربية سورية تضم في ما تضم، "جبل لبنان" وهو المشروع الذي عارضه البطريرك حويك، بينما سعى شقيقه سعدالله الحويك عضو مجلس إدارة المتصرفية، مع رفاق له من أعضاء المجلس، للذهاب إلى دمشق لمبايعة الملك فيصل، ولكن سلطات الإنتداب الفرنسي منعتهم وسجنتهم، أما مؤتمر سايكس- بيكو، فهو لم يعقد إلا لمصلحة المنظمة الصهيونية العالمية وبتوجيه

(1) علي مرتضى الأمين، ثائر من بلادي، صادق حمزة الفاعور، دار الهادي، بيروت 1992، ص 147.
(2) المصدر نفسه، ص 143.

منها، ولمصلحة قيام كيان عنصري لها في فلسطين، وهو ما تعهدت به إنكلترا في صك إنتدابها على فلسطين الذي أقرته "عصبة الأمم" عام 1922[1].

وبعد أن أعلن غورو رسمياً إنشاء دولة لبنان الكبير، الممتدة من النهر الكبير في الشمال حتى رأس الناقورة في الجنوب، ومن البحر الأبيض المتوسط غرباً حتى السلسلة الشرقية في الشرق، عارض أغلب المسيحيين أي خطوة فرنسية لتقليص حدود 1920، وسياستهم هذه التي منعت الفرنسيين في المرحلة الأولى من تحقيق أي خطوة في هذا المجال من 1921 إلى 1926. وبعد ذلك خشيت فرنسا أن يؤدي أي تقليص في مساحة لبنان، إلى تقديم تنازل إستسلامي لسوريا، قد يعتبر أمام المسلمين كدليل على ضعفها، ويمكن أن يؤدي إلى القضاء على هيبتها، ثم أصبح هذا أمراً واقعاً، ومع مرور الوقت أصبح من الصعب التفكير في أي تغيير في حدود لبنان.

وعدم الإهتمام الماروني لخطر توسيع الحدود، وما يؤدي إليه من إنضمام مناطق ذات أكثرية مسلمة، قد يعود على جملة من العوامل النفسية التاريخية الإقتصادية والسياسية. فذكريات الحرب، حيث مات الألوف من سكان الجبل جوعاً بسبب عدم قدرة أراضيهم على تزويدهم بالمواد الغذائية لم تزل قائمة في الأذهان، وزعماء الكنيسة كانوا متشددين في الحصول على سهول زراعية كافية، ومرافئ تؤمن وصل لبنان بأوروبا.

أما النخبة الإقتصادية المارونية ورجال الأعمال في بيروت، الذين إستمروا في الضغط من أجل توسيع لبنان منذ بداية القرن، لم يكونوا مستعدين للعودة إلى لبنان أصغر حيث ستصبح تحركاتهم الإقتصادية مضغوطة في حيّز ضيق. والإعتبارات الإقتصادية كانت قوية، خاصة في مسألة طرابلس. لأن إمتلاك الدولة اللبنانية لمرفأي بيروت وطرابلس، سوف يجعلها تستطيع الإحتفاظ بحصة الأسد من عائدات الترانزيت لكل سوريا.

بينما كان فصل طرابلس عن لبنان، لا يعني فقط خفض عائداته فيها، بل يعني أيضاً تقليص دور بيروت في تجارة الترانزيت إلى الحد الأدنى، فتجار بيروت الذين كانوا يعانون

---

(1) أنظر: مقدمة صك الإنتداب البريطاني على فلسطين، والمواد 2 و 4 و6 و7 منه.

من مزاحمة مرفأ حيفا، رأوا في خسارة طرابلس تهديداً أكبر. لأن سهولة مواصلات طرابلس مع داخل سوريا. سوف يجعل لها الصدارة على مرفأ بيروت، وستصبح المرفأ الرئيس لكل سوريا. وبقاؤها كجزء من الأراضي اللبنانية، سيقلص من خطرها على مرفأ بيروت.

ورغم أن الكثيرين من المسيحيين، لاحظوا وجود العدد الكبير من المسلمين في دولتهم التي أنشئت حديثاً، إلا أنهم لم يروا في ذلك خطراً يهدد الطابع المسيحي للبنان أو يهدد مركزهم كطائفة هي الأكثر نفوذاً في البلد.

فخبراتهم أثناء نظام المتصرفية، جعلتهم يعتقدون بأنهم يستطيعون السيطرة على البلد بسبب مساعدة فرنسا لهم، وان المجموعات الجديدة يمكن لها أن تذوب في مجتمعهم. كما أن المغتربين، الذين بسبب بعدهم عن وطنهم الأم، وحياتهم في المجتمع الغربي المتطور، لم يدركوا الإختلافات الطائفية والفئوية التي بدأت تبرز بسبب توسيع رقعة لبنان، وكانوا قد لعبوا دوراً بارزاً بين سنة 1918 و 1920 في إنشاء لبنان الكبير، فقد إستمروا بلعب دور مهم في التأثير على الكنيسة المارونية والسياسية اللبنانية خلال فترة الإنتداب. وهم أول من عارض أية خطوة فرنسية لتقليص حجم لبنان، بسبب شكهم في الأسباب الحقيقية لهذه الإقتراحات وإعتبارهم لها محاولات لإرضاء المسلمين.

استنتاج الفصل الرابع:

نتوقف عند النضالات التاريخية السياسية العاملية الإستقلالية الوحدوية، العابرة للطوائف، سواء في الوطن أو في المنافي: من المشايخ حسين مغنية، وعلي مهدي شمس الدين، إلى "عبيد الحسين" الصادقين السادة من آل شرف الدين ونور الدين، إلى "العروبيين المتنورين"، من "الثلاثي العاملي": رضا وظاهر وجابر في النبطية، إلى علي رياض الصلح ونسيب عبد السلام شهاب في صيدا، كما نحيي المؤاخاة الجهادية بين قادة الثوار في جبل عامل والحولة والعرقوب والجولان: من "الصادق" و"الأدهم" وغيرهم... من المجاهدين العامليين، عبور جبل عامل الطريق إلى لبنانيته وعربيته في آن... إن بعض الحقائق التاريخية الموثقة في هذه الأطروحة تسمح لنا أن نتجاوز عن الفتن الطائفية الغريبة عن التاريخ العاملي، والتي غرسها ورعاها المحتل الأجنبي، وباشرها "جُهّال" من هنا "ورُعاع" من هناك، وحاول إستنقاذها، بالمؤاخاة الوطنية، "عُقّال" الحواضر العاملية: من مرجعيون إلى النبطية وشحور وصور وتبنين وشقراء وبنت جبيل. وعليه، فإن هذا الشعب كان، في ماضيه وحاضره، ضحية للفتنة ولم يكن طرفاً في أية فتنة طائفية أو مذهبية، وقياداته، على الدوام، كانت ولا تزال تدعو إلى توجيه السلاح نحو العدو الذي يهدد لبنان بالعدوان والإحتلال.

ومن حقائق هذه الأطروحة أن جبل عامل، رغم توصيفه بأنه "متصرفية لبنان الجنوبي"، بعد جمعه إلى جغرافية "البنان الصغير" ليكون "كبيراً" ، ورغم سقوطه في جغرافية الإنتداب وفتنته، تمكّن من الإحتفاظ بهويته الثقافية والحضارية كمنطقة للتعايش الفعلي، والإسلام المتسامح، والمقاومة الوطنية المستدامة بجذوتها مقابل كل ظلم وجوْر: من أمراء السلطنة العثمانية وعدوانية الجزار أحمد باشا، إلى الإنتداب الأجنبي والإحتلال الإسرائيلي. وجبل عامل لا يزال ينتمي إلى نفسه وإلى عروبته، عن سابق إصرار وتصميم، وهو أثبت أن "ما بعد الليطاني" لن يكون منطقة متروكة محرومة، أو "شريطاً حدودياً" تحتفظ إسرائيل لنفسها فيه بحق الإستباحة، وإقتطاع أجزاء منه أو سرقة ثرواته الطبيعية: الماء أو التراب.

الفصل الخامس

التحولات السياسية في جبل عامل

الفصل الخامس

التحولات السياسية في جبل عامل

أولاً: جبل عامل يخضع للإحتلال الفرنسي

"أُلحق" جبل عامل، بقيام لبنان الكبير، بجبل آخر هو جبل لبنان، فأصبح "جنوبه"، وفقد بذلك إسمه كما يقول الشيخ عبد الحسين صادق في هذه الأبيات الشهيرة:

"فلم تُبْقِ منه مسمّى يُرى

ولا اسماً يُحلّى به المسمعُ

بلعتهما غير مستأثم

ولا منكر ما له تصنعُ

أتيت بها أي أعجوبة

بها جبلٌ جبلاً يبلعُ"[1]

وبعد أن "ابتُلع" الجبل، لم يندمج العامليون في كيان لبنان الكبير الجديد. فقد أظهر موقفهم، إلى أن تم توقيع المعاهدة الفرنسية اللبنانية سنة 1936، أن حدود الدولة الجديدة بقيت في نظرهم قابلة للتعديل، وأن موقع جبل عامل قابل للتفاوض. بالإضافة إلى أنهم إحتفظوا بإحساس واضح بأن المفوض السامي الفرنسي هو الذي يدير البلاد وأنه لا يقيم وزناً للحكومة اللبنانية. ويتضح ذلك لدى قراءة الوثائق في الأرشيف الفرنسي، أكان الأمر متعلقاً بالمعارضين للإنتداب أم بالموالين له[2].

كان الوجهاء أول الداخلين في الدولة الجديدة، حتى أنهم أظهروا في ذلك بعض الحماسة، مدفوعين بالطبع، بدافع المنافسة لا بدافع العقائد السياسية. وهكذا فقد تقدم فضل الفضل ويوسف الزين إلى منصب مدير النبطية منذ شهر آب سنة 1920م. وبعد ذلك بشهر،

---

(1) عبد الحسين صادق، سقط المتاع، الجزء الأول ص 149.

(2) ورد مثلاً في مذكرة بعنوان "الشيعة" كتبها "زينوفي بشكوف" (1932؟): "يبقى سكان جبل عامل على وجه العموم متعلقين بفرنسا، إلا أنهم يتجاهلون حكومة بيروت تجاهلاً تاماً. فإن من يحكم البلاد هو فرنسا في نظر جمهور الناس...

أنظر: Archives MAE, fonds Beyrouth, carton n 456. Cabinet politique dossier. Revendications de la communaute chite.

سعى يوسف الزين لنيل منصب المتصرف في صيدا، وحاول رشيد عسيران، هو أيضاً، أن يُعين عضواً في المجلس الإداري[1].

وقد شرع معظم الوجهاء العامليين بإظهار المشاعر المؤيدة للفرنسيين وللإنتداب . ومنهم من كان قد بكر في إختيار فرنسا: فقد أظهر نجيب عسيران ميله إليها منذ سنة 1918م، ثم إستقبل يوسف الزين في أوائل سنة 1919م ضابطاً فرنسياً عبّر له عن "مشاعره الحارة" نحو بلاده[2]. أما إسماعيل الخليل، فقد حقق إنقلاباً في موقفه بعد مؤتمر وادي الحجير، وكان إلى ذلك الحين لا ينفك عن إعلان مساندته للحركة العربية، فبعد أن خالف مقررات المؤتمر، إنقلب إلى الجانب الفرنسي، فنبههم إلى المخاطر التي تحيط بالمسيحيين، ورافق رتل الجنوب المكلف بقمع التمرد. ثم عاد بعد ذلك إلى "الحبيب الأول"، فنادى في بداية العقد الرابع، بالوحدة السورية[3].

كان إنضواء جبل عامل في دولة جديدة، يحكمها، نظام سياسي من النمط الحديث، إضافة إلى وجود سلطات الإنتداب، قد سرّع في إعادة تشكيل المشهد السياسي الذي كان قد بدأ بالتغير، كما رأينا، منذ ظهور الفكرة القومية، وقد اراد الفرنسيون في أول الأمر أن يعتمدوا على الموظفين المحليين بدلاً من الوجهاء والعلماء الذين كانوا خلف الزعماء، يقودون إلى ذلك الحين القضايا السياسية في جبل عامل[4]. على أنه لم يكن في إمكانهم أن يستغنوا كلياً عن التعامل مع مجموعة الوجهاء ذوي الأثر الكبير على السكان والذين كانوا يستعدون للإنقضاض على المسرح السياسي الوطني لكي يمثلوا فيه جبل عامل. ولذلك إختار الفرنسيون بعض "الزعماء" وخصّوهم بالدعم في مقابل الإخلاص لهم[5]. وهذا ما كان،

---

(1) وضاح شرارة، الأمة القلقة، ص 305. وكان في كل سنجق لجنة إدارية مؤلفة من عشرة أعضاء تعيد تعيينها حكومة لبنان الكبير كل سنة بإيعاز من المتصرف. وكان يوسف الزين عضواً فيها إلا أنه لم يصل إلى مركز المتصرف.

(2)Archives SHAT, Levant, sous-serie 4H, carton 4H 9, dossier, colonne du Liban- Sud, 11/1-3/2/1919, rapport du capitaine Recoura, 4/2 et 8/2/1919 .

(3)Archives SHAT, carton 4H 143, dossier, Operations de la colonne Sud, aout sud, aout 1919-sept, 1920, letter de. Gouraud a Nieger, 28/5/1920, archives MAE, fonds Beyrouth, carton n 1664, poste de Tyr, BIH n 21, du 28/10 au 4/11/1931 وأنظر أيضاً حسن قبيسي، تطور مدينة صور الإجتماعي، ص 124، ويستند فيه المؤلف إلى مقابلة بينه وبين إبن إسماعيل الخليل.

(4) قبل ذلك، حين بدأت عملية قمع الهجمات على القرى المسيحية، سنة 1920، لاحظ العقيد "نياجر" أن توزيع الغرامات بواسطة الوجهاء الشيعة في صيدا لم يخدم غير مصالحهم، وأنها كانت موضع نقد شديد من قبل السكان، فإستنتج من ذلك أن العقاب يجب أن يبقى "مسألة" تختص بالقيادة بين السلطة الفرنسية والسلطة المحلية الممثلة بالمتصرفين. أنظر Archives SHAT, groupement sud, situation politique du Djebel Amel a la date du 23/6/1920

(5) كتب "نياجر" إلى "غورو" سنة 1920 يقول: "علينا أن نحتفظ ببعض الزعماء المختارين من بين من لم يتورطوا وأن تزيد في سلطتهم..." Archives SHAT, carton 4H 143, letter de Nkeger a Gouraud, vers les 24-25 mai 1920.

بالأخص، من أمر يوسف الزين، وكان من مالكي الأراضي الأغنياء، وقد أحلوه محل الزعيم المخلوع كامل الأسعد، إلى درجة أن معظم العلماء لم يخطئوا الظن فيه فرأوا فيه رجل الساعة القوي في المنطقة فساندوه، وهذا ما كان مثلاً من أمر السيد عبد الحسين شرف الدين والسيد محسن الأمين، ولو أن ميول هذا الأخير كانت تتجه نحو آل الصلح، وليس نحو الوجهاء المساندين للإنتداب.

ولقد إستعاد كامل الأسعد، بعد عودته من منفاه، أمواله المصادرة، إلا أنه لم يستعد سلطته، وكانت نهاية حكمه نهاية الزعامة التقليدية التي كانت بيد آل الأسعد، ولقد خلفه، بعد وفاته سنة 1924م، أخواه محمود وعبد اللطيف في جوّ من الخلاف أضر بهيبة الأسرة[1]. ولم يكن لدى الأول، وقد راهن الفرنسيون عليه، أي ميل إلى السياسة، أما الثاني، وكان مناصراً للعروبيين، فقد إنتخب نائباً في البرلمان، إلا أنه لم يكن بحجم أخيه المتوفي، كما أن الحال كان قد تغير، فلم يكن وحده في الميدان ليمثل جبل عامل، وكانت المنافسة على أشدّها بينه وبين من كانوا يتصرفون على أنهم زعماء جدد، من أمثال يوسف الزين.

وكان جبل عامل يقوم بالتدرب على التعددية السياسية، ولو لم يكن فيه أحزاب، بل تجمعات تتشكل حول الوجهاء، فلم يعد إجماع النخب مطلوباً، ولا الوحدة خلف الزعيم، بل إكتساب القدرة على تشكيل الأحلاف (كالحلف بين فضل الفضل ويوسف الزين في مواجهة نجيب عسيران)، وعلى مصارعة الخصوم أو مهادنتهم، وعلى تنظيم الحملات. وكان العلماء والأدباء والوجهاء يشاركون في القضايا العاملية على نحو مستمر، إلا أنهم بدأوا منذ ذلك الحين بالإنقسام إلى عدة جهات تتميز الواحدة منها عن الأخرى. وقد إستمر العلماء في هذا التشكيل الجديد، بالقيام بدور الحكم ودور ريادة الرأي. ولذلك فإن الشيخ حسين مغنية غالباً ما كان يُطلّب منه أن يدعم هذا المرشح أو ذاك المشروع، إلا أنه كان يأنف من الإنخراط في القضايا السياسية. وكان تردده هذا، مضافاً إلى موقعه بإعتباره "رئيس العلماء"، يزيدان في تأثيره ويجعلان منه حليفاً مثالياً. كذلك فإن بعض "المجالس" الصغيرة كانت تعقد بمشاركة

---

(1)Archives MAE, fonds Beyrouth, carton n 1675, bulletin de renseignements du Grand Liban, 1924-1926, p.1-2. أثارت معركة الخلافة هذه ضجة كبيرة، دخل فيها مناصرو كل من الأخوين، وكذلك موظفون ووجهاء، وحتى العلماء ومنهم عبد الحسين شرف الدين وقاضي صور حبيب مغنية.

العلماء في بعض الأحيان، بهدف معالجة إحدى القضايا في إطار لجنة محدودة قبل أن تدخل في إطار النقاش العام: من ذلك مثلاً، إجتماع تم سنة 1925م في منزل رضا الصلح حضره بعض رجال الدين، بهدف مصالحة، في السر، بين الأخوين المتخاصمين رشيد ونجيب عسيران، المرشحين عن المقعد نفسه(1).

وكان للخاصة، أي النخبة، رأيها في القضايا الداخلية المتعلقة بجبل عامل، إلا أنها لم تعد تتصرف على أنها نيئة شبه متكاملة. أما تمثيل المنطقة فقد كان يؤمنه النواب المنتخبون والمكلفون بدمج جبل عامل بلبنان(2). على أن بعض "المجالس" المؤلفة من العلماء والوجهاء كانت تُشكِّل أحياناً فتتدم بالشكاوى إلى المفوض السامي، أو تدعم مرشحاً لوظيفة إدارية، أو تشكل وفداً للدفاع عن قضيها في بيروت. وكانت هذه المجالس تتوسع كلما تعلق الأمر بحملة دعائية تنتظم جبل عامل كلّه.

وقد حدث ذلك بعد إنطلاقة الثورة السورية في حزيران سنة 1925، إذ عبّر العامليون عن تعاطفهم مع الثوار وبالغوا في تشجعيهم وأرسلوا إليهم سيارات محملة بالفواكه والحلويات، وبدأ بعض الوطنيين بتوزيع العرائض المؤيدة للوحدة السورية(3).

وإذ خشي جماعة من الوجهاء والأدباء والعلماء من إنتشار هذه الحركة وإضطرام الوضع في جبل عامل وإحياء القلاقل الطائفية على غرار ما حدث سنة 1920م، إجتمعوا في النبطية في الخامس من كانون الأول بدعوة من محمود الأسعد ومحمد الفضل. وكان الهدف من هذا الإجتماع تنظيم الدعوى إلى السلم، وحماية المسيحيين، والتعلق بالسلطة المنتدبة، وتأليف وفد لمقابلة المفوض السامي. وكان أمن جبل عامل ووحدته، التي إنفطرت سنة 1920م بسبب الفتنة، بتعبير السيد عبد الحسين شرف الدين. مهددين من جديد. ولذلك فإن أنصار الوحدة السورية الراسخين من أمثال الشيخ أحمد رضا والشيخ أحمد عارف الزين، تحالفوا مع الوجهاء المقربين من الفرنسيين، كذلك فإن نواباً متخاصمين قبلوا أن ينضووا تحت راية موحدة. وقد إنضم إليهم علماء كبار، منهم السيد محسن الأمين، وكان قد ترك

(1) Archives MAE, ibid, bulletin de renseignements n 281/d du 21/2/1925, p.3 et 4

(2) أنظر، حول هذه المسألة، Albert Hourani, “Ideologies of the Mountain and the City”.p.35

(3)Archives SHAT, carton 4H 150, Historique des evenements militaries du Liban Sud (sep. janv.1927) troupes du grand Liban, secteur sud

دمشق وإلتجأ إلى شقراء[1]، والشيخ عبد الحسين صادق والشيخ يوسف الفقيه والشيخ منير عسيران[2]. وقد آتت هذه الحملة ثمارها، فإلتجأ مسيحي مرجعيون إلى النبطية، هروباً من المعارك، وإستقبلهم أهلها بالترحاب[3].

ولم يفت سلطات الإنتداب أن تمارس ضغطها الفعال على العامليين لمنعهم من مساندة الثورة، ولا سيما في صيدا، حيث كان من المنتظر أن تقوم حركات التضامن مع دمشق[4]. كذلك فإن هذه السلطات أنشأت سرية من القناصة أفرادها من الشيعة، مكلفة بحفظ الأمن في جميع أنحاء جبل عامل[5].

وكانت، بموازاة ذلك، تكافئ بعض الوجهاء بإعطائهم الوظائف في الإدارة، حتى تكسب ولاءهم، وفي الختام، أقرت لشيعة لبنان بتشريعهم، جامعة بذلك وجودهم، رسمياً، بإعتبارهم جماعة طائفية. وقد لاقت هذه البادرة في المقابل لدى جميع أبناء الطائفة علامات الرضى والعرفان بالجميل. فبقي العامليون هادئين خلال الثورة السورية التي جرت أحداثها بين عامي 1925م و 1927م.

وقد إعتبر احد التقارير الصادرة سنة 1928م، أن جماعة الشيعة كانوا يتصرفون بولاء منذ سنة 1920م، وأن تعلقهم بالإنتداب كان شديداً، وأنه لا خطر من تحولهم إلى جماعة الوحدويين، وقد قدّر محرّر التقرير: "أنهم يستحقون حسن التفاتنا إليهم"، مضيفاً إلى ذلك لائحة بالإصلاحات التي ينبغي تحقيقها لتحسين الحال في جبل عامل، حيث الإفتقار الشديد إلى الطرق والمدارس، والشكوى من الظلم الضريبي وغياب المساحة العقارية[6]. وقد حُرّرت تقارير بنفس هذه اللهجة على مدى فترة الإنتداب من قبل ضباط فرنسيين تؤكد

---

(1)) كان بعض شيعة دمشق، على غرار محسن الأمين، قد تركوا دمشق هرباً من الحوادث، وكانوا قد إلتجأوا إلى جبل عامل، ولا سيما إلى صيدا، حيث كانوا يخضعون لمراقبة خاصة من قبل السلطات الفرنسية Ibid. Bulletind du 9/5/1926

(2)) إشترك في هذا الإجتماع 25 شخصية عاملية، Archives MAE. Ibid. Bulletin n 3483/du 11/12/1925، وكان من بين كبار الغائبين عنه حسين مغنية، كعادته في الإحجام عن الإجتماعات السياسية، وعبد الحسين شرف الدين، وكان نادراً ما ينضم إلى مثل هذا الإجتماع، إما لأن له فيه أخصاماً أو لأنه كان يفضل العمل منفرداً.

(3) "موقف الشيعة النبيل"، البشير، العدد 3411 (1925) ص 2.

(4)) أرسلت إلى ميناء صيدا بعض القطع البحرية الحربية، وقد هدد قائدها الوجهاء بتدمير المدينة بالمدافع لدى أدنى حركة من التمرد. Archives SHAT , carton 4H 150, Historique des evenements militaries du Liban Sud

(5) أنظر: “La tornee du colonel Pichot- Duclot au Liban Sud” (1928), p. 6-8 وقد كثرت التقارير بهذا المعنى وأجمعت على أن الشيعة في جبل عامل لن يقاوموا دولة لبنان أو سلطة الإنتداب.

(6) Archives SHAT, carton 4H 150, “Circonscription du Liban Sud” (1928), p.6-8، وقد كثرت التقارير بهذا المعنى وأجمعت على أن الشيعة في جبل عامل لن يقاوموا دولة لبنان أو سلطة الإنتداب.

مطالب العامليين، الذين كانوا يطالبون بإصلاحات وتدابير لتغيير ظروف معيشتهم. وكان الفتى حسن الأمين قد قال للمفوض السامي "ماكسيم ويغان"، وقد ذهب ليلقاه إثر زيارته مدينة صور: "إنك لا تستطيع أن تذهب إلى أبعد من صور لأن طريق السيارات ينتهي بصور، وإذا إستطعت الوصول بإحدى الوسائل إلى ما هو أبعد من صور فإذا مرضت هناك فلا طبيب يعودك، وإذا كان لك ولد هناك فلا مدرسة تأويه..."[1].

وكان العامليون في نهاية العقد الثالث من القرن العشرين، يحملون الأمل بأن يُسمع صوتهم. فقد حصل الشيعة على ما كانوا يعتبرونه "حقاً لهم"، وهو الإعتراف الرسمي بطائفتهم، وكانوا ينتظرون أن تُؤمّن لمنطقتهم ما يلزمها من بنى تحتية ومؤسسات، وكان كثيراً، اما ما حُقِّق منه فكان النزر القليل مقارنة بالحاجات. والظاهر أن كبار موظفي الإنتداب لم يكونوا يقيمون وزناً لهذه التقارير التي كانوا يتلقونها، وأنهم كانوا لا يقيمون وزناً للقضايا الإقتصادية والإجتماعية التي كانت تواجه المنطقتين المحرومتين في لبنان، الشمال والجنوب، وكان المفوض السامي يركز إهتمامه على الوجهاء الذين كان يتعامل معهم، من أمثال يوسف الزين، وبمقتضى قول "بيير روندو"، كان هؤلاء "يخفون عنه المشاكل الإجتماعية ويطمسون الواقع"، ولذلك فإن الجنوب لم يكن يطرح مشكلة على إدارة الإنتداب، ولن يكون كذلك طالما أن "أربابه" تحت السيطرة، أي طالما أنهم ينالون حصتهم من التمثيل في المجلس وفي الوظائف الحكومية. على انه منذ بداية العقد الرابع من القرن العشرين، قام العامليون بتشديد مطالبهم وأظهروا عدم تعاطفهم مع الحكومة اللبنانية. إلا أنهم كانوا يلومون، أكثر ما يلومون، فرنسا "لإهمالها هذه المنطقة، وتركها بلا طرق ولا مدارس ولا أي التفاتة إليها..."، وهذه كلمات المستشار الإداري نفسه، المقيم في صيدا "زينوفي بشكوف"[2].

---

(1) حسن الأمين، ذكريات، الغدير، 1973 ص 78-80.

(2)“Les chiites”, archives MAE, fonds Beyrouth , carton n 456, cabinet politique dossier, revendications de la communaute chiite

ثانياً: العامليون الوحدويّون:

عصي على الفرنسيين شقٌّ كامل من الحياة السياسية العاملية. فقد كانوا يعرفون الوجهاء على نحو مقبول، ويقدرون أثر العلماء حق قدره، وكان معظمهم يؤيد الإنتداب ولبنان الكبير، إلا انهم أهملوا أثر الأدباء، وكانوا ينشرون مؤلفاتهم، ويكتبون في الصحافة مقالاتهم، ويقيمون صلات بينهم وبين رجال الأدب والسياسة في بيروت ودمشق، هذا بغض النظر عن صلاتهم بشيعة العراق وهكذا كان الفرنسيون يسيئون تقدير شخصيات من أمثال الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر ومحمد جابر آل صفا وحتى الشيخ أحمد عارف الزين، فلم يروا فيهم إلا إثارة الشغب وطلب الوحدة.

ففي مقابل الحس العملي لدى الجزء الأكبر من الوجهاء الذين رأوا على الفور المصلحة في دخولهم في لبنان الكبير، وفي مقابل مراوغات الذين كانوا يريدون إظهار أنفسهم بحسن المظهر أمام مناصري اللبننة في بيروت ومناصري العروبة في دمشق في آن معاً، قامت مجموع من الأدباء العامليين بمواجهتهم بموقف مثالي لا يتزعزع. وقد تابعوا، منذ إقامة الإنتداب وإنشاء دولة لبنان الكبير إلى توقيع المعاهدة الفرنسية اللبنانية عام 1936م، دفاعهم عن الوحدة السورية، ومطالبتهم بإلحاق جبل عامل بسوريا، كما أنهم تابعوا نضالهم ضد الإنتداب الفرنسي، ولم يكفوا بعد سنة 1936م عن محاربة الوجود الفرنسي، وكان يدعمهم في ذلك أفراد من البورجوازية السنيّة في صيدا، من المقربين من رياض الصلح.

وكانت وسائل العمل لدى الوطنيين محدودة، بسبب التضييق على حرية التعبير وإنشاء الجمعيات المفروض من قبل سلطات الإنتداب التي كانت تلجأ، بالإضافة إلى ذلك، إلى الإعتقال بدون محاكمة[1]. فكانوا يوجهون، مع ذلك، العرائض إلى عصبة الأمم يعرضون فيها شكاويهم ومطالبهم[2]، ويقومون بحملاتهم الدعائية في الصحافة، على نحو

(1)Albert Hourani, Syria and Lebanon, p. 176

(2) من الملاحظ أن الوطنيين لم يكونوا الوحيدين الذين يتوجهون إلى عصبة الأمم. بل كانت تصلها عرائض أيضاً من جهة الخصوم. ويكفي أن نستشير الأرشيف الفرنسي حتى ندرك أن لعبة العرائض هذه كانت تجعل الوضع غامضاً بدلاً من إجلاله. والحق أن بعض الموقعين كانوا يغيرون رأيهم، والبعض الآخر كانوا يوقعون عرائض متعارضة في الوقت نفسه (مدعين أنهم أجبروا على ذلك)، ولم يكن ذلك خاصاً بجبل عامل.

شديد في بعض الأحيان. فقد كتب الشيخ أحمد عارف الزين سنة 1929 في إفتتاحية العرفان قائلاً: "إننا نجاهد لكي نحارب المنتدبين، فإنهم عبء ثقيل على كاهل الأمة". كما أن الوطنيين من العامليين قد شاركوا في الإجتماعات التي كانت تضم المسلمين، كما حدث في بيروت في كانون الثاني سنة 1932م إذ عقد إجتماع لتحديد موقف موحد من الإحصاء. وقد طالبوا بالإلتحاق بسوريا بمناسبة التجمع الوحدوي سنة 1933م و1936م[1] .

وشاركوا في المؤتمر الإسلامي في القدس سنة 1931م، وبعد ذلك، في المؤتمر العربي في بلودان سنة 1937م. وكان في جميع هذه المناسبات "ممثل" عن الوطنيين العامليين، بأدنى حد، ولا سيما من الخلية الصغرى التي كانت تضم الشيخ أحمد عارف الزين والشيخ أحمد رضا وسليمان ظاهر ومحمد جابر آل صفا. ولم يكن لهؤلاء الرجال، وقد درسوا في المدارس الدينية التقليدية العاملية، العدة الكافية التي كانت للمتخرجين الجدد من المدارس الحديثة من الوطنيين الشباب الذين التحقوا بهم من أمثال الطبيب فؤاد عسيران والمحامي كاظم الخليل. وكانوا قبل ذلك سنة 1920م قد أخذوا على حين غرة لنقص عدتهم اللازمة في تدبيج كلامهم الملائم للموقف السياسي وللتغيرات الطارئة.

إلا أنهم مضوا في حلمهم الذي بدأوه، في كتاباتهم، في نهاية الدولة العثمانية، محاولين دفع جبل عامل إلى دولة كبيرة. وعلى الرغم من خيبة الأمل العميقة التي أصابتهم بعد أن فشلوا سنة 1920م- فشل العامليين وكذلك فشل الحكومة العربية- فقد بقوا على إيمانهم في ضم جبل عامل إلى سوريا الكبرى، وعلى دفاعهم عن الوحدة العربية والوحدة الإسلامية.
وفي بداية العقد الرابع من القرن العشرين، كان شيعة جبل عامل غير راضين عن مصيرهم المقرر في صلب الدولة اللبنانية، فطوروا مطالبهم ونظموها. وقد بدأوا بالمطالبة بالحكم الذاتي لمنطقتهم، على غرار المنطقة العلوية في ظل رعاية فرنسا المنتدبة. وقد نالت هذه الفكرة بعض النجاح في صفوف الجماعة طوال عدة سنوات[2]. إلا أن بعض الوطنيين كانوا،

---

(1) (3) إجتمع بعض الوحدويين في بيروت في 1933/11/16 للمطالبة بالإلتحاق بسوريا، وفي 1936/3/10 عادت هذه المطالب للظهر على الرغم من بعض الخلافات بين المجتمعين، وفي صيدا في 1936/7/5 طالب موفدون من طرابلس وجبل عامل بالوحدة مع سوريا وبالإستقلال والسيادة الوطنية. وفي 1936/10/23، بعد توقيع المعاهدة الفرنسية السورية، إجتمع الوحدويون في بيروت للإحتجاج والإعلان عن بقائهم على مواقفهم. وكانت ترافق جميع هذه المظاهرات حملات لتوقيع العرائض في جبل عامل وفي غيره من المناطق.
(2) أعلن محمد جواد شرف الدين، إبن عبد الحسين، مفتي صور، "ليشكوف"، أن غالبية أبناء طائفته يفضلون إستقلال جبل عامل بحماية الفرنسيين، وقد تلقى الضابط الفرنسي بعد ذلك، طلبات مشابهة من وجهاء ورؤساء روحيين من الشيعة، وقد تقم النائب يوسف الزين بعريضة بهذا المعنى إلى المفوض السامي في كانون الأول سنة 1933، Archives MAE, fonds Beyrouth, carton n 1679,bulletins hebdomadaires d’informations.H.C Beyrouth et postes. 1929-1931. BIHn 4 du 1/7 au 8/7/1931, postye de Tyr:

في تلك الأثناء، يفكرون على نحو جذري بإستقلال جبل عامل. فقد قام الشيخ أحمد رضا بتحريض مواطنيه على العمل في هذا الإتجاه وإنضم في الوقت نفسه إلى دعاة الوحدة الإسلامية. إلا أنه كان يكتفي، على وجه العموم، بالدعوى إلى الإلتحاق بدمشق في مجالسه الخاصة وفي مقالاته الصحفية[1].

ولم يعد هذا الجيل من العروبيين العامليين قادراً على تطوير مشاريع المستقبل، إلا أنه برهن عن ثباته على رأيه، وعن دعمه لمبادرات الجيل الأصغر منه، وعن حفاظه على ذكرى أحداث وأشخاص كان متعلقاً بهم كما لو كانوا رموزاً له: الثورة العربية، ثورة سنة 1920م، الملك حسين وإبنه فيصل. وهكذا فقد نظم السيد محسن الأمين والشيخ سليمان ظاهر وأحمد رضا إحياء ذكرى الأربعين للإمام الحسين (ع) في النبطية[2]، بعد ذلك بقليل نشر الشيخ أحمد عارف الزين مقالة يمجد فيها "الشهداء" العامليين الذين أعدموا سنة 1920م، ويجعلهم، مثالاً للشبيبة يقتدى به. وقد أوقفت سلطات الإنتداب مجلته، وكان ذلك من دواعي سرور الوجهاء المحليين، بإعتبار أنها كانت "تعكر الأمن"[3].

وفي إشارة إلى مرور الزمن، فقد جرت إحتفالات ذكرى أربعين فيصل في بنت جبيل وصيدا بدلاً من النبطية، وذلك في تشرين الأول سنة 1933. أما "القدماء" وعلى رأسهم السيد محسن الأمين، فقد ذهبوا إلى بغداد لحضور الإحتفالات فيها. مما يعني أنهم تركوا همّ تنظيم هذه التحية الأخيرة إلى الملك من جبل عامل، لهمّه الشبيبة من الوطنيين، فقاموا بها خير قيام متبعين في ذلك الخط السياسي الذي اتبعه أسلافهم: فإحتفلوا ببطل الإستقلال العربي وإنتقدوا القوى الغربية لأنها حاولت إخضاع المسلمين[4].

---

(1) Archives MAE, carton 1664, poste de Tyr, BIH n 8 du 29/7 au 5/8/1931, “A/s Un nombre d’ouleymas chiites se reunite a jenata chez la Sayed Amin”, p.6, BIH n21, du 21/10 au 28/10/1931 carton n 1664, poste de Tyr, BIH n 18 du 27/4 au 4/5/1932, p.6 carton n 456, cabinet politique, revendications de la communaute chiite, surete generale, Beyrouth, information n 7598, 11/12/1933 أنظر أيضاً المقالة: "هل طلب الشيعة الحماية من فرنسا؟"، العرفان، المجلد 26، عدد 6، ص 456-467 (تشرين الثاني 1935) وهي مقالة له غير موقعه بالطبع، يؤكد فيها عروبة الشيعة وإنتماءهم إلى الإسلام وتعلقهم بالوحدة ورفضهم للإنتداب.

(2) نظراً لعدم تمكنهم من الذهاب إلى القدس للمشاركة في الإحتفالات، فإنهم قد دعوا العامليين لملاقاتهم في جامع النبطية في 13 تموز 1931 Carton n 1679, poste de Tyr, BIH n4, du 1/7/au 8/7/1931

(3) حول هذه المسألة أنظر Archives MAE, fonds Beyrouth, carton n 1664, poste de Tyr, BIH n21 du 28/10 au 4/11/11/1931, n23 du 12/11 au 18/11/1931,p.8: n28 du 16/12 au 23/12/1931.p.9: n40 du 7/11/1931, n10 du 2/3 au 9/3/1932.p.8

(4) وكان الوفد برئاسة محسن الأمين وعضوية أحمد عارف الزين وأحمد رضا وسليمان ظاهر أنظر: Archives MAE fonds Beyrouth, carton n1663, BIH n 43 du 15/10 au 22/10/1933, poste de Tyr, et BIH n 43 du 16/10 au 22/10/1933, poste de Merdjayoun

وإبتداءً بالعقد الرابع من القرن العشرين ساكن الوطنيون العامليون الأول، الشباب المتخرجين من مدارس دمشق أو النجف بما لديهم من نظرة مختلفة إلى مجتمعهم، وبما لديهم من مصادر ومناهج مختلفة في إظهار آرائهم. وكان البعض منهم من بلدة بنت جبيل، فأحدثوا فيها سنة 1936م عصياناً، بعد أن قلبوا النظام القائم على النخب التقليدية من الوجهاء والعلماء. وقد كان العلماء العامليون، ما خلا بعض الإستثناءات، قد تخلوا عن أملهم بالعروبة وإنخرطوا باللبننة وأيدوا الإنتداب الفرنسي، وهذا ما كان من أمر السيد عبد الحسين شرف الدين على الأخص. فكان لا بد لنا إذن، من أن نعرض مسيرة مجتهدنا قبل أن نستعيد الأحداث التي هزت جبل عامل سنة 1936م، وجعلته يواجه الشبيبة الوطنية.

ثالثاً:"السيد الكبير" وجنود الفرق الأجنبية:

"سيد صور الكبير" أو "سيد المتاولة الكبير"، بهذا اللقب كانت سلطات الإنتداب الفرنسي تدعو السيد عبد الحسين شرف الدين، معتمدين بذلك عبارة "السيد الكبير" التي كان الشيعة يطلقونها للكلام عن الذي كانوا يعدّونه على أنه الرئيس الروحي للطائفة. أما جندي الفرقة الأجنبية، فكان "زينوفي بيشكوف"، شخصية خارجة عن المألوف، أقام في لبنان الجنوبي وإعتبر ممثل السلطة المنتدبة، فطبع إسمه في ذاكرة العامليين. وقد خلّده الشعراء في أبياتهم، وما يزال المسنون يتذكرونه إلى اليوم. يقول عنه حسن الأمين أنه "كان طاغية" وما يظهر صفاته بنتيجة مسيرته المهنية في الفرقة الأجنبية يثبت أنه كان محارباً جسوراً وقادراً على قيادة الرجال ودبلوماسياً حاذقاً في آن معاً[1].

ولا ريب في أن "بشكوف" كان طاغية في نظر العامليين، وبطلاً في نظر الفرنسيين، وهو كذلك في الوقت نفسه، بل أكثر من ذلك، فقد ظهر هذا الضابط، أول ما ظهر، في صور سنة 1931م، فإعتباره ضابطاً للمخابرات[2]. وقد دامت إقامته في جبل عامل إلى آخر العام 1936م، تخللتها بعض المهمات في المغرب. مما يعني أنه وصل في الوقت المناسب لكي

---

(1) ملخص وقائع خدمة "زينوفي بشكوف" كتبها المعاون الأول كان"، محافظ متحف الفرقة الأجنبية، في "أوباني".
(2) كان للمخابرات موقع، إلى ذلك الحين، في مرجعيون، أما موقع صيدا فكان شاغراً منذ عدة أشهر وفي آذار سنة 1931 أقيم موقع آخر في صور ملأه "زينوفي بشكوف" طوال عدة أشهر. أنظر: Archives MAE, fonds Beyrouth, carton n1679, BIH Beyrouth et postes, 1929-1931, BIH n 13 du 6/3 au 11/3/1931, capitaine Maure, poste de Merdjayoun.

يرى ويشهد على تغيرات كانت تلحق بالمجتمع وبالحياة السياسية في المنطقة، لأن تلك الفترة القصيرة كانت قد عرفت، قبل توقيع المعاهدات بين فرنسا والدول الواقعة تحت الإنتداب، إنقلابات عميقة. أضف إلى ذلك أن "بشكوف" كان يترصد أقل حدث يهز لبنان الجنوبي. بل أكثر من ذلك، فإنه منذ وصوله، قد جمع المعلومات عن المنطقة، وأقام الأبحاث في الأرشيف القنصلي، وحرّر بسرعة تقريراً عنونه "بالشيعة". وقد تطرق فيه إلى تاريخ جبل عامل وإلى المذهب الشيعي والشعائر التي يمارسها السكان. ومختلف الفئات التي تؤلف المجتمع، المواقف السياسية لكل منها[1]. وقد إستعمل هذا التقرير الموثق كثيرون من المؤلفين المهتمين بجبل عامل، فلم يستخلصوا منه المعلومات فحسب، بل كذلك وجهة نظر "بشكوف" في مستقبل المنطقة[2]. والحق أن هذا الأخير قد توصل إلى إستنتاج فكرة ظل يدافع عنها بعد ذلك: "لسوف نحتفظ وقتاً طويلاً بتعاطف هذه الجبهة الشيعية المؤلفة من مائة ألف نفس... إذا ما قمنا بالتحسينات الضرورية للحياة المادية في هذه المنطقة".

وقد ترك "زينوفي بشكوف" لبنان، ثم عاد بعد بضعة أشهر إلى بيروت، فأبقاه المفوض السامي "هنرى بونسو" في مكتبه. وكان المفروض أن يُعيّن في سوريا بإعتباره ضابطاً، وذلك لأن التوتر الذي كان يسودها تطلّب العسكريين. وكان لبنان، نظراً لهدوئه، مجالاً للمستشارين المدنيين المؤهلين على نحو أفضل للإدارة، ومن الطبيعي أن يكون "بشكوف" قد إكتسب حظوة عند "بونسو" وإستحق على كل حال، وظيفة مريحة، بعدما حققه من أعمال عسكرية وما أظهره من شجاعة تميز بها أثناء الحرب الكبرى وفي المغرب. إلا أن خليفة "هنري بونسو"، وهو "داميان دومارتيل"، عينه في صيدا في أواخر العام 1933، وذلك بهدف محدد. فقد كان المفوض السامي، بإقامته منصب المستشار الإداري في صيدا، يهدف بالفعل إلى إحباط مخططات الوطنيين في البدء بنسج الصلات بينهم وبين المراجع الدينية من الأقليات المسلمة الدرزية والشيعية[3].

---

(1)Archives MAE, fonds Beyrouth, carton n456 cabinet politique, dossier: revendications de la communaute. Chiite, Zinovi Pechkoff, “Les chiites”, 26p. Non date,cette note a du etre redigee vers la fin de l’annee 1932

(2) ومثال ذلك: j.Darche: Les chiites du Liban:

(3)Une dépêche du comet de Martel, du 8/12/1933, cite par Nadine Meouchy, Les forms de conscience politique et communautaire au Liban et en Syrie .p.283

لقد أوكلت إلى "زينوفي بشكوف"، إذن، مهمة أن يراقب الصلات المحتملة بين العامليين والوطنيين، وكان عليه، على وجه أعم، بإعتباره واحداً من ضباط الإستخبارات، "أن يراقب مزاج الناس". إلاّ أنه تولّى كذلك، منصب المستشار الإداري، وكان، بهذه الصفة، ممثلاً لفرنسا المنتدبة في القضاء[1]. وكان، كغيره من موظفي الإستخبارات، يتعدى مهمته، ويتدخل أكثر مما يلزم، في قضايا السياسة المحلية، إلى درجة إعتبره فيها السكان طاغية[2]. فقد أعطى، مثلاً، آل عسيران وآل الفضل حظوة، على حساب يوسف الزين وحاول أن يقصي عبد اللطيف الأسعد. كما أنه كان يتصرف أحياناً في دائرة نفوذه كما لو أنه كان مليكاً صغيراً عليها: وكان حينما يزور بنت جبيل مثلاً، تتنافس أسر الوجهاء لإستقباله في مركز البلدية، على وقع الطبل والزمر[3].

ولا بدّ من الإشارة إلى رصيد "بشكوف" الإيجابي ودعمه لمطالب الشيعة العامليين، ولا يقتصر ذلك على ما يتعلق بالبنية التحتية، وقد لزم مجتهدنا جانب الصمت منذ أن عاد من منفاه[4]. وقد هلل للإعتراف بالفقه الجعفري سنة 1926م. ثم إنه أظهر رضاه عن تعيين إبنه السيد محمد جواد في منصب مفتي صور، مما كان يسمح له، بالفعل، أن يدير الحركة الدينية المحلية "بالوكالة"[5].

وهكذا فإن السيد عبد الحسين شرف الدين قد حاد عن الأفكار الجديدة التي كانت تظهر حاملةً الأمل بالمستقبل لدى الوطنيين المؤيدين للإيمان بالوحدة السورية. والحق أنه جابه مثاليتهم بحس عملي ونفاذ بصيرة في السياسة أظهرا قدرته على التأقلم وعلى التفاعل مع التغيرات السياسية والإجتماعية. وهذا يعني أنه على الرغم من تعلقه الشديد بالنظام السياسي العاملي التقليدي، فإنه كان الأول في إقتراح مشاريع المستقبل والأنفذ بصيرة، لأنه كان يشارك بذلك، على نحو إيجابي، في صهر طائفته في الدولة اللبنانية.

---

(1)Edmond Rabbath, L’evolutions politique de la syrie sous mandate, Marcel Riviere, Paris, 1928, p.99-100

(2) أنظر حول هذه المسألة 176. Albert Hourani, Syria and Lebanon, p.176

(3) أنظر حول هذه المسألة، أحمد بيضون، باسم مستعار هو عباس بزي، "بنت جبيل 1936: الإنتفاضة والإقطاع"، دراسات عربية، 11 (1969) ص 77-78.

(4) عبد الحسين، شرف الدين، بغية، الجزء الأول ص 366 والجزء الثاني ص 168

(5) ولد محمد جواد شرف الدين سنة 1906، ودرس على أبيه، ثم ذهب إلى النجف فأمضى فيها سنة وعاد مبكراً لأسباب صحية. وقد عين مفتياً في صور الإنتداب وبقي في هذا المنصب إلى وفاته سنة 1977م. أنظر: بغية، الجزء الثاني ص 358- 359. وأما نور الدين إبن أخي عبد الحسين فكان قاضياً في صور قبل أن يعين في صيدا سنة 1943، بغية ، الجزء الثاني ص 49-59، حسن قبيسي، تطور مدينة صور الإجتماعي، ص 115.

وقد تابع مجتهد صور سياسته مع الإنتداب. ومع أن عدداً كبيراً من العلماء، ومنهم الشيخ حسين مغنية نفسه، كانوا يؤكدون هذه السياسة[1].

رابعاً: أحداث العام 1936م:

إن أهمية "مؤتمر الساحل" عام 1936م، كونه من الناحية السياسية آخر مؤتمر وحدوي عقد في لبنان، فضلاً عن أنه بدأت تظهر بعد هذا المؤتمر جملة من التراجعات والتنازلات الإسلامية في مقدمتها الإنكفاء عن طلب الوحدة، وشعر المسلمون لا سيما سكان الساحل (بيروت، صيدا، صور، طرابلس) أنه لا بد من الإعتراف بلبنان الكبير مشترطين إقامة العدل والمساواة بينهم وبين الطوائف المسيحية وقد شعر المسلمون أيضاً بأن قطعهم للقسم الأسفل من تذكرة هويتهم اللبنانية التي كتب عليها "إن حاملها هو لبناني" لم يفدهم ولم يغير من واقع الحال شيئاً ونسوا بل وتغاضوا في الوقت نفسه عن القسم الأعلى من تذكرة الهوية الذي كتب عليها عبارة "دولة لبنان الكبير"[2].

ومن جهة أخرى فإنه يمكن القول بأن "مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة عام 1936" تنازعته عدة إتجاهات سياسية يمكن تلخيصها على النحو التالي:

1- الإتجاهات الإسلامية الوحدوية وتضم شخصيات أمثال: سليم علي سلام، وعبد الحميد كرامي ومحمد جميل بيهم والشيخ أحمد عارف الدين، والشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر.

2- الإتجاهات الإسلامية المعتدلة في موضوع الوحدة وتضم: عادل عسيران وكاظم الصلح وشفيق لطفي.

3- الإتجاهات المسيحية والحزبية الوحدوية (إسلامية ومسيحية على السواء) وتضم يوسف بك يزبك وصلاح لبكي ونعمة ثابت[3].

---

(1) أنظر على سبيل المثال BIH n 14 du 30/3 au 6/4/1932, p.6

(2) الدكتور حسان حلاّق: مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة 1936، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت 1982 ص 6.

(3) المرجع نفسه ، ص 33- 34.

وهذا ويمكن إعتبار مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة عام 1936م آخر مؤتمر وحدوي يطالب بتحقيق الوحدة السوريةكان التوتر على أشده، في البلاد الخاضعة للإنتداب، في أواسط العقد الرابع من القرن العشرين، فقامت الثورات في المناطق الريفية، في أماكن مختلفة من فلسطين، ولا سيما في الجليل الأدنى حيث قام الشيخ عزالدين القسام بحرب مقدسة على البريطانيين، على رأس منظمة عسكرية إلى أن قبل في ساحة القتال في تشرين الثاني سنة 1935. وكان العنف في الأرياف، وقد إستمر إلى بداية الحرب العالمية الثانية، قد عُزّز بإضراب في المدن، دعت إليه الهيئة العربية العليا في 25 نيسان سنة 1936 ودام ستة أشهر[1]. وكان العامليون في الجهة المقابلة من الحدود التي وضعتها سلطات الإنتداب، يتابعون هذه الأحداث عن قرب.

وكان الإنهيار الإقتصادي قد أصاب سوريا ولبنان إثر الأزمة العالمية سنة 1929م، مما أثار الإمتعاض والنقد حول إدارة الإنتداب[2]. وكانت سياسة تقديم التنازلات وإعطاء الوكالات الحصرية التي كان يتبعها "داميان دو مارتيل"، قد أججت التوتر، فقامت الإضرابات وظهرت حركات الإحتجاج، حتى وصلت إلى أوجها في 27 كانون الثاني سنة 1936م، حينما أطلقت الكتلة الوطنية في دمشق شعار الإضراب العام، الذي ما لبث أن إنتشر في جميع المدن السورية فدام ستة أسابيع. وقد إضطرت السلطات الفرنسية، بعد فترة من القمع، إلى التنسيق مع الكتلة الوطنية والتفاوض معها ، فذهب زعماؤها إلى باريس في وفد للتفاوض على بنود المعاهدة الفرنسية السورية.

وقد شاركت حارة الخراب الشيعية في دمشق في هذه الحركات. بل أكثر من ذلك، وقد يبدو ذلك مفاجئاً، قام السيد محسن الأمين في ذلك بدور لا يستهان به. ومع أن مجتهدنا لم يكن قد ساند الكفاح المسلح في جبل عامل سنة 1920م، كما أنه خرج من دمشق في أثناء الثورة السورية بين سنتي 1925م و1927م.

---

(1) أنظر Nadine Picaudou, Les Palestiniens 87-89. وعز الدين القسام أصله من منطقة اللاذقية، وقد درس في الأزهر، وشارك سنة 920 بالثورة العلوية على فرنسا، وإضطر إلى اللجوء إلى حيفا، فمارس فيها عدة وظائف دينية قبل أن يؤسس منظمة سرية بلغ عدد المنتسبين إليها 150 إلى 200 رجل سنة 1935م. مات شهيداً، وكان تشييع جثمانه فرصة لتحرك وطني كبير، المرجع السابق ص 87-88.

(2) أنظر Nadine Meouchy, Les forms de conscience politique,p.211

إذ كان يرى أنه من العبث القيام بمعارك خاسرة معروفة النتائج مسبقاً، نظراً لتفاوت القوى بين الفريقين، إلاّ أن ذلك لم يمنعه من أن يظل مؤمناً بوطنيته وأن يبقى شديد التعلق بعقيدته الهاشمية[1]، وكان يمتنع ، من حيث المبدأ المعادي للإحتلال الأجنبي، عن أي إتصال بسلطات الإنتداب، فلم يقم بزيارة لا "زينوفي بشكوف" ولا لغيره من المستشارين الإداريين طوال إقامته في شقراء[2]. والحق أن السيد محسن الأمين كان دائم الحذر من الدخول في القضايا السياسية من الكبار، يرفض أن يقوم بدور الريادة على نحو إيجابي. إلاّ أنه كان على إتصال برجال السياسة من الكبار، فقد كانت تربطه بزعماء الكتلة الوطنية صداقة، ولم يكن يتردد في إبداء آرائه لهم كلما رأى ذلك مناسباً.

وكان الشاب أديب الروماني، وهو من أسرة من وجهاء الشيعة، قد قدّم محسن برازي، زميل دراسته في باريس، إلى السيد محسن الأمين. وقد أصبح محسن برازي مقرباً من السيد محسن الأمين، إذ كان يزوره في غرفته "العلية" حيث كان يعمل، جالساً على الأرض بين كتبه وأوراقه. وكان هو وسعيد حيدر، الوحيدين من رجال السياسة، اللذين يدخلانها نظراً لترددهما عليه، وكان عالمنا يستقبل غيرهما في مجلسه، ومنهم: لطفي الحفار[3]، رئيس الوزراء العتيد، ونجيب الريس، مدير جريدة القبس، وفخري البارودي، وغيرهم... فكانوا يختلطون بوجهاء الشيعة في الخراب، ومنهم السيد مهدي مرتضى، سادن مقام السيدة زينب (ع)، وكان يمثل الكتلة الوطنية في الحارة، والدكتور أسعد الحكيم، عضو المجمع العلمي العربي[4]، وأديب التقي[5].

في سنة 1935 م إشتكى الدمشقيون من إدارة شركة إلترام والكهرباء، وهي شركة برؤوس أموال فرنسية مركزها بروكسل. وقد إستضاف السيد محسن الأمين يوماً بعض

---

(1) نذكر أن محسن الأمين شارك في تنظيم ذكرى الأربعين على وفاة الملك حسين، سنة 1931م. بعد ذلك بسنتين إشترك وأحمد رضا في حملة بالعرائض المطالبة بأن يعالج المسألة السورية فيصل، وكان بصدد الذهاب إلى أوروبا، وقد تكفل محسن الأمين بجمع هذه الوثائق وإرسالها إلى رياض الصلح أنظر Archives MAE, fonds Beyrouth, carton n 1663, BIH poste de Merdjayoun, n 2 du 17/5 au 23/5/1933, p.4.5

(2) يظهر من قراءة أرشيف وزارة الخارجية، أن المخابرات الفرنسية كانت تعرف محسن الأمين بإعتباره أحد كبار العلماء الشيعة، ولكن لم ترد أي إشارة في جميع التقارير إلى أي لقاء بينه وبين ضابط الموقع.

(3) كتب لطفي الحفار نصاً تحية لمحسن الأمين، يمتدح فيه صفاته وحبة للوطن، أنظر: سيرته بقلمه وأقلام آخرين، ص 179-180.

(4) كان أسعد الحكيم (1888- 1979)، طبيباً مختصاً في الجهاز العصبي، وقد أسس في دمشق مستشفيين وكان لامعاً في حياته المهنية في مجال الصحة العامة. وقد دخل عضواً في المجتمع العلمي في دمشق سنة 1923 وفي بغداد سنة 1929، نظراً لمؤلفاته المسرحية والروائية والصحفية (وقد نشر في مجلة العرفان). أنظر مستدركات أعيان الشيعة، المجلد 7، ص 83، أديب الروماني ص 613-639

(5) محمد فضل الله، "الجانب الإجتماعي والإصلاحي من حياة العلامة السيد الأمين"، في المصلح الإسلامي السيد محسن الأمين، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق، دمشق 1992، ض 85- 92

زعماء الكتلة الوطنية، فإقترح عليهم مقاطعة الشركة ومحاربة إحتكارها، وخاطبهم بكلام مثير للعزة والفخار العربيين المفقودين، إذ إنهم يفضلون البقاء تحت سلطة شركة أجنبية على أن يتخلوا عن الكهرباء. إستنتج قائلاً بأن هذه القضية يجب أن تكون بداية للثورة على الفرنسيين. فرجوه أن يعيد قوله على الملأ، فرفض وكلّف الحضور بأن يقوموا بذلك عنه[1]، ثم قُرِّرت المقاطعة ونفّذها الناس، بل أحرقوا حافلات الترام التابعة للشركة، وقد نتج عن ذلك الإضرابُ الخمسيني الذي بدأ في أواسط كانون الثاني سنة 1936م[2].

في لبنان، منحت الحكومة سنة 1935م، الحق الحصري في زراعة التبغ وتسويقه، إلى شركة الريجي. فقام البطرك عريضة على رأس حركة إحتجاج ضد هذا الحق الحصري، إذ كان يهدد مصالح المزارعين في لبنان الشمالي. وبذلك تكون الشكوى قد طالت التيار المناصر للإنتداب الذي حالف الكتلة الوطنية السورية والكتلة الدستورية اللبنانية للمطالبة بالوفاق بين الطوائف في لبنان المستقل. أما مناصرو الوحدة السورية فقد إنقسموا بين من بقي على موقعه وبين من إنضم إلى الصفوف اللبنانية[3]. وقد بقي الوطنيون العامليون على وفائهم للوحدة السورية، وكانوا قد قاوموا إلى ذلك الحين مغريات اللبننة. ولقد قامت، إضافة إلى ذلك، في بنت جبيل، حركة تمرد حقيقية، نظمتها "الشبيبة" في ربيع سنة 1936م. وكان ذلك أول حدث لا يتداول فيه لا الوجهاء ولا العلماء لتحديد موقف يعتمدونه، بل أبناء الوجهاء وأبناء العلماء هم الذين إستنفروا فيه الناس لحضهم على القيام بالحركة.

وكان عدد كبير من هؤلاء الشبيبة قد درس في النجف الأشرف، وكانوا قد تميزوا فيه بدعوتهم إلى إصلاح التعليم، وقد إلتقوا بغيرهم من الشباب، من محبي الأدب والشعر، بعد عودتهم إلى جبل عامل، وألفوا عصبة الأدب. ولئن كان هدفهم إطلاق الشعر العربي من قيوده، إذ كانوا يرونه مقيداً بأغلاله التقليدية، فإنهم قد إنتقلوا بسرعة من النقد الأدبي إلى النقد

---

(1) يروي محسن الأمين في سيرته هذه الحادثة ص 190-191. أنظر أيضاً ما كتبه أديب الصفدي رئيس تحرير جريدة الشعب الدمشقي، فقد ذهب هذا الصحفي بصحبة بعض الأصدقاء من الكتلة الوطنية إلى بيت محسن الأمين، فروى لهم فتوى حسن الشيرازي الشهيرة حول منع التدخين، سنة 1891، ليبرهن لهم كيف يمكن للتضامن الوطني أن يكون فعالاً أنظر: سيرته بقلمه وأقلام آخرين ص 219- 220.

(2) هذا ما جعل منح الصلح يقول إن إضراب سنة 1936 كان قد إنطلق من بيت محسن الأمين، وهذا من باب المبالغة بدوره وبقدرته على التأثير: أنظر: منح الصلح، "الإسلام والثورة" مصير والعروبة، بيروت 1979 ص 239

(3)Massoud Daher L’histoire socio- Politique de la Republique libanaise sous mandate francaise (1926-1943), these d’Etat, Ephe, Paris 1, 1980, vol.I.p.389

الإجتماعي. فما كان منهم إلا أن تصدوا لكل ما كان يجمّد المجتمع العاملي في نظرهم، وكان رجال الدين مع الزعماء ورياء الزعماء وتسلطهم، من المواضيع المتكررة في أشعارهم.

وكان هؤلاء الشعراء الشباب نظراً لإرادتهم وإثارة التحدي، يتغنون بالخمرة التي يحرمها الإسلام، معلنين، مع ذلك، إيمانهم بالله وحبهم للأئمة، حتى أنهم وجدوا أنفسهم في حرب مفتوحة على الزعماء، ومكفّرين من قبل بعض العلماء. وهذا ما كان من أمر موسى الزين شرارة، فمنذ أن نشر أول قصيدة له في العرفان أثار غضب بعض الزعماء السياسيين في المنطقة. بعد ذلك، سنة 1933م إتهمه السيد عبد الحسين شرف الدين بالكفر[1].

وكان هؤلاء الأدباء والشعراء الشباب، الذين درسوا على الطريقة التقليدية، يلتقون، في آرائهم السياسية، بالوطنيين الذين كانوا قد أنهوا دراستهم في دمشق أو في بيروت من زمن قريب. وكان شعارهم الوحدة السورية والإستقلال. وكان من أقام منهم في دمشق قد إستطاع، بالطبع، أن يكوّن لنفسه فيها وعياً سياسياً حقيقياً، إلا أن الباقين لم يدخروا الفرص لملاحظة اللعبة السياسية وإستخلاص العبر منها. وكان بعض العلماء الشباب قد اثرت فيهم ثورة النجف على البريطانيين سنة 1920م، وقد شهدوها يوم كانوا طلاباً في المدينة المقدسة. وهذا ما كان من أمر علي الزين، إلا أنه على الرغم من شغفه بهذه الحركة، إعتبر أن التجربة علمته أن كل ثورة يجب أن تبدأ، إن كانت جدية، بإنتقاد الرؤساء الروحيين والزمنيين، ثم إنه تابع الثورة السورية التي قامت بين سنتي (1925م- 1927م) عن بعد، فزادت في أحلامه[2]. أما إضراب سنة 1936م فقد دفع به إلى التحرك.

1- التمرد في بنت جبيل:

وقع سنة 1935م حادثان أديا إلى نضوج أسباب القلاقل في جبل عامل. فقد أدّى إنشاء شركة حصر التبغ، وتحديد مساحة الأرض المزروعة به- والأمران متلازمان- إلى سخط

---

(1) موسى الزين شرارة، من دفتر الذكريات الجنوبية، المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، الجزء الأول، 1981، ص 67-68. وقد تفاقمت هذه القضية وتدخل فيها مجتهدون (محسن الأمين، عبد الحسين آل كاشف الغطاء، أبو الحسن الأصفهاني) متخذين جانب الشاعر، أنظر مستدركات أعيان الشيعة، المجلد الأول ص 237، فإن الأمر كان يتعلق بتكفير جماعي موجه إلى موسى الزين شرارة وعبد الحسين عبدالله ومحسن شرارة وعلي الزين وعلي بزي، وكانوا يتسلون بتأليف قصائد مشتركة يقول كل واحد منهم بدوره بيتاً، وقد تعرضوا في إحداها لعبد الحسين شرف الدين ، فغضب.

(2) علي الزين، من دفتر الذكريات الجنوبية، الجزء اللأول ص 29.

المزارعين وإلى ضرب الإقتصاد المحلي، الذي كان قد بدأ بالضعف بسبب إنخفاض الأموال الآتية من المهاجرين[1]. في هذه الأثناء، توفي النائب فضل الفضل، وأصبح مقعده شاغراً. وكان "زينوفي بشكوف" يدعم ترشيح إبن هذا الأخير، بهيج، أما الزعماء والشبيبة الوطنية ورياض الصلح، فكانوا يدعمون ترشيح عبد اللطيف الأسعد. فقامت الشبيبة في بنت جبيل بحملة إنتخابية لصالحه، وتبعهم الناس في ذلك، وهم يرددون:

"بشكوف" خبّر دولتك سلطاننا عبد اللطيف

باريس مربط خيلنا ورصاصنا يلحق "جنيف"[2]

وقد أثار إنتخاب بهيج الفضل في 3 آذار 1935م إعتراضات عبد اللطيف الأسعد ومناصريه. وقامت الشبيبة في بنت جبيل بحملة، لم يكن قادراً على القيام بها غيرهم نظراً لتأثيرهم على الناس في مواجهة "بشكوف"، بمقتضى رأي علي الزين[3]. ونذكر منهم علي بزي وموسى الزين شرارة وحسين شرارة، يضاف إليهم عالم يعتمر عمامته، وهو الشيخ محسن شرارة، وكانوا قد إجتمعوا على أساس من التجانس والإشتراك في الرؤية، بغض النظر عن التحالفات والخصومات بين الأسر، مما كان يحدد مواقف الأجيال التي سبقتهم، ولذلك فإن علي بزي، مثلاً، كان يعد من الدّ خصوم قريبه، الوجيه محمد سعيد بزي، الذي كانت بيده رئاسة البلدية[4]. لقد أسّسوا، بإختراقهم التحالفات التقليدية، وضعاً قابلاً للتطور.

ولم يكتف شبيبة بنت جبيل بتسفيه سلطة "بشكوف" وبالمطالبة بالوحدة السورية، بل إنهم إتخذوا شركة حصر التبغ هدفاً لهجماتهم، إضافة إلى الزعماء المحليين الذين كانوا يسرقون المزارعين، فقد نظموا حملة على "الريجي"، بعد أن رفضوا المصالحة بينهم وبينها، بوساطة يوسف الزين- وكانت الوساطة في الواقع عبارة عن رشوة لعلها تهدئ من حماستهم- كذلك أنكروا أعمال محمد سعيد بزي، إذ إحتفظ لنفسه بحصة وفيرة من رُخص

(1)Roger Lescot, Les chiites du Liban- Sud, rapport inedit du CHEAM n 3, 1936, p.16-17

(2) جعفر شرف الدين، مندفتر الذكريات الجنوبية، الجزء الثاني ص 30، وعلي الزين، المرجع السابق، الجزء الأول، ص 31

(3) علي الزين، المرجع السابق، ص 31-32.

(4) Roger Lescot, “Les chiites du Liban-Sud”.p.11 أنظر أيضاً ص 21 وفيها ينوه المؤلف بتركيب هذه الحركة التي تصدر عن المنافسة المحلية بين زعماء الأسر الكبرى وعن نوع جديد من الظواهر التي تترجم "الحالة النفسية لدى الشباب المثقف وتطلعاتهم".

زراعة التبغ. وقد آتت حملتهم ثمارها. ففي مساء الواحد والثلاثين من آذار سنة 1936م، كان بيد علي بيضون في منزله، عريضة، تغطيها التواقيع، معدة للإرسال إلى السلطات.

وكان ذلك عشية يوم عاشوراء في التاسع من محرم، وكان المؤمنون مجتمعين في المسجد للإحتفال بذكرى إستشهاد أصحاب الإمام الحسين (ع)، حين أعلموا بأن الدرك قد داهموا منزل علي بيضون لإيقافه ومصادرة العريضة. فإتجه الحشد في موكب نحو مخفر الدرك وإحتلوه وأطلقوا سراح علي بيضون. في اليوم الثاني جاء من صور ما يقارب المائة من الدرك للمساندة، ومعهم جان عزيز، قائمقام صور، فأوقفوا ثلاثة وثلاثين شخصا ثم سجنوهم. كما أن الدرك أطلقوا النار وأوقعوا قتيلاً، مما أثار الغضب في صفوف المتظاهرين، وقد إلتحق بهم آخرون من القرى المجاورة. فوقع قتلى آخرون. ونقل السجناء إلى صيدا، وأعلنت بنت جبيل الإضراب إلى حين عودة المحتجزين وتبعتها النبطية وصور[1].

وفي صيدا عمّ السخط الشعبي كما بقية الجنوب وتوالت المسيرات التي قادها معروف سعد، والتي كانت تطالب بالإفراج عن المساجين، وقد أصيب معروف سعد أثناء المسيرة برصاصة بيده، واعتقل ونقل إلى حيث بقية المعتقلين، كما كان من نتيجة حوادث صيدا سنة 1936 سجن فريق كبير من أبنائها، من بينهم الشيخ أحمد عارف الزين وشفيق الصباغ وبشير حنقير ومعين الشريف الذين سجنوا لمدة شهرين، ومعروف سعد الذي سجن لعشرة أشهر[2] وقد رأت جريدة النهار في انتفاضة بنت جبيل وجبل عامل انتفاضة وحدوية مع سوريا، واعتبرت أن شهداء بنت جبيل هم شهداء الوحدة السورية، وقالت: "إن صيدا مضربة ليومها الثامن إحتجاجاً على ضحايا الوحدة السورية"[3].

---

(1) أحمد بيضون، بإسمه المستعار عباس بزي، "بنت جبيل 1936: الإنتفاضة والإقطاع، ص 80-82. أنظر أيضاً، جعفر شرف الدين، من دفتر الذكريات الجنوبية، الجزء الثاني ص 31، يذكر "بيار روندو" في Pierre Rondot, in Les institutions politiques du Liban. Des communautes traditionnelles a l’Etat modern, Institut d’etudes de l’Orient contemporain, Paris, 1947,p.54 هذه "الحوادث" التي حصلت في بنت جبيل بمناسبة عاشوراء. وقد وجّه الأهالي في صور والنبطية، وكانوا قد أعلنوا الإضراب، عرائض محفوظة في الأرشيف: MAE fonds Beyrouth carton n 733. Petitions a la SDN, 1936.

(2) خالد الكردي، صيدا واحد وستون عاماً عربياً (1900 – 1961م.) صيدا 2006، ط1، 89.

أنظر أيضاً جريدة النهار أعداد 771 – 781 – 785، تاريخ 7 نيسان 1936.

(3) خالد الكردي، المرجع السابق، نفس الصفحة،

أنظر أيضاً جريدة النهار عدد 811، تاريخ 7 أيار سنة 1936، ص 4.

إلتجأ محمد سعيد بزي إلى عين إبل، بعد أن أجمع أهالي بنت جبيل على إبعاده- وهي القرية المسيحية القريبة، التي كان قد هاجمها سنة 1920، فحاولت سلطات الإنتداب أن تقوم بالوساطة... فأعلن السيد عبد الحسين شرف الدين، ببادرة منه، أنه سيذهب شخصياً إلى عين إبل ليعيد محمد سعيد بزي. وعلم القادة الشباب في بنت جبيل أن الناس يرفضون هذه البادرة، وخافوا من عواقب إشتباك جديد، فحاولوا أن يقنعوا المجتهد بعدم الذهاب، فإعتقلتهم سلطات الإنتداب لمنعهم من ذلك. فجاء يوسف الزين وكاظم الخليل وأحمد الأسعد لزيارة السجن الذي كان فيه علي بزي وموسى الزين شرارة وعلي بيضون، وأعلموهم بأنهم لم ينجحوا في إقناع العالم بإلغاء زيارته، حتى أنه كان قد وزعّ مناشير يؤكد فيها إصراره على إعادة الحق إلى وجيه بنت جبيل[1].

وقد ذهب السيد عبد الحسين شرف الدين بالفعل إلى عين إبل ليعيد محمد سعيد بزي. فما الذي حدث بالتحديد بعد ذلك؟ تختلف الآراء في ذلك، بسبب شخصية مجتهدنا، وعلى الأخص بسبب منصبه بإعتباره مجتهداً. فمن المحتمل أن يكون الناس في بنت جبيل قد أساءوا إليه على نحو ما. والمؤكد أن جماعة من السكان هاجمت السيارة التي كانت تعيد محمد سعيد بزي إلى بنت جبيل، بالحجارة، وأنهم، في هذه الزحمة، تعرضوا لأحد العلماء، وجردوه من عمامته. وبمقتضى رواية جعفر الخليلي الذي كان يزور صديقه الشيخ محسن شرارة في صيف سنة 1936م، بعد الحادثة بقليل، فإن العالم هذا، لم يكن السيد عبد الحسين شرف الدين، بل صهره وتلميذه الشيخ عبدالله السبيتي. ويروي الأديب العراقي أن "بعض المهاجمين قد تجرأوا على الشيخ عبدالله سبيتي فنزعوا عمامته عن رأسه ومزقوها"[2]. أما "روجيه ليسكو" الذي رُويت له هذه الحادثة بعد وقوعها ببضعة أسابيع، فإنه يذكر إسم السيد عبد الحسين شرف الدين[3]... وذلك عائد على ما يبدو إلى إلتباس بينه وبين السيد حسين

---

(1) أحمد بيضون، المرجع السابق، ص 83.

(2) جعفر الخليلي، هكذا عرفتهم، الجزء الأول، ص 126-127، وقد أعجب جعفر الخليلي بالروح الوطنية التي تعم جميع سكان البلدة، بفضل الجهود التي بذلها الشيخ محسن شرارة.

(3) Roger Lescot. Les chiites du Liban-Sud.p.14، ولعل الإلتباس ناتج عن مخبري "روجيه ليسكو" الذين لم يرغبوا في التشكيك بسيد كبير بمستوى السيد عبد الحسين شرف الدين.

صفي الدين، الذي كان مشاركاً بالفعل في أحداث بنت جبيل ولكن إلى جانب الفلاحين وضد الزعماء[1].

ولئن هاجم قواد التمرد في بنت جبيل بعض الزعماء، فإنهم مع ذلك، لم يقطعوا الصلة بالزعامة التقليدية. فبعد إطلاق سراح الموقوفين أقام بعض الزعماء الولائم على شرفهم[2]، بل أكثر من ذلك، فإن الشباب أنفسهم كانوا يسعون إلى نيل تأييدهم. من ذلك وأن علي بزي وعلي الزين، ذهبا، بعد المواجهات مع قوات الأمن، إلى الطيبة لملاقاة أحمد الأسعد ليناقشوه في مسألة الوحدة السورية وكان علي بزي في أول الأمر يناصر فكرة قيام سوريا الموحدة المركزية، ثم إنه إقتنع بفكرة علي الزين القائلة بقيام سوريا اللامركزية . وقد جاء النائب أحمد الأسعد بنسخة من القرآن الكريم فأقسم الثلاثة يميناً عليه بالدفاع عن الوحدة السورية. ثم عاد الشابّان إلى بنت جبيل حيث أقسم آخرون القسم نفسه، وأظهرت هذه الفكرة إخلاصهم، في بيت الشيخ محسن شرارة، على الأخص[3]. ولم يلبث النائب أحمد الأسعد أن تنصل من القضية بينما كانوا ينتظرون منه الدعم، وفي تشرين الأول سنة 1936م نشر مقالة في إحدى الصحف البيروتية كذب فيها إنتسابه إلى الوحدة السورية، وكان لها صدى في الصحافة. وكان قد قبل، على غرار غالبية الوجهاء العامليين، بالإنضمام إلى لبنان، معلناً تصميمه على الدفاع عن حقوق الشيعة بالنظر إلى المعاهدة الفرنسية اللبنانية[4].

وبالفعل كان الوجهاء والسياسيون من العامليين قد إلتحقوا سنة 1936 بقطار لبنان، مثلهم في ذلك مثل العلماء، ولقد عبّر الشيخ حسين مغنية بنفسه عن وجهة نظره في هذه المسألة[5]. وقام النواب الشيعة الأربعة في البرلمان في تلك الفترة بتأكيد تعلقهم "بوحدة التراب اللبناني"، ورفضوا، على غرار نظرائهم السنة، تأييد مطالب العروبيين الذين إستمروا في طلب الوحدة السورية[6]. إلا أن عامة العامليين، كعامة العكاريين في الشمال، بقوا على عقيدتهم الوحدوية.

---

(1) حسن قبيسي، تطور مدينة صور الإجتماعي، ص 130.
(2) أحمد بيضون، "بنت جبيل 1936..." ص 82.
(3) علي الزين، من دفتر الذكريات الجنوبية، الجزء الأول، ص 32-33.
(4) Archives MAE, carton n 456, cabinet politique, dossier, revendications des la communaute chiite, compte rendu d’un article paru dans al-Balag, 27/10/1936 .
(5) Ibid, note d’information au cabinet politique, date du 16/7/1936, letter de m. Meyrier, delegue general du. Haut- commissaire, au minsitre des Affaires etrangeres date du 21/8/1936 .
(6)Stephen Longriggs, Syria and Lebanon under French Mandate, Oxford University Press, Londres. 1958.p.219

من بين النخب، ظلّ العروبيون القدامى من أمثال الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر والشيخ محمد جابر آل صفا والشيخ أحمد عارف الزين، على مواقفهم، وساندوا حركة الشباب. حتى أن صاحب العرفان قد نظّم في 5 تموز سنة 1936م، في صيدا، مؤتمراً وحدوياً لدعم مطالب الوفد السوري المفاوض في باريس(1). وقد إجتمع، بعد ظهر ذلك اليوم في بيت عبّاس الحر، عبد الحميد كرامي يرافقه زعماء وطنيون طرابلسيون، الشيخ أحمد عارف الزين وبعض العامليين من سكان صيدا وبنت جبيل وصور ومرجعيون. ثم إن الجماهير رافقت الطرابلسيين إلى خارج المدينة وهي تهتف للوحدة(2). وقد إستمر الوضع السياسي بالإضطراب. وأقيم مؤتمر آخر في 11 تموز، وخرج سكان صيدا وطرابلس، في اليوم الثاني، إلى الشوارع للمطالبة بإلحاقهم بسوريا، وقد تحولت المظاهرة في صيدا إلى تصادم بين المتظاهرين وقوات الأمن، ووقع عدد من الجرحى والقتلى، وحكم الشيخ أحمد عارف الزين بشهري حبس(3).

وكان توقيع الإتفاق الفرنسي السوري في باريس في أيلول سنة 1936 أشعر الوطنيين في لبنان بأن زعماء الكتلة الوطنية قد "تخلوا" عنهم، مع أنهم كانوا إلى ذلك الحين يساندونهم بل ويدفعونهم إلى الوحدة(4). وبعد توقيع المعاهدة الفرنسية السورية، وبعد التصديق عليها بالإجماع من قبل جميع النواب اللبنانيين، في 13 تشرين الثاني، فقدوا كل أمل بالوحدة مع سوريا، وكان إنشاء لبنان الكبير قد تم، وثبتت حدوده. فتركزت المطالب بعد ذلك على إستقلال لبنان وسيادته من جهة، وعلى إحترام حقوق الشيعة في صلب الدولة من جهة أخرى. وقد حاول علي بزي وأحمد رضا وسليمان ظاهر أن يؤسسوا حزباً سياسياً بهذا الأفق، سنة 1939م(5). وقد إجتهد العامليون منذ ذلك الحين في أن يصنعوا من جماعتهم المذهبية، طائفة سياسية قابلة لأخذ موقعها بين مجموع الطوائف اللبنانية .

---

(1) كان أحمد عارف الزين قد إستقبل شكري القوتلي، قبل ذلك بأيام، وكان رئيس الكتلة الوطنية بالوكالة، وقد نقل له طلباً من هاشم الأتاسي بالتحرك المشترك، Archives MAE, fonds Beyrouth, carton n 457, cabinet politique, saida juillet 1936, congres et evenements, note n 302 de Pechkoff, le 2/7/1936.

(2) Ibid. letter de Meyrier, 18/7/1936, surete generale, Beyrouth, note d’information n 2395, 7/7/1936 وبمقتضى هذه المذكرة فإن عدد المتظاهرين كان 200، إلا أن مذكرة سابقة تحمل الرقم 2370 أوردت العدد 30000

(3) أنظر Nadine Meouchy, Les forms de conscience politique et communautaire.p.293

(4) أنظر Nadine Meouchy, Les forms de forms de conscience politique et communautaire.p.293

(5) إجتمع الثلاثة لمناقشة هذا المشروع الذي لم يتحقق على ما يبدو وكان هدفهم أن يؤسسوا حزباً سياسياً مستقلاً مرتبطاً بإحقاق حقوق الشيعة. Archives MAE, fonds Beyrouth, carton n 456. Cabinet politique dossier, revendications de la communaute chiite, note d’information n 136, saida, 3/4/1939.

إضافة إلى ذلك، تعدَّت التبدلات التي حدثت سنة 1936م في المجتمع العاملي، إطار الأفكار إلى الوسائل المستعملة في الدفاع عنها. قبل ذلك، كان شبيبة بنت جبيل قد نجحوا في التميز عن "الأحزاب" التقليدية، وهي في الحقيقة مجموعات من الموالي تلتف حول الوجهاء، وخصومات دهرية بين الأسر، بالتفافهم حول مثال مشترك. ثم كان قيام الأحزاب السياسية من النمط الحديث، فأعطى العامليون القدرة على الإنتساب إلى بنية منظمة. ولقد إفتتح الحزب القومي السوري سنة 1936م، فرعاً له في صور. وبعد ذلك بقليل أقيم فيها شعبة للحزب الشيوعي اللبناني[1].

خامساً: الهوية الشيعية والطائفة السياسية:

كان شيعة جبل عامل قد تأملوا في مجريات إندماجهم في تجمع واسع، قبل أن يشكلوا سياسة تمثلهم في دولة حديثة إلى جانب غيرهم من الجماعات الطائفية، أكان ذلك في الدولة العثمانية، من الزاوية السياسية، أو في الأمة الشيعية، من الزاوية الدينية. وقد أعطاهم تحرير نظام الصحافة، إبتداء بالعام 1908م، الفرصة للتعبير عن انفسهم في السياسة. فأمكنهم بذلك أن يناقشوا إطارهم الجغرافي من أجل تحديد حماهم، وأن يؤسسوا ذاكرة مشتركة: فظهرت هوية تعكس صورة عن النفس وترسي أسس العصبية العاملية. ولقد حاول العلماء والأعيان أن يدمجوا بين مختلف أنواع الروايات التي تعتمد على مجموعة من الذاكرات الخاصة، بهدف إقامة ذاكرة موحدة، واحدة، مميزة، كذلك فإنهم إجتهدوا في جعل عروضهم عقلانية، على الرغم من إندراجها في سياق الأنواع التقليدية، فخطوا بذلك خطوة نحو العصرية. ولم يكن العبور إلى العصر، مع ذلك، الهمّ الأول عند العامليين، فقد كانوا منهمكين قبل كل شيء وفي ما يشبه حالة الطوارئ، في إرساء الأسس لما كان سيصبح ذاكرتهم. فلم يبحثوا عن الوصول إلى كتابات العلماء الأوروبيين ولا إلى نقل مناهجهم كما فعل جرجي زيدان ومحمد كرد علي[2]. ولم يعيدوا إكتشاف إبن خلدون (ت 1406م) كما فعل الشيخ محمد عبده

---

(1) حسن قبيسي، تطور مدينة صور الإجتماعي، ص 137 وما بعدها، ونذكر أن مجلة العرفان قد نشرت مقالات حول الإشتراكية، على سبيل الإعلام، أنظر مثلاً مقالة كامل مروة: "كارل ماركس والإشتراكية"، العرفان، المجلد 23، العدد 2، ص 230-232 (تشرين الأول 1932).

(2) كان جرجي زيدان (1861-1914) يراجع كتابات المؤلفين الأوروبيين من أجل تأليف كتابه التاريخ العام، ثم تابع بعد ذلك هذا السبيل في مقالاته التاريخية التي كان يكتبها لمجلة الهلال. أنظر Anne-Laure Dupont, “L ‘islam dans une nouvelle reflexion historique arabe”, in Les Arabes du message a l’histoire, dir Dominique Chevallier et Andre Miquel, Fayard,1995, p.405-424. أما محمد كرد علي (1876-1953)، فقد زار أوروبا بحثاً عن المصادر من أجل تأليف كتابه خطط الشام، وإستلهم مناهج المؤرخين الغربيين.

والأديب طه حسين[1] بل إكتفوا بكتابة تاريخ جبل عامل، مازجين فيه أخبار الحروب وأيام الأمراء ووقائعهم بتراجم العلماء، وكل هذا بطريقة يزيد فيها الإحكام أو ينقص بحسب المؤلفين. على أن بعضهم أظهر جرأة أكثر من غيره، فخطا خطوة نحو النقد التاريخي الآتي من أوروبا، أو تخطى الأنواع التقليدية، وخاض في الجانب الإقتصادي للتاريخ العاملي[2].

وكان التاريخ المحلي يكون جزءاً من التقاليد العربية، وكانت حاضرة، في جبل عامل. فقد كرّس لها الشيخ محمد حسن الحر العاملي (ت 1693م) جزءاً من مؤلفاته، هو الجزء الأول من كتابه في تراجم العلماء وعنوانه "أمل الآمل في علماء جبل عامل"[3]. وكان القرن التاسع عشر زاخراً بالتواريخ المحلية عن جبل عامل: نذكر منها كتاب أخبار لحيدر الركيني (1749- 1832م)، جبل عامل في قرن[4]، وكتاباً يمزج التاريخ بالأدب الشيخ لمحمد بن مهدي مغنية (1738-؟)، جواهر الحكم ونفائس الكلم[5]، وكتاب أخبار آخر، جبل عامل في قرنين، منسوباً إلى الشيخ علي السبيتي (1817-1886م)[6]. وقد نشرت مجلة العرفان، في سياق إهتمامها بالمحافظة على التراث العاملي، بعضاً من هذه المخطوطات إما كاملة أو بأجزاء منها. وكانت على الأخص، أول من نشر تواريخ ألفها دعاة الإصلاح، منذ صدور أعدادها الأولى وطوال سني وجودها. وقد أصبحت العرفان بذلك موازية لمجلة المشرق التي أسسها اليسوعيون سنة 1898م في بيروت، وكانت السند للتواريخ التي أعدتها مختلف الطوائف المسيحية[7].

---

(1) أعطى محمد عبده دروساً عن إبن خلدون حينما عُيّن أستاذاً في دار العلوم سنة 1879، أنظر مقدمة ب. ميشال لترجمته لرسالة التوحيد، Mohammad Abdou, Rissalat al- tawhid Expose de la religion musulmane, Paul Geuthner, Paris, p.XXVII-XXVIII، كما أن طه حسين قد كرّس أطروحته في الدكتوراه التي قدمها في باريس، للمؤرخ العربي Etude analytique et critique de la philosophie sociale d'Ibn Khaldun. Le voyage d'Occident et d'Orient, traduction Abdesselam Cheddadi, Sindbad, Paris, 1980, (=) 24 -23 .p ونذكر هنا أن حركة إعادة الإكتشاف هذه المستوحاة من المستشرقين الفرنسيين، كانت قد بدأت مع رفاعة الطهطاوي. Gilbert Delanoue, Moralistes et Politiques musulmans, vol.II.p.413.

(2) وهذا ما كان من أمر أحمد رضا، إذ عالج تاريخ جبل عامل الإقتصادي منذ القرن العاشر الميلادي إلى زمنه، أنظر العرفان، المجلد الثاني، العدد 7، ص 330- 337 (تموز 1910).

(3) محمد حسن الحر العاملي، أمل الآمل، مؤسسة الوفاء، بيروت 1983، الجزء الأول 241 ص.

(4) نشر أحمد حطيط جزءاً من هذا النص. أنظر: جبل عامل في قرن، دار الفكر اللبناني، بيروت 1997-182 ص.

(5) الأعيان، المجلد العاشر، ص 68.

(6) نشرت مجلة العرفان تلخيصاً لهذه المخطوطة في عددها الصادر في تشرين الثاني 1913: أنظر العرفان، المجلد 5، العدد الأول، ص 21-25، حول مؤلفها أنظر: الأعيان، المجلد 8، ص 303- 304

(7) Albert Hourani, "Historians of Lebanon", in Historians of the Middle East, ed, Bernard Lewis et P.M. Holt, Oxford University Press, 1962, p. 244.

(8) "المتاولة أو الشيعة في جبل عامل" العرفان، المجلد الثاني، العدد 5، ص 237-242، (نيسان 1910) والعدد 6، ص 286-289 (حزيران 1910)، والعدد 7، ص 330-337 (تموز 1910)، والعدد 8، ص 381-392 (تشرين الأول 1910)، المقتطف، المجلد 36، (أيار 1910) ص 425- 433، المجلد 37 (تموز- تشرين الأول 1910) ص 629-636 وص 943- 952.

كان الشيخ أحمد رضا أول من كتب تاريخاً حقيقياً للجماعة العاملية: "المتاولة، أو الشيعة في جبل عامل"، ونشره في مجلتي العرفان والمقتطف في آن معاً، مما يدل على مدى إهتمامه بنشر رؤيته لتاريخ طائفته على مواطنيه العامليين وعلى الشيعة من أبناء دينه، قرّاء العرفان، وعلى "غيرهم من أبناء بلاد الشام"، كان كان يسميهم، قراء المقتطف[1]. وكانت المسألة، فيما يختص الشيخ أحمد رضا، أن يعرّف بطائفته بهدف إظهار خصوصياتها وأن يعدّ لها موضعاً في كيان سياسي أرحب في ولاية من ولايات الدولة العثمانية. بعد ذلك بما يقارب العشرين سنة، في سنة 1929م، قام الشيخ سليمان ظاهر بدوره، بكتابة مقالة موجهة لغير العامليين، نشرت في مجلة المجمع العربي في دمشق، وقد سلط فيها الأنوار على الأواصر القديمة بين جبل عامل ومدينة دمشق لإستعادة الصلة المقطوعة منذ قرون[2]. ما يعني أن الشيخ سليمان ظاهر كان يدافع عن رأي جديد هو الإندماج بسوريا مستعيناً بتاريخ الصلات بين علماء الماضي، وهو رأي عزيز على الوطنيين. وذلك لم يمنعه من القيام، بموازاة هذا العمل، بعمل مضنٍ في إحصاء قرى جبل عامل، نشره على حلقات في العرفان طوال سنين عديدة، أو برواية تاريخ قلعة الشقيف[3] في المجلة عينها[4].

أما صاحب العرفان الشيخ أحمد عارف الزين، فقد أدلى بدلوه هو أيضاً في التاريخ المحلي، مركزاً على صيدا حيث إختار الإقامة. وقد أصدر كتابه تاريخ صيدا سنة 1913م[5]. وقد أكّد في تنبيه للقارئ على أنه لن ينشر إلا المعلومات المؤكدة، وأنه سيستعين بمصادر عربية وفرنسية، وأنه سيذكر مصادره المستعملة[6]. ولقد كان همّ المؤلف أن يسد فراغاً في هذا المجال، نظراً لعدم وجود تاريخ للمدينة، ليس هذا فحسب بل أن يقوم بهذا

(1) فيما يتعلق بالوضع السياسي لدى المتاولة، يقول أحمد رضا إنهم عاشوا ما عاشه غيرهم من أبناء سوريا، وهو بذلك يؤكد إنتماء جبل عامل إلى هذا التجمع الأرحب. أنظر: العرفان، المجلد الثاني، العدد 6 ص 286

(2) المقالة المقصودة هنا هي: "صلة العلم بين دمشق وجبل عامل"، العرفان، المصدر السابق، ص 287

(3) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(4) سليمان ظاهر، "تاريخ قلعة الشقيف"، المجلد 6، العدد الأول، ص 40-48 (كانون الأول 1920)، والعدد 3و4 ص 158-171 (آذار 1921)، والعدد 5 و 6 ص 212- 219 (نيسان 1921)، والعدد 7 ص 310 وما بعدها (أيار 1921)، والعدد 8 ص 372 – 398 (حزيران 1921)، وقد جمعت هذه المقالات في كتاب عنوانه: تاريخ قلعة الشقيف، المطبعة العصرية، صيدا، (ب.ت) وللمؤلف نفسه، "قرى جبل عامل" نشرت على مراحل إبتداءً بتشرين الأول 1922 (المجلد 8) إلى أواسط العقد الرابع من القرن العشرين (وكانت تظهر أحياناً تحت عنوان "معجم قرى جبل عامل" أو "أسماء قرى جبل عامل"، وهو عمل تاريخي جغرافي على حد سواء

(5) أحمد عارف الزين، تاريخ صيدا، العرفان، صيدا 1331هـ/ 1913، وكان المؤلف قد بدأ بنشره في مجلته، أنظر العرفان، المجلد 3، العدد 4، ص 121- 128 (شباط 1911).

(6) المصدر السابق، "بيان" ص 9.

العمل على نحو منهجي علمي مستنداً إلى المدارس التاريخية العربية والفرنسية. لذلك فإنه يبدأ في المقدمة بتعريف التاريخ كما ورد في مقدمة إبن خلدون مستعيناً بدائرة المعارف وبمعجم "لاروس". ثم يعطي تعريفه له موجزاً ومقتضباً: "التاريخ حكاية النوع البشري من مطلع فجر التاريخ إلى اليوم"[1].

إلا أن دعاة الإصلاح العامليين لم يكتفوا بكتابة تاريخ بلادهم ، وقد كتبوه. بل كانوا فاعلين وشهوداً مميزين على فترات حاسمة في تاريخهم وتاريخ المشرق العربي. فلا عجب إذن في أن يقودهم إحساسهم بالتاريخ إلى أن يتركوا أثراً من هذه الأحداث التي عرفوها عن قرب. فلقد كان الشيخ محمد جابر آل صفا، في معتقله في عاليه سنة 1915م، وقد حُكم هو ورفاقه، بتهمة الخيانة العظمى، يسوّد مذكرات على صفحة جريدة، فاتت أيدي سجّانية، مذكرات موجزة إلا أنها دقيقة اي أنها ثمينة في تسجيل التاريخ[2]. كذلك الشيخ سليمان ظاهر سجّل الأحداث التي عرفها منذ إعلان الدستور العثماني سنة 1908م إلى قيام الإنتداب الفرنسي[3]. أما الشيخ أحمد رضا فقد كان على وجه الخصوص أكثر من ترك مادة دسمة لعمل مؤرخي جبل عامل، في كتابه مذكرات للتاريخ، وقد كتبه على شكل يوميات، مما سمح له بتسجيل أدق التفاصيل التي ملأت الحياة الإجتماعية والسياسية العاملية، في لحظاتها الحاسمة على الأقل، ومنها، الأسابيع التي سبقت مؤتمر وادي الحجير سنة 1920م[4]. أضف إلى ذلك، إن إستقامة مؤلف هذا الكتاب ودقة ملاحظاته تمكنان مذكرات للتاريخ من أن تؤدي وظيفتها التي رسمها لها.

ولقد شهد كبار العلماء العامليين، هم أيضاً، على أحداث تاريخية شاركوا فيها. وهذا ما كان من أمر السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه صفحات من حياتي، و السيد محسن

---

(1) المصدر السابق، "مقدمة تاريخية" ص 10.

(2) أنظر "ثلاثة وخمسون يوماً في عاليه"، في هاني فرحات، الثلاثي العاملي في عصر النهضة، الدار العالمية، بيروت، 1981 ص 187-204.

(3) بقي هذا الكتاب مخطوطاً سنوات عديدة ثم طبع: جبل عامل في الحرب الكونية.

(4) أحمد رضا، "مذكرات للتاريخ"، ونجد منه قسماً صغيراً، متعلقاً بمحاكمة عالية سنة 1915، منشوراً في: علي الزين، من أوراقي، ص 42 وما بعدها، كذلك في جريدة السفير، العدد المؤرخ في 1981/9/10. والقسم الأخير، وهو أطول بكثير من الأول، يؤرخ للفترة الواقعة ما بين العامين 1918- 1921، وقد نشر على مراحل في العرفان إبتداء بسنة 1947 (المجلدان 33 و 34).

(5) عبد الحسين شرف الدين، "مختصر الكلام في مؤلفي الشيعة من صدر الإسلام، العرفان، المجلد الأول، (1909) والمجلد الثاني (1910) في مواضع متفرقة منهما.

الأمين، ولو بقدر أقل ، في سيرته، التي أوردها في كتابه أعيان الشيعة[5]. وقد أطال الأول، بالفعل، في الكلام عن الأحداث السياسية التي كان له فيها دور كبير، أما الثاني فقد كان مقتضباً في هذا الموضوع.

على أن العلماء والأدباء لم يقتصروا على تاريخ جبل عامل بل ألفوا أيضاً في تاريخ التشيع. وكان هدفهم من ذلك إشهار عقيدتهم والتنويه بالعلماء الذين أقاموها، لكي يثبتوا مدى الإعتبار الذي كان لأتباع أهل البيت في تاريخ الإسلام. وهذا يعيدنا مرة ثانية إلى الرغبة في الإنضمام إلى كيان أوسع- الإسلام بكل فروعه- مع الحفاظ على الخصوصيات.

فمنذ الأشهر الأولى على إنطلاق مجلة العرفان، نشر السيد عبد الحسين شرف الدين القسم الأول من مقالة طويلة مكرسة للمؤلفين الشيعة في فترة تكوين الإسلام. وقد إجتهد السيد عبد الحسين شرف الدين، على مدى أعداد كثيرة من المجلة، في إثبات أولوية الشيعة في فن التأليف، فقهاء كانوا أم علماء كلام أم شعراء، بدءاً بالإمام علي (ع)[1]. وقد تابع تلميذه الشيخ عبدالله سبيتي هذا السبيل، فوضع التراجم لأصحاب النبي محمد(ص) من شيعة الإمام علي (ع): كسلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، وعمّار بن ياسر رضوان الله عليهم[2].

وقام على صفحات العرفان، بعد السيد عبد الحسين شرف الدين، العديد من الكتاب بإظهار دور الشيعة في التاريخ الإسلامي العام، أو أنهم وضعوا تراجم لعلماء الإمامية، أو أنهم رووا تاريخ بؤرهم العلمية الحافل بالمآسي. وقد أدلى الشيخ أحمد عارف الزين بدلوه في هذا الموضوع، بكتابته سلسلة من المقالات سنة 1913م، توجز تاريخ الشيعة، صدرت بعد ذلك في كتاب[3].

---

(1) عبد الحسين شرف الدين، "مختصر الكلام في مؤلفي الشيعة من صدر الإسلام، العرفان، المجلد الأول، (1909) والمجلد الثاني (1910) في مواضع متفرقة منهما.

(2) عبدالله سبيتي، سلمان الفارسي، مطبعة العرفان، صيدا، 1358 هـ/ 1939م، أبو ذر الغفاري، مكتبة الجامع، بغداد، 1364 هـ (1945م) 185 ص، عمّار بن ياسر، دار الساعة، بغداد، 1345هـ / 1946م، 195 ص.

(3) أحمد عارف الزين، "مختصر تاريخ الشيعة"، العرفان، المجلد5، العدد2، ص 41- 48 (كانون الأول 1913) والعدد 3 ص 81-88 (كانون الثاني 1914)، والعدد 4، ص 121- 128 (شباط 1914)، والعدد 6، ص 201-208 (نيسان 1914)، ونشرته مطبعة العرفان سنة 1914.

وقد رأى، فيما يشبه الخاتمة، أن الشيعة، على غرار باقي المسلمين، قد ضعفوا، إلا أنهم عرفوا بأنفسهم ونشروا آثارهم، ولا سيما في الصحافة، ثم عدد المعاصرين من علمائهم الكبار في إيران والعراق وجبل عامل[1].

1- السيد محسن الأمين مؤرخ جبل عامل وحافظ ذاكرته:

يستحق السيد محسن الأمين باباً على حدة في هذا الفصل، نظراً إلى مقاصده الموسوعية التي يشهد بها كتابه الضخم أعيان الشيعة، وإلى طموحه في أن يدوِّن كل ما يتعلّق بجبل عامل وبالتشيّع، كما لو أنه كان مولجاً برسالة. ولقد أراد السيد محسن الأمين أن يكتب تاريخ جبل عامل، وأن يكون مؤتمناً على ذاكرته في جميع صورها. وكان يريد، في الوقت نفسه، أن يكتب تاريخ التشيّع وأن يظهر مجده. وبعد أن جُمعت المعلومات ورُتبت، كان لا بد لها من أن تؤلف كلاً يسهل الرجوع إليه. ولقد بحث المؤلف وقتاً طويلاً، عن صيغة الكتاب التي تستطيع أن تحوي هذا "الكل"، قبل أن يبدأ بكتابة أعيان الشيعة.

فمنذ بداية العقد الثاني من القرن العشرين، كان مجتهدنا يحضر معادن الجواهر، وهو كتاب غني كثيف، كان قد أظهر فيه طموحاته الشمولية[2]. وقد نشرت الأجزاء الثلاثة الأولى من هذا الكتاب بين سنتي (1928 و 1930م) في مطبعة العرفان. وكان من المفروض أن يحتوي الجزء الرابع تاريخاً لجبل عامل، والجزء الخامس، تراجم لرجاله. إلا أنه فضل أن يؤلف في هذين الموضوعين، كتابين منفصلين. فحرّر مقدمة لـ "البدر الكامل في تاريخ جبل عامل"، وبدأ أبحاثه حول "كتاب التراجم الذريعة في معرفة أعيان الشيعة"... فيما لبث أن إستغرق كل وقته. وبذلك أهمل الكتاب الأول[3].

وكان إختيار العنوان، أعيان الشيعة، معبراً: فالأمر لا يتعلق برواة الحديث ولا بعلماء الدين فحسب، بل يتعداهم إلى جميع الأعيان الذين أثّروا في تاريخ التشيع. وعلى الرغم من إقتصاره على نوع خاص، فإن السيد محسن الأمين يحافظ على طموحه بالشمولي. ولذلك

---

(1) العرفان، المجلد 5، العدد 6، ص 208.

(2) معادن الجواهر، الطبعة الثانية، دار الزهراء، بيروت، ثلاثة أجزاء، 1981، وكانت الطبعة الأولى في العرفان، بين سنتي 1928و 1930

(3) محسن الأمين، معادن الجواهر، الجزء الثالث، ص 5، وخطط ص 5، ومنذر جابر "السيد محسن الأمين مؤرخاً: القلم الشيعي و"الورقة" العاملية"، المؤرخ العربي، 52 (1995)، بغداد، ص 208-209.

فإن "الأعيان" المقصودين هنا، يضمّون العلماء (من رواة حديث وفقهاء ومفسرين وفلاسفة الدين وعلماء كلام ومنطقيين ونحويين وعلماء أنساب وبلاغيين)، والخطباء، والأدباء، والملوك، والوزراء، والأمراء، والحجّاب، والقضاة، وموالي الأسياد- رجالاً ونساءً من فجر الإسلام إلى النصف الأول من القرن العشرين[1].

وقد أقحم السيد محسن الأمين، بما يشبه التقديم لتراجم "الأعيان" المرتبة بالترتيب الهجائي، نوعاً من الموسوعة المصغرة عن التشيع. وفيها معطيات تاريخية وجغرافية وسكانية حول الشيعة، وإستعاد كتابات من مفكرين سنّة وردّ عليها، ثم أورد بعد ذلك سيرة النبي محمد(ص) وسيرة السيدة إبنته فاطمة(ع) والأئمة الإثني عشر(ع)، وهم النماذج الأرفع، والأمثلة المحتذاة، أما تراجم الأعيان العاديين فلا بد أن تكمل الفائدة لدى القارئ كي يختار السلوك الذي ينبغي له أن يتبع أو لا يتبع[2].

ومن المؤكد أن السيد محسن الأمين لم يكن قد حاول أن يتخذ لنفسه مناهج النقد التاريخي الأوروبي، إلا أنه كان قد تخطى بالفعل إطار الكتب التقليدية الضيق، أكان ذلك في الرواية، بالتفصيل الدقيق، للحياة اليومية لبعض العلماء، أم في وصف شخصياتهم[3]. ويظهر إهتمامه بأن يكون شاهداً على حقبة وعلى بيئة وعلى نمط في العيش، في خطط جبل عامل، وهو كتاب فيه جميع أنواع المعلومات والأوصاف والملاحظات المتعلقة بالأعراق. بين أعيان الشيعة وهذه الخطط، يكون السيد محسن الأمين قد شارك في بلورة الذاكرة العاملية على نحو كبير.

سادساً: الإعتراف بالفقه الجعفري:

لم يكن الشيعة الإثنا عشرية معترفاً بهم رسمياً في عهد الدولة العثمانية بإعتبارهم مذهباً: ولم تكن عقيدتهم تدرس في المدارس، ولم يكن الباب العالي يُعيّن العلماء الإماميين ولا المحاكم الشرعية القائمة على الشرع الجعفري. وكانت الطائفة الشيعية تتبع في تشريعها

(1) الأعيان، المجلد الأول، ص 14، في الكتاب 12167 ترجمة، منها عدد مستعاد في موضع آخر، أنظر منذر جابر، "السيد محسن الأمين مؤرخاً"، ص 206.
(2) الأعيان، المجلد الأول، ص 13، في رأي محسن الأمين أن الفائدة من كتب التراجم هي ان تقدم المثل الصالح للناس.
(3) الأعيان، المجلد 9 ص 447- 448، الأعيان، المجلد 8 ص 35-39

المذهب الحنفي المسيطر، كذلك رأينا أن الناس كانوا يقيمون شعائرهم في السّر، على نحو متكتم، حتى لا يلفتوا نظر السلطات. على أن العثمانيين مع ذلك، قد تركوهم يقيمون شعائرهم في عاشوراء، في جبل عامل وفي دمشق، شيئاً فشيئاً، إبتداءً من العام 1895م تقريباً. أكثر من ذلك، تحققت في مسألة الإعتراف بالعلماء الشيعة خطوتان: الأولى في العقد التاسع من القرن التاسع عشر والثانية في أثناء الحرب الكبرى (1914- 1918م).

كانت الخدمة العسكرية، وقد أصبحت إلزامية لجميع المسلمين بمقتضى الإصلاحات الجديدة في الإدارة العثمانية، هي الدافع لعلماء جبل عامل لكي يطلبوا الإعتراف بمناصبهم. فقد كان العلماء السنّة معفيين منها بالفعل، شرط أن يخضعوا لإمتحان يشهد بمعارفهم وكفاءاتهم، أما الشيعة فلم يكن لهم مثل هذا الإعفاء. وكان العديد منهم يفرون من الضباط المولجين بالتجنيد[1]. فتوجه العامليون، بواسطة أحد الزعماء على الأرجح، بطلب أول إلى الحكومة للإعفاء، فلم يُجابوا إليه، ثم أعادوا الكرة بنصيحة من قاضي صور، وهو من السنّة، فأوضح لهم الخطوات التي يجب إتباعها، وحرر بيده معروضاً يقدّم إلى المشير في دمشق، وفيه طلب بالإذن لتلامذة المدرسة الحيدرية في "عيتا الزط"، أن يتقدموا إلى الإمتحان، على غرار طلاب المدارس السنيّة. وقد طلب المشير أن يُحقق بشأن هذه المدرسة. فحضر إليها ملازم أول تركي، وقابل شيخها السيد حيدر مرتضى، إلا أنه لم يجد التلامذة ، إذ كانوا يختبئون في القرى المحيطة هرباً من التجنيد. فكانت المدرسة فارغة. ويروي السيد محسن الأمين قائلاً: "فأرسلوا فأحضروا من أمكن حضورهم وحضر معهم بعض المعممين من غيرهم تكثيراً للسواد..." فعمل الملازم التركي تقريراً مؤاتياً، وأكّد فيه أن الشبان المطلوبين إلى الخدمة العسكرية كانوا من طلاب العلم، وكان ذلك دليلاً على حسن نواياه تجاه العامليين. وقد أقنع تقريره المشير فأعطى موافقته، وبذلك إعترفت الحكومة بالمدرسة الحيدرية وبات تلامذتها مؤهلين للتقدم إلى الإمتحان السنوي الذي يخولهم الإعتراف بهم على أنهم من العلماء[2]. إلا أن حظ الطلاب العامليين في الوقوع على موظفين بمثل رحابة الصدر هذه، لم

---

(1) وهذا ما كان من أمر علي النقي زغيب (1867- 1937م)، مثلاً، فقد إضطر إلى ترك مدرسة حناوية والذهاب إلى دمشق لمتابعة دروسه فيها. أنظر: حسن نصرالله، تاريخ بعلبك، الجزء الثاني ص 379- 399.
(2) محسن الأمين، سيرته، ص 75- 76.

يكن دائماً، فقد كانوا أحياناً عرضة للمضايقات الإدارية أو موضعاً للشكوك[1]. على أنهم يدينون بموقفهم الجديد لحسن نوايا بعض موظفي الدولة العثمانية، وليس لحماية زعمائهم، مدنيين كانوا أم روحيين. وتعود المرحلة الثانية من إعتراف العثمانيين بالعلماء الشيعة، إلى الفترة التي أعلنت فيها التعبئة العامة أثناء الحرب الكبرى. إذ إستثني من الخدمة أئمة المساجد والكهنة والحاخامات وحدهم. وبما أن العلماء الشيعة لا تعيّنهم الدولة، لم يكن لهم ذكر في أي سجل من هذه السجلات الرسمية، ولم يكن لديهم أية وثيقة تخولهم الإعفاء، فلم يكن لديهم إذن أية وسيلة للخلاص من الإنخراط في الجيش. فتحرك، هذه المرة، الناس إلى جانب العلماء لنيل مطلبهم، وقد شهد بذلك السيد عبد الحسين شرف الدين والسيد محسن الأمين كلٌّ على طريقته.

يروي الأول أنه أرسل برقيات شديدة اللهجة إلى السلطان والصدر الأعظم ووزير الحربية، بالإتفاق مع غيره من العلماء أمثال السيد نجيب فضل الله والسيد حسين مغنية والشيخ محمود مغنية، كما أن الشعب ما أنفك، هو أيضاً يطالب بإعفاء أئمته حتى نال مبتغاه[2]. أما السيد محسن الأمين، فيروي أن طلاب العلم الشيعة كتبوا إلى الحكومة حتى تمنحهم البراءة التي تمنحها للسنة. ويتحدث عن التباس وقع، فعجّل في خلاص العلماء الشيعة، فقد كان في بيروت جماعة من المطلوبين إلى الخدمة من العامليين، جاؤوا للإلتحاق بصفوف الجيش العثماني، وأظهروا حماسة أمام قصر الوالي. فإستعلم هذا الأخير عن الجمع، فقيل له إنهم من العامليين وقد تطوعوا بملء إرادتهم... فأرسل الوالي في الحال برقية إلى إسطنبول يدافع فيها عن أتباع الدولة الصالحين هؤلاء[3]. وبذلك إستثني الأئمة الشيعة من التعبئة. ولئن كان السيد محسن الأمين الوحيد الذي يذكر هذه التفاصيل، فإن الشيخ سليمان ظاهر ينوه، هو أيضاً، بتدخل الحكومة الحميد[4]. وبذلك يكون العثمانيون قد ساندوا الشيعة مرة ثانية.

---

(1) المصدر السابق، ص 76- 77.
(2) عبد الحسين شرف الدين، بغية، الجزء الثاني، ص 141- 143
(3) محسن الأمين، سيرته، ص 176.
(4) سليمان ظاهر، جبل عامل في الحرب الكونية، ص 38

ولقد مرت فترة، بين نهاية السلطة العثمانية وقيام الإنتداب، حكمت فيها جبل عامل حكومة عربية محلية، أقامها فيصل بن الشريف حسين في خريف سنة 1918. وكان موظفوها ينتقون من السكان المحليين من بين الوجهاء والأدباء الذين أظهروا ميولهم الوطنية. وكذلك كان حال العلماء، فقد عيّنت الحكومة العربية قضاةً من الشيعة في صور وصيدا. على أن فيصل لم يذهب في ذلك إلى إعادة تنظيم سلم التراتب لدى علماء الشيعة، كما فعل للسنّة في دمشق، فعيّن الشيخ سليم البخاري رئيساً للعلماء، مكلفاً برئاسة المجلس الأعلى للعلماء، وبالرقابة على الجمعيات الخيرية[1]. ومن البديهي ألا نعلم ما كان يمكن أن يحدث لو أن هذه الحكومات المحلية تمكنت من أن تدوم أو أنها إنتظمت على نحو أفضل، ولا أيّ وجهة كان يمكن أن تتخذها الحركة التي إنطلقت بإتجاه الإعتراف بالشيعة. ولم تتوصل الطائفة الشيعية إلى الإعتراف بها وإلى أن تصبح كياناً رسمياً في صلب الدولة اللبنانية، إلا في عهد الإنتداب الفرنسي.

– إنشاء المحاكم الجعفرية عام 1926م:

من المعروف أن سلطات الإنتداب الفرنسي حثت الشيعة على المطالبة بتشريع مستقل عن السنّة، بهدف التفريق بين المسلمين لإضعافهم، من جهة، وتكثير الطوائف في لبنان لتمييز الأقليات المسيحية فيه، من جهة أخرى. ولعل الطائفة الشيعية كانت ضحية محاولتها أن تكون طائفة مستقلة. فقد كان للعلماء الشيعة تنظيم تراتبي خاص، رأسه في النجف الأشرف وله تفرعاته في جبل عامل. وقد عرفت المخابرات الفرنسية ذلك خير المعرفة. ولذلك فإن أحد ضباطها قد شرح، بعد تعيين ثلاثة قضاة شيعة في كانون الثاني سنة 1920م، أسباب عدم جدوى هذا التعيين عند الشيعة. يقول: "إن الشيعة يعترفون بالمجتهدين، ويقبلون بهم مرجعاً، عينتهم الدولة أم لم تعينهم...". ويستنتج في الختام قائلاً: "وعلى كل حال، فإذا ما كانت الحكومة تصر على الإعتراف بالقضاة والمفتين الشيعة رسمياً، فإن عليها أن تترك علماء هذه الفرقة يختارون قضاتهم ومفتيهم من بينهم...".

(1)Archives MAE, fonds Beyrouth, carton n 2373, dossier saida, Tyr, 1920, T.E.O. Quest, Beyrouth, 22/1/1920, cabinet politique, n 63.p.6

كان كل من الفرنسيين وشيعة لبنان منقسمين، على ما يظهر، عشية إتخاذ القرار بالإعتراف بالتشريع الجعفري، حول فرص النجاح لهذه المبادرة. فمن البديهي أن يستعمل الفرنسيون، في إضافة طائفة على الطوائف اللبنانية، حنكتهم، ولا سيما في سلخها عن كتلة المسلمين، إلا أن إنشاء تشريع إسلامي جعفري جديد كان، من ناحية ثانية، يخالف مشروعهم في جعل المحاكم مدنية، وهو أصلاً، مشروع تنفيذه محفوف بالخطر. فإنهم أرادوا أن ينتظروا إصلاح هذا النظام، بالحد من صلاحيات المحاكم الدينية، قبل أن يسمحوا بإنشاء تشريعات جديدة[1]. أما الشيعة فكانوا يترددون بين الإمتياز في الإعتراف الرسمي بهم، بإعتبارهم طائفة دينية لها تشريعها الخاص بها، وبين فقدان علمائهم إستقلالهم عن الدولة. كانت المبادرة للنواب الشيعة إذ حرروا طلباً بإنشاء تشريع جعفري، في جلسة المجلس التمثيلي في 22 كانون الأول سنة 1923م. وقد أقرّ جميع النواب هذا الإقتراح ما عدا حليم قدّورة، رئيس الكتلة السنية[2].

إلا أن الإجراء لم يطبق في الحال: وكان لا بد من الإنتظار سنتين قبل أن يصدق حاكم لبنان الكبير "جوزيف كايلا" في 27 كانون الثاني سنة 1926م، الإقرار الرسمي رقم 35.3. ولا شك في أن السلطات الفرنسية كانت تؤجل تنفيذ هذه العملية حتى لا يبدأ العمل بالتشريع الجعفري قبل إصلاح المحاكم الشامل الذي كانت بصدد إعداده. إلا أنها لم تستطع إتمام مشروعها هذا، فجاء إصلاح المحاكم لاحقاً على إنشاء التشريع الجعفري، بإقرار رسمي رقم 261 في 28 نيسان سنة 1926م، وهو يقلص سلطات المحاكم الدينية، ويحصرها بالمسائل الزوجية من زواج ونفقة بين الزوجين، أما باقي قضايا الأحوال الشخصية فتكون من صلاحيات المحاكم المدنية. وقد قام الرؤساء الروحيون، مسيحيين ومسلميين معاً، في وجه هذا التضييق، وإنتزعوا إيقاف العمل بهذا الإقرار الرسمي[3].

---

(1) ويتضح ذلك في مذكرة من سكرتير المفوض السامي، غير مؤرخة، ولا بد أن تكون قد حُررّت بين سنتي 1924 و1925. أنظر المرجع السابق، ويرى محررها أنه لا يجوز، نظراً لما تتمتع به المحاكم الدينية من صلاحيات، إنشاء تشريع جديد قد يتعارض مع المبدأ المعتمد في تقليص هذه الصلاحيات. وفي رأيه أنه لا يصح النظر في ذلك إلا بعد أن يصبح تقليص الصلاحيات نافذاً حين يقتصر عمل المحاكم على قضايا الزواج والطلاق.

(2) أنظر: لسان الحالن عدد 1923/12/24ن والعرفان، المجلد 9، ص 363 (كانون الثاني 1924)، و2، oM، p.96 (Fev.1924).

(3) لم يطبق القرار الرسمي رقم 261 إلا في دولة العلويين La Syrie et la Liban sous l’occupation et le mandate francais, 1919-1927, Berger- Levrault, Paris, p.50, Pierre Rondot, ibid,p.31, Raymond O’zoux, les Etats du Levant sous mandate francaise, Larose, Paris, 1931,p.114, archives MAE, fonds Beyrouth, carton n 592, note sur les questions relatives au statut personnel, le 24/5/1934, p. 7

لئن أخفقت سلطات الإنتداب في وضع مشروعها موضع التنفيذ، فذلك لأنها إضطرت إلى إعطاء الشيعة دليلاً على حسن نيتها، ولكي تحظى في المقابل بولائهم. فقد كان شيعة البقاع يدعمون التمرد الدرزي، وكان في الإمكان أن ينضم إليهم شيعة جبل عامل. فكان لا بد من تحييدهم. ولقد قام المفوض السامي الجديد، هنرى "دوجوفنيل"، في محاولة لتهدئة المسرح السياسي، بتنازل كبير فقبل، في كانون الأول سنة 1925م، أن يضع للبنان دستوراً، وأن يطلب آلية إعداده[1]. فكان لا بد أن يكافئ الشيعة بالإعتراف الرسمي بهم.

ولقد أظهر العامليون، هم أيضاً، حسن نواياهم تجاه لبنان الكبير، وسلطات الإنتداب. ففي الخامس من كانون الأول سنة 1925، إتفق الوجهاء والعلماء على الحفاظ على الأمن في منطقتهم، وعلى عدم مساندة المتمردين. بل أكثر من ذلك، حين قام الفرنسيون بعد ذلك بحوالي عشرة أيام، بإستشارة "الهيئات المشكلة" في لبنان، من رجال سياسة ورؤساء روحيين وممثلين عن مختلف قطاعات العمل، قبل الشيخ يوسف الزين والسيد محسن الأمين أن يشاركا معاً[2]، فكانا بذلك يمحضان ولائهما للدولة اللبنانية.

وقد عبرت الصحافة البيروتية عن رضاها من تحقق المطالب الشيعية. إلا أنها لم تخدع بهذه الصفقة، فقامت جريدة العهد الجديد، المعروفة بمواقفها الوحدوية، بإنتقاد موقف الحكومة، بأنه كان ينبغي لها أن تكون أكرم من ذلك، فتعترف بحقوق الشيعة، من دون أن تجبرها الظروف على ذلك، وموقف المجلس، على حد سواء، إذ صدّق المشروع بسرعة كما لو أن الأمر كان يتعلق بمسألة خطيرة تتعلق بأمن الدولة"[3].

ولم يفت العامليين أن يعبروا عن إعترافهم بالجميل لسلطات الإنتداب وللحكومة اللبنانية: فقام ثلاثة نواب من الشيعة. ثم أعلن هؤلاء النواب على نحو قاطع، أن حركة الإنفصاليين قد هزمت في جبل عامل، وأن جميع الشيعة يدعمون وحدة الأراضي في لبنان الكبير. على أن العلماء قد إلتزموا الصمت ولم يرشح شيء من مجادلاتهم الداخلية حول هذه

---

(1)Edmond Rabbath, La formation historique du Liban politique et constitutionnel, Op.cit. p.388 sq

(2) محمد سعيد بسّام، "الإتجاهات السياسية في جبل عامل، 1918- 1926"، دكتوراه في التاريخ، جامعة القديس يوسف، تحت إشراف د. منير إسماعيل، بيروت 1983، ص 231. حول الإستشارة، أنظر: Edmond Rabbath, La formation p.392-393.

(3)Archives MAE, fonds Beyrouth, carton n 1687, revue de la presse 1925-1926, voir les comptes rendus de la fin janvier 1926 et, surtout, celui du journal al’Ahd al- gadid du 27/1/1926 .

المسألة، هذا إن كانوا قد تجادلوا فيها، وقد بقي مع ذلك، تحديد المجريات في تنفيذ المرسوم الجديد، فهو يقرّ بأن المسلمين الشيعة يشكلون طائفة مستقلة في لبنان الكبير[1]، لها مذهبها الشرعي الخاص بها، وهو المذهب الجعفري. ولهذا المذهب قضاته ومحكمة التمييز الخاصة به وهي مؤلفة من رئيس ومستشارين يختاران من بين القانونيين الشيعة[2]. كان لا بد إذن من تعيين رئيس المحكمة.

كان الشيخ حسين مغنية يعتبر، في تلك الفترة في جبل عامل، رئيساً للعلماء، وكان معروفاً بهذه الصفة لدى السلطات الفرنسية. فعُيّن رئيساً لمحكمة التمييز الجعفرية بمرسوم بتاريخ 17 شباط 1926م [3]، إلا أنه إستقال على الفور. وإستُمزج السيد محسن الأمين فرفض المنصب[4]، قامت بالفعل مفاوضات بين كبار المجتهدين العامليين، فلم يرضوا بهذا المنصب، نظراً لحرصهم الشديد على إستقلالهم. فكان أن إضطرت السلطات الفرنسية إلى أن ترجوهم لتسمية أحد المرشحين، فإنبرى النائب يوسف الزين إلى عرض وساطته. فعُيِّن قاضي صيدا، الشيخ منير عسيران، في هذا المنصب[5]. وكان إختيار العلماء حصيفاً. فالشيخ منير عسيران لم يكن من كبار مجتهدي جبل عامل، لا بل ادعى البعض، بعد ذلك، أنه لم يكن مجتهداً على الإطلاق[6].

وقد سُيّست هذه المسائل في بعض الحالات بين الأسر المتخاصمة كل منها يريد تعيين مرشحه للإستفادة منه في المستقبل[7]. وكان من البديهي أن تستفيد السلطات الفرنسية من هذه الفرص لكي تُحظيّ، هي أيضاً، أصدقائها السياسيين. ومثال ذلك ما نجده في تقرير أحد الضباط الفرنسيين، وهو يعلق على ترشيح أحد العلماء إلى منصب قاض، فيختم تقريره على النحو الآتي: "... وبإمكانه، نظراً لأنه من مناصري فرنسا الأشداء، أن يكون ذا فائدة عظيمة

---

(1)Archives MAE, fonds Beyrouth, carton n 1675, Bulletin de renseignements du Grand Liban 18/1/1926 ، والبشير، العدد 3437، 1926/1/28، أما النواب الثلاثة فهم: عبد اللطيف الأسعد ويوسف الزين وصبري حمادة.

(2)Pierre Rondot, Les institutions politiques du Liban, p.66

(3)Archives MAE, fonds Beyrouth carton n 1675, Bulletin de renseignements du Grand Liban, L'Orient 27/3/1926

(4) العرفان، المجلد 11، العدد 6، ص 669 (شباط 1926).

(5) العرفان، المجلد 11، العدد6، ص 669.

(6) من الصعب التحقق من ذلك، ولا سيما أن منير عسيران لا يظهر في كتب تراجم العلماء. ومع ذلك، فبإمكاننا أن نفترض أنه، إن كان قد سمّاه حسين مغنيه ومحسن الأمين (وكان أستاذه) لهذا المنصب، فإنهما كانا يزكيان كفاءته. ونذكّر هنا بأن منير عسيران قد هاجمه أبناء طائفته حينما شرع بتنظيم المحاكم وإدارة الأوقاف.

(7) ولا سيما في البقاع، حيث تنازع آل حيدر وآل حمادة على منصب المفتي: أنظر: Archives MAE,carton n 1675, bulletin de renseignements du Grand Liban, 2/2/1926, district de Baalbek p. 2

في تنمية النفوذ الفرنسي، فهو يستحق دعمنا...[1] ". يتضح لنا، بعد هذا، السبب في إحجام العلماء عن المشاركة في هذه اللعبة السياسية وفي رفضهم أي صلة بها، وذلك على سبيل ردة الفعل على ذهنية سلطات الإنتداب.

وبذلك إنقسمت جماعة العلماء العامليين إلى فريقين، غير متعارضين بالضرورة، وذلك لأن لكل منهما مهمة كان يؤديها، الفريق الأول منهم إستمرّ في القيام بمهامه الدينية، كما كان يفعل في الماضي، وفي كسب عيشه مما يدفعه المؤمنون من خمس وزكاة، والفريق الثاني قبل بالمراكز القضائية التي عينتهم فيها الدولة اللبنانية، وكانت تدفع لهم رواتبهم. وكان هذا الوضع يناسب الشيعة في نيل ما يبتغون. فقد نالوا، من جهة، إستقلالهم عن السنّة، وحققوا كيانهم الرسمي بإعتبارهم طائفة دينية في لبنان، ومن جهة أخرى، حافظوا على حريتهم حتى في الطعن بسلطة رئيس محكمة التمييز الجعفرية واللجوء إلى أحكام المجتهدين المستقلين عن الدولة.

ومع ذلك كان لا بد للشيعة في لبنان من أن يخوضوا معركة، في العقد الرابع من القرن العشرين، لكي يتوصلوا إلى ما كانوا يعتبرونه إعترافاً كاملاً بهم. فقد بدأوا سنة 1934م بتقديم العرائض إلى المفوض السامي، يشكون فيها من تدني أجور قضاتهم عن أجور نظرائهم السنّة. فرئيس محكمة التمييز الجعفرية لم يكن يتقاضى راتباً يساوي راتب نظيره رئيس محكمة التمييز الحنفية، بل يساوي راتب مستشارية[2]. وقد إعتبر الشيعة أن هذا الإختلاف مهين لطائفتهم، لذلك طالبوا بالمساواة في الراتب. وقد دافعوا عن وجهة نظرهم لدى الفرنسيين، في العديد من المناسبات يدعمهم في ذلك سياسيون لبنانيون معظمهم من المسيحيين والدروز. وكان الشيخ منير عسيران، بالطبع، الصانع الرئيسي لهذه الحملة. إلاّ أن غيره من العلماء، من أمثال الشيخ حسين مغنية والسيد عبد الحسين نور الدين، قد شاركوا في هذه الحركة ولو أنهم من بين الذين رفضوا جميع الوظائف الرسمية لأنفسهم.

---

(1)Carton n 607, cabinet politique, dossiers F2, letter du delegue du haut- commissaire a la direction des wakfs s.d

(2) كان رئيس محكمة التمييز السنية يتقاضى 227 ليرة شهرياً، ومستشاره، 140,5 ليرة، أما رئيس محكمة التمييز الجعفرية فيتقاضى 140,5 ليرة، أنظر Carton n 456, dossier: revendictions de la communaute chiite, letter du directeur de la justice au delegue du haut- commissaire, 27/1/1936

- إدارة ذاتية في إقامة الشعائر الدينية:

كان السيد عبد الحسين شرف الدين أول من أظهر رغبته في تنظيم إقامة الشعائر جهاراً بين أتباعه في صور، وبادر إلى سد النقص في المؤسسات الدينية والإجتماعية. وقام السيد عبد الحسين شرف الدين بمشروع لبناء مسجد. وكان لا بد له من أجل ذلك أن يجد الدعم اللازم، وأن يقنع وجهاء المدينة، وأن يحصل على موافقة السلطات العثمانية.

وقد إفتتح، في مرحلة أولى، سنة 1908م مكاناً للعبادة في منزل قدمه أحد وجهاء المدينة. وقد سمّى هذا المكان حسينية، إلا أنه آل، في الواقع، إلى إستعماله لأغراض عديدة: فقد كان، طوال ما يقارب العشرين سنة، مسجداً، وحسينية، وموضع إجتماع للنقاش في أحوال الطائفة، ومحكمة، ومدرسة[1].

ثم طلب، في مرحلة ثانية، أرضاً من السلطان في سنة 1909م، وبدأ ببناء مسجد عليها. إلا أن أعمال البناء توقفت في أثناء الحرب الكبرى، ثم توقف البناء بسبب نزاع بينه وبين بعض الوجهاء، ثم إن السيد عبد الحسين شرف الدين أهمل مشروعه، وإنتقل إلى بناء مسجد في وسط المدينة، أنهاه سنة 1928م[2]. وكان الوضع قد إنقلب على عقبه، ولم يعد مجتهد صور وحيداً في معالجة تنظيم إقامة الشعائر.

إغتنم العلماء الشيعة الفرصة المتاحة لهم، بعد الإعتراف الرسمي بالطائفة الشيعية، وإنشاء المحاكم الجعفرية سنة 1926م، في تجديد أماكن عباداتهم، وفي إنشاء الجديد منها في المدن والقرى. ففي أثناء العقد الرابع من القرن العشرين جُدّد العديد من المساجد أو وُسع أو رفعت عليه القباب[3].

وقد ساهم في تمويلها الوجهاء والفلاحون، وكذلك المغتربون الأغنياء في أفريقيا وأميركا. وشيدت الحسينيات المخصصة للإحتفال بذكرى إستشهاد الإمام الحسين(ع)، في

(1) عبد الحسين شرف الدين، بغية، الجزء الثاني، ص 115-117.
(2) عبد الحسين شرف الدين ، المصدر نفسه، ص 117- 119.
(3) ويظهر ذلك واضحاً في لائحة المساجد في جبل عامل التي أقامها السيد محسن الأمين في أوائل العقد الرابع من القرن العشرين. أنظر: خطط، ص 175-178.

النبطية وصور وبنت جبيل والخيام والطيبة وفي غيرها من البلدات[1]. وأسست، في الفترة نفسها، المحاكم الجعفرية في صور وصيدا والنبطية ومرجعيون، وكذلك في بعلبك وبرج البراجنة قرب بيروت.

لقد ظهرت الشعائر الشيعية إلى العيان، أكان ذلك من وجهة النظر المعمارية- إنتصاب المآذن وإنتشار القباب- أم من وجهة النظر التأسيسية- إنتظام شعائر العبادة وتعميمها- وبات لدى العلماء وسائل جديدة لتنظيم الشعائر ولزيادة سيطرتهم على أتباعهم. فكانت المساجد المجددة، بقبابها القشيبة، تجتذب المؤمنين وتحثهم على أتباع تعاليم الشرع في العبادات. وقد إستطاع العلماء في الحسينيات أن يولدوا ضرباً جديداً من ضروب الحياة الدينية، أكثر إنفتاحاً على المسائل السياسية والإجتماعية، وذلك بتنظيم المحاضرات حول مواضيع تتخطى موضوع شهادة الإمام الحسين(ع)، بكثير. ففي حسينية بنت جبيل كان الشيخ محسن شرارة وأصدقاؤه يتكلمون أمام المزارعين حول مسألة إدارة حصر التبغ، وينشرون أفكارهم القومية.

وفي موازاة ذلك، كان التقليد بالتوجه إلى المؤمنين عن طريق الكتابة قد إكتسبه بعض العلماء، وإستعملوا هذه الوسيلة لجعل ممارساتهم الدينية منهجية. وهذا ما كان، على الأخص، من أمر السيد محسن الأمين، فقد إبتدأ منذ سنة 1913م بنشر رسالته العملية في الفقه، في كراريس متتالية، موجهة إلى كل من كان يتبع تعاليمه في الدين[2]. وقد حظي المؤمنون بذلك، للمرة الأولى، بكتاب لمجتهد عاملي يرجعون إليه في كل المسائل المتعلقة بعباداتهم وشعائرهم. أما السيد محسن الأمين فقد أصبح مقلَّداً أي أن له مقدلين من بين جمهور المؤمنين. وقد تابع عمله في جعل ممارسة الشعائر منهجية، وذلك بتنظيم مجالس ذكرى فاجعة كربلاء- ثم إنه ألف كتاباً موجهاً للمؤمنين فيه تعليمات حول جميع الإحتفالات الدينية عند الشيعة وحول الأدعية والصلوات، مضبوطة بالشكل، لكل المناسبات، عنوان الكتاب مفتاح الجنّات، وقد صدر للمرة الأولى سنة 1932م[3].

---

(1) المصدر السابق ص 181.

(2) وقد نشرت هذه الرسالة بعد وفاة السيد محسن الأمين ببادرة من خليفته السيد علي مكي، وعليها شروح المرجع في تلك الفترة، السيد محسن الحكيم. أنظر: الدر الثمين في أهم ما يجب معرفته على المسلمين، 1375هـ/ 1955م

(3) محسن الأمين، مفتاح الجنّات، دار التعارف، بيروت 1988، الجزء الأول 605 ص، الجزء الثاني 403 ص.

كذلك أسس الشيعة جمعيات خيرية، وحلقات ثقافية ساهمت في تنظيم الحياة الإجتماعية وتطويرها داخل الطائفة. وبإختصار قد نظموا أنفسهم في ممارساتهم وفي مؤسساتهم على حد سواء. أما رجال الدين أنفسهم فقد إنتظموا في جمعية العلماء، وكان لهم، إبتداءً من العام 1926م، محكمة عليا هي محكمة التمييز الجعفرية. على أن هذا الوضع قد قلب عاداتهم رأساً على عقب ولا سيما فيما يتعلق بإستقلال كلٍّ منهم. فقد كان العلماء العامليون إلى ذلك الحين يشكلون هيئة بالتأكيد، إلا أنها لم تكن منظمة تنظيماً واضحاً تجمعهم بموجبه وتنسق بينهم. فقد كان له واحد منهم يتمتع بحرية كبيرة في الحركة في منطقته، ولا سيما إن كان من المجتهدين، وذلك لأنه لا يصح لأي مرجع أن يعارض أحكامه. كما أن الأموال من الزكاة والخمس والوقف العائدة لكل منهم، كانت تبقى في يديه لتوزيعها.

ففي سنة 1932م، إتخذ السنّة منصب مفتي المفتين، أو مفتي الجمهورية، بشخص مفتي بيروت. فلم يتأخر الشيعة في الرد على ذلك مؤكدين أنهم لا يقبلون بزيارة المفتي السنيّ، فحرروا العرائض بهذا المعنى[1]. بل أكثر من ذلك، بدأوا بالمطالبة بتعيين مفتي الشيعة. وكانت المبادرة الأولى أن يصار إلى تعيين مفتي صور، السيد محمد جواد شرف الدين، لمنصب الإفتاء في جبل عامل كله. بعد ذلك ببضع شهور، في شباط سنة 1933م، إتفق ثمانون عالماً ووجيهاً، في إجتماع دعا له النائبان نجيب عسيران وفضل الفضل في صيدا، على أن يطلبوا تعيين رئيس ديني له صفة تمثيل الطائفة الشيعية، على غرار الطوائف الأخرى. وكان المرشح لهذا المنصب الشيخ حسين مغنية[2]. إلا أن سلطات الإنتداب لم تقم بأي بادرة لتأمين هذا المطلب.

وما لبث الشيعة، بعد ذلك بسنة، أن إحتجوا من جديد على ما طرح من مسألة إلحاق التشريعيين السني والشيعي بأعلى موظف مسلم في الدولة: وقد ذُكر إحتمال بإتباعهما بمفتي الجمهورية، وإحتمال بإنشاء مجلس إسلامي. فما كان من الشيخ منير عسيران إلا أن رفض

---

(1)Archives MAE, fonds Beyrouth, carton n 1664, poste de Tyr, BIH du 31/7 au 3/8/1932, p.12

(2)Ibid, carton n 456, cabinet politique, dossier: revendications de la communaute chiite, compte rendu des deux reunions a saida et a kfar- Roummane des 23/2/1933, voir aussi la syrie du 3/3/1933, p.2

هذا المشروع بإسم طائفته[1]. وقد أدركت السلطات أن كل إشراك للسنة بقضايا الشيعة، من قريب أو بعيد، مصيره الرفض من قبل هؤلاء. فتركت للطائفة الشيعية أن تدير بنفسها أمورها الدينية، إلا أنها لم توافق على إنشاء منصب المفتي. وفي سنة 1940م، أوصى المستشار الإداري المقيم في صيدا بالحفاظ على هذا الوضع على حاله، وفي رأيه أن إنشاء منصب المفتي الشيعي لا يخلو من التسبب بجدل في غير محله، وبإثارة الخصومات[2]. وكان رأي المستشار الإداري صائباً، فقد كان كبار العلماء العامليين في صراع متصل على المرجعية. وعلى الرغم من أنها لم تكن تسمى بهذا الإسم، بل بالرياسة الدينية، فقد كانت مرجعية محلية، بمقتضى الصيغ التي حددها علماء أصول الفقه الشيعة، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وقد كان السيد محسن الأمين أول من إتبع قواعدها بتأليفه رسالة عملية في الفقه تجيز له موقع العالم "المقلد" من قبل المؤمنين، أي أنه كان قابلاً لأن يكون مرجعاً. وكان يحق له بهذه الصفة أن يتبوأ الإدارة الدينية المحلية، طبقاً للنظام المتبع في النجف، مركز التشيّع، حيث كان يقيم المراجع ذوو اليد الطولى في العالم الشيعي بأسره. كان السيد محسن الأمين العالم الوحيد في هذا الوضع، تحت الإنتداب.

وكان الشيخ حسين مغنية والسيد عبد الحسين شرف الدين منافسي السيد محسن الأمين الكبيرين. وقد إقتسم مع الأول، إذ كان زميل دراسته القديم، إدارة أموال الصدقات فلم يكن بينهما أي خلاف. إلا أنه مع الثاني أقام على خصومة خرساء ملبّدة لم تظهر على الملأ. أما الشيخ حسين مغنية والسيد عبد الحسين شرف الدين فقد تواجها صراحة في مناسبة إعادة تنظيم المحاكم الشرعية، في أوائل سنة 1940م، فقد أيد السيد عبد الحسين شرف الدين الإجراءات المتخذة، بل شارك في اللجنة المكلفة بإقتراحها، بينما كان الشيخ حسين مغنية مناهضاً لها بشدة[3].

---

(1)Carton no 607, dossier F2, jurisdictions Sunnites et chiites, 1934, information n 101, cabinet politique, 17/5/1934, information n 103, 18/5/1934

(2) ونذكر هنا أن الشيعة قد إنتظروا إلى العام 1967 حتى أصبح لهم مؤسسة جديدة هي المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى تناسب طموحاتهم.

(3) أبدى حسين مغنية عدم رضاه، في رسالة مفصلة إلى المفوض السامي، قبل وفاته بقليل. وقد ظلت الطائفة الشيعية منقسمة حول هذا التنظيم الجديد، ولا سيما علماؤها

وقد وجد السيد عبد الحسين شرف الدين، بإشتراكه في هذه اللجنة التي ألفتها الحكومة، الوسيلة لإثبات سلطته من جديد، وكانت قد خفتت بعض الشيء منذ عدة أعوام. فلئن كان لمجتهدنا أنصاره ومقربوه، فقد كان له مناهضوه أيضاً، ولعله كان عازماً على البقاء في النجف بمناسبة زيارة قبور الأئمة بعد سنة من ذلك، وأن يتخذ لنفسه مكاناً في سلم مراتب العلماء فيها. وبمقتضى قول مترجمه السيد محمد صادق الصدر، فإن المرجع السيد أبا الحسن الأصفهاني قد حاول أن يقنعه بذلك، ثم أعاد عليه هذا العرض بعد عشر سنين حينما زار لبنان في العام 1946م قبل وفاته بقليل[1]، إلا أن السيد عبد الحسين شرف الدين فضل البقاء في جبل عامل. وإستمرَّ في أداء مهمته فيه دون أن يشارك غيره من المجتهدين إجتماعاتهم ودون أن يشترك في أعمالهم الجماعية، على طريقته في الأصل.

كان الشيخ حسين مغنية يُعدّ من بين كبار مجتهدي جبل عامل، وكان قد توصل إلى جمع العلماء من حوله، وكان الناطق بإسمهم منذ أن إنتخب رئيساً لجمعية العلماء. ومع أنه ظل متحفظاً على القضايا السياسية، فكّر في خلف له قادر على القيام بمهامه، فإختار الشيخ منير عسيران ليخلفه في سلطاته. وأعلم سلطات الإنتداب والسلطات اللبنانية بذلك، في وثيقة مصدقة من قبل ما يناهز العشرين من علماء جبل عامل قدمّوا موافقتهم[2].

ولعل الشيخ حسين مغنية قد أراد، بهذا الإختيار، أن يعطي جمعية العلماء طابعاً أكثر رسمية مما كانت عليه، فيصبح رئيسها صاحب أعلى منصب قضائي لدى الشيعة، ولا سيما أنه معتاد على الحوار مع السلطات العامة. كما أن هذا المنصب الجديد قد أعطى الشيخ منير عسيران وزناً أكبر، بإعتباره ممثلاً للطائفة الشيعية في لبنان، ومدى أوسع لتحقيق مطالبه. ومع ذلك فإن سلطته العلمية لم تزد شيئاً. وذلك أن سلمي التراتب بقيا منفصلين، مع أنهما كانا قائمين على مجموعة واحدة من العلماء، هم من الأسر نفسها.

---

(1) أنظر مقدمته لكتاب عبد الحسين شرف الدين، النص والإجتهاد، دار النعمان، النجف، 1964، الطبعة الثالثة ص 60-61.

(2)Carton n 456, cabinet politique, dossier 32: revendications de la communaute chiite, OP.cit, saida, le 15/3/1940

سابعاً: ولادة الطائفة السياسية:

بدأ كُتّاب جبل عامل منذ سنة 1908م بالكلام في مقالاتهم عن الأمة العاملية وحاولوا إدخالها في مجتمع سياسي واسع، إلا أنهم لم يتخيلوا أن يأتي يوم يجبرون فيه على دمجها في دولة صغيرة مؤلفة على شكل فسيفساء من الطوائف القائمة بعضها قرب بعضها الآخر. ومع ذلك فقد إضطروا، منذ إنشاء لبنان الكبير سنة 1920م، إلى التفاعل بطريقة عملية مع التوزيعتين، السياسية والإدارية الجديدتين. ولقد إنشغل بوضع جبل عامل في هذه الدولة الجديدة التي أنشأها الأجانب لغير الشيعة – لمسيحيي لبنان- حتى من كان من العروبيين المخلصين الذين تابعوا نضالهم من أجل الوحدة مع سوريا. فقد كانت مجلة العرفان، منذ سنة 1921م، صدى لهمومهم ومطالبهم التي لم تتغير مدة سنوات طويلة، ولم يتغير فيها سوى أسلوب صياغتها تبعاً لتشكل الجماعة العاملية في طائفة سياسية، على غرار باقي الطوائف اللبنانية.

وكانت المطالب في أول الأمر تنشر في الصحافة بواسطة أفراد أو أنها كانت تصدر عن جماعة من الوجهاء والعلماء، يجتمعون في مناسبة معينة ويلقون بشكواهم لدى سلطات الإنتداب أو يتقدمون بعريضة إلى عصبة الأمم. ثم بدأت المطالب شيئاً فشيئاً تتم بالتشاور، فكانت جماعة الوجهاء والعلماء، وقد نصبت نفسها ممثلة لجبل عامل، تتحلق حول النواب، وكانوا ممثلي المنطقة المنتخبين. وبذلك كان وجها "التمثيل"، التقليدي والحديث، يعملان معاً، وبعد توقيع المعاهدة الفرنسية اللبنانية، غلب وجه التمثيل الحديث. فلندقق في بعض مراحل هذا المسار.

نشر الشيخ أحمد عارف الزين سنة 1921م مقالات قصيرة للشكوى من أمور ثلاثة: تدني التمثيل الشيعي في الإدارة العامة، وكثرة الضرائب، والنقص في المدارس في جبل عامل. ولذلك فإنه كان يطالب سلطة الإنتداب بتصحيح هذا الوضع، بإسم المساواة، وهي، بحسب قوله، شعار فرنسا(1).

(1) العرفان، المجلد 6، العدد 5 و6 ص 293- 294 (أيار 1921) والعدد 8، ص 405 (حزيران 1921).

ونذكر أن مطالب الشيعة الأساسية كانت متضمنة في هذه المقالات. في المقابل، كان الشيخ أحمد عارف الزين يرتكز على مبدأ المساواة في صياغة هذه المطالب، إلا أنه كان يتوجه إلى فرنسا، وليس إلى الحكومة اللبنانية، كما سوف يكون الحال فيما بعد، أي إلى الطائفتين الحاكمتين، المارونية والسنيّة، بعد ذلك بقليل ذهب وفد من العلماء والوجهاء إلى الجنرال "غورو" وقدموا له المطالب نفسها، وزادوا عليها مشكلة الحال المزرية للطرقات[1].

ولم تطرأ تحسينات كثيرة بعد ذلك بسنوات. وظل تمثيل الشيعة في الإدارة أدنى من المطلوب، وحتى في الإدارة المحلية، لسبب بسيط هو أنه لم تكن فيهم نُخَبٌ مؤهَّلَةٌ لملء الوظائف الفنية. وقد إستمر جبل عامل في حمل عبء ضريبة ثقيل يدفعه للخزينة اللبنانية، إلى سنة 1937م حيث وضع نظام ضريبي موحد جديد، بينما كان جبل لبنان الأغنى منه ينعم بضريبة أقل بكثير، نظراً لمتعته بنظام ضريبي متميز[2]. ومع ذلك لم يكن جبل عامل يحظى بحظه من ميزانية الدولة. فكان من الواضح أن الأشغال المتعلقة بجر المياه وشق الطرقات غير كافية، أما الإستثمار في القطاع المدرسي فكان شبه معدوم (كانت المدارس الرسمية النادرة الوجود، لا تتعدى المرحلة الإبتدائية)[3].

كانت مطالب العامليين، سنة 1933م، تشكل الموضوع المركزي، في الحملات السياسية التي كان يقوم بها نوابهم، إلا أن هؤلاء لم يتوصلوا إلى تشكيل جبهة موحدة يتوجهون بها إلى الحكومة. فقط خطط يوسف الزين لتنظيم لقاء حول غداء يجمع بين بعض العلماء والوجهاء وبين ضباط فرنسيين بتاريخ 24 شباط. فلما علم النائبان نجيب عسيران وفضل الفضل بذلك، قرّرا أن يقيما، هما أيضاً، إجتماعاً للبحث في مطالب الطائفة... فأقيم هذا الأخير في 23 شباط، وضمّ ستين وجيهاً شيعياً وحوالي عشرين عالماً.

---

(1) العرفان ، المجلد 7، العدد 2، ص 60-161 (1921)، "مطالب العامليين".
(2) صدر قرار في آب 1933 بفرض ضريبة موحدة على الأراضي، بعد مكالبة المكلفين، وكان لا بد من الإنتظار إلى سنة 1937 حيث أقيمت الحصص الجديدة لهذه الضريبة، حتى تتحقق فعلاً المساواة في الضريبة بين اللبنانيين، أنظر Jacques Tallec, Apercu sur l'evolution entre 1914 et 1937 des impots sur la terre au Liban, memoire inedit du CHEAM, n 30 42p.
(3)Roger Lescot, "Les chiites du Liban – Sud", rapport inedit du CHEAM n 3, 1936, p. 19-20

أما المطالب التي طُرحت في هذين الإجتماعين فكانت هي نفسها من دون أن تكتسي طابعاً جديداً، وكان محورها الأساسي طلب المساواة بين الطوائف التي يتألف منها لبنان. وكانت الطريقة التي أقيم بها الإجتماعان واحدة كذلك، وهي الإجتماع على وليمة، يصاغ في أثنائه نص يوقعه المدعوّن. إلا أن الشخصيات المختارة لتكون "ممثلة" للطائفة وناطقة بإسمها كانت مختلفة. فقد راهن يوسف الزين على ما يقارب الخمسة عشرة شخصية يمثلون التراث، أغلبهم من العلماء ومنهم السيد محسن الأمين والسيد عبد الحسين شرف الدين، والشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر. أما منافساه، نجيب عسيران وفضل الفضل، فقد وسّعا دائرة إعتبارهما للنخبة، فجمعا ثمانين شخصاً. كذلك وسّعاها في إتجاه الشباب من الوجهاء ومن أصحاب الشهادات العلمية أمثال رضا التامر وفؤاد عسيران وكاظم الخليل وعلي بزي، وقد القى كل منهم خطاباً. وكان إظهار هذه النخب الجديدة إلى جانب الوجهاء التقليديين، دليلاً حسياً على قيام فعاليات إجتماعية جديدة. ومع ذلك وقع العريضة إثنا عشر عالماً على رأسهم الشيخ حسين مغنية، ولم يوقعها سواهم، مع العلم أن من صاغها هم على الأرجح، النواب والشباب، وكان ذلك يعني أن المركز الأول للشرعية السياسية كانت لا تزال تكمن عند علماء الدين، أي أن العلماء كانوا لا يزالون يمثّلون الطائفة[1].

ولقد غيّر نواب الشيعة موقفهم ومنهجهم سنة 1937م. فإنتقلوا من المطالبة بالمساواة الإجتماعية والإقتصادية، بلسان علماء الدين وبتزكية منهم، إلى المطالب السياسية يتقدمون بها شخصياً بالتوافق فيما بينهم. وفي بداية هذه السنة قبل خير الدين الأحدب منصب رئيس الوزراء، وكان عروبياً فإقتنع بلبنان، وبتعيينه أصبح "العرف" أن يكون هذا المنصب للسنّة[2]. وهكذا أصبح رئيس الجمهورية مارونياً ورئيس الوزراء سنياً. وفي الأيام الأولى من إنعقاد الدورة العادية للمجلس في أواخر تشرين الأول، طالب نواب الشيعة السبعة أن يكون رئيس المجلس واحداً منهم.

---

(1) أنظر Archives MAE, fond Beyrouth, carton n 456, dossier: revendications de la communaute chiite, compte rendu des deux reunions tenues a saida et a kfar- Roummane les 23/2 et 24/2/1933, La Syrie, 3/3/1933, p.2

(2)Edmond Rabbath, La formation historique du Liban Politique et constitutionnel, p.441, Kamal salibi, Histoire du Liban, Naufal, Paris, 1988, p.312

وذكّروا بمطالب الجنوب التي لم تتحقق بعد. وإذ رُفض طلبهم انسحبوا جميعاً من الجلسة في 14 كانون الأول. وإنهالت عليهم برقيات التأييد من الجنوب[1].

وقد قام المستشار الإداري المقيم في جنوب لبنان "بيار بارت" بتحليل الوضع، تحليلاً سديداً، في رسالة موجهة إلى المفوض السامي، إقتطفنا منها هذا المقطع.

"بذلك تكون الشكاوى التقليدية التي كان يصوغها الشيعة وسكان لبنان الجنوبي إلى هذا الحين، بصفة فردية بواسطة شخصيات مدنية ودينية ذات صفات تمثيلية متفاوتة، قد حل محلها عمل مشترك بين الممثلين الشرعيين للطائفة وللقضاء".

"وكان هذا الموقف، بتعبيره المفاجئ العفوي، قد أثار دهشة البرلمان والصحافة والحكومة. وهو صادر عن روحية جديدة ما تزال خفية على الخارج وعصية على السياسيين البيروتيين الذين يميلون إلى بعض أوساط الشباب الشيعة الأكثر ثقافة وتطوراً من جمهور أبناء دينهم، ممن صمموا على نيل المساواة في المعاملة بينهم وبين باقي الطوائف والمناطق اللبنانية. ويتكيف معظم نواب القضاء مع هذه الموجة من تشكل الرأي العام، بإختيارهم، ولا سيما أنها تدغدغ ميلهم إلى إكتساب الشعبية..."[2].

وقد أضاف المستشار بعض الملاحظات الحصيفة على نواب الجنوب السبعة[3]، فهو يقسمهم إلى ثلاث فرق، الأولى، في رأيه، تتعلق بمن يظهر بمظهر الزعيم شبه الإقطاعي، بالزعماء التقليديين (أحمد الأسعد ويوسف الزين وعلي عبدالله)، والثانية تتعلق بمن له إعتبار بسبب ثروته وإظهاره التعلق بالحكومة أياً كانت (نجيب عسيران وبهيج الفضل)، والثالثة تتعلق بمن كان من الشباب النشيط، المثقف، "المتطور" (رشيد بيضون وكاظم الخليل).

وكان هؤلاء النواب الشباب يرفدون التمثيل العاملي بدم جديد، ولا بد أنهم كانوا العنصر المحرك لإستراتيجيته الجديدة. وعلى جميع الأحوال، أصبح الجنوب موضوع حديث الحلقات السياسية البيروتية، وكان إلى ذلك الحين مهملاً. وقد لفت "بيار بارت" نظر

---

(1)Archives MAE, carton n 406, dossier, revendications de la communaute chiite

(2) المصدر السابق Lettre du conseiller administrative du Liban- Sud au delegue du H.C. n 360, 24/12/1937

(3) زيد عدد النواب من 25 إلى 60 بقرار رسمي من قبل المفوض السامي مؤرخ في 7 تشرين الأول 1937، مما جعل عدد نواب الجنوب 7. أنظر: Edmond Rabbath, La formation, p.441

رؤسائهم إلى أن المجلس الإسلامي الأعلى، وهو أعلى هيئة سنيّة، يوافق على مطالب الشيعة وتصرفات نوابهم، كان يشكل في رأيه، "إنذاراً" لا يستهان به. وكان الوقت قد حان للوفاء بالعهود التي بقيت مدة عشر سنوات حبراً على ورق. ولقد صحا "الجنوب" من غفوته. ولكن كان لا بد من الإنتظار إلى عهد فؤاد شهاب، سنة 1958م، حتى تتحقق إزالة الحواجز عن الريف الجنوبي، وحتى تتحقق زيادة فعلية لأعداد الشيعة في الإدارة وفي الجيش[1].

بعد تلك الصيحة في المجلس، إستمر الشيعة في مكابدة النظام السياسي الحديث. فما أنفك رشيد بيضون يظهر حقوق الشيعة ويردد مطالبهم، لدى سلطات الإنتداب، وأمام عصبة الأمم ويقوم بالحملات عند طبقة السياسيين اللبنانيين في آن معاً[2].

وقد بدأ النواب الشيعة منذ ذلك الحين بالإضطلاع بدورهم دون اللجوء إلى "الممثلين" التقليدين للطائفة من علماء ووجهاء. على أن الشيعة لم يؤسسوا "حزبهم" الخاص بهم، بينما توصلت طوائف أخرى إلى أن تفصح عن نفسها في أحزاب سياسية لها فيها الأغلبية (وهذا ما كان من أمر الروم الأورثوذكس في الحزب القومي السوري، والحزب الشيوعي اللبناني، والدروز في الحزب التقدمي الإشتراكي... إلخ)[3].

ولم يكن سبب هذا النقص في التمثيل الشيعي في النظام السياسي الطوائفي الذي كان في طور التبلور في صور حديثة، وعياً وطنياً أكثر تطوراً لديهم من غيرهم من الطوائف، بل كان سببه النقص في إنتشار الثقافة السياسية الحزبية الحديثة، أو تطابق الثقافة الدينية الحديثة- حركة الإصلاح- والثقافة السياسية بمعناها الضيق.

وتشهد بذلك مجلة العرفان على وجه الخصوص، إذ كانت في جبل عامل أول دافع إلى نشوء رأي عام بالمعنى الحقيقي للكلمة، وأول موجّه لنشر الثقافة السياسية الحديثة والمثل

---

(1)Salim Nasr, Mobilisation communautaire et symbolique religieuse: l'mam sadr et les Chi'ites du Liban (1970-1975). P. 123

(2) من ذلك مثلاً، أنه أرسل برقية إلى المفوض السامي مؤرخة في 1937/12/2، يطالبه فيها بعدالة أكبر في تمثيل الشيعة في الإدارة العامة. أنظر Nawal Fayad, Les intellectuels du Djebel l'Amil et le movement national,p.176 وفي 1939/2/6 تقدم إليه بمذكرة حول الطائفة الشيعية، يستعيد فيها من جديد، مطالبها في الماء، والطرقات، والوظائف في الإدارة العامة إلخ Archives MAE, carton n 406, dossier: revendications de la communaute chiite , memoire presente par Rachid Beydun

(3)Joseph Olmert, "The Shi'is and the Lebanese State", in Shi'ism, Resistance and Reolution, ed. Martin Kramer, p.196

العليا الإصلاحية. أضف إلى ذلك أن الشيعة، وكانوا يمثلون بعددهم الطائفة الثالثة في البلاد، لم يستشاروا في صياغة الميثاق الوطني يوم استقل لبنان سنة 1943م، واليوم، يُقرُّ هذا الميثاق غير المكتوب الذي وضع ليتمم الدستور، كما هو معروف، بالقاعدة القائلة بأن رئيس الجمهورية يكون من الموارنة ورئيس الوزراء من السنّة ورئيس المجلس النيابي من الشيعة.

والحق أن هذا الميثاق كان في الواقع إتفاقاً بين الطائفتين المسيطرتين: المارونية والسنيّة (وكانتا ممثلتين ببشارة الخوري ورياض الصلح). أما الشيعة فقد إستبعدوا عنه. وهذا ما يراه كمال الصليبي إذ يقول: "في الميثاق الأولي، لم يؤخذ بحقيقة موقعهم الكبير في هذه البلاد"[1]. ولم يختص ذاك المنصب المحوري بهم، إلاّ سنة 1947م، إذ إنتزعوا رئاسة المجلس من الروم الأورثوذكس.

- **الإنتداب الفرنسي يشد من أزر النظام الطائفي:**

كان النظام الطائفي معروفاً في الدولة العثمانية، بإعتباره صيغة تنظيمية وإدارية أو مبدأ عمل سياسي شامل على حد سواء. أما نظام الإنتداب الذي أقامته فرنسا، فإنه لم يكتف بالمضي في هذا الخيار الطائفي، بل إن فرنسا متنت هذا النظام على نحو عظيم جداً، بتكثير الأجهزة الإدارية، وإخضاعها للعقلانية، وجعلها منهجاً، وبتأسيس الإنتخابات العامة، وذلك على صعيد المؤسسات، ومن وجهة الرابطة السياسية المساندة لها، على حد سواء.

وهكذا فإن المساواة التي كان يطالب بها العامليون، قياساً بإيديولوجية الدعوة إلى المساواة، منشأ المُثُل السياسية الحديثة الأول، لا تعني بالفعل مبدأ التساوي أمام القانون، أي تساوي الأفراد أمام قانون الدولة غير المتحيز، بل تعني التساوي بين الطوائف.

وكانت الدعوة اللبنانية تحقق على نحو كامل التقاء منظورين هما اليوم موضع نقاش في أوروبا ضمن إطار تنظيم جماعات المهاجرين من حيث حقهم بالإختلاف وحقهم بالمساواة. إلاّ أن ذلك كان يتم، في تلك الفترة في لبنان، على حساب مبدأ المساواة أمام

(1)Kamal Salibi, Une maison aux nombreuses demeures, L'identite dans le creuset de "Un certain "pacte l'histoire, Naufal, Paris, 1989, p.212-213 national", La formation, p. 539-551 .

القانون، وعلى حساب جميع الحقوق المرتبطة بإطلاق الفرد في المجتمع الحديث. وبإختصار، فإن الشيعة تألفوا في طائفة سياسية وإندمجوا في الدولة اللبنانية بواسطة تحريف نموذج الدعوة إلى المساواة الناتج من عصر التنوير، أو إمالته عن قصده، نظراً لطول ما طالبوا بالمساواة بغيرهم من الطوائف، ونظموا أنفسهم لهذه الغاية.

استنتاج الفصل الخامس:

نقف عند عبور جبل عامل "الطريق إلى لبنانيته وعربيته وكيف استطاع أن يتجاوز الفتن الطائفية الغربية التي غرسها ورعاها المتحمل الأجنبي، وباشرها جهال من هنا ورعاع من هناك، وحاول استنفاذها بالمؤاخذة الوطنية عقلاء الحواضر العاملية، من مرجعيون إلى النبطية وشحرور وصور وتبنين وشقراء وبنت جبيل وعليه فإن هذا الشعب كان في ماهياه وحاضره ضحية للفتنة ولم يكن طرفاً في أية فتنة طائفية أو مذهبية وقياداته على الدوام كانت ولا تزال تدعو إلى توجيه السلاح نحو العدو الذي يهدد لبنان بالعدوان والإحتلال. وإن جبل عامل لا يزال ينتمي إلى نفسه وعروبته وتراثه عن سابق إصرار وتصميم، والذي انبثقت المقاومة الشعبية برعاية العلماء والأعلام، حتى أن ثورة القسام عام 1936م. تردد رجعها في "انتفاضة حجارة" في بنت جبيل والقرى المجاورة، وأن الأحداث التي نؤرخ لها نتناولها بخط واضح حيناً وخطي أحياناً، فهذا موضوع الطائفية مثالاً وهو وهم لبناني كان للفرنسيين دور في تأجيج الصراعات الطائفية منذ البداية وكان موقف العلماء هو النموذج والرد الوطني على دعاة الفتنة الطائفية في البلاد.

الفصل السادس

موقف جبل عامل من المشروع الصهيوني في عهد الإنتداب

الفصل السادس

موقف جبل عامل من المشروع الصهيوني في عهد الإنتداب

أولاً: الأهداف الصهيونية في جبل عامل:

بعد التعديلات التي أدخلت على الحدود اللبنانية- الفلسطينية عام 1931م، كان أصحاب المشروع الصهيوني في فلسطين مستمرين في تصور ثابت لمصير لبنان. ولا يزال هذا التصور مستمراً حتى الآن وينفذ بدقة، وهو يستند إلى هدفين هما:

1- إحتلال منطقة جنوب لبنان أو جبل عامل وصولاً إلى نهر الليطاني.
2- إقامة دولة مسيحية مارونية في لبنان لها حدود مشتركة مع الدولة اليهودية[1].

ويؤكد هرتزل الهدف الإستراتيجي لقيام دولة إسرائيل اليهودية على أرض فلسطين بقوله: "سنكون نحن جزءاً من السور الأوروبي المرفوع في وجه آسيا سنكون نحن في الصفوف الأولى من الجبهة، حماة المدنية وخفراءها ضد البربرية"[2]. والبربرية التي يعنيها هرتزل هي الإسلام.

أصبح "لبنان صورة الغرب الذي في الشرق والحدود التي تنتهي عندها الحضارة الغربية ليبدأ بعدها عالم آخر"[3].

يقول إلياهوإيلات في مقدمة كتابه الذي أصدره سنة 1974م: "... وهناك قيمة سياسية لإتصالاتنا مع الطائفة المارونية في لبنان بعد أن إزدادت الآمال بأن لجنة بيل الملكية إقترحت كحلّ لمشكلة فلسطين التقسيم وإقامة دولة يهودية في قسم من فلسطين. وقد إشترك حاييم وإيزمان بشكل فعال في الإتصالات. وإلتقى برفقتي بطريرك الطائفة المارونية أنطون عريضة والرئيس اللبناني إميل إدّه"[4].

---

(1) المشروع الماروني- مصدر سابق- ص 448.
(2) (دوفال جاك)، (لوروا- ماري) التحدي الصهيوني ترجمة نزيه الحكيم، ص 34- دار العلم للملايين- بيروت- سنة 1969.
(3) الحاج- بدر- الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني في لبنان- قراءة في مذكرات إلياهو ساسون، ص 62.
(4) المصدر نفسه - ص 45- بيروت- دار مصباح الفكر سنة 1982

ويعد الياهو ساسون من أبرز القادة الصهاينة الذين أقاموا شبكة من العلاقات السياسية مع زعماء الموارنة فضلاً عن الزعماء العرب. ومن المعروف عن ساسون الذي يتكلم العربية جيداً أنه ديبلوماسي إسرائيلي خبير بالشؤون العربية، وقد عمل في الصحافة العربية، وفي عام 1930م تولى منصب رئيس الدائرة العربية التابعة للوكالة اليهودية، وبناء على توجيهات إدارة الوكالة اليهودية تجول ساسون في البلاد العربية وأقام علاقات وإتصالات مع بعض الزعماء العرب"[(1)].

وفي بيروت إلتقى مع زعماء الموارنة: أنطون عريضة وأميل إده وبشارة الخوري والمطران عبدالله الخوري وغيرهم "ووجد لديهم إستعداداً صريحاً وواضحاً للتعاون مع "الوطن القومي اليهودي" في فلسطين على الصعيدين السياسي والإقتصادي"[(2)].

في إحدى لقاءاته مع إلياهو ساسون، إفتخر بشارة الخوري بأن لبنان إختار دائماً "إغضاب العرب بدليل إشتراكه في معرض الشرق الذي أقيم في تل أبيب، وهذا المعرض هو معرض تجاري نظم عام 1934م وكان هدفه الأساسي عرض منتوجات الإستيطان اليهودي وتوثيق العلاقات التجارية مع الدول المجاورة"[(3)].

وكان أميل إدّه يرى أن الصداقة بين لبنان والدولة اليهودية ليست فقط مصلحة للبلدين، إنما ايضاً مصلحة لثبات الثقافة الغربية في الشرق الأوسط، ولما تولى إدّه منصب رئاسة الجمهورية في لبنان وافق على إقامة جمعية الصداقة اللبنانية- الفلسطينية من أجل التعاون الثقافي بين المؤسسات الثقافية اليهودية في فلسطين والمؤسسات الثقافية اللبنانية، وقد أعد قانوناً لهذه الجمعية إهتم به موشي شاريت شخصياً.

وكان اليهود يعبرون إلى لبنان من فلسطين كمصطافين. وقد شكا بشارة الخوري مرة إلى إلياهو ساسون من عدم وصول عدد كاف من هؤلاء اليهود إلى لبنان سنة 1939م"[(4)].

---

(1) بدر الحاج، الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني، قراءة في مذكرات الياهو إيلات، دار مصباح الفكر، بيروت، 1982 ، ص 77
(2) المرجع نفسه، ص 129.
(3) المرجع نفسه، ص 109.
(4) المرجع نفسه، ص 108.

1- التنسيق الماروني الصهيوني:

في شهر نيسان سنة 1934 م وصل إلى بيروت الزعيم الصهيوني حاييم وإيزمان، فإجتمع ببعض المسؤولين اللبنانيين وفي مقدمتهم أميل إدّه والبطريرك الماروني أنطون عريضة، وتم الإتفاق على توطيد التعاون الماروني الصهيوني وتسهيل بيع الأراضي اللبنانية للمتمولين وللشركات اليهودية[1].

وفي رسالة مؤرخة في 10 نيسان 1934م أرسلها البطريرك أنطون عريضة إلى عمدة الجمعيات الإثني عشرية اليهودية في الأرجنتين ردّاً على رسالة العمدة إليه، أكّد له العلاقات التاريخية بين اليهود والموارنة: "أما نحن فقد راينا أنه من الواجب الإنساني والمحبة الأخوية والعلائق التاريخية والدينية التي تربطنا بكم أن نرفع صوتنا عالياً بالإحتجاج على ما يصيبكم من الإضطهاد والمكروه، ونظهر لكم عطفنا ورغبتنا فيما يهدف لخيركم وراحتكم، كما أننا مستعدون أن نؤازركم مع ضعفنا في كل ما يأل لخير أمتكم ونجاحها سالكين بذلك على خطة الإنجيل المقدس وطريقة سلفائنا البطاركة"[2].

وفي عام 1935 م أرسل البطريرك الماروني إلى فلسطين إثنين من رجال الكنيسة المارونية هما: المطرانين: عقل والمعوشي فإجتمعا بحاييم وإيزمان، وتم الإتفاق بين الطرفين للعمل على تحويل لبنان إلى وطن قومي مسيحي مقابل أن تكون فلسطين وطناً قومياً يهودياً"[3].

"عندما زار إلياهو إيلات البطريرك الماروني في مقره في بكركي في بداية آذار سنة 1937، أبلغه أنه سيسافر بعد أسبوعين إلى روما، حيث سيلتقي البابا، ومن هناك سيتابع سفره إلى باريس، وفي الزيارة نفسها إلى بيروت، إلتقى إلياهو إيلات أميل أدّه وأخبره كما أخبر البطريرك بكل المعلومات المتوفرة لديه عن لجنة بيل الملكية وعن إمكانية طرح مشروع التقسيم.

---

(1) "التقرير الإسلامي" رقم 11 تاريخ 25 تموز 1980 ص 2 (إصدار المركز الإسلامي للتربية- بيروت- لبنان).
(2) من وثائق البطريركية المارونية في بكركي 1934/4/10.
(3) التقرير الإسلامي رقم 11، تاريخ 25 تموز 1980 ص 2 (المصدر السابق المذكور أعلاه)

وأكد البطريرك أنه يأمل أن يلتقي ليوم بلوم، اليهودي ورئيس الحكومة الفرنسية الذي يعده أحد أكبر رجال العصر، وأضاف أنه في حال لقائه به سوف يعلن أمامه عن تأييده للصهيونية وللمشروع اليهودي في فلسطين. ولهذا وقبل مغادرته بيروت أقامت الجالية اليهودية هناك حفلة تكريم على شرفه حيث قوبل بإستقبال ملكي في الكنيس اليهودي الرئيس في حي اليهود، وهناك ألقى خطاباً لم يبارك ويمدح فيه الجالية اليهودية في لبنان فحسب، وإنما أيضاً الإستيطان اليهودي في فلسطين.

ومما قاله عن اليهود في خطابه: "أخوة المصير والأهداف للمسيحيين في لبنان"[1].

... وعلى متن السفينة المسافرة من الإسكندرية إلى البندقية في 2 أيار سنة 1937م "إلتقى إلياهو إيلات ورفيقه دوف هوزر مع البطريرك في غرفته الخاصة حيث عبّر دوف في حديثه عن تقديره العميق للخطاب الذي ألقاه البطريرك في الكنيس اليهودي في بيروت وإعجابه به.

وخلال الحديث أكد دوف على أنه إذا قامت دولة يهودية في فلسطين بناء على خطة التقسيم التي تعدها لجنة بيل الملكية فيجب أن لا يكون هناك حاجز بين أرض الدولة اليهودية ولبنان، وقال دوف: "إنه لأمر حيوي بالنسبة إلى اليهود والنصارى أن يزداد التعاون الوثيق بينهما في جميع المجالات الإقتصادية والتربوية والثقافية والسياسية".

... وأكد إلياهو إيلات على "مدى أهمية حصول الموارنة في لبنان على تأييد الشيعة الذين يقطنون على إمتداد الحدود الشمالية لفلسطين".

... ورد البطريرك قائلاً: "... لكن الظروف تبدلت في العالم وفي المنطقة بعد إنهيار الإمبراطورية العثمانية وليس بإستطاعة المسلمين بعد اليوم تنفيذ رغباتهم، ووعد البطريرك أنه في أثناء وجوده في روما سيلفت نظر وإنتباه رجال الفاتيكان إلى "الخطر الإسلامي"، وأنه سيحاول تحريك الفاتيكان للقيام بعمل مضاد"[2].

---

(1) بدر الحاج، الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني في لبنان- مرجع سابق- ص 46-48.
(2) المرجع نفسه، ص 49-50.

- لقاء البطريرك عريضة مع حاييم وايزمان سنة 1937م:

لدى وصوله إلى باريس أكّد يوسف رحمة سكرتير البطريرك أن الموارنة راغبون بحدود مشتركة مع الدولة اليهودية. وأكّد يوسف رحمة أن هناك مجموعة من الكهنة في بكركي يعملون من أجل إبراز الطابع الماروني للبنان وتحجيم تأثير الإسلام والطوائف المسيحية الأخرى قدر الإمكان.

وأثناء وجود البطريرك في باريس زاره حاييم وايزم برفقة إلياهو إيلات. إستقبل البطريرك وايزمان بمودة زائدة، وفي بداية الحديث عبّر وايزمن عن تقديره للخطاب الذي ألقاه البطريرك في الكنيس اليهودي في بيروت، وردّ البطريرك قائلاً: إن خطابه ليس سوى تكرار لأقوال سبق أن قالها علانية وأكثر من مرة، وأنه يؤمن إيماناً تاماً بأن على اليهود والموارنة العيش بسلام معاً وتقديم المساعدة لبعضهم البعض. وقال: إن لبنان سيفرح "بحدود مشتركة مع فلسطين اليهودية".

عبّر وايزمان عن تأييده لكلام البطريرك وقال: إن البطريرك يعرف بالتأكيد أمر المساعدة التي قدمها للبنان أثناء المحادثات التي أقيمت هنا حول مصير صيدا وصور (والمقصود هو إخضاع هاتين المدينتين للسلطة المارونية بالتعاون مع الصهيونية).

أجاب البطريرك: أن الأمر واضح، وشكر وايزمان على مساعدته... وأضاف إن أخطاراً كبيرة ستقف أمام المصالح الفرنسية في المنطقة إذا أعطيت حرية تامة للمسلمين وسوريا المسلمة. فلبنان هو عِكّاز فرنسا في الشرق العربي، وعلى "بلوم" أن يقوي هذه الدعامة بكل ما في إستطاعته"[1].

أثناء وجوده في إيطاليا كان البطريرك يعبر في كل مناسبة عن إعجابه بإيطاليا وموسوليني وبالإستقبالات التي حظي بها ويقول سكرتيره يوسف رحمة: "خلال لقاءاته مع البطريرك في الفاتيكان كان هناك إهتمام شديد بخطة تقسيم فلسطين، وكان هناك إطمئنان وثقة في أنه عندما سيعلن التقسيم فإن الفاتيكان سيهتم بالحصول على ضمانات دولية بحيث لا تقع الأماكن المسيحية المقدسة في أيدٍ غير مسيحية، وبشكل خاص في أيدي المسلمين"[2].

---

(1) بدر الحاج، الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني في لبنان- مصدر سابق- ص 56-57.
(2) المرجع نفسه، ص 53.

يقول إلياهو إيلات في مذكراته: "منذ اليوم الأول لتعرفي عليه- أميل إدّه- وخلال فترة طويلة من العلاقات الودية بيننا تأكد لي صدق تفكيره وآرائه التي كان معتاد أن يعرضها بصدق لا يثير الشك".

ورأى أميل إده في الصهيونية وفلسطين اليهودية حليفتين "للبنان المسيحي المحرر" والمحصن من التبعية للإسلام. وقد عبّر عن آرائه هذه في حديث مع إلياهو إيلات... وكان أميل إدّه يلحّ على أن يؤمن مشروع التقسيم في فلسطين حدوداً مشتركة بين الدولة اليهودية ولبنان. وقد أكّد على هذه النقطة أكثر من مرّة في أحاديثه مع إلياهو إيلات"[1].

وتابع إلياهو إيلات قائلاً: عندما علمت أن أميل إدّه سيسافر في نهاية شهر حزيران سنة 1937 م إلى باريس، إقترحت عليه أن يلتقي الدكتور حاييم وايزمن لتبادل الآراء حول موضوعات ذات مصلحة مشتركة بيننا وبين لبنان... وقد إشترك في هذا اللقاء إضافة إلى أميل إده وحاييم وايزمن وزير الصحة والتربية والإقتصاد في حكومة أميل إدّه، حبيب أبو شهلا ومدير غرفة رئاسة جورج حيمري... "ولا بدّ أن أشير إلى أنه عندما كنت أزور الرئيس إده في بيروت بعد ذلك اللقاء كان يتحدث بإنفعال واضح عن لقائه بالدكتور وايزمان" الذي رأى في إدّه "صديقاً مخلصاً يرى الصداقة بين لبنان والدولة اليهودية ليس فقط مصلحة للبلدين إنما ايضاً مصلحة لثبات الثقافة الغربية في الشرق الأوسط"[2].

ثانياً: إقتراح ديفيد بن غوريون عام 1937م:

كان بن غوريون متحمساً جداً لإقامة الدولة المارونية في لبنان، تكون حدودها الجنوبية نهر الليطاني وتكون حليفاً مستقبلياً للدولة اليهودية في فلسطين"[3].

وفي عام 1937 م إقترح ديفيد بن غوريون قيام دولة مسيحية في لبنان على أساس أن قيام هذه الدولة سيشكل مبرراً وحليفاً لقيام دولة إسرائيل.

---

(1) بدر الحاج، الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني في لبنان- مرجع سابق- ص 59-67.
(2) المرجع نفسه، ص 68-69 نقلاً عن كتاب: "جلوس صهيون والعرب".
(3)Michel Ear- Zohar. The Armed prophet a Biorgaphey of Ben- Gurion, p.91.

وقد جاء إقتراحه هذا أمام المجلس العالمي لعمال صهيون حيث قال: "إن جوار لبنان يشكل دعامة سياسية رائعة للدولة اليهودية. وذلك أن لبنان هو الحليف الطبيعي ليهود أرض إسرائيل وإن لمسيحيي لبنان مصيراً مشابهاً لمصير الشعب اليهودي... وإن جوار لبنان يوفر حليفاً مخلصاً للدولة اليهودية منذ يوم قيامها، وليس مستحيلاً علينا أن نجتاز الحدود الشمالية، حيث يتاخم لبنان حدود الدولة اليهودية، مما يسمح لنا بالتوسع بموافقة جيراننا المحتاجين إلى عوننا"[1].

1- الدعوة لتوثيق العلاقات مع الصهاينة:

في عام 1938م شكل أحد زعماء الموارنة في لبنان المدعو: جورج مشحور فرقة هدفها تدعيم وتوثيق العلاقات بين الموارنة في لبنان واليهود في فلسطين وقد تقدم مشحور بخطة إلى الوكالة اليهودية إلياهو ساسون بغية الحصول على جواب من زعماء الحركة الصهيونية جاء فيها: "القدس في 1938/6/24.

إن إقامة وطن قومي يهودي في أرض إسرائيل (لم يقل فلسطين)!! يعني انه مع تكاثر عدد اليهود في البلاد سيتغلب العنصر اليهودي على العنصر العربي الذي يضم أكثرية إسلامية. وبما أن السكان المحليين سيعارضون بشدة هذا الأمر، فإني أعتقد أن على اليهود إيجاد حلفاء لهم في البلدان المجاورة لكي يؤيدوهم في مطالبهم ويساعدوهم على تحقيقها، ومن الواضح أن غالبية سكان البلدان المجاورة سواء في سوريا أو عبر الأردن هم من المسلمين الذين لن يساعدوا اليهود بأي شكل كان، لأن الأفكار اليهودية تتعارض مع الوحدة الإسلامية.

ومن جهة أخرى يقع لبنان على الحدود الشمالية، وعلى اليهود أن يتوجهوا إليه، وبصورة خاصة إلى منطقته الجنوبية المتاخمة لأرض إسرائيل... إنني أتقدم بهذه الأفكار والمقترحات إلى قادة الحركة الصهيونية لدراستها وبحثها، مع التأكيد على ضرورة الإعتناء بشكل خاص بسكان هذه المنطقة"[2].

---

(1) الصهيونية على لسان زعمائها- جمع وإعداد إسرائيل شاحاك- تقديم الدكتور توما- منشورات جاليلو، القدس سنة 1979- ص 48.
(2) بدر الحاج، الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني في لبنان- مرجع سابق- ص 102-104- نقلاً عن إلياهو ساسون (في الطريق إلى السلام).

2- بشارة الخوري يدعو لتهجير أهالي جبل عامل:

ظل جبل عامل الهاجس الذي يشغل رؤوس ساسة اليهود والموارنة، لأنه يشكل العبء والكابوس الثقيل بمواطنيه المسلمين الشيعة، وبتوصية من المطران عبدالله الخوري فقد زار إلياهو ساسون، بشارة الخوري عام 1941، وإقترح عليه هذا الأخير خطة لتهجير أبناء جبل عامل.

ولما تطرق الإثنان في حديثهما إلى ضرورة التعاون بين الدولة اليهودية ولبنان الماروني قال له بشارة الخوري: "يوجد بيننا وبينكم حاجز يجب إزالته، وهذا الحاجز هو جبل عامل، هنالك ضرورة لتفريغ هذه المنطقة من المسلمين الشيعة الذي يشكلون خطراً على بلدينا، وقد سبق لهم أثناء فترة الإضطرابات في فلسطين أن تعاونوا مع عصابات المفتي، (المقصود به الحاج أمين الحسيني) لتهريب السلاح والرجال.

وأوضح الخوري: أنه يجب تفريغ جبل عامل من سكانه وتوطين الموارنة اللبنانيين المهاجرين حالياً إلى أميركا فيه وذلك بعد إنتهاء الحرب وإقترح على إلياهو ساسون أن تقرض الصهيونية "البطريرك الماروني أنطون عريضة مبلغاً كبيراً من المال لكي يتم شراء منطقة الجبل- جبل عامل- لإسكان الموارنة فقط هناك في المستقبل وبهذه الطريقة يصبح الموارنة جيراناً لليهود، ويصبح التعاون سهلاً ودون مضايقات، وسيقف عندئذٍ اليهود والموارنة صفاً واحداً أمام الزحف الإسلامي القادم من الشرق، وبذلك يحافظ اليهود أيضاً على حدودهم الشمالية"[1].

ومن خلال هذه الأهداف والإتصالات والتنسيقات والرحلات والمحادثات واللقاءات والإقتراحات والدعوات، نجد أن جبل عامل لم يغب من مخيلة اليهود وأعوانهم لحظة واحدة، وقد عملوا على تحويله ليكون بقعة مهمة من الدولة اليهودية في فلسطين، وليكون منطلقاً إلى غيره من البقاع المجاورة لإتمام قيام الدولة الحُلُم "دولة إسرائيل الكبرى"، من النيل إلى الفرات".

---

(1) بدر الحاج، الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني في لبنان- مرجع سابق- نقلاً عن ساسون (في الطريق إلى السلام ص 108-110).

ثالثاً: ثورة الشيخ عز الدين القسام وتأثيرها العقائدي:

عزّ الدين القسام، سوري المولد، أزهري الثقافة والعلم، فلسطيني الجهاد والشهادة. كان يلقي بمواعظه الدينية ويرغّب الناس بالعودة إلى الإسلام والإلتزام بتعاليمه حتى عمّ المدينة حماس ديني شديد، فكانت شوارع مدينة حيفا ترى مقفرة إذا أذّن لصلاة الجمعة. وكان قد عوّد نفسه على الجهاد منذ شبابه وإستعدّ له، وكان يتحين الفرص لحمل السلاح والمشاركة في أتون المعارك، فما أن سمع بغزو إيطاليا لطرابلس الغرب حتى دعا الشعب للجهاد.

وعندما دخل الفرنسيون سوريا باع الشيخ بيته (وهو كل ما يملك) وإشترى 24 بندقية وأعلن الجهاد وقاتل حتى سنة 1921م حيث إضطرّ للهجرة إلى فلسطين"[1].

1- جهاده في فلسطين:

عُيّن القسّام خطيباً ومدرساً في مسجد حيفا بفضل ما يتمتع به من ثقافة دينية واسعة وبراعة في الخطابة. وكان يجاهر داعياً الناس إلى الكفاح المسلّح ومقاطعة الإنتداب البريطاني، وكان يرفض الخضوع والضعف أيّاً كان مصدره[2].

وقد إستطاع القسام أن يخرّج جيلاً من الثوار حتى أن "ثوار فلسطين في مطلع الثلاثينات كانوا من تلاميذ القسام، وأعضاء في تنظيماته السريّة.

ثم أخذ ينشر بينهم الدعوة إلى الثورة ضد الأجانب الكفّار يهوداً كانوا أو بريطانيين"[3]. ولما كان قد أعد العدة لثورة شعبية تستطيع مواجهة القوات البريطانية والعصابات الصهيونية، ولما كانت منطقة شمال فلسطين ساحة تحركه وتنظيمه ولضمان أن يثور الشعب الفلسطيني مرة واحدة إتصل بالحاج أمين الحسيني طالباً منه إعلان الثورة في الجنوب في نفس الوقت الذي يعلنها هو في الشمال، وقد رفض الحسيني الثورة المسلّحة لأنه

---

(1) عبد الرزاق- جعفر- الإسلاميون والقضية الفلسطينية، (ب. ت) ص 38-39.
(2) المرجع نفسه - ص 39.
(3) المرجع نفسه - ص 41.

يؤثر التوصل إلى الحلول السياسية، وعندما أيقن أن موعد الثورة قد حان، ألقى خطاباً في جامع حيفا، إستقال فيه من وظائفه ودعا الشعب إلى اللحاق به في الجبال"[1].

في 12 تشرين الثاني سنة 1935 م غادر القسّام يرافقه 24 رجلاً من أنصاره المسلّحين، حيفا قاصدين ضواحي جنين للحضّ السري على الثورة، وتدريب الفلاحين على السلاح، وتشكيل "البؤرة الثورية" وهي الصيغة التي إعتمدها تشي غيفارا في بوليفيا بعد حركة القسام بأكثر من ثلاثين عاماً. وجاء إختيار القسّام لقضاء جنين دون غيره لوقوع هذا القضاء وسط جبال الجليل الوعرة، ذات المواصلات الصعبة، التي تعيق تحرّك قوات الإحتلال البريطاني. ولما إكتشف أمر القسّام من قبل البريطانيين، إجتمع المندوب السامي بكبار القادة العسكريين في فلسطين لمواجهة الموقف والحيلولة دون إنتشار شرارة الثورة إلى بقية البلاد، فجهزت حملة عسكرية بريطانية، حيث ضيقت الخناق على القسّام ورفاقه المختفين في غابة (يعبد). ودار إشتباك غير متكافئ حيث كانت الحملة البريطانية تقدر بخمسماية جندي، وإستمرت حوالي ثماني ساعات أسفرت عن إستشهاد القسام وإثنين من رفاقه هما: الشيخ يوسف الزيباوي والشيخ محمد حنفي أحمد (مصري).

لقد كان لإستشهاد القسام البطولي أثر عميق في فلسطين كلها، وأصبح رمزاً للتضحية والفداء حيث أثار الحادث عواطف الجماهير وحماسها فقابلوه بمظاهر جياشة من الإكبار وشيع جثمانه في حيفا بتظاهرة كبرى نادت بسقوط الإنكليز والوطن القومي اليهودي"[2].

2- الثورة الكبرى سنة 1936م:

ثورة كأكبر ثورات العالم الإسلامي، جماهير غاضبة تتصدى للحاكم الظالم، تضحي... تبذل دماءها ... أموالها... أبناءها في سبيل هدف مقدس قد تقترت منه.

كان تلاميذ القسام الذين بذر في نفوسهم بذرة الرفض والثورة وعلمهم دروس الجهاد في مدرسة العقيدة، هم الذين أشعلوا فتيل الثورة، إنتقاماً لقائدهم ومعلمهم، وإنتقاماً لكل الدماء

(1) عبد الرزاق جعفر، الإسلاميون والقضية الفلسطينية- مرجع سابق- ص 42.
(2) المرجع السابق- ص 43-44.

التي سفكها الصهاينة، وإنتقاماً للكرامة المهدورة والشخصية المسحوقة. إمتدت الثورة وإتسعت كالنار في الهشيم فشملت المدن الفلسطينية وعمّت الإشتباكات والتظاهرات والإضراب العام في البلاد إلى أن تعلن الحكومة موافقتها على مطالب الشعب الفلسطيني.

فبعد شهر ونصف من بدء الحركات الثورية أخذ يتسرب إلى فلسطين من شرقي الأردن وسوريا ولبنان والعراق مسلّحون يقاتلون إلى جانب إخوانهم. "وجاء على رأس فريق منهم ثلاثة من أبطال الثورة السورية الكبرى وهم الشيخ محمد الأشمر، وسعيد العاص، وفوزي القاوقجي الذي كان يعمل حينذاك مدرساً في الكلية العسكرية ببغداد فإستقال وتوجه يرافقه خمسماية من المجاهدين العراقيين... وكان لقدومهم أثر كبير على الفلسطينيين فازداد حماسهم وإندفاعهم، وإنتعشت آمالهم"[1].

جبل عامل يساند الثورة:

وكان أهالي جبل عامل المعين الأول لهذه الثورة التي قادها المجاهد المناضل الشيخ عزالدين القسّام ضد الإنكليز والإستيطان الصهيوني. "وتحول سكان البلدان والقرى الحدودية العاملية إلى خير مساعد بالرجال والمال والسلاح والتموين لثوار فلسطين، وتحولت قرى المنطقة إلى مأوى ومنطلق أساسي لرفاق القسّام في مواجهة جيش الإنتداب البريطاني وعصابات الإرهاب الصهيونية"[2]. وإهتمت الأوساط الشعبية في العراق ولبنان والأردن وسوريا بالثورة، كما ساهم أبناء هذه الأقطار في تغذية الكفاح بما كانوا يرسلونه من مساعدات.

"أما في لبنان فقد كانت الطوائف الإسلامية هي الأكثر إهتماماً وعطفاً، فتكررت المظاهرات والإضرابات في صيدا وطرابلس وصور بنوع خاص وتسلل مسلّحون عديدون من أهلها وجمعت بعض التبرعات"[3].

---

(1) الإسلاميون والقضية الفلسطينية- مرجع سابق – ص 56.
(2) غانم- محمد- قضية شعب وأرض- ص 21.
(3) الإسلاميون والقضية الفلسطينية- مرجع سابق- ص 56-57

3- نداء السيد محسن الأمين العاملي وموقف العلماء:

على أثر ثورة الشيخ عزالدين القسّام التي أشعلت فلسطين بأكملها عام 1936م وعلى أثر المجازر التي إرتكبها الإستعمار البريطاني اللئيم، وعلى أثر المعارك الضارية التي شنّها المجاهدون، وجّه حجّة الإسلام المجاهد، المرجع الكبير السيد محسن الأمين العاملي النداء التالي: "لقد روعت فلسطين- شطر الشام الجنوبي- بأشد ما روع به قطر، وإستقبل العرب فيها أعظم ما يستقبله الشعب، وصابروا فيها أقوى ما يصابر الأبطال ويغالب الفحول. ففي كل يوم نضال وإقتتال ودم بريء يهدر وحقّ مهضوم يستصرخ وفواجع في الأنفس والأموال والثمرات، وصراع قائم بين الحق والباطل، ومن خلف الباطل دولة من أقوى الدول عديداً وعدّة، أما الحق في هذا الصراع فهو أعزل إلاّ من قوة الإيمان، مخذول إلاّ من نصرة العقيدة. إن هذه البقعة من الأرض التي تضم أولى القبلتين وثالث الحرمين، والتي درج منها عيسى، وأطلّت منها دعوته، هي اليوم موطئ الطوائف من أخلاط الشعوب يمدون الأيدي لإستلاب الإرث القومي التليد وإنتزاع مخلفات الجدود.

ولئن هوجمت هذه البقعة المقدسة هذا الهجوم الجائر، فقديماً ما ثبتت على الكوارث ومحن الحياة وقاومت بشمم وإباء غارات الطامعين، وناضلت بأنفٍ وحفاظ جيوش الفاتحين. ولم تكن تلك الغارات التي أذكاها الغرب شنتها أوروبا ذات يوم لتوهن صخرة الجهاد فيها وتغل عزائم الذائدين عن الديار والمحامين عن الحقائق. وما تبرح ذكرى حماتها المغاوير وأبطالها المذاويد ماثلةٍ في كل ناحية تحفز الخلف إلى تقفّي السلف في الجهاد والذياد- وليس الأبناء اليوم بأقل عزيمة، والين شكيمة من الأجداد بالأمس. كما خرجت فلسطين من تلك الغمرات هازمة ظافرة وظلت عربية صريحة فكذلك يحقق حماتها اليوم الظفر لها والهزيمة لأعدائها، وستخرج ظافرة هازمة وتظل عربية صريحة"[1].

ما إنفك العلماء المجاهدون والمصلحون والغيارى على جبل عامل يرفعون أصواتهم جهراً مطالبين بإنصاف هذه البقعة لتحصل على حقوقها المشروعة، فكانت صيحات العلماء المحذرة والمنددة بما لا يتوافق مع القواعد الإنسانية المشروعة، وكانت توجيهاتهم

(1) الأمين- حسن- دائرة المعارف الإسلامية الشيعية- م3- ج12- ص 194، دار التعارف- بيروت- سنة 1981، الطبعة الثالثة.

ونصائحهم للمسؤولين والمعنيين. وكانت كلمات الإستغاثة عبر الجرائد والصحف والمنابر من قبل الغيارى على هذا الجبل الأشم في حقبة عصفت رياح الغرب الحاقد في بلادنا، في حين ثبتّت فيه فرنسا المستعمرة، طائفة معينة وصنعت منها الإبن المدلل، فيما فرض الإذلال والإهمال على جبل عامل تأديباً له ولسكانه على ما فعلوه في إنتفاضة عام 1920م، فكان جبل عامل وما زال يدفع الغرم ومن الغنم يحرم.

وأول من حمل هموم هذا الجبل المرابط هو سماحة العلاّمة المجاهد السيد عبد الحسين شرف الدين الذي ما برح يطالب بحقوقه في كل محفل ومقام.

وها هو يوجه نداءً إلى الدول المتحالفة إبان الحرب العالمية الثانية، يجدد فيه الإصرار على إستقلال سوريا بحدودها الطبيعية، وإعادة ما إقتطع منها وذلك في 11 تشرين الأول سنة 1941م جاء فيه:

كان للعرب خلال الحرب العالمية الأولى صوت بعيد المدى متجاوب الصّدى، وجهاد صادق بذلوا فيه أموالهم وأنفسهم. مؤثرين فيه موت الكرام، على حياة اللئام، يريدون ليحطموا الأغلال، طلباً للحرية والإستقلال.

وكان ساسة العرب يعلقون كبير آمالهم، على الحلفاء، وينيطون بهم الثقة البلهاء في ظروفهم السوداء. حتى إذا وضعت الحرب أوزارها، تكشف للعرب أنهم وضعوا آمالهم في معسلة من الكذاب، ومشربة من السراب. فإذا بتلك الوعود هراء هباء. وأنهم يعانون على يد (حلفائهم) من الإحن، ما يعاني المفاجأ بقلب ظهر المجن، وقد خبّأ الدهر له عجباً .

ولم يكن أشرس المخبآت، ضروب العدوان ولا أمضّيها ألوان الهوان. ودع عنك تقطيع البلاد، دويلات أشتاتاً. وتمزيق الأديان طوائف أنداداً. وتفريق الصفوف طرائق آهاداً.

وهذه سورية مختزلة التخوم، مجتزأة الأطراف، وقد بيع لواء اسكندرونها، ومقاطعة عموريتها. حتى إذا ثارت حفيظة رجالاتها رموهم بالعصيان، وأخمدوا ثائرتهم بنيران الطغيان.

وإن الشعب العاملي. وهو سهمٌ في كنانة العرب. وسيف في قرابهم، يدلي بدلوه مع دلائهم بمطالبه المصيرية التالية:

أولاً: الإستقلال التام الناجز لسورية بحدودها الطبيعية التي عرفت بها في مختلف حقب التاريخ والتي كانت عليها قبل الحرب العالمية الماضية.

ثانياً: إن سورية بحدودها هذه وحدة لا تتجزأ. وإعادة أجزائها المقتطعة التي كانت تعرف ببرّ الشام في العهد التركي وما قبله، شرط حياتي لا نتنازل عنه.

ثالثاً: إن الدولة العربية السورية ترى نفسها بحكم العوامل الجغرافية والتاريخية والإقتصادية واللغوية والقومية مضطرة مصيرياً إلى المساهمة في إتحاد عربي مع الدول العربية الشقيقة المجاورة. يكون مبنياً على إلغاء الحواجز الجمركية، وتوحيد برامج التعليم والسياسة الخارجية، والدفاع.

رابعاً: إن فلسطين من سورية بمنزلة العينين من الوجه، ومن العرب بمنزلة القلب من الجسد، ولا قرار وإستقرار بإنفصالها عنها، والرفض حتى الموت لوعد بلفور.

خامساً: لا يرضى السوريون والعرب إلاّ بإسترجاع لواء الإسكندرون، ومقاطعة عمورية إلى سوريا الوطن الأم.

سادساً: العفو العام عن جميع المعتقلين والمبعدين من جميع الأنحاء السورية.

إننا إذ نتوجه بهذا النداء إليكم فلأننا نعلم أن النظرة إلى العرب، اليوم ليست كالبارحة وأن حلفاء اليوم يريدون ليكفروا عن الخلف بالوعد ونقض العهد بعد الحرب العالمية الأولى، بالوفاء للعرب في الحرب الراهنة... وهذا ما تقررونه أنتم سلباً أو إيجاباً. فإختاروا ما هو أحمد للعقبى وإننا لمنتظرون[1].

---

(1) من مخطوطات السيد عبد الحسين شرف الدين- ص 17-19 بخط ولده السيد جعفر.

4- إنتفاضة جبل عامل سنة 1936:

ومن الذكريات العاملية، التي تستحق الذكر والوقوف عندها، إنتفاضة بنت جبيل وصيدا وصور والنبطية. بل إنتفاضة جبل عامل على مدى فترة الإنتداب. عندما كانت قضية فلسطين تتفاعل من جراء ثورة الشيخ عز الدين القسّام. "وقد إنتفضت مدينة صيدا سنة 1928 م فاعتقل المجاهد الشيخ أحمد عارف الزين"[(1)].

كانت سنة 1936 محطة وطنية في جبل عامل على أثر إعلان الثورة في فلسطين وفرض الفرنسيون شركة حصر التبغ وتزويرهم الإنتخابات الفرعية في النبطية. هذه الأحداث حركت أحلام العامليين والوطنيين بالوحدة مع سوريا وعمّدوا توجههم بالبطولة والشهادة والسجن ففي تلك السنة شغر مقعد أحد نواب النبطية فرشح المستشار الفرنسي القوي بتشكوف من يرتضيه لتمثيل النبطية في مجلس النواب غير مبال برأي الناخبين وقد واجهه جبل عامل في إجتماع منقطع النظير برفض مرشحه وفرض مرشح الشعب، ورفع الشعر الشعبي شعار المرحلة فتلقفت الجماهير العاملية حداء ونداء".

بشكـــــــوف خبّـــر دولتـــــــك   مبعـــوثنـــا عبـــد اللطيـــــف

بــــاريــــس مـــربـــط خيلنــــا   ورصـــــاصنــــا يلحـــق جنيـــــف

وإستمر الرفض لتسلط الإنتداب وعملائه "حتى بلغ حد المناداة بالوحدة مع سوريا فإعتقل الشيخ أحمد عارف الزين صاحب العرفان وعادل عسيران ومعروف سعد في صيدا. وخرجت صيدا وصور والنبطية وبنت جبيل إلى الشوارع وأقاموا المهرجانات في المساجد ولم يستقروا حتى أفرج عن المعتقلين"[(2)].

وإنتفضت بنت جبيل وعيناثا لمساعدة مزارعي التبغ فواجهتهم حراب المستشار "بشكوف" ليبلوا بلاءً حسناً في صدها، "ويمعن المستشار في غيه فيعتقل الحاج علي بيضون وعلي بزي (النائب والوزير السابق). وموسى الزين شرارة وأنيس الإيراني.

(1) من دفتر الذكريات الجنوبية- ج2- ص 30- المجلس الثقافي للبنان الجنوبي- دار الكتاب اللبناني- بيروت- سنة 1984 (ذكريات السيد جعفر شرف الدين)

(2) المصدر نفسه: ص 31.

وتتطور المواجهة فيستشهد مصطفى العشي من بنت جبيل ومحمد جمّال وعقيل دعبول من عيناثا وتقتحم الجماهير دار الحكومة ويحطم المناضل حسن بسام باب سجنها"[1].

رابعاً: جبل عامل بين عهدين : (الإستعمار – الإستقلال):

تحت هذا العنوان في العرفان عبّر الدكتور نزار رضا عن واقع الحال في تلك الفترة من تاريخ جبل عامل الحافل بالحرمان المتعمد والقهر المفروض فأورد ما يلي: "جبل عامل بقعة تبلغ ربع لبنان مساحة وسكاناً، تغذي الدولة بالقسم الأوفر من ميزانيتها... وبالرغم من مشيئة سكانها قاومت الضم إلى لبنان الكبير، والجمهورية اللبنانية، معلنةً سخطها متظاهرة محتجة بعد أن قامت بثورتها التي كبدتها خسائر في الأموال لم تزل تئن من ثقلها إلى اليوم! كانت في عهد الإنتداب ثورة دائمة على الغاصب تحن إلى الرجوع لأمها سورية... فأهملت من كل إصلاح أو رقي...

فكان عليها أن تقاوم على جبهات عدة، أهمها شحّ الطبيعة، وإجحاف السلطات وتنكر المنتدب، ورغم كل هذا فقد تمكن أهلها بفضل عصاميتهم من إقتباس كثير من سبل المدنية فحسنوا أحوالهم ورشفوا لبان العلم فتفتحت أمامهم السبل... تستوفي الخزينة اللبنانية ثلث مالية هذه المنطقة ولا يصرف عليها شيء، فعليها الغرم ولغيرها الغنم، تلك حالتها في عهد الإنتداب ثم كانت الحرب وكان أن توصل لبنان بفضل الوضع العالمي والتنافس الدولي إلى إستقلاله... فإستبشر القائمون على الحركات الوطنية الإستقلالية في جبل عامل وحسبوه عهداً وضّاء... وإذا بالمقاييس تبقى كما كانت... فلم يشاهد أهل هذه المنطقة طريقاً عُبّد أو إصلاحاً أجري، أو سهولاً أرويت، أو مياهاً أصبحت في متناولهم... سوى مواعيد عرقوبية، وموازانات توضع ثم تصرف لغير ما وضعت له. وزاد الطين بلّة أن أشاعت الحكومات بينهم روح التفرقة وغذّت الزعامات الإقطاعية... ألا وقد طفح الكيل وإتسع الخرق ولم يعد بالإمكان وقفه. هذه هي حالة جبل عامل بين عهدين: عرف من الأول مرارته وحرمانه، ولم يعرف من الثاني إلاّ إسمه وإعلانه"[2].

---

(1) المصدر نفسه : ص 31

(2) العرفان- م 36- ج6- ص 598-599.

"... إن عهد الحكم التركي والإنتداب الفرنسي وعهد الإستقلال في جبل عامل سواء. فقد أهمل رجال عهد الإستقلال جبل عامل، كما أهمله الفرنسيون من قبلهم، والأتراك قبل ذلك، وهو يعتب على الزعماء والنواب وقد وعدو الجنوب المواعيد الكثيرة ولم يهتموا به"[(1)] حيث "ما زالت الطائفية مراعاة في حكومة لبنان، فقرش الفقير وزع على المعاهد والمدارس حسب الطائفية، بيد أن الطائفة الشيعية ما برحت ولم تبرح ولن تبرح محرومة من حقوقها في التوظيف، فلا محافظ لها ولا مدير ولا رئيس محكمة في المحافظات ولا ولا... إلخ"[(2)]. ولم يصادف جبل عامل في عهد الإستقلال إصلاحاً يذكر، "ولم ينفّذ به فعلاً مشروع تعليم، ولا مشروع طرقات،ولا مشروع ماء، ولا مشروع إصلاح ولا موظفين ولا إلى آخر ما هنالك من ولا فإلى متى؟! وإن قيل ما بعد الصبر إلا الفرج. فنقول من كثرة الصبر الروح قد خرج ومن له أذنان فليسمع"[(3)]. "وإنه لمن العار أن نرى جبل عامل الذي كنّا نأمل أن نراه مهد العلم والثقافة والرقي في العهد الجديد نراه اليوم مهداً للفقر والجهل... إن رقي الأمم يتوقف على رقي شبابها المثقف المدرب وشبابنا محروم أسباب الرقي والثقافة. أين شبكة المواصلات المنتشرة في جبل عامل كما هي في جبل لبنان؟ من السبب في كل هذا؟ لا يجهل أحد السبب: إن جرثومة جبل عامل الفتاكة هم زعماؤه ومن لفّ لفّهم"[(4)].

وقد عبّرت العرفان أيضاً في تلك الحقبة عن المرارة التي يعانيها سكّان جبل عامل، وعن حياة السكان فيه: "إن الوطن يتساوى سكانه في الحقوق والواجبات، لكن جبل عامل مجبر على القيام بالواجبات، ومحروم من نيل الحقوق"[(5)].

1- واقع الزعماء العامليين في الأربعينات:

إستطاع الفرنسيون أن يجذبوا عدداً من الزعماء في جبل عامل إلى جانبهم، وقد شاركوا الإستعمار الفرنسي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في قهر وظلم وحرمان أهالي

---

(1) العرفان- م 36- ج2- ص 216.
(2) العرفان- م 31- ج7-8- ص 440
(3) العرفان- م 31- ج 7- 8- ص 443.
(4) العرفان – م 36- ج 7- ص 762 – 763.
(5) العرفان-م 37- ج5 – ص 580

جبل عامل من أبسط حقوقهم. وقد عبر المرحوم الشيخ محمد جواد مغنية عن ذلك الواقع عبر مقال طويل في مجلة العرفان جاء فيه:

"أما النوّاب فقد بعدت الشّقة بينهم وبين العامليين، فعمّ الإستياء جميع الأفراد، وتجاوز المتعلمين وأهل الإفهام إلى رجل الحقل والشارع، والنواب هم الذين سببوا هذا السخط والإشمئزاز. فلم يبلغوا منصب النيابة حتى أعلنوا الحرب على بعضهم بعضاً وأطلقوا العنان لغرائزهم ونسوا الأمة التي منها إستمدوا قوتهم ونفوذهم.

إن صالح الأمة يحتم عليهم الإتفاق والعمل يداً واحدة في سبيل الحصول على حقنا المغتصب لنصل إلى بعض ما نالته الطوائف التي يضمها لبنان، ويكون جيلنا المنكوب جزءً قولاً وعملاً من جمهوريته المحروسة!!

لم يمرّ دور من أدوار التاريخ على جبل عامل سنحت فيه فرصة العمل مثل هذا الدور الذي أضاعه النوّاب بالتناحر والمناورات. إن إنقسامهم لم يسبب إهمال البلاد وضياع حقوقها فحسب، بل أساء إلى سمعتها وشرفها، وأعانت على إظهار ما تنطوي عليه نفوسهم من النزعة إلى الإستقلال وجمع المال وحبِّ الشهرة والسلطان الذي أثار في قلوبهم الغلَّ والأحقاد.

... يا ويلتا، أنبقى نحن نتخبط في ظلمات الجهل والفقر؟ أيبقى الفلاّح العاملي يشرب الطين والزبل المذاب، ويذوق من الأمراض ألوان العذاب؟ أنبقى صاعدين في جبل هابطين إلى واد، تمزق ثيابنا الأشواك وأجسامنا الأوعار؟ أتبقى أطفالنا على المزابل تلعب مع القطط والكلاب؟ أتبقى رجالنا منبوذين في زوايا الإهمال والخمول. والنوّاب وأذنابهم يركبون السيارات الفارهة ويلبسون الثياب الفاخرة، وينعمون بأطايب العيش، ويسيحون للنزهة، ويقضون أوقاتهم في المقاهي والملاهي على حساب العامل والفلاح الذي يكابد حمَّارة الصيف، وصبارة الشتاء، ويعاني في جميع أدوار حياته البؤس والشقاء"[1].

(1) العرفان- م 32- ج 4- ص 364-365- مقال للشيخ محمد جواد مغنية (قدس ثراه).

وبعدها قد تجاوز صوت السيد عبد الحسين شرف الدين الأصقاع الإسلامية والبقاع اللبنانية فتردد صداه في بريطانيا وأميركا وإيران وأفريقيا.

لم يترك بارقة أمل إلاّ وقد نفذ من خلالها هادراً، مزمجراً، مجاهراً، مطالباً بحقوق المسلمين عامة والعامليين خاصة.

أحبَّ هذا الجبل الأشم حتى الإلتصاق، فأحبه الجبل بطيبه وطيبته ومناخه وأهليه وصار السيد جزءً من هذه البقعة، والبقعة جزءٌ منه. كيف لا، وهو سليل رسول الله (ص)، وهو المردد دائماً.

إن لم أقف حيث جيش الموت يزدحم فلا مشت بي في طرق العلى قدم وها هو السيد عبد الحسين شرف الدين يستصرخ أحمد الأسعد الذي كان زعيم جبل عامل في الأربعينات، طالباً منه أن ينهض ببلاده رافضاً الهون لها، سالخاً عنها سوط الإستعمار ويد المستأثرين، عاملاً على تطويرها.

"زعيم البلاد العاملية... وقد جاء دورك في هذا الدور... فإنهض ببلادك ولا ترضى لها الهون، ولا تقنع بالدون، بعد أن ضربت عليها الذلّة عشرين سنة، يسوطها الإستعمار، وتقودها يد الإستئثار. حتى أصبحت ترى أن الحتف، أولى بها من الذلّ والخسف.

وقد إحتشد بالأمس عندنا جمعها، وإحتفل لديها حشدها، تعهد إليكم بإنتزاع حقها الصراح، ونصيبها المستباح. وإذا كان لا بد من تسمية المطالب التي أناطوا إستنجازها بكم فهذه هي:

1- الحقوق المشروعة: في الوظائف بمختلف الدرجات في مختلف الدوائر والمؤسسات. والظلامة أوضح من الشمس. إذ لم ينل جبل عامل عشر حقه. بينما تتمتع بعض المناطق والفئات بحقوقها كاملة، ويتمتع بعضها الآخر بحقوقه وحقوق غيره.

2- إرواء جبل عامل: أرضاً وبشراً من الليطاني الذي تهدر مياهه في البحر بينما يتحرق الناس عطشاً، وتبور أرضهم سغباً. وربما ورد الناس والسائمة معاً البرك والمياه الآسنة.

3- تعميم المدارس الرسمية: فإن سائر القرى العاملية محرومة منها. أما القصبات فإن فيها مسمى مدارس. ولا تزال الكتاتيب تقوم مقام الحكومة بتعليم الناشئة كأننا في القرون الغابرة.

4- تعبيد الطرقات: فإن القرى كافة معزولة عن الطرق العامة. فضلاً عن الطريق الرئيسية، بحيث أن المريض يموت قبل أن يصل إلى المدينة والحامل تسقط حملها. فضلاً عن العزلة التامة التي يعانيها سكان القرى.

5- إصلاح المحاكم الشرعية: وإسناد القضاء إلى عدول العلماء ليلوا الحكم بما أنزل الله.

هذا ما عهد به السواد الأعظم إليكم من مطالب البلاد الملحّة. ولا شك أنكم عهدتم به إلى نفسكم من قبل. وأنت أعزك الله أولى من ينهض بهذا الأمر. ولا نرضى لك إلاّ الصدوع به لدى المسؤولين. وإذا رأيتم أن أكون ظهيركم فيه، فإنني ذلك الذي عرفتم شكيمته أو بلوتم عزيمته، ثم لا أرجع حتى أعقد آمالكم بالفور، وأذلل مسعاكم بالنجح.

وها إني صدقتكم رأيي، ومحضتكم رجائي. وأنتم أهل ومحل، للأهل والمحل.

والسلام عليكم ورحمة الله"[1].

... ومذكرة بعثها السيد عبد الحسين شرف الدينإلى الملك بريطانيا:

ويوم أعلن إستقلال كاترو المزيّف في 26 تشرين الثاني 1941 م إستل السيد عبد الحسين شرف الدين قلمه مذكراً بريطانيا بشخص مليكها بمطالب العرب المسلمين، الثابتة، وذلك عن طريق سفارتها في القدس.

"أتوجه بمذكرتي هذه إلى مقام صاحب الجلالة، أنزع فيها رجاء العرب عامة، والمسلمين خاصة، ولا سيما مسلمو سورية ولبنان متوسلاً بأسباب آمالهم التالية:

---

(1) من رسائل السيد عبد الحسين شرف الدين المخطوطة- كتاب للزعيم أحمد الأسعد في 9 كانون الأول سنة 1941م- بخط ولده السيد جعفر.

أولاً: يود العرب لا يتناسون الذكريات الأليمة، ويدفنون الجراح الثخينة. وقد منّاهم بهذه وبتلك رفض بريطانيا العظمى وحلفائها عهدهم، ونقضهم ودهم. آمل أن يكون الحاضر غير الماضي، والغائب غير الآتي:

ثانياً: الإستقلال الذي أعلن في لبنان هذا اليوم 26-11-1941 مهزلة من المهازل التي كانت تمثلها حكومة فرنسا الغابرة، في ليل طويل، مقداره عشرون سنة. ومثل هذا الإستقلال يتناقض مع مفهوم العهد الجديد الذي أعلنت بريطانيا بزوغه. وابرز قواعده، حرية كل بلد في تقرير مصيره. على ضوء الحق والعدالة والحرية. وربط الإستقلال بدستور مرتبط بدولة أجنبية، وهو تسلط صارخ، يجتاح الإستقلال أرضاً وجوهراً.

ثالثاً: أمنيتنا الكبرى توحيد العراق وسوريا بحدودها الطبيعية المدونة في حقب التاريخ المختلفة. لأنّ هذين القطرين الشقيقين يجمعهما وحدة طبيعية أو عوامل تاريخية وجغرافية وإقتصادية ولغوية وقومية.

رابعاً: إذا مني العرب بإستحالة وحدة القطرين، لتناقضات عربية أو عالمية. فإن سورية بحدودها الطبيعية، وحدة لا تتجزأ. وإن أشلاءها التي إقتطعت منها، وكانت تعرف ببر الشام تجمع مع العرب على أن أعادتها مطلب مصيري غير قابل للمساومة.

خامساً: إن فلسطين ليست جزء سوريا الجنوبي، بقدر ما هي قلبها النابض المتصل بقلوب العرب جميعاً. والعرب يستميتون دون وعد بلفور.

سادساً: إن الدولة السورية العربية المرتجاة، بحكم عوامل الزمان والمكان واللغة ووحدة الهدف والمصير، ترى نفسها صاحبة الحق في الدعوة إلى إتحاد عربي مع الشقيقات المجاورات، يقوم على إلغاء الحواجز الجمركية، وتوحيد برامج التعليم والسياسة الخارجية والدفاع.

هذه يا صاحب الجلالة، أمنيات العرب. فإذا تجاوبت بريطانيا العظمى معهم فيها كان لها عليهم عهد لا يخفر، وعقد لا ينقص. وإلاّ فالدرب طويل ولا بد من صنعا[*] وإن طال السفر. والسلام عليكم ما حفظتم الود ووفيتم بالعهد"[1].

2- الوجه الحقيقي للإستقلال:

كان بشارة الخوري الزعيم الأول في حزب الكتلة الدستورية الذي رعت تأسيسه بريطانيا وكانت لهذه الكتلة صلة وثيقة بالسلطات البريطانية في المنطقة وذلك بواسطة أحد أقطابها كميل شمعون"[2].

"إن الذين كانوا يتنافسون على حكم لبنان سنة 1943 لم يكونوا في الواقع من المتحمسين لقضية الإستقلال، ذلك لأنهم كانوا أفراد تلك الطبقة الغنية التي تعتبر أي مكان في العالم كلّه وطناً لها، والتي تطلعت إلى فرنسا بوصفها الحكم الأول والأخير في قضايا الذوق ومصدر المباهج المترفة الصافية، وكان رجال هذه الطبقة أصحاب مصارف وممتلكات عقارية، كانوا يمتلكون ضيعاً وأخراج زيتون وحقول قمح واسعة، ويزرعون الحشيشة وكانوا أغنياء إلى درجة بعيدة، إذ لم يكونوا يدفعون ضرائب يُعتدُّ بها"[3].

3- من المفوض السامي الفرنسي إلى رئيس الجمهورية اللبنانية:

بعد تعديل الدستور في 8 تشرين الثاني سنة 1943م جرى إلغاء النصّ على صلاحيات المفوّض السامي. ونقلت هذه الصلاحيات إلى رئيس الجمهورية ومما لا شك فيه أن مهمات المفوّض السامي قد إنتهت، لكن صلاحياته الواسعة قد إنتقلت إلى الموارنة من خلال أهم مواقعهم في السياسة اللبنانية، أي رئاسة الجمهورية. حيث أصبح هذا الرئيس حاكم لبنان الأول، لا رئيس جمهورية فحسب، بل لأنه الوريث الدستوري للحاكم الفرنسي المنتدب المطلق التصرف.

(*) صنعا: المقصود بها صنعاء اليمن وهو مثل يضرب للدرب الطويلة الصعبة.
(1) من مخطوطات السيد عبد الحسين شرف الدين- مذكرة أرسلها إلى ملك بريطانيا. مخطوطة – ص 19- 20 (بخط ولده السيد جعفر).
(2) عادل ومنير اسماعيل، الوثائق الدبلوماسية، دار النشر للسياسة والتاريخ 1990، بيروت، ص 236
(3) سبيرز- الليدي- قصة الإستقلال في سوريا ولبنان- ص 50 – بيروت دار العلم للملايين- سنة 1947

ولما كان المفوض السامي الفرنسي يمثل دولته في حكم البلاد فإن الأقليّة المارونية أصبحت تحكم لبنان من خلال رئيس الجمهورية المارونية الذي يملك صلاحيات لا يملكها الملوك الأباطرة. إذ يحق له وحده فقط عقد المعاهدات ويعلن الحرب ويحل المجلس النيابي ويقيل الوزراء، ويدير مكتبه أبناء طائفته. وإضافة إلى ذلك فمنذ العام 1949م أصبح رئيس الجمهورية هو القائد الأعلى للجيش"[1].

وعن إستقلال لبنان، يعتبر الموارنة، أن مارونية الرئاسة الأولى "هي ضمانة لإستقلال لبنان".

ويقول بطرس ضو: "إنها ضمانة لا للكيان اللبناني فحسب ولكن للوجود المسيحي والماروني أيضاً". ويؤكد بأنّ هذه الضمانة تقوم مقام "الإنتداب والحماية الغربية".

ويزعم أيضاً "أن لبنان بفضل نظامه هذا ذي الرأس المسيحي، أكثر تطوراً من كل البلدان الإسلامية، وأكثر إزدهاراً وأرفع مستوى من الناحية الثقافية والحضارية والإجتماعية والإقتصادية من أي منها... وإبدال النظام ذي الرأس المسيحي بنظام إسلامي من شأنه أن يعيد البلاد إلى الوراء... لأنه لا يقر الحقوق التي تقرّها شرعية حقوق الإنسان وكل دساتير الأرض.

ويعتبر أيضاً "أنّ النظام المسيحي هو لا طائفي وعلماني بالواقع، لأنه مستوى من الإنجيل، والإنجيل لا يميز في التعامل بين الناس، بين مؤمن وكافر وقريب وعدوّ، بينما هذا التمييز من صميم الدين الإسلامي.

وبعد أن يثني على "التشريعات الإنسانية المعاصرة كالدستور الفرنسي والأميركي وشرعة الأمم المتحدة وشرعة حقوق الإنسان" التي "إنبثقت" برأيه "من العدل والمحبة والمساواة"، ثم يخلص إلى أن "لبنان هو في الشرق المعقل الوحيد للديمقراطية في العالم وخاصة في العالم الثالث المختلف" مضيفاً:

"هذا ما يجب بيانه وإبرازه بالوقائع للعالم الحرّ وللأمم المتحدة وغيرها".

(1) المشروع الماروني- مرجع سابق- ص 502- 503.

وأضاف: "إن الرئاسة حق مكتسب للموارنة منذ الفتح العربي، المقصود به الفتح الإسلامي، وعهد المردة- أي الموارنة الأولين... حتى المتصرفية إذ كان المتصرف مسيحياً كاثوليكياً مروراً بعهد الأميرين اللذين كانا مارونيين أي فخر الدين وبشير الكبير"، ثم دعا الموارنة إلى المجاهرة بهذا الحق والتمسّك به دون ضعف"[1].

4- ميثاق سنة 1943م والتحيز التام:

أثبتت الأحداث المتعاقبة منذ سنة 1943م حتى الآن أن الحكم في لبنان هو حكم فئوي، برز في كل عهد من عهوده مجموعة من المستغلين السماسرة الذين حولوا الدولة إلى مزرعة خاصة، فيما لم يتمكن الطرف الآخر من الظفر بأية مكاسب تذكر.

ومنذ مطلع الإستقلال، إتّسمت الإدارة بالسياسيين الذين تعاقبوا عليها. ففي عهد بشارة الخوري كان الشعار الدستوري هو السائد. وفي عهد كميل شمعون درجت كلمة الشمعوني، وفي عهد فؤاد شهاب خلقت كلمة "الشهابية" أجواء الإدارة- حتى أن إسم إحدى القرى العاملية

بدّل من إسم "طير زبنا" إلى إسم الشهابية[*] وفي عهد شارل الحلو تقاسم الإدارة الموظف الكتائبي والشهابي خلال فترة ولايته، وفي عهد سليمان فرنجية عمّت كلمة "الزغرتاوي" معظم إدارات الدولة. وهكذا مروراً برئاسة إلياس سركيس وأمين الجميل.

إن الميثاق الوطني هذا كان في الحقيقة صكّ إندحار، وقّع فيه المسلمون التسليم بأن الحكم للموارنة فقط دون أي منازع، ولم يحصلوا في المقابل إلاّ على مكاسب تافهة، وقد إضطر زعيم كل طائفة أن يلحق نفسه على الدوام بالتحالف مع النظام من أجل الظهور على شاشات التلفزيون وفي وسائل الإعلام الأخرى.

---

(1) محاضرة بطرس ضو بمناسبة عيد مار مارون في 8 شباط سنة 1977م- ويمكن الإطلاع عليها في كتاب المسألة اللبنانية من منظور إسلامي- فتحي يكن- المؤسسة اللبنانية للطباعة والصحافة والنشر- بيروت سنة 1979- ص 45.

(*) ملاحظة من المؤلف على إستبدال إسم هذه القرية بإسم عائلة رئيس الجمهورية آنذاك (وما زال إسمها في دفاتر الإحصاء في صور باسم طيرزبنا).

وأمام هذا الواقع إضطر المواطن المسلم المطالب بحقوقه أن يبحث الأمر مع زعيم طائفته لكي يحصل على وظيفة. فالمسؤول عنه هو الزعيم وليس الحكومة أو الدولة. لقد بكر الفرنسيون في إجتذاب زعماء المسلمين ليكونوا حلفاء لهم في بلاد الشام. وهذا القنصل الفرنسي في بيروت (كولوندر) يبعث رسالة مطولة إلى رئيس دولته (بوانكاريه) في 14 تشرين الأول سنة 1912م. نقتطع منها ما يلي:

"... إن تقرّب كامل الأسعد من فرنسا لهو أمر ثمين ذو معنى. فهو يحقق لنا نمواً ملحوظاً في النفوذ الفرنسي في منطقة كانت حتى هذا الحين بعيدة تماماً عن تأثيرنا كذلك يحقق لنا مساندة حوالي سبعة آلاف محارب في وقت الحاجة. وهو يدل فضلاً عن ذلك أن نفوذ فرنسا لا يضعف في سوريا"[1].

ولعلّ أهم ما تركّز عليه كتب التاريخ المدرسية الرسمية هي: حادثة إعتقال رئيس الجمهورية ووزرائه، وقد ربط إنجاز الإستقلال بإطلاق سراحهم الذي إعتبر عيداً وطنياً للإستقلال. ولعلّ ظاهرة التركيز على العلاقة بين "الإستقلال" ومساجين قلعة راشيا أعطى لهؤلاء إمتيازات جمة، فما يزال بعضهم حتى الآن، هو وورثاؤه يحتلون مقاعد في مجلس النواب ومجلس الوزراء. والحديث عن الإستقلال في كتب المدارس الرسمية هو مناسبة للحديث عن جميع رؤساء الجمهورية منذ عهد الإنتداب حتى أيامنا الحاضرة، مع تسليط الضوء على منجزاتهم وذلك بقصد الإشارة إلى أهمية سدّة الرئاسة الأولى التي هي من صنع طائفة واحدة في لبنان.

ومما يلفت النظر ويدعو إلى الدهشة، أنه في العام 1984 عممت وزارة التربية الوطنية على المدارس الرسمية في لبنان عدم إعتماد كتاب التاريخ الرسمي لطلبة الصف الخامس الإبتدائي الصادر عن المركز التربوي للبحوث والإنماء، بحجة تغيير هذا الكتاب، مع العلم أن الكتاب كان قد صدر عن المركز التربوي قبل سنتين فقط، ولما صدر الكتاب الجديد عن المركز التربوي أيضاً، فوجئ المعلمون في هذه المدارس بأن الكتاب بقي على حالته السابقة ولم تتغير منه كلمة واحدة سوى إضافة صورتين فوتوغرافيتين لرئيسي

(1) مجلة المنطلق العدد 15- رمضان 1401هـ، ص 32.

الجمهورية الجديدين بشير الجميل وأمين الجميل، والمقصود بذلك: تذكير التلاميذ برؤساء جمهوريتهم الجدد.

ولقد إعتبر الموارنة أن الجيش هو ضمانة دائمة لبقائهم على رأس الحكم، بدليل واضح هو: أن حكومة الإستقلال بعد إستلامها لقيادة جيشها عمدت إلى تعيين قائد ماروني له (فؤاد شهاب). ولم يكّلف حتى الآن مسلم واحد لهذه المهمة، بالرغم من وجود ضباط مسلمين أكفاء لمثل هذا المنصب.

وإضافة إلى ذلك عمد فؤاد شهاب نفسه إلى تعيين ضباط موارنة في المراكز الأساسية والإدارات الحساسة في الجيش يأتي بعدهم بقية النصارى. ويأتي المسلمون في الدرجة الثالثة. هذا، بالرغم من عدم وجود أي نص في الدستور أو القوانين اللبنانية في ذلك الوقت، يقضي بطائفية أو فئوية هذا المنصب أو ذاك.

لم تنصف الدولة أبناء جبل عامل، أسوة بأبناء الوطن من الطوائف الأخرى، بل تعمدت عكس ذلك، إذ راحت تظهر تحيّزها الصارخ، الفاضح في الوظائف العامة، وحتى في لقمة عيش هؤلاء المواطنين الذين كانوا يدفعون الغرم، ومن الغنم يحرمون.

وأما المعاناة الإجتماعية والإقتصادية المتمثلة آنذاك بزراعة التبغ، والتي كانت مورد الرزق الأساسي لأهالي جبل عامل، فإن الدولة كانت تزيد المرارة في نفوس المزارعين ، مضافة إلى مرارة التبغ نفسه. وقد لفتت مجلة العرفان إلى هذه المرارة.

"كان تسعير التبغ هذا العام بغاية التحيّز ولم ينل السعر العالي في جويّا مثلاً، إلاّ من كان واسطته بعض مساحي الأحذية في ظهور الشوير، لأنهم كانوا يخدمون المُسعّر السيد صوايا مجاناً. وكذلك كان توزيع دونمات التبغ في الجنوب التي لم ينلها سوى الوزراء والنوّاب وأذنابهم"[1].

(1) العرفان- م 34- ج2- ص 319- عدد كانون الأول سنة 1947.

"أيها العرب، أيها المسلمون

إن لكم في فلسطين تراثاً، وإن لكم في كل غور ونجد وحزن وسهل منها دماً عجن به ترابها، وإختلط به ماؤها ونباتها... إن إخوانكم في فلسطين قد اقض مضاجعهم ما هم فيه من محنة وبلاء، وأسهر عيونهم وبرّح أجسامهم ما يلاقونه من كبد الخصوم".

سماحة العلامة المجتهد السيد محسن الأمين العاملي.

"أيها العرب، أيها المسلمون

هذا شهر محرم الدامي الذي إنتصرت فيه عقيدة، وبعث فيه مبدأ. ألا إن قتلة الحسين عليه السلام، بكر في القتلات فلتكن قدوتنا فيه بكراً في القدوات. ولنكن نحن من فلسطين مكان سيد الشهداء من قضيته، ليكون لنا ولفلسطين ما كان له ولقضيته من مجد وخلود".

سماحة المجاهد الأكبر العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين.

خامساً: حرب فلسطين والتآمر على جبل عامل:

وقد أشيع في لندن عام 1945م أن هناك إتفاقاً فرنسياً لبنانياً يتضمن قسمة الأراضي اللبنانية بحيث يلحق القسم الجنوبي حتى مدينة صيدا بفلسطين ، ليسمح بزيادة الهجرة اليهودية على أن يبقى القسم الآخر من لبنان تحت النفوذ الفرنسي"[1].

لقد بدا واضحاً أن العصابات الصهيونية المنظمة كانت على علاقة وثيقة ومنسّقة مع الإنكليز بكل تحركاتها. ومنذ صدور قرار التقسيم، أكفهر الجوّ السياسي والعسكري بين العرب واليهود، وبدأ الطرفان يستعدان للمواجهات. وبالفعل فقد حدثت هذه المواجهات العنيفة بينهما في وقت مبكر، وذلك قبل إنسحاب البريطانيين من فلسطين بفترة طويلة، فيما كانت المؤامرة تأخذ منحى عالمياً مؤيداً لليهود بضغط من الدول الكبرى المتمثلة بالولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا والإتحاد السوفياتي، إضافة إلى الحكومات العربية الهزيلة المرتبطة بالدول الغربية، والتي أجبر بعض زعمائها النافذين على توقيع صكوك التنازل عن

(1) شمعون- كميل- لبنان ودول العرب في المؤتمرات الدولية سنة 1949- بيروت – ص 259 – 260.

فلسطين "للمساكين اليهود" على حدّ تعبير الملك عبد العزيز آل سعود كما أسلفنا، وكما فعل الملك فيصل بن الحسين أيضاً عندما وقّع على وثيقة وضلّلوه بترجمتها من الإنكليزية إلى العربية. وكما فعل نوري السعيد والملك فاروق وبعض الساسة اللبنانيين الذين أصبحوا جميعاً في ذمة الله.

لم تجد المؤتمرات نفعاً ولم تعط المحادثات والمباحاثات والتوصيات نتيجة تذكر، ولم تحرك النداءات ضمائر الحكام، فهبت العاصفة، ودخلت الجيوش العربية فلسطين، علّها تسترجع ما سلبه اليهود بالقوّة.

وقد إندفع السيد عبد الحسين شرف الدين محذراً الملك عبدالله بن الحسين، شاحذاً همته العربية، مذكراً إيّاه بأجداده الهاشميين، أباة الضيم، لكن:

لو ناديـــت لأسمعــت حيّـــاً   مـــا لجـــرح بميَّـــت إيـــلام

1- المؤامرة على جبل عامل:

إن الحلم اليهودي بالسيطرة على جبل عامل ليس حديث العهد، إنما يتخطى إلى ما قبل مطلع هذا القرن، حيث أشار مؤسس الحركة الصهيونية تيودور هرتزل في مذكراته: "إنّ المؤسسين الحقيقيين للأرض الجديدة القديمة- المقصود دولة إسرائيل- هم مهندسو المياه، فعليهم يعتمد كل شيء في تجفيف المستنقعات إلى ري المساحات المجدبة، وإنشاء معامل توليد الطاقة الكهربائية من الماء".

وقد أكّد بن غوريون فكرة هرتزل هذه في وثيقة سرية كتبها في عام 1941م وجاء فيها: "علينا أن نتذكر أنه من أجل قدرة الدولة اليهودية على البقاء لا بد أن نكون من جهة، جيراناً للبنان المسيحي... ومن جهة أخرى يجب أن تكون أراضي النقب القاحلة... وكذلك مياه الأردن والليطاني مشمولة داخل حدودنا"[1].

(1) مجلة المنطلق- العدد 21- حزيران 1983م – ص 22- 23.

أما الأطماع الصهيونية والتآمر على جبل عامل فيعود إلى ما قبل مؤتمر الصلح في فرساي عام 1919م حين إتصل ديفيد بن غوريون وحاييم وايزمان بالبطريرك الماروني إلياس الحويك وأقنعاه بالتخلي عن جبل عامل لقاء وعد بتقديم مساعدات مالية لتطوير لبنان بحيث يصبح بعد سلخ الجنوب عنه "ذا أكثرية مسيحية"[1].

2- اليهود يجتاحون جبل عامل:

بعد المجازر البشعة التي قام بها اليهود في فلسطين بمساعدة الإنكليز ومباركة أميركا وفرنسا والإتحاد السوفياتي، إنقضّت العصابات الصهيونية على جبل عامل، وإرتكبت مجازر مروعة بحق سكانه الآمنين الأبرياء.

ووصلت إلى مشارف نهر الليطاني الذي طالما حلم ساسة اليهود بالسيطرة عليه وقد إرتكبوا مجزرة رهيبة في قرية "حولا" سقط فيها حوالي ثمانين شهيداً ومجزرة أخرى في قرية صلحا العاملية، سقط فيها أقل من هذا العدد بقليل. ودام الإحتلال اليهودي هذا لجبل عامل يومها ما يقارب الستة أشهر، إنسحبوا بعدها مقتطعين أكثر من ثلاثين قرية جنوبية ومساحات كبيرة من الأرض.

وفي خطاب لرئيس الحكومة البريطانية الأسبق "ونستون تشرشل" عام 1941م قال فيه: "إن اليهود طالبوا الحكومة البريطانية بضم الجنوب اللبناني الذي يجري فيه نهر الليطاني إلى فلسطين مقابل وضع اليهودية العالمية إمكانياتها في تصرف بريطانيا والحلفاء"[2].

3- المراجع الأعلام يعلنون الجهاد المقدس:

على أثر إندلاع المعارك الضاربة بين العرب واليهود في فلسطين وعلى أثر صدور قرار التقسيم، إنبرى السيد المجاهد عبد الحسين شرف الدين (أعلى الله مقامه) يوجّه نداءه المدوي للمسلمين والعرب في شهر محرم الحرام، سنة 1367هـ. وقد جاء فيه: "أيها المسلمون، أيها العرب: هذا شهر المحرّم الدامي الذي إنتصرت فيه عقيدة، وبعث منه مبدأ.

---

(1) المشروع الماروني في لبنان – مرجع سابق – ص 659.
(2) المشروع الماروني في لبنان- مرجع سابق- ص 660.

ألا إن قتلة الحسين عليه السلام بكر في القتلات. فلتكن قدوتنا فيه بكراً في القدوات. ولنكن نحن من فلسطين مكان سيد الشهداء من قضيته. ليكون لنا ولفلسطين ما كان له ولقضيته من حياة ومجد وخلود.

أيها العرب. أيها المسلمون

لقد حُمَّ الأجل وموعدنا فلسطين. عليها نحيا وفيها نموت، والسلام عليكم يوم تموتون شهداء، ويوم تبعثون أحياء"[1]. أما المرجع الأكبر سماحة العلاّمة المجتهد السيد محسن الأمين العاملي فقد أذاع نداء آخر للجهاد من أجل فلسطين جاء فيه:

إن لكم في فلسطين تراثاً، وإن لكم في كل غور ونجد وحزن وسهل منها دماً عجن به ترابها وإختلط به ماؤها ونباتها، وإن أربعة عشر قرناً زاخراً بالمفاخر والمآثر تحدق بكم، وأمجاداً من معد ونزار ترفرف أرواحها في آفاقكم، تستفز وتستصرخ نجدتكم. إن إخوانكم في فلسطين قد أفضّ مضاجعهم ما هم فيه من محنة وبلاء، وأسهر عيونهم وبرح أجسامهم ما يلاقونه من كبد الخصوم، ففي كل ناحية دم وفتك، وهدم وتدمير، وخوف وذعر، وفي كل مكان جرحى وقتلى وثكالى ومفجوعون، وإن بني أبيكم ليقدمون إقدام الآتي، ويدافعون دفع المستميت وقد وقفوا على برزخ بين الجلاء والفناء، والحياء والبقاء، يتطلعون إليكم تطلع الغريق في لجج التيار، فلا تضنوا عليهم ببذل التافه الحقير وهم بذلوا الجليل العظيم، ولا تبخلوا عليهم بالقليل وقد بذلوا الكثير من المال والأرواح والبنين. فوالله لا يستسيغ الغمض من بات وأخوه مفترش القتاد، ولا تطيب الحياة لحر يضام أهله وذووه، وأي لذة للعيش والبلاء محيط، والقلق مساور، وأي سعة تطيب "إذا شكا الضيق قريب حميم"[2].

على أثر هذه النداءات إندفع الشباب العاملي المؤمن يتطوع في جيش الإنقاذ الذي تألف من جموع المتطوعين من الشعب الفلسطيني وعموم الشعوب العربية والإسلامية، لإسترداد الكرامة العربية الإسلامية، وإسترجاع الأرض التي سلبها يهود الشتات، وقد قاتل أكثرهم بحماس منقطع النظير، لكن المؤامرة كانت أكبر مما كان يتصوره المتطوعون وحتى

---

(1) مخطوطة للسيد عبد الحسين شرف الدين- ص 31 (بخط ولده السيد جعفر).
(2) العرفان- م 34- ج4- آذار سنة 1948م، ص 621.

الجيوش التي حاربت، لأن الحكومات العميلة في الوطن العربي آنذاك قد أسدلت الستار على قضية فلسطين وتنازلت عن أرض المقدسات، لأنجس الشعوب وأشدها لؤماً: اليهود!!.

وكيف تقابل ثلة من المتحمسين جيشاً منظماً ودولاً تملك عتاداً متطوراً؟ في حين دخلت فيه الجيوش العربية أرض فلسطين لإستردادها، لكن قياداتهم السياسية كانت تخيّب آمالهم، وتضيّع جهودهم، وتحوّل إنتصاراتهم إلى هزائم مقيتة. لقد عانى سكان الطرف الجنوبي من جبل عامل القريبون من حدود فلسطين مرارة القتل والتدمير والتهجير، تماماً كأخوانهم الفلسطينيين الذين شردوا من ديارهم وأرضهم وما زالوا حتى اليوم يعانون من هذا الواقع الأليم. كان الأهالي يرون تحركات الصهاينة على حدودهم وأسلحتهم مصوبة إلى صدورهم في حين يتغيب الدفاع الوطني تغيباً شبه كامل.

كان الإسرائيليون يغيرون على القرى أمام أعين ضباط وجنود الجيش اللبناني، وكثيراً ما كان يعاقب بعض أفراد هذا الجيش الغيورين بسبب تصديهم للصهاينة، لأن هذا التصدي مغاير للشعار الذي كان يردده حكام لبنان على لسان بيار الجميل "قوة لبنان في ضعفه". لم تعطّ أية أهمية لهذا التحذير ولا لغيره، بل إستمرت الحكومات اللبنانية المتتابعة متجاهلة كل ما يحدث، صامة آذانها وغير معنية بما جرى ويجري. وكان رئيس أساقفة بيروت الماروني، أغناطيوس مبارك يعلن في كل مناسبة وعلى مسامع المسلمين، بأن هؤلاء المسلمين "طوائف لاجئة إلى لبنان ويحاول في كل خطاب أن يفرض شفاعة مار مارون على جميع اللبنايين، كأن اللبنانيين هم الموارنة"[1].

وقد جاء في كلامه إلى لجنة التحقيق الدولية الإنكليزية- الأميركية، حول فلسطين:"إن لجنة التحقيق الدولية الإنكليزية- لم تسمع صوت لبنان الحقيقي ولا الرأي العام عندما إستمعت إلى شهادات الشهود في بيروت. لو سمعت اللجنة صوت لبنان الحقيقي لكانت سمعت ذلك الصوت يعلن مؤازرة العمران اليهودي في فلسطين، وموازرة الصهيونية بإعتبارها شعاراً لتقدم شعوب الشرق الأوسط كلها". ثم زاد المطران مبارك قائلاً: "... وإني أتهم رئيس جمهوريتنا بأنه لم يعط رأيه الحقيقي عن الصهيونية لأنه يخاف من الجامعة العربية وهو يعتقد عكس ما يقول... وإني أقول لكم بصراحة إنكم إذا قاومتم الصهيونية في

---

(1) فروخ- د. عمر- دفاعاً عن العلم دفاعاً عن الوطن- ص 37 وثائق ودراسات لبنانية/2- جامعة بيروت العربية دار الأحد- بيروت سنة 1977.

فلسطين فإن ذلك يعني إرجاع الشعب إلى حكم الهمجية وإرجاع البلاد إلى حالة الفوضى والبرطيل كما كانت أيام حكم سلاطين بني عثمان"[1].

4- خطط عمل إسرائيلية حول لبنان:

في نهاية العام 1946 م قدم موشي شاريت خطة عمل إلى المؤتمر الصهيوني، نقتطف منها ما يلي: "... يتوجب علينا تشجيع العناصر الطامحة لتقسيم لبنان إلى دولتين مسيحية وإسلامية... وإقامة دولة مسيحية نقية من العنصر الإسلامي داخل هذه الحدود... ومن المستحسن العمل لإيجاد طرق أخرى لتحقيق هذا الهدف مثل:

1- تقوية نفوذ الكنيسة المارونية.

2- تقوية الصحافة المارونية.

3- تقوية الكتل البرلمانية والمنظمات والأحزاب ذات الميول الإسبارطية".

وإذا تم تقسيم لبنان وإقامة دولة مسيحية في أحد أجزائه قبل إقامة الدولة اليهودية فإن هذا الوضع سيستغل من جانبنا كنموذج سابق لحل مشكلة فلسطين، وسيضعف إلى حد كبير المعارضة العربية لتحقيق أهدافنا السياسية. أما إذا تم تقسيم لبنان وإقامة الدولة المسيحية بعد إقامة الدولة اليهودية. فهذا الوضع سيسهل إقامة تعاون مخلص بين الدولتين الجديدتين: المسيحية واليهودية من جهة، وبين الدول الديمقراطية العظمى وهاتين الدولتين من جهة أخرى وكذلك سيشجع هذا الوضع خلق جبهة مسيحية- يهودية مشتركة في قلب المحيط العربي من أجل تطويره حقيقياً في شتى المجالات"[2]. أما المطران مبارك فقد أعلن في باريس "إن لبنان بلد كاثوليكي، ويحاول المسلمون أن يستعيدوه كما يحاول إستعباد جميع المواطنين الذين يسكنون معهم في بلد واحد، كاليهود في فلسطين يجب أن يكون لليهود وطن قومي كي يتمكنوا من العيش الهادئ، وإلا فإن أية ولاية غير إسلامية لا تستطيع أن تعيش بحرية وتمارس معتقداتها الدينية تحت سيطرة إسلامية بحت"[3]. وكتب ديفيد بن غوريون في مذكراته، الفقرة التالية المتعلقة بلبنان،: "إن نقطة الضعف في إتحاد العرب تكمن في لبنان، وإن سيطرة الإسلام في هذا البلد سيطرة مفتعلة، وإن إزالتها شيء عملي بسيط،

---

(1) المرجع نفسه - ص 51-52.

(2) الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني في لبنان- مرجع سابق- ص 137- (نقلاً عن مذكرات ساسون).

(3) مجلة بيروت المساء- 21 حزيران سنة 1948م- ص 5 – نقلاً عن مجلة – Paris soir الباريسية.

ويجب أن تتواجد حكومة مسيحية في لبنان، حدودها الجنوبية نهر الليطاني، وعلينا في المستقبل البعيد أن نعقد معاهدة سلام معها"[1].

5- الإهمال المتعمد من قبل الدولة بحق العامليين:

عمّت الكارثة كل فلسطين وشرد أهلها منها، فكان جبل عامل السبّاق إلى إستضافة المسلمين الفلسطينيين والمسيحيين منهم، الذين أرغموا على ترك ديارهم وقد عدّوا بعشرات الآلاف بل بمئات الآلاف. وأمام هول الكارثة إضافة إلى ما كان يعانيه هذا الجبل الأشم من ويلات الحرمان والقهر المتعمد من قبل الدولة الإستعمارية الفرنسية المنتدبة ودولة الإستقلال، فإنه إندفع بعلمائه وشبابه وشيوخه يذود بالغالي والنفيس لقتال الكفرة الذين لعنهم الله في كتابه العزيز: وبالرغم من المعاناة التي كان يكابدها سكان الجبل العريق نتيجة المظلومية التي فرضت عليهم إبان ثورة سنة 1920، فإنهم تطوعوا للقتال مع إخوانهم المجاهدين في فلسطين، وساعدوا المشردين بالمأوى والملبس والرعاية والإغاثة، وقد كان لنداءات المراجع الأعلام: السيدان عبد الحسين شرف الدين والسيد محسن الأمين وقعاً كبيراً في نفوس العامليين، الذي سارعوا إلى الإلتزام بما أمر به السيدان الجليلان من جهاد بالأنفس والأموال، وإيواء ورعاية للمشردين.

لقد كانت أحداث فلسطين اللّبنة الأولى التي وضعت جبل عامل على طريق مقاومة ومقارعة اليهود، وإبتلى الله المؤمنين بهذه الشراذم المعلونة، وإستمرّ الجهاد المقدس، تارة يتأجج وطوراً ينفجر كالبركان الثائر... وسوف تستمر المسيرة حتى تحقيق النصر المظفر، يوم خروج المهدي الموعود المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وإخراج الذين كفروا وأشركوا من ديارنا صاغرين تحت راية الإسلام العزيز المنتصر.

ورغم الإهمال المتعمد من قبل الدولة اللبنانية تُجاه جبل عامل، فإن اليهود راحوا يطلقون التصريحات والتهديدات للإستفادة من مياه النهار الجارية في جبل عامل، والعمل على قضم قراه وضمها إلى دولتهم المصطنعة. وقد أوردت مجلة العرفان خبراً مفاده أنه: "جاء في أنباء لوزان أن اليهود يطلبون التوسع في حدودهم لغاية نهر الليطاني ليستفيدوا من

---

(1) المشروع الماروني في لبنان- مرجع سابق- ص 577- 576.

مياهه. وقد صرّح كبير حاخاميهم في إنكلترا بأنهم يريدون مدينة القدس لأنها وإن كانت مقدسة عند المسلمين والمسيحيين، إلاّ أنها قدس الأقداس عند اليهود، فهل من يسمع ؟!"[1].

ما إن استتب الأمر لبني صهيون في فلسطين حتى اضيفت إلى هموم وشجون جبل عامل الجريح هموم واشجان وأعباء ثقيلة. وكلما كان المتحسسون آلام الشعب العاملي يزفرون بشكواهم عبر جريدة أو يطالبون زعيماً مزعوماً أو ينبهون الحكومة إلى الفوارق الإجتماعية والسياسية والإقتصادية بين جبل عامل وبقية المحافظات، كانت القيامة تقوم على رؤوسهم، ويُتهمون بأنهم يعرقلون أعمال الحكومة ويسيؤون إلى قضية فلسطين المقدسة التي كانت تشغل العرب آنذاك!! والتي أصبحت قميص عثمان، كما عبّر عنها أحد الكتّاب في مجلة العرفان حيث قال: "التاريخ يعيد نفسه: الحكومة تحمل قميص عثمان، تتغنى الحكومة بالحرية، وتغرّد بالإستقلال، ولا نراها إلا تخنق الحريات وتعتدي على الكرامات... ثم جاءت قضية فلسطين فحملوها (قميص عثمان) يستعملونها آلة حادة ضد خصوهم ومعارضيهم، فكلما إنتقد شخص أعمالهم قالوا: إنه يعرقل قضية فلسطين. وكلما عارضهم معارض، قالوا: إنه يهيء أعوانه ليقوموا بالثورة إذا عادت الحرب في فلسطين. أعيدوا الحرب إلى فلسطين وأنا كفيل أنه لن يقوم أحد بحركة ما"[2].

ما إهتمت السلطة يوماً بأبناء الجنوب، لا قديماً ولا حاضراً، ولا إعتبرت نفسها مسؤولة عن حياتهم وحمايتهم. هذه البقعة المباركة التي إمتزج أبناؤها وهواؤها وترابها بفكر المجاهد الجليل الصحابي الكبير. أبي ذرّ الغفاري- حسب المأثورات- حتى بزغت من جبل عامل شمس الإسلام المشرقة يعكس بريقها العلماء الأجلاّء، والشهداء المضحّون.

هذا الجبل المجروح بسياط الأتراك وسيوف المستعمرين الفرنسيين الحاقدين، وبقذائف اليهود المجرمين. هو تلك الجذور العميقة للأمة الإسلامية، وقلبها النابض، وقلعتها الصامدة السرمدية. من أجل هذا كله قرروا إذلاله وإحتلاله وإخضاعه.

---

(1) العرفان- م 36- ج7- ص 779.
(2) العرفان- م 35- ج9- ص 1429.

هذا الجبل العتيق المطهّر جزء من لبنان إبان دفع ضرائب الكهرباء والماء، وشراء التبغ بأثمان بخسة. صور وصيدا وسهليهما جزء من سهول لبنان عندما تريد الدولة دعم الإقتصاد اللبناني بتصدير الفواكه والحمضيات. أما إذا طالب أبناء جبل عامل بأدنى حقوقهم: الأمن والهدوء والإستقرار، وأن تدافع الدولة عنهم بصد الغارات والهجمات الصهيونية فلا أحد عندئذٍ من المسؤولين يعنيه هذا الجبل العريق وعندما تنشر وسائل الإعلام الرسمية المسموعة والمرئية خبراً عن غارة أو هجوم يهودي على قرية، فإنها تقتضب الخبر كثيراً بشكل خجول جداً، كي لا ينزعج رواد المسارح والملاهي والمراقص، خوفاً من تعكير صفو هذه "الموارد الإقتصادية الهامة" التي تسد العجز الحاصل في الخزينة!.

كانت الدولة وما زالت تسد العجز الحاصل في الدفاع عن أرض الوطن بتقديم الشكاوى إلى مجلس الأمن الدولي وهناك ينتهي الأمر. فصبراً آل عاملة. إن الصبح لقريب، والديك سوف يصيح مؤذناً بالخلاص مع إنبلاج الفجر الجديد الذي تنشدونه.

استنتاج الفصل السادس:

في جبل عامل الأمس، إنبثقت المقاومة الشعبية برعاية العلماء والأعلام، وتواصلت نضالاتها مع مثيلاتها في الجولان والساحل السوري، لمقاومة كل مشاريع السيطرة والإحتلال. ومنذ عام 1919، وعصْف المقاومة في جبل عامل يتصدى لمشروع الصهيونية الإستيطاني على تاريخ المشرق العربي وجغرافيته... حتى أن "ثورة القسّام"، عام 1936، تردد رجعها في "إنتفاضة حجارة" في بنت جبيل والقرى المجاورة كما أن العدوانية الصهيونية في فلسطين ، كانت لها إمتداداتها إلى الأنحاء العاملية: من المالكية إلى حولا... إلى "قانا وأخواتها".

وفي جبل عامل اليوم، حوَّل الإمام موسى الصدر المقاومة من حالة إلى حركة، كحركة الموج لا تهدأ ولا تستكين فإستطاع جبل عامل دحر الإحتلال الإسرائيلي عن معظم أرضه، وتمكن، بصموده، جيشاً وشعباً ومقاومة، خلال صيف 2006، من إلحاق فشل إستراتيجي بالأهداف الإسرائيلية لتلك الحرب، بأبعادها المتنوعة، وبخاصة في محاولة إنتاج "جغرافيا فراغ"، يتم بموجبها إلقاء الفلسطينيين على رصيف التوطين في لبنان.

وجبل عامل- الجنوب اللبناني اليوم- يصيب كل أقطارنا العربية بعدوى المقاومة الباسلة التي جعلت المستحيل ممكناً وبفعل المقاومة المستمرة، ليس ما يمنع من جعْل "خرائط الطرق" الدولية مفتوحة على تحقيق أماني الشعب الفلسطيني، في التحرير والعودة وتقرير المصير، وإقامة الدولة الفلسطينية القابلة للحياة، وعاصمتها القدس.

والخلاصة، يمكن القول إن العامليين كانوا، في كل المراحل، ملتزمين بالدولة كمشروع، سواء الدولة العربية الوحدوية التي لم يُكتب لها الإستمرار أو دولة لبنان "العربي الهوية والإنتماء وطناً نهائياً لجميع بنيه". وهم لم يكونوا مجرد "عصابات مسلحة" أو أفراداً- ثواراً، بل هم جماعة ثائرة، على الدوام، على الإحتلالات الأجنبية، والإسرائيلي منها بخاصة.

خاتمة واستنتاجات

تعرضت بلاد الشام، في العقد التاسع من القرن التاسع عشر لتحولات سياسية وثقافية وإجتماعية، أكان ذلك بسبب ما قامت به الدولة العثمانية من إصلاح أو بسبب ما تم من إحتكاك بأوروبا التي زادت من ضغطها ومن تعطشها لحل المسألة الشرقية بما يناسبها. وقد شارك جبل عامل في هذه الحركة ولو أنه لم يكن العنصر المحرك فيها. وذلك لأن هذه المنطقة الزراعية، بسكانها الشيعة- مزارعين أو حرفيين أو تجار أو حمالين في معظمهم- كانت في مرحلة إنحطاط إقتصادي، وكانت تفتقر إلى النخب. بقي زعماؤها التقليديون متعلقين بإمتيازاتهم ولم يستبقوا إنقلاب الأوضاع التي كانت على وشك الحصول. ولكنّ سلطة الزعماء بدأت تهتز بسبب ما تمّ من إصلاح إداري وضريبي أدّى إلى ظهور مجموعة جديدة من الوجهاء. كذلك بدأت تظهر في مدينة صيدا- وهي على تخوم جبل عامل- في الفترة نفسها، طبقة من البورجوازية التجارية الناظرة إلى المستقبل، والقابلة للتأقلم مع الظروف الجديدة بهدف تقوية مواقفها ومتابعة صعودها، ولسوف يكون لها دور أساسي في وضع المنطقة على مسار الحداثة، على الأقل بربطها بمدينتي بيروت ودمشق.

ولئن كانت النخب، من ذوي الطرابيش، غائبة عن جبل عامل، فقد كان فيه العلماء، من ذوي العمائم، بل إن المنطقة كانت منبتاً للعلماء، وكان قد نشأ فيها كبار علماء التشيع الإمامي، واقاموا فيها مدارسهم. وقد إحتفظت بتراث تعليمي وعلمي، على الرغم من أن طلابها قد بدأوا منذ ذلك الحين بالذهاب إلى النجف في طلب العلم، حيث كانوا يقيمون سنوات طويلة ثم يعودون أكثر علماً، بل كان بعضهم يصل إلى الإجتهاد. وكانوا حين يصلون إلى جبل عامل، يتخذون مواقعهم في جماعة العلماء، ويبدأون بالتدريس والإرشاد والقضاء والفصل في المنازعات. ولم تكن الدولة تعينهم، بل كان يستدعيهم سكان القرى ممن كانوا بحاجة إليهم، ويزكيهم لديهم كبار المجتهدين، أكانوا من المنطقة أم من النجف.

وكان من درس في النجف، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، من هؤلاء العلماء، قد ألم بما طرأ من تطور على المذهب الشيعي، ناتج من أعمال مرتضى الأنصاري

(ت 1864) وأتباعه الذين فتحوا باب الإجتهاد، ووسّعوا، من الوجهة النظرية، إمكان المبادرة لمن يمارسه. وكان ذلك تجديداً فعلياً لمذهبهم، أدّى إلى إيلاء العلماء سلطات أكبر، وإلى التعريف بسلطات المرجع، وهو الزعيم الروحي للطائفة الشيعية، يُختار من بين المجتهدين ليكون على رأسهم. وقد قام العلماء من أمثال حسن يوسف مكي وموسى شرارة، بعد أن عادوا من النجف بنشر هذه العقيدة في جبل عامل، وأسسوا فيه المدارس.

فقد كان موسى شرارة في أوائل العقد التاسع من القرن التاسع عشر، أول مجتهد عاملي صاغ تصوراً شاملاً للإصلاح، وطبقه، أكان ذلك في التعليم الديني في مدرسته في بنت جبيل، وفي ممارسة الشعائر الدينية التي أحياها ونظّمها، أم في الحلقات الأدبية والشعرية التي كان يقيمها . وقد إنضم إلى هذين العالمين، سنة 1882 رضا الصلح، وهو من الأعيان، فإفتتح مدرسة من النمط الحديث في النبطية. وبعد أن أُغلقت سنة 1891، أسس حسن يوسف مكي مدرسته الدينية. وقد نشأ على أيدي آباء الإصلاح هؤلاء، جيل من دعاة الإصلاح وقعت على عاتقهم مهمة تنظيم المؤسسات التي أقامها شيوخهم، وتطوير مذهبهم. هؤلاء هم موضوع القسم الأكبر من هذا العمل. ويبرز فيه وجهان: محسن الأمين وعبد الحسين شرف الدين وهما المؤلفان الأغزر إنتاجاً، إلا أننا نذكر معهما حبيب آل إبراهيم، وكان قد إستقر في بعلبك.

إن موضوع هذه الأطروحة منصب على موقف العلماء، كذلك على أعمال بعض الأدباء الذين درسوا في المدارس العاملية التقليدية، وقد أسهمت كتاباتهم وأفعالهم في عملية الإصلاح وفي محاولة تنظيمه، أكان ذلك في مجال التعليم أم في المجالات السياسية والدينية: أحمد عارف الزين، مؤسس مجلة العرفان، وأحمد رضا وسليمان ظاهر ومحمد جابر آل صفا. وكان هؤلاء الرجال من علماء وأدباء، تحدوهم رغبة واحدة في تحسين مجتمعهم بواسطة نشر العلم والمعارف فيه، وكانوا يتوقون إلى إصلاح أمور الدين بتنظيم ممارساته وإخضاعها للعقل: وكانت تُحرِّكُهم عقيدة واحدة بالمُثُل والأفكار السياسية، ومنها، الوحدة الإسلامية والوحدة العربية، على سبيل المثال. وكانوا يبحثون عن الوسيلة التي تُخرج جبل عامل من عزلته، لكي يتخذ مكانه في كيان سياسي عريض ويحافظ، في الوقت نفسه، على

خصوصياته، وكانوا يطمحون إلى التعريف بطائفتهم الدينية لكي تتبوأ مكانها في الأمة بين غيرها من الطوائف. وكانوا، على الرغم من تعلقهم الشديد بأرضهم العاملية، يتماهون بالأمة العربية، إذ كانوا يأملون بإيجاد زعيم سياسي فيها، وبالطائفة الشيعية، إذ كان زعماؤها الروحيون في النجف يجسدون في نظرهم السلطة الدينية العليا. ومع ذلك كان موقع العلماء مختلفاً إختلافاً جذرياً عن موقف الأدباء. فقد كانت جذور العلماء متأصلة في مجتمع تقليدي يقوم بأودهم، أما الأدباء، وكانوا من أسر من صغار التجار، فكان وضعهم الإجتماعي مزعزعاً . وهذا ما يفسر غلبة المسلك المتأني العملي لدى الأولين، وتحفز الأخيرين ومسلكهم الإرادي. وينتج عن هذا الوضع أيضاً، موقف إجتماعي محافظ لدى العلماء (أكان ذلك على صعيد الموقف من السلوك الجنسي وموقع المرأة، أم في المجالات الإقتصادية والإجتماعية).

وكان السياق الذي تطورت فيه حركة الإصلاح العاملية هذه، هو الفوضى التي احدثها إنهيار الدولة العثمانية، والبلبلة التي بذرتها الحرب الكبرى، والحيرة التي اوقعها قيام الإنتداب الفرنسي وإنشاء لبنان الحديث. وكان على أولئك الرجال أن يتآلفوا مع جميع هذه العناصر مجتمعة، متخبطين بين الحفاظ على ما حلموا به من أحلام باتت مستحيلة التحقق، وبين وضع سياسي باتوا يحاولون السيطرة عليه. فكان الجواب على مثالية البعض منهم، بالموقف العملي لدى البعض الآخر.

وكانت حركة الإصلاح الشيعية هذه قريبة إلى حد ما، على الرغم من إغراقها في التعلق بالمعتقدات والقيم الإمامية، ومن نظيرتها حركة الإصلاح السنية التي أطلقها (الشيعي) جمال الدين الأفغاني الأسد آبادي وتلميذه محمد عبده. وكان محسن الأمين، تبعاً لروح العصر، يشاطر هذا الأخير قناعته بأن إصلاح المجتمع يتم بتعليم جمهور الناس وتربيتهم وتدريبهم. ولم تكن الكتابة حول هذا الموضوع، في رأي المجتهد المقيم في دمشق، كافية لإقناع معاصريه. ولذلك أسس فيها مدرسته في حارة الشيعة، منذ سنة 1901، وأدخل في منهجها علوماً وضعية حديثة إلى جانب العلوم الدينية التقليدية، ثم إفتُتحت فيها في سنة 1925 مدرسة للبنات، ودروس مسائية للراشدين تُوِّجت بالحلقات الأدبية. وقد حاول علماء

جبل عامل أن يتبعوه في ذلك ولكنْ على إثر خلافات داخلية وتنافس على قيادة الحركة، لم تُفتَتَح إلا مدرسة واحدة سنة 1938، أسسها عبد الحسين شرف الدين.

أما الدروس الدينية العليا التي كانت تفتح الباب على الإجتهاد والدخول في سلك العلماء، فكان محسن الأمين وعاملي آخر من العلماء الشباب هو محسن شرارة، أول من وجّه إليها نقداً منهجياً في أواخر العقد الثالث من القرن العشرين. فقد هاجم كلاهما، الفوضى في الدروس، والكتب البالية، وفقدان التوجه التربوي، وعدم الإلتزام بالنظام، والمواقيت، والمنهاج الخ... ثم إنضم إليهما، بعد جدال طويل، علماء آخرون فطالبوا بالإصلاح، ومنهم العاملي علي الزين الذي وصل به الأمر إلى أن نادى بإصلاح منهجي لنظام التعليم برمته، وإلى أن أعاد النظر في مسألة الإجتهاد. إلا أن الساعة لم تكن قد حانت لإصلاح نظام التعليم هذا، إذ كانت مرونته وتحرره يؤمّنان له الإستقلال عن الدولة، كما كانا يؤمنان إستقلال المراجع الشيعية عنها. أضف إلى ذلك، أنه كان من المستحيل التصدي لمبدأ المناظرة بين العلماء، وهو مبدأ أساسي يقوم عليه إختيار المجتهدين وإنتخاب المرجع.

بعد أن جعل محسن الأمين إصلاح المدرسة واقعاً، إنكب على إخضاع الشعائر الدينية للعقل وللإنتظام وللتنظيم، ولا سيما شعائر عاشوراء الشعبية، وكان العثمانيون قد بدأوا بالسماح بإقامتها على الملأ بالتدريج، إبتداءً من العام 1895. وكان لا بد لهذه الشعائر، في رأي عالمنا، إذ أصبحت تُشاهد علناً، أن تعكس صورة صحيحة عن التشيّع وعن الطائفة الشيعية. على أن الروايات الكاذبة، والكلام المغلوط الذي يلقيه القراء الأميون بالعامية، والشعائر الدامية التي يقوم بها التوابون في مواكبهم، والمشاهد التي يقوم الممثلون فيها بأدوار أهل البيت، لم تكن في رأيه تناسب الشرع الحنيف. ولذلك قام محسن الأمين بإصلاح مجالس العزاء الحسينية، كما أنه حرّم الشعائر القائمة على أذى النفس وعلى التمثيل المسرحي للفاجعة، وذلك تحت شعار تحريم البدع، وإحترام مقام أهل البيت. وقد أثار إصلاحه هذا، موجة عارمة من الإستنكار تخطت حدود جبل عامل بكثير، وأدى إلى قيام مجادلات صاخبة بين العلماء في العتبات المقدسة في العراق، وأطلق الغضب في صفوف

عامة المؤمنين. وذلك أن محسن الأمين قد تجرأ على مهاجمة الشعائر التي كانت تعبر عن كنه روح التشيّع، ألا وهو حب الأئمة الظاهر في ذكرى شهيدهم المتجددة على الدوام.

دعا كل من المجتهدين محسن الأمين وعبد الحسين شرف الدين، إبتداء من العقد الثاني من القرن العشرين، إلى الوحدة بين المذاهب الإسلامية وهي وحدة ينبغي لها أن تقوّي المسلمين وتحصنهم في وجه هجمات أوروبا عليهم في جميع المجالات. وقد بدأ محسن الأمين الحوار مع رشيد رضا، وريث محمد عبده، والناطق بإسم الحركة السلفية وصاحب اداتها الإعلامية مجلة المنار. وقد ثابرا معاً على جدال طويل معبر عن طول المسار إلى الوصول إلى تفاهم لن يتم بعد اليوم على الصعيد السياسي بل على الصعيد المذهبي. والحق ان الشيعة الإمامية، وهم أقلية في مقابل الأكثرية السنية، قد جهدوا في سبيل القبول بهم في صلب الأمة والإعتراف بهم جزءاً منها، إلا أنهم لم ينكروا لذلك خصوصياتهم، بل على العكس فإنهم أصروا عليها. وقد ساهم علماء جبل عامل مساهمة جليلة في هذه الحركة، أكان ذلك بممارسة التقريب في الحياة اليومية، كما فعل محسن الأمين، أم بالإصرار على إظهار المذهب الشيعي، كما فعل عبد الحسين شرف الدين. أضف إلى ذلك أن الأدباء العامليين كانوا المدافعين عن الوحدة الإسلامية، أكان ذلك في كتاباتهم أم في خياراتهم السياسية أم في مشاركاتهم في المؤتمرات ومنها مؤتمر القدس عام 1931.

والأدباء، على وجه الخصوص، هم الذين تجندوا في الحركة العربية، بعد ثورة تركيا الفتاة، سنة 1908، ثم ناضلوا بعد ذلك في سبيل الوحدة، وإلحاق جبل عامل بسوريا. فبعد أن هدأت الفوضى والبلبلة في المنطقة سنة 1920، قبل العلماء العامليون كارهين في أغلبيتهم، بفكرة لبنان الكبير والإنتداب الفرنسي عليه لإيصاله إلى الإستقلال تدريجياً، وقد رحبوا للمبادرة التي قامت بها سلطة الإنتداب سنة 1926، إذ شرّعت فيها وجود الطائفة الشيعية وأنشأت مذهباً جعفرياً في لبنان. فما لبث الكيان اللبناني أن إنتشرت فكرته بين العلماء. أما الأدباء فقد بقوا على مواقفهم الوطنية التي كانت قد إجتذبت النخب من الأجيال الصاعدة، وكان منها من درس في النجف، طالباً في العلوم الدينية، أو في دمشق أو في بيروت، طالباً في العلوم الوضعية. ولسوف يقوم هؤلاء العلماء الشباب ورفاقهم من أصحاب الشهادات

العليا بنمط آخر من الإصلاح، أقرب إلى العدالة الإجتماعية، ويرأسون حركة أدبية وسياسية وصلت إلى ذروتها سنة 1936، بالإنتفاضة التي دعموها في بنت جبيل على إدارة حصر التبغ وعلى النظام القائم على الزعماء. وكان هذا الموقف بإمتداداته في الإضراب في مدن الجنوب، آخر إنتفاض لهذا النمط من الإحتجاج. ففي تلك السنة ثبتّت المعاهدات الموقعة مع فرنسا الحدود، فتبخرت أحلام الوحدويين.

وبذلك تكون الفكرة اللبنانية قد إنتصرت على الفكرة القومية العربية، وعندها وجّه العامليون جهودهم إلى المطالبة بالمساواة بغيرهم من الطوائف اللبنانية، وكانوا يهدفون إلى دمج منطقتهم بالدولة، التي لم تكن على قدر الكيان الفسيح الذي كانوا يحلمون بالإندماج فيه، بل كانت دولة فسيفساء صغيرة، مؤلفة من طوائف دينية متجاورة، حيث كانوا يأملون بإيصال صوتهم، ووضع خصوصياتهم موضع الإحترام. وقد حاول المفكرون في جبل عامل منذ بداية القرن العشرين، أن يكتبوا تاريخ منطقتهم، وأن يصوغوا ذاكرة مشتركة، وأن يبنوا هويتهم، فكانت نقاط قوتهم تكمن في الأرض والعروبة والتشيع. وإنصرفوا بعد ذلك إلى جعل طائفتهم الدينية طائفة سياسية. وقد شارك العلماء في هذه المهمة، وعلى رأسهم عبد الحسين شرف الدين. فقد أدرك هذا الرجل، بحسه السياسي الحاد، قبل منعطف سنة 1936 بكثير، أن مصلحة الشيعة كانت في الرهان على لبنان وليس على الوحدة السورية.

وكان الفارق بين آثاره وآثار محسن الأمين يكمن في المشروع الذي كان يحضّره كل منهما لطائفته. فقد وضع عبد الحسين شرف الدين تصوراً لطائفة عاملية تجهر بفخرها بخصوصياتها الشيعية، وتتوصل، على الرغم من العوائق الإقتصادية والإجتماعية، إلى أن تفرض نفسها إلى جانب الطوائف اللبنانية الأخرى، وإلى أن تُعَدّ قوّة بين القوى السياسية. وكان آخر تجليات بُعد نظره السياسي إختياره موسى الصدر خليفة له لكي يتابع هذه المهمة. أما محسن الأمين فقد نادى في شيعة سوريا الذين يشكلون أقلية ضئيلة، بتشيع إمامي رصين، منظم، قابل للإنصهار في الإسلام السني الذي يشكل الأكثرية. وقد بقي خلفاؤه، وهم يحتفظون رسمياً بلقب المرجع، على هذا الموقف. وبذلك يكون كل من المجتهدين قد ترك بصماته حيث كان يمارس سلطته الدينية.

ما قام به العلماء من إصلاح تعدى أثره الرعية إلى هيئة العلماء التي كانوا يشكلونها. وقد تأتت بعض التغييرات من عوامل خارجية. ولذلك فإن إندماج الطائفة الشيعية في المؤسسات اللبنانية، وإنشاء المحاكم الجعفرية في لبنان، أديا إلى الإسراع في تنظيم العقيدة، وقد أصبحت منذ ذلك الحين علنية. كذلك قامت إلى جانب طبقة العلماء التقليديين، طبقة جديدة من العلماء (من ذوي المناصب الرسمية). وقد إستمرت هذه الإدارة المزدوجة، ومكنت الشيعة من أن يكون لهم تمثيل رسمي داخل الدولة اللبنانية، بالإضافة إلى تمثيل شبه رسمي، ولقد تمكنت هيئة العلماء من حسن التحكم بهذا التغيّر، إذ كانت ضئيلة بإمتيازاتها وبما كان يشكل خصوصيتها الأولى، وهو إستقلالها، على حد سواء، ولا ريب في أن الإستقلال عن الدولة، والمرونة في نظام إختيار المرجع القائم على المناظرة بين العلماء، وليس على تنظيم بيروقراطي، قد كبحا مسيرة الإصلاح، أكان ذلك في جبل عامل أم في النجف، إلاّ أن الشيعة كانوا يحرصون على إستقلالهم قبل كل شيء، حتى ولو كان ذلك على حساب محاربة الفوضى التي طالما نبذها دعاة الإصلاح. فلم يكن الرهان على وجود الطائفة بإعتبارها فرع الإسلام عدداً فحسب، بل كذلك على الصلة التي كانت تربط كل مؤمن بالمجتهد، أي بممثل الإمام.

هذه الأطروحة التي تعيد تشكيل المشهد الديني لـ "جبل عامل ليثبت أن جبل عامل في الزمان التاريخي والجغرافية البشرية كان، ولا يزال إلى اليوم، محور سياسات في المشرق، وأنه الرقم الثابت في تشكيل الخرائط المتحولة لجغرافية المنطقة. وجبل عامل، وإن تم سلخه في إطار مخططات "سايكس – بيكو" عن جغرافيته في التاريخ، فإنه وقع بفعل ذلك، على خط تماس الجغرافيا والتاريخ مع القضية الفلسطينية، وإستطاع، في كل مرحلة سياسية، أن يعيد لهذه القضية جوهرها، بصفتها القضية المركزية للعرب.

ولأنني أستحضر البحث العلمي الغائب من تاريخ جبل عامل إلى تاريخ المنطقة لنرى أن "العامليين" أو "المتاولة" أو "اللبنانيين الجنوبيين" كانوا، في الأساس، إستقلاليين عروبيين، سواء كانوا وحدويين مع السوريين، أو متوحدين مع "اللبنانيون"، فوشائج القربى بين جبل عامل والجولان لم تكن أوثق منها بين جبل عامل وكسروان.

ونعيد صياغة الوقائع التاريخية لمرحلة مهمة من تاريخ المنطقة، وجبل عامل ضمناً، وهو يشتغل على فعل "الجماعة- الناس" أكثر منه على "الأشخاص- الرموز"، معتمداً على الوثائق والمحفوظات في الأرشيف الفرنسي بخاصته، وعلى المخطوطات ولا يضيع تاريخ وراءه باحثون.

نتوقف عند النضالات التاريخية والسياسية العاملية الإستقلالية الوحدوية، العابرة للطوائف، سواء في الوطن أو في المنافي: من المشايخ حسين مغنية، وعلي مهدي شمس الدين، إلى "عبيد الحسين" الصادقين السادة من آل شرف الدين ونور الدين، إلى "العروبيين المتنورين"، من "الثلاثي العاملي": رضا وظاهر وجابر في النبطية، إلى علي رياض الصلح ونسيب عبد السلام شهاب في صيدا، كما نحيي المؤاخاة الجهادية بين قادة الثوار في جبل عامل والحولة والعرقوب والجولان: من "الصادق" و"الأدهم" وغيرهم... من المجاهدين العامليين، عبور جبل عامل الطريق إلى لبنانيته وعربيته في آن... إن بعض الحقائق التاريخية الموثقة في هذه الأطروحة تسمح لنا أن نتجاوز عن الفتن الطائفية الغريبة عن التاريخ العاملي، والتي غرسها ورعاها المحتل الأجنبي، وباشرها "جُهّال" من هنا "ورُعاع" من هناك، وحاول إستنقاذها، بالمؤاخاة الوطنية، "عُقّال" الحواضر العاملية: من مرجعيون إلى النبطية وشحور وصور وتبنين وشقراء وبنت جبيل. وعليه، فإن هذا الشعب كان، في ماضيه وحاضره، ضحية للفتنة ولم يكن طرفاً في أية فتنة طائفية أو مذهبية، وقياداته، على الدوام، كانت ولا تزال تدعو إلى توجيه السلاح نحو العدو الذي يهدد لبنان بالعدوان والإحتلال.

ومن حقائق هذه الأطروحة أن جبل عامل، رغم توصيفه بأنه "متصرفية لبنان الجنوبي"، بعد جمعه إلى جغرافية "لبنان الصغير" ليكون "كبيراً" ، ورغم سقوطه في جغرافية الإنتداب وفتنته، تمكّن من الإحتفاظ بهويته الثقافية والحضارية كمنطقة للتعايش الفعلي، والإسلام المتسامح، والمقاومة الوطنية المستدامة بجذوتها مقابل كل ظلم وجوْر: من أمراء السلطنة العثمانية وعدوانية الجزار أحمد باشا، إلى الإنتداب الأجنبي والإحتلال الإسرائيلي. وجبل عامل لا يزال ينتمي إلى نفسه وإلى عروبته، عن سابق إصرار وتصميم،

وهو أثبت أن "ما بعد الليطاني" لن يكون منطقة متروكة محرومة، أو "شريطاً حدودياً" تحتفظ إسرائيل لنفسها فيه بحق الإستباحة، وإقتطاع أجزاء منه أو سرقة ثرواته الطبيعية: الماء أو التراب.

في جبل عامل الأمس، إنبثقت المقاومة الشعبية برعاية العلماء والأعلام، وتواصلت نضالاتها مع مثيلاتها في الجولان والساحل السوري، لمقاومة كل مشاريع السيطرة والإحتلال. ومنذ عام 1919، وعصْف المقاومة في جبل عامل يتصدى لمشروع الصهيونية الإستيطاني على تاريخ المشرق العربي وجغرافيته... حتى أن "ثورة القسّام"، عام 1936، تردد رجعها في "إنتفاضة حجارة" في بنت جبيل والقرى المجاورة كما أن العدوانية الصهيونية في فلسطين، كانت لها إمتداداتها إلى الأنحاء العاملية: من المالكية إلى حولا... إلى "قانا وأخواتها".

وفي جبل عامل اليوم، حوَّل الإمام موسى الصدر المقاومة من حالة إلى حركة، كحركة الموج لا تهدأ ولا تستكين فإستطاع جبل عامل دحر الإحتلال الإسرائيلي عن معظم أرضه، وتمكن، بصموده، جيشاً وشعباً ومقاومة، خلال صيف 2006، من إلحاق فشل إستراتيجي بالأهداف الإسرائيلية لتلك الحرب، بأبعادها المتنوعة، وبخاصة في محاولة إنتاج "جغرافيا فراغ"، يتم بموجبها إلقاء الفلسطينيين على رصيف التوطين في لبنان.

وجبل عامل- الجنوب اللبناني اليوم- يصيب كل أقطارنا العربية بعدوى المقاومة الباسلة التي جعلت المستحيل ممكناً وبفعل المقاومة المستمرة، ليس ما يمنع من جعْل "خرائط الطرق" الدولية مفتوحة على تحقيق أماني الشعب الفلسطيني، في التحرير والعودة وتقرير المصير، وإقامة الدولة الفلسطينية القابلة للحياة، وعاصمتها القدس.

والخلاصة، يمكن القول إن العامليين كانوا، في كل المراحل، ملتزمين بالدولة كمشروع، سواء الدولة العربية الوحدوية التي لم يُكتب لها الإستمرار أو دولة لبنان "العربي الهوية والإنتماء وطناً نهائياً لجميع بنيه". وهم لم يكونوا مجرد "عصابات مسلحة" أو أفراداً- ثواراً، بل هم جماعة ثائرة، على الدوام، على الإحتلالات الأجنبية، والإسرائيلي منها بخاصة.

ما تزال فترة الحكم العربي في بلاد الشام بعد الحرب العالمية الأولى، رغم قِصَر هذه الفترة، تحمل معاني بالغة الدلالة بالنسبة إلى التاريخ العربي الحديث فهي تُبرز نوايا الحلفاء- أي الإنكليز والفرنسيين- تجاه بلاد الشام، وموقع العرب عموماً في منظورهم. ولعلّ الحلفاء الذين نجحوا في سياسة الوعود، والتنصُّل منها، بالنسبة إلى العرب، وسياسة الوعود المقطوعة لأعداء العرب، قد خسروا بسبب هذه السياسة ثقة العرب والعالم، حتى باتت السياسة الغربية مضرب مثل في خيانة الوعود والتنكر لها، ولذلك يتساءل المرء إن كان الغرب، في المحصلة الأخيرة، قد نجح أو فشل، قد ربح أو خسر؟!

إستمرار هذا التراث الذي نعتز به أولاً، في توثيق فترة زمنية مفصلية في تاريخنا الحديث والمعاصر، وبشأن النسيج الإجتماعي والعلاقات الإنسانية التي تربط أبناء جبل عامل بسائر المناطق المجاورة له. وما كان لي أن أكتسب هذا العمق، ولا أن "أفري هذا الفرْي" لو لم أكن إبن جبل عامل، المطَّلع عن قرْب على العلاقات العائلية والإجتماعية فيه، والتاريخ الوطني والقومي، ومهما إستبدّ بالباحث المنهج العلمي والإلتزام، يبقى في جوهره سيرة أفراد وجماعات تجمعهم روابط وأهداف حيناً، وتفرِّقهم المصالح أحياناً، لتبقى، حتى في الأزمات المستعصية، روابط الوطنية والقومية هي الأقوى والأثبت على مرور الزمن.

أن "العامليين من أعرب العرب نسباً وأدباً"، فإذا كتب تاريخهم، أو أرّخ لحقبة من هذا التاريخ، فلا يصحّ أن يغيب عن ذهن الكاتب هذا الإنتماء العربي الأصيل، فإن غاب، جاء التاريخ مشوّهاً أو متصدعاً يستدعي "الترميم"، وإنطلاقاً من هذا الموقف المبدئي.

ومع أننا نؤرخ لفترة زمنية محددة، سوى أن الأحداث التي نتناولها ترتبط بالحاضر بسلك واضح حينا، وخفي أحياناً. فهذا موضوع الطائفية، مثالاً وهو همٌّ لبناني مقيم حتى يومنا هذا، ودور الفرنسيين في تأجيج الصراعات الطائفية منذ بداية عهد الإنتداب بإعتبارها "المخرج للمشروع الإنتدابي الفرنسي"، على حد التعبير والذي كان "مؤتمر الحجير" الذي أعطى الأمان للنصارى، نموذجاً للرد الوطني على دعاة الفتنة الطائفية في البلاد.

قِلّة من الباحثين لفترة ما بين الحربين العالميتين مَن حاول الربط بين جهاد المناطق اللبنانية بالحركة القومية العربية. غير أننا نرى هذه الحركة الجهادية المحلية صفحة من صفحات كتاب واحد يؤرخ للحركة القومية العربية، ولذلك يبرز جبل عامل مرتبطاً بمعركة ميسلون. إن التاريخ لفترة ما بعد الحرب العالمية الأولى بهذا النهج، يشكل إضافة مهمة لتاريخ هذه الحقبة التاريخية، كما يحفّز إلى دراسة منهجية موازية للحركات الجهادية التي قامت في سائر المناطق، في لبنان وسوريا وفلسطين.

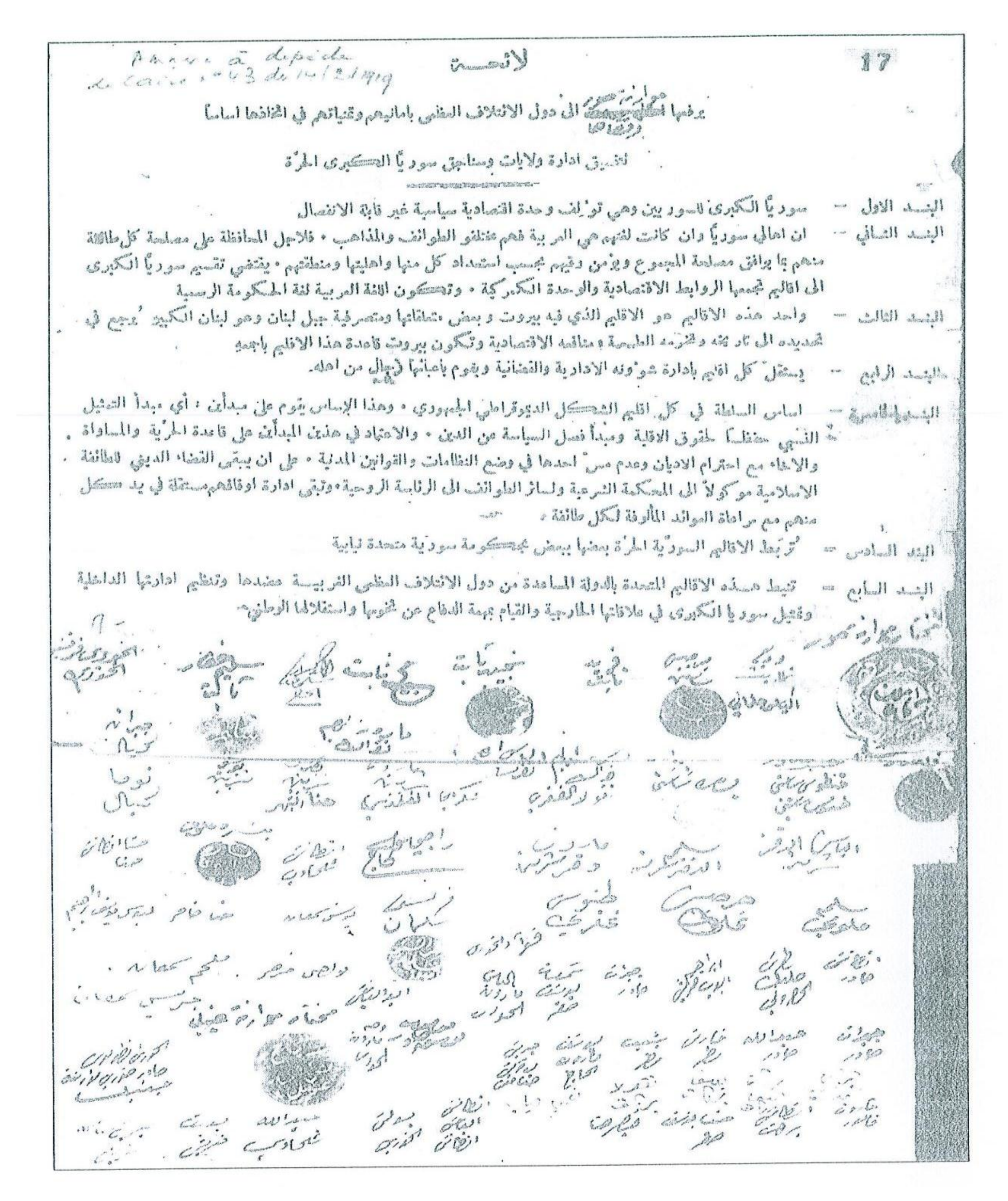
فليس كقصة هذا الكفاح وسيلة للدارسين كي يتجذّروا في أرضهم، وكي يتذكروا مَن جاهد وناضل، ومن خانته العزيمة فتذبذب وإنهزم.

إن أول راية رُفِعت للحكومة العربية كانت راية "حكومة مرجعيون". غير أنني أرى في هذا الكتاب مرجعاً تاريخياً، ولذلك فالإختصار غالباً ما يكون على حساب تفاصيل مهمة لا يجوز إهمالها، كذكر شخص مغمور من عامة الناس، لا هو بالزعيم ولا بالقائد، ولكنه بطل زمانه. فأي إجحاف بحق هؤلاء الناس العاديين الذين لا مجال لذكرهم إلاّ في الكتب التي تُعنى بالتفاصيل فتؤرخ "للناس كل الناس"، وتصب كل قرية من قرى جبل عامل، فضلاً عن الحواضر والمدن، جزءاً من وعيك القومي، فتقول في نفسك: هذه بلادي التي أحب وأفتدي، وهذا تاريخها الذي به أعتز.

الملاحق

الملحق رقم (1)

عريضة من الحملة الفرنسية في ك2 / 1919م.



لائحة

عرضها ... الى دول الائتلاف العظمى بامانيهم وتمنياتهم في اتخاذها اساساً

لتنسيق ادارة ولايات وسناجق سوريا الكبرى الحرة

البند الاول — سوريا الكبرى للسوريين وهي تؤلف وحدة اقتصادية سياسية غير قابلة الانفصال

البند الثاني — ان اهالي سوريا وان كانت لغتهم هي العربية فهم مختلفو الطوائف والمذاهب . فلاجل المحافظة على مصلحة كل طائفة منهم بما يوافق مصلحة المجموع ويؤمن رقيهم بحسب استعداد كل منها واهليتها ومنطقتهم . يقتضي تقسيم سوريا الكبرى الى اقاليم تجمعها الروابط الاقتصادية والوحدة الكمركية . وتكون اللغة العربية لغة الحكومة الرسمية

البند الثالث — واحد هذه الاقاليم هو الاقليم الذي فيه بيروت وبعض متعلقاتها ومتصرفية جبل لبنان وهو لبنان الكبير يرجع في تحديده الى تاريخه وتخومه الطبيعية ومنافعه الاقتصادية وتكون بيروت قاعدة هذا الاقليم باجمعه

البند الرابع — يستقل كل اقليم بادارة شؤونه الادارية والقضائية ويقوم باعبائها رجال من اهله.

البند الخامس — اساس السلطة في كل اقليم الشكل الديموقراطي الجمهوري . وهذا الاساس يقوم على مبدأين : أي مبدأ التمثيل النسبي حفظاً لحقوق الاقلية ومبدأ فصل السياسة من الدين . والاعتماد في هذين المبدأين على قاعدة الحرية والمساواة والاخاء مع احترام الاديان وعدم مس احدها في وضع النظامات والقوانين المدنية . على ان يبقى القضاء الديني للطائفة الاسلامية موكولاً الى المحكمة الشرعية ولسائر الطوائف الى الرئاسة الروحية . وتبقى ادارة اوقافهم مستقلة في يد كل منهم مع مراعاة العوائد المألوفة لكل طائفة .

البند السادس — ترتبط الاقاليم السورية الحرة بعضها ببعض بحكومة سورية متحدة نيابية

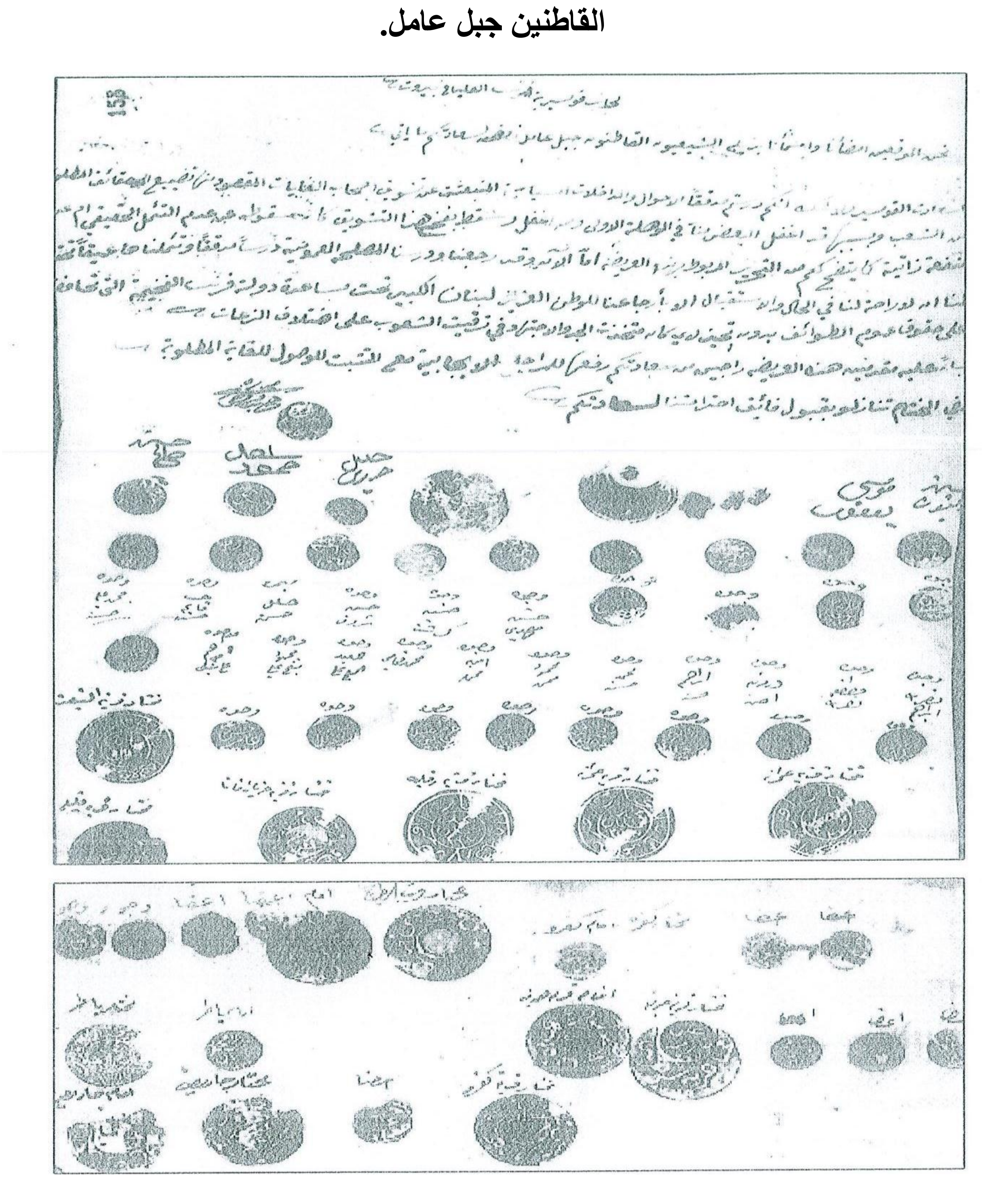
البند السابع — تنيط هذه الاقاليم المتحدة بالدولة المساعدة من دول الائتلاف العظمى الغربية عضدها وتنظيم ادارتها الداخلية وتمثيل سوريا الكبرى في علاقاتها الخارجية والقيام بمهمة الدفاع عن تخومها واستقلالها الوطني.

المصدر: محفوظات المهندس رياض الأسعد، شركة الجنوب للإعمار، من الأرشيف الفرنسي

Archives MAE, Fond Beyrouth

الملحق رقم (2)

عريضة من الحملة الفرنسية إستعداداً للإستفتاء في تموز 1919م. بأسماء الشيعة القاطنين جبل عامل.

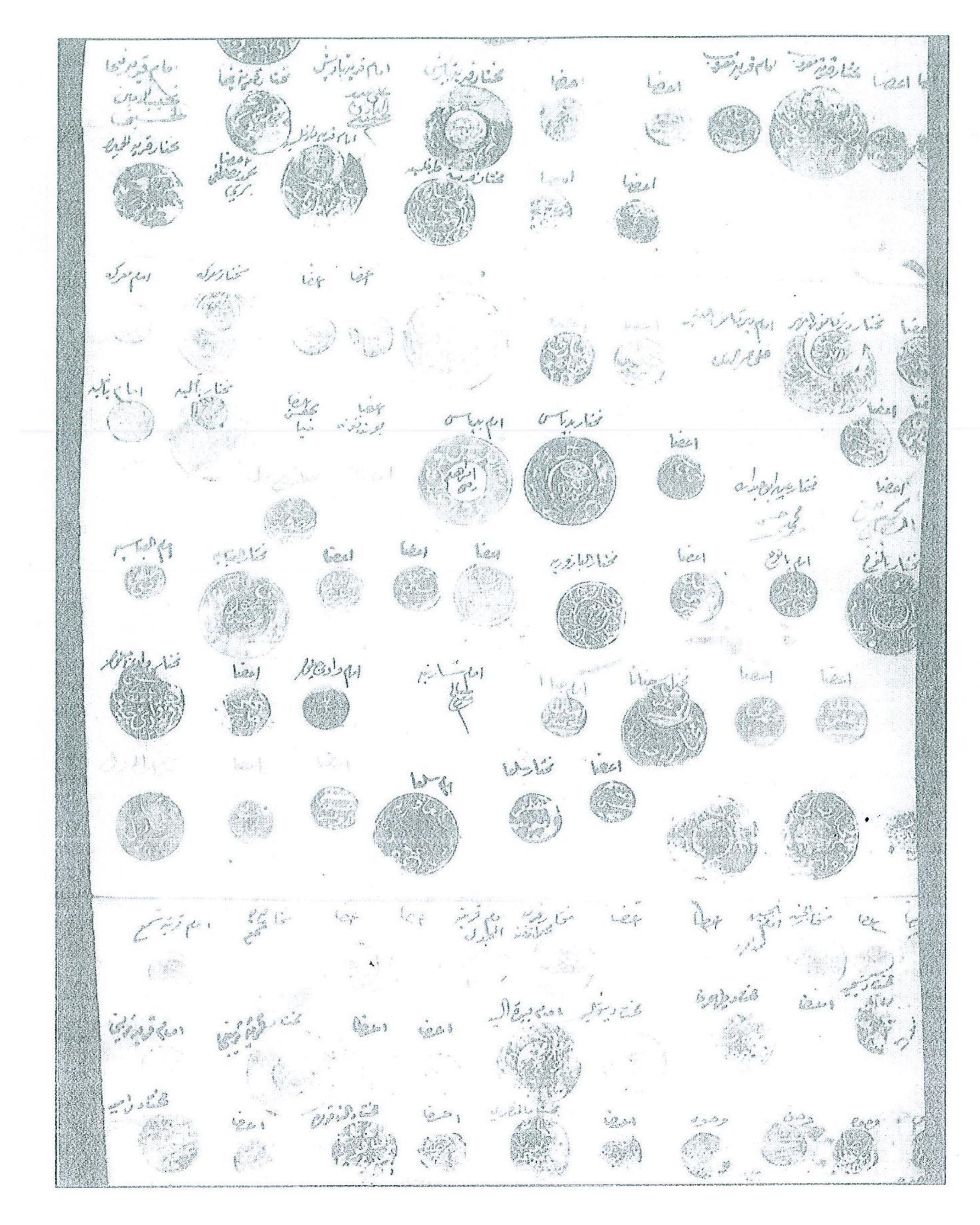


المصدر: محفوظات المهندس رياض الأسعد، شركة الجنوب للإعمار، من الأرشيف الفرنسي

Archives, MAE, Fond Beyrouth.

الملحق رقم (3)

عريضة من الحملة الفرنسية إستعداداً للإستفتاء في تموز 1919م بأسماء الشيعة القاطنين جبل عامل.

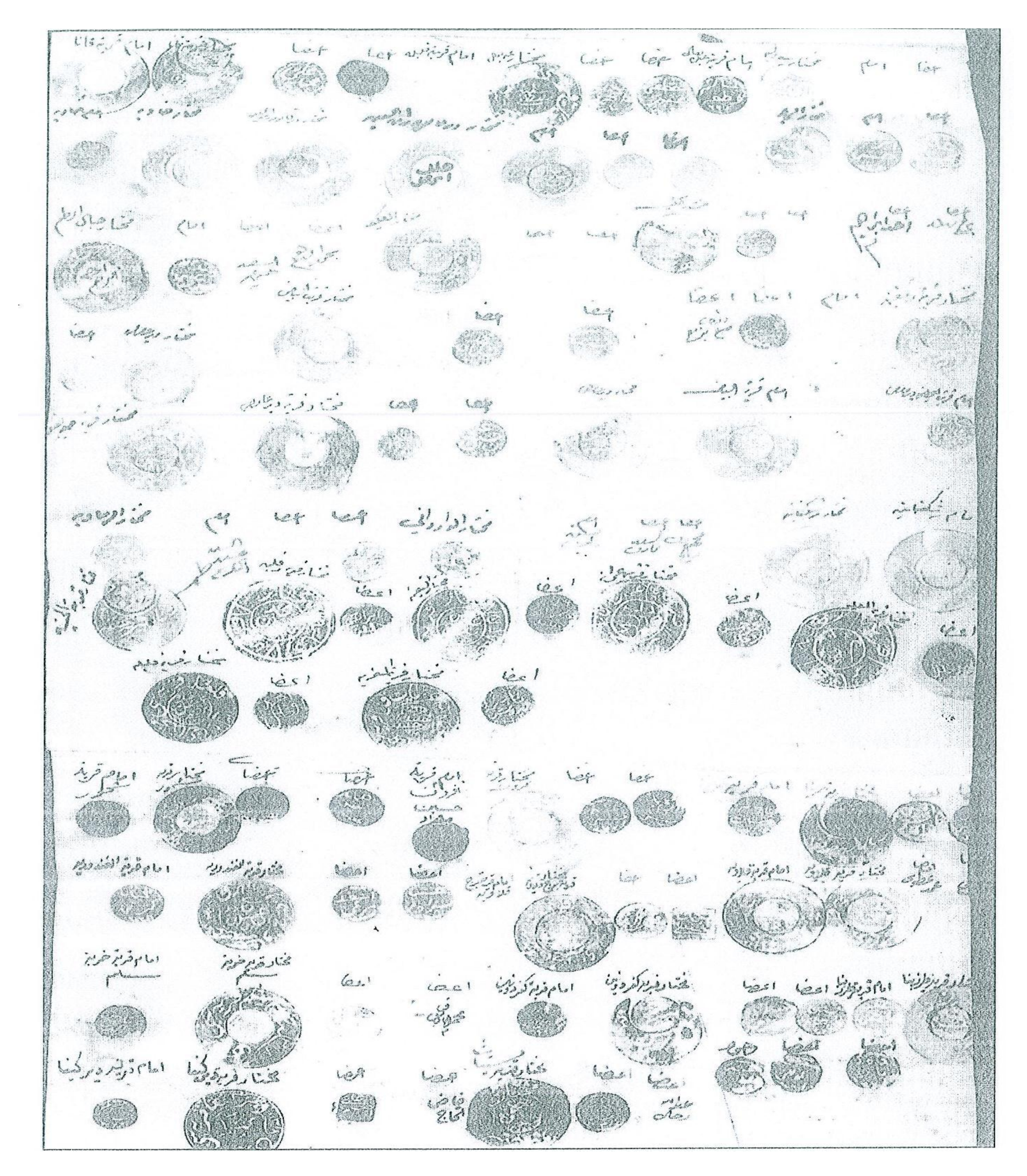


المصدر: محفوظات المهندس رياض الأسعد، شركة الجنوب للإعمار، من الأرشيف الفرنسي

Archives, MAE, Fond Beyrouth.

الملحق رقم (4)

عريضة من الحملة الفرنسية إستعداداً للإستفتاء في تموز 1919م بأسماء الشيعة القاطنين جبل عامل.

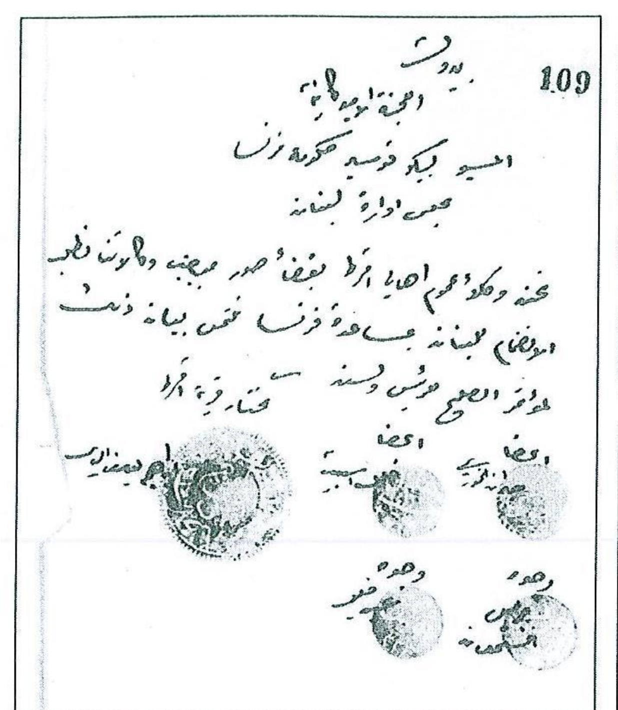


المصدر: محفوظات المهندس رياض الأسعد، شركة الجنوب للإعمار، من الأرشيف الفرنسي

Archives, MAE, Fond Beyrouth.

الملحق رقم (5)

نماذج من عرائض القرى العاملية بمناسبة الإستفتاء الدولي عام 1919م.



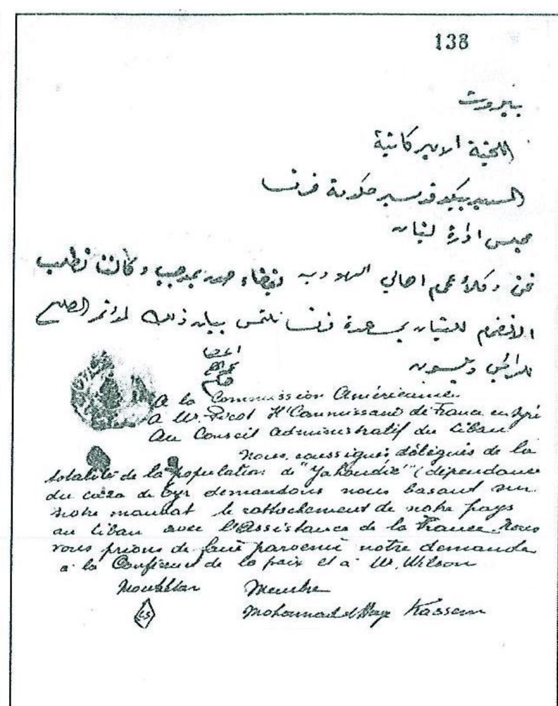
109

بيروت

اللجنة الاميركانية

المسيو بيكو قومسير حكومة فرنسا

مجلس ادارة لبنانية



138

بيروت

اللجنة الاميركانية

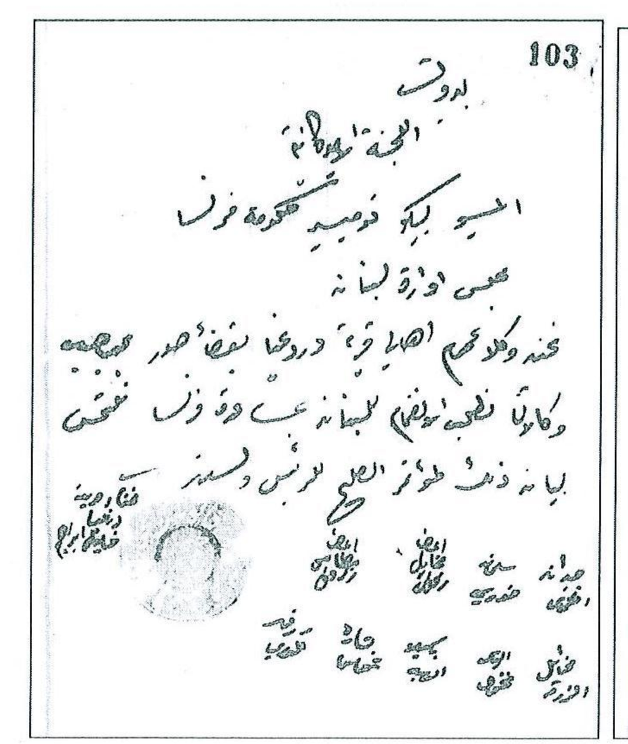
المسيو بيكو قومسير حكومة فرنسا

مجلس ادارة لبنان

A la Commission Américaine
A M. Picot H^t Commissaire de France en Syrie
Au Conseil administratif du Liban

Nous, soussignés, délégués de la totalité de la population de "Yakoudié" (dépendance du caza de Tyr) demandons nous basant sur notre mandat le rattachement de notre pays au Liban avec l'assistance de la France. Nous vous prions de faire parvenir notre demande à la Conférence de la paix et à M. Wilson

Moukhtar Membre
Mohamad el Hajj Kassem



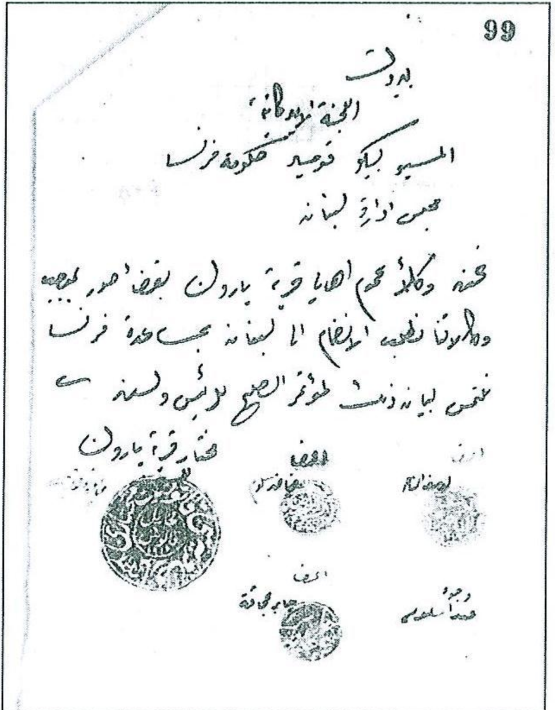
103

بيروت

اللجنة الاميركانية

المسيو بيكو قومسير حكومة فرنسا

مجلس ادارة لبنانية



99

بيروت

اللجنة الاميركانية

المسيو بيكو قومسير حكومة فرنسا

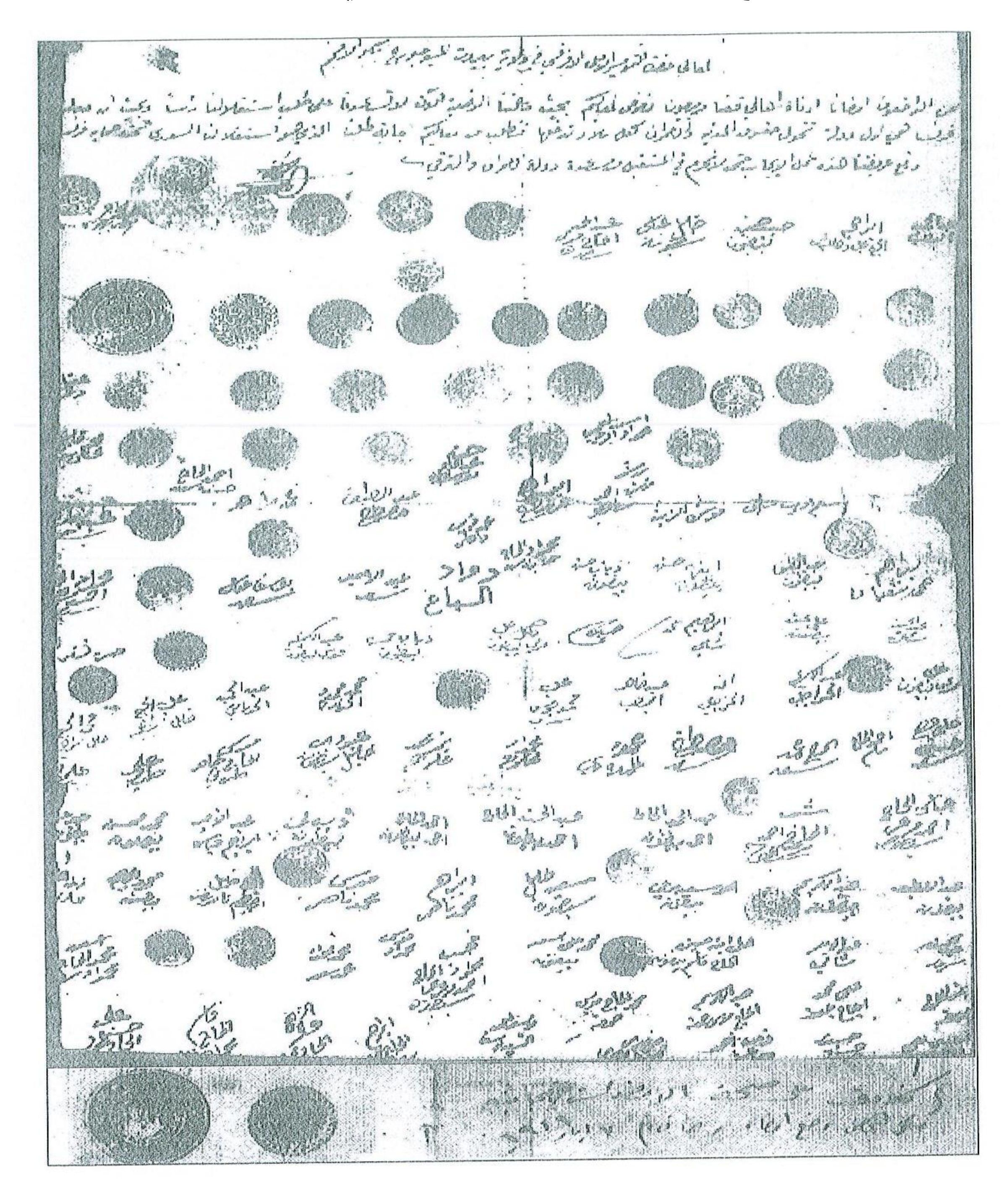
مجلس ادارة لبنانية

المصدر: محفوظات المهندس رياض الأسعد، شركة الجنوب للإعمار، من الأرشيف الفرنسي

Archives, MAE, Fond Beyrouth.

الملحق رقم (6)

نموذج من عريضة جمعية فرنسية في بنت جبيل.



المصدر: محفوظات المهندس رياض الأسعد، شركة الجنوب للإعمار، من الأرشيف الفرنسي

Archives, MAE, Fond Beyrouth.

الملحق رقم (7)

إستفتاء تلغرافي نسائي في حاصبيا إلى اللجنة الأميركية في صيدا 1919م.

Programme présenté à la Commission Américaine
Par Mme. Antoine Sassy présidente du Comité des
Dames de Saida le 10 JUILLET 1919.

156

Messieurs,

Enfants d'une pléiade de parents héros, martyrs, femmes d'époux qui ont subi vaillamment le joug exécrable d'un régime de haine et de spoliation, concitoyens d'un élément prépondérant, mais systématiquement fanatisé par un gouvernement dont les horreurs ne sont plus à démontrer, nous demandons pour nous et pour nos enfants de vivre en paix dans notre foyer auquel mille et mille liens religieux et historiques nous rattachent.

Nous réclamons le règne de la paix du Seigneur dont la loi sacrée nous inspire la foi en la justice, et la force de résister aux attaques des éléments numériquement supérieurs à nous et qui n'aspirent qu'à perpétuer le système d'hégémonie basé sur la force brutale, et de souveraineté autocrate, instauré par un gouvernement vandale", qui ne rêvait que carnage et destruction", en insuflant l'esprit de fanatisme que le sang pur des croisés, dont notre sol est imprégné n'a pas réussi à étouffer .

Nous demandons la justice, et l'égalité entre tous les habitants, et que cette paix, cette justice et cette égalité soient dispensées dans ce pays qui appartient par hérédité, à nous descendants des Phéniciens sous l'ègide d'un gouvernement chrétien et démocrate , dont le passé et le présent sont le meilleur gage de bonheur pour nous et nos enfants tant opprimés, et pour notre pays qui a stupéfié le monde entier par ses dons naturels et par la vertu d'assimilation de ses enfants.

Les liens d'affection et de reconnaissance qui nous attachent à la France qui nous sauvegardes depuis 1535, l'esprit français, sa littérature, sa culture ainsi que notre profonde reconnaissance pour cette glorieuse Nation, nous imposent le devoir de réclamer que le mandat de la Ligue des Nations lui soit attribué pour nous éduquer dans la voie de la Renaissance, et de faire régner dans notre patrie bien aimée sa devise : Liberté, Egalité, Fraternité .

En résumé, nous ne trouvons notre salut que dans notre annexion, comme par le passé, au Grand Liban; Veuillez par conséquent, honorables Délégués être les avocats de notre, juste cause auprès de qui de droit et agréer Messieurs l 'assurance de notre gratitude

Comité des Dames _

Saida le 10 JUILLET 1919.

وثائق من أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية AAE كما وردت في تقرير المتروبوليت مكسيموس صايغ في صور 1919م.

الملحق رقم (8)

أسماء الزعماء والوجهاء والمتهمين بالإضطرابات ضد المسيحيين في قضاء صور.

APPENDICE II.

1° Noms des instigateurs responsables des troubles et massacres des chrétiens dans le caza de Tyr.

Le saied Abd ul Hussein Charaf ed-Dîn, de Chouhour.
Kamel bey el Assad, de Tayby.
Mohammed bey Tamer, de Toulin.
Hadj Ahmed Abou Arab, de Tyr.
Youssef Khalil, de Tyr.

IO. Hadj Mohammed Said Bazzi, de Bent Jubeil. 14
Mohammed Hussein Farahat, de Barachit.

2° Noms des chefs de bandes :

Sadeq Hamzi, de Debaal.
Mahmoud Ahmed Bazzi, de Bent Jubeil.
Abdallah Sid Hussein, de Chama.
Ahmed bey Khanjar, de Marouwanyyé.
Moussa Bouzoukli, de Houla.
Mahmoud el Kourdi (ancien lieutenant de gendarmerie à Tyr).
Ali Harb, de Bazouryyé.

3° Noms des chefs de villages responsables des troubles et massacres :

Sid Hussein Safi ed-Dîn, de Chama (Tyr).
Cheikh Habib Mougniéh, de Ter Dibba.
Daoûd Dade, de Tyr (région choob).
Abdallah Mamlouk, de Tyr (d°).
Daoûd Ghandour, de Ghandouryyé.
Amin Mohammad Merry Bidoun, de Bent Jubeil.
Abd ul Hussein Bazzi, de Bent Jubeil.
Abd ul Hamid Bazzi, de Bent Jubeil.
Mohammed Matar, de Derdaghaya.
Nagib et Salim Bourgi, de Kana.
Kassem Jaber, de Kana.
Hadj Ali Amin Saygh, de Kana.
Moustafa Gouteimeh, de Tibnin.
Mohammad Hazimeh, de Tibnin.
Mahmoud Fawaz, de Tibnin.
Mohammed Said Farahat, de Barachit.
Mohammed Ali Farahat, de Barachit.
Ali Kassem Zain ed-Dîn, de Safed el-Battîkh.
Sid Ali Daher, de Yaroun.
Sid Taher, de Yaroun.
Sid Mohammed Jaffar, de Yaroun.
Yaqoub Karaounié, de Bazouryyé.

وثائق من أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية AAE كما وردت في تقرير المتروبوليت مكسيموس صايغ في صور إلى الجنرال غورو في 5 أيار 1920م.

الملحق رقم (9)

أسماء المتهمين بالإنتماء إلى المقاومين العامليين

4° Noms des principaux bandits qui ont pris part aux attaques à main armée ainsi qu'aux pillages et massacres des villages chrétiens :

De Bent Jubeil : Abd ul Magid Mohammad Said Bazzi.
Ismail Saygh.
Abd ul Karim Saghir.
Jamil Kotrangi.
Ajaj Salameh.
Mohammad Kasem.
Souleiman Abdallah Jaber.
Nimer Hamoudi Bazzi.
Mahmoud Faraj.
Mouhammad Youssef Faraj.
Ali Zoreik.
Jaber Bazzi.
Mohammad Abd ul Hussein Bazzi.
Khalil Mohammad Hussein Bazzi.
Youssef Mahmoud Bazzi.
Abd ul Rahman Bazzi.
Assad Bidoun.
Mohammad Mirry Bidoun.
Soleiman Tourfa.
Aboudi Soleiman Tourfa.

De Maroun er-Ras : Nimer Balbouz (yaver de Kamel Bey).
Mohammad Dourra.
Khalil Abou Sobha.
Mohammad Fayad.
Mohammad Abou Sobha.
Mohammad Mahmoud Koteichieh.
Eben Taleb Hadj Ismail Alawyyé.
Naim Hadj Ali Youssef.

15

II. Hadj Balbouz.
Ali Bou Recheid.
Naim Kawarit.
Toufiq Kawarit.
Mouhammad Doura.
Brahim Khalil Koteichieh.
Nimer Mouhammad Hussein.
Hadj Mohammad Hussein.
Said Hussein Kor.

De Konin : Abd ul Hussein Srour.
Ahmad Taleb Trabolsi.
Hussein Mouhanna.
Said Mouhanna.

De Salha : Khalil Hussein Hadj Hussein.
Habib Daher.
Nimer Mouhammad Chebli.

De Aitharoun : Ali Droubi.
Ahmed Issawi.
Hamid Issawi.
Khalil Hadj Ali.
Ali Salman.
Ali Hadj Mouhammad Farhat.
Salman Toubi.
Mohammad Hamoudi.
Salman Moukieh.
Ben Khalil Hadj Ali.
Mahmoud Mrad Chamat.
Salman Hussein Hadj Abbas.-

De [illegible] : [illegible]

وثائق من أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية AAE كما وردت في تقرير المتروبوليت مكسيموس صايغ في صور إلى الجنرال غورو في 5 أيار 1920م.

الملحق رقم (10)

أسماء المتهمين بالإنتماء إلى المقاومين العامليين

De Houla :	Hussein Tachtach.
	Kassem.
	Jamil.
De Chakra :	Hussein Chikrani.
De Harachit :	Riad Mohammad Hussein Farhat.
	Amin Mohammad Ali Farhat.
	Hussein Mohommad Ali Farhat.
	Moussa Rezeq.
	Mouhammad Hussein Salamé.
	Fatmé Hussein Salamé.
	Khadidjé bent Barakeh.
	Khalil Brahim Ahmed Chihab.
	MouhammadAli Hadj Mahmoud.
	Tousik et Nimer Mahmoud Fayad Farahat.
	Mouhammad Jawad ben Mouhammad Said Farahat.
	Abd ul Karim Hadj Mouhammad Ali Odeh.
De Safed el Battikh :	Mahmoud Hussein Zein ed-Din.
	Yassine.
	ben Ali Kassem Zein ed Din.
De la tribu de Heib el Hassatmeh :	Kassem Abdallah Kassem.
	Touhan Joumaa.
	Khalil Roustom.
	Ali Farouj.
	Mahmoud Douanye.
	Hussein Kamisse.
	Awad Abou Izza.
De Yaroun :	Mouhammad Ali Hinna.
	Ali Sid Mouhammed Jaffar.
	Rachid Sid Mouhammed Joffar.
	Brahim Ali Mousa.
	Hussein Naser Ayoub.
	Mouhammad Naboulsi.
	Hussein Kassem Tohfi.
	Ali Kamisse.
	Fayad Hogeazi.

	Mohammad Zantouh
	Kassem Youssef Mousa Saleh.
	Hossein Ali Hogeazi.
	Khalil Jafir et son fils Hussein.
	Ali Hussein Jaffar.
	Abdallah Moustafa Rouda.
	Brahim Ali Mousa.
	Nimer Hussein Mahmoud Kachan.
	Mohammed Hachli.
	Hussein Hossein Kassem Rodu.
	Khalil En Nis.
	Saleh Ali Hadj Hussein.
	Fayad Harb.
	Youssef Ali Ayoub.
	Moussa Daoud Chahin.
	Abbas Kail Chahin.

16

وثائق من أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية AAE كما وردت في تقرير المتروبوليت مكسيموس صايغ في صور إلى الجنرال غورو في 5 أيار 1920م.

الملحق رقم (11)

أسماء المتهمين بالإنتماء إلى المقاومين العامليين

De Malkiet el Jabal : Mahmoud Issa, et son frère.
Moussa Jomaa.
Kamel Mahmoud Issa.
Farès Fayad el Hadj.
Moussa Moustafa Mohammed Hasen.
Mouhammed Hussein Khalil Ayad.
De Fara (Saffed) : Mohammad Ayad.
Ali Abou Diuok.
Kayed Nasyf Moussa Hadj.
Kamel Fayed Moussa Hadj.
Moustafa Youssef Hadj.
Said Mahmoud Moussa el Hadj.
De Tireh : Ali Daher.
Ahmed Hadj Hadi.
Assad Brahim Hadj Taleb.
De Hennin : Ali Zouhdi, Mouhammad Hussein, Mouhammad Hadj Moustafa.
De Aita Choob : Taleb et son fils Mohammad. Mohammad Said. Ali Zam-
Tribu Aramcheha : Diab Attiks. Khorchid. Hamed Mohammed Mougalaam.
Son frère. Rageb Taher Hamadé. Son frère.
De Kafra : Cheikh Abdallah Izz ed Din.
De Yattar : Hadj Mouhammad Soueidan.
De Haddata : Salim Sabra et son frère.
De Betliffe : Fayad Taleb. Mahmoud Saleh.
De Blidah : Said ed Din Farahat.
De Terdibba : le fils du cheikh Habib Mougnieh.
De Kana : Habib Kassem Jaber. Le fils de Hadj Amin Saygh.
De Chouhour : Sid Mouhammed Sid Youssef. Hassan Samouri.
De Arzoun : Sid Moussa Sid Mahmoud. Sid Khalil Hadi Hussein Mous-
tafa. Sid Rouda Ahmed Radi.
De Terzibna : Mouhammad Hamzi. Salman Mouhammad Salman. Brahim Cha-
ban. Abbas Ismail. Said Terbika.
De Marakeh : Mouhammad Hadj Ismail Khalil Yahia. Hadj Saleh.
De Bafleh : Mouhammad Ahmed Dia. Mohhsen Ahmed Dia. Khalil Mahmoud.
Salim Soleiman Dia. Darwich Hadj Hussein. Moustafa Dia.
Mouhammad Abbas Dia. Khalil Abboud. Hussein Salim Sli-
man Dia. Jamil Dia. Darwich ben Hadj Hussein. Khalil
Roz. Ali Mehdi.
De Srifa: Daoud Nazzal. Amin Nazzal. Brahim Daoud Nazzal. Mohammed
Ramadan. Mohammad Daher. Ahmed Kassem. Assad Taleb. Moham
mad Ahmed. Mohammad Moustafa. Brahim Hamoudi Abbas Kassem
Nazzal. Mouhammad Ali Taleb.
De Ghandouryyé : Abdallah Tahhan Nader.
De Kantara : Rachid Hossein.
De Derdaghaya : Mohammad Toura. Zeinab Matar.
De Moheira : Hussein Amin Housoun. Abdallah Yahia. Saleh Moussannar
De Barich : Abdou Hadj Hussein Hamoud. Zeinoun. Cheikh Ali Hadj Mo-
De Bestiat : Ali Ahmed Rahal. /hammad.

Observation : Tels sont les noms des principaux bandits qui ont été reconnus pendant les différentes attaques auxquelles presque tous les villages chiites ont pris part.

وثائق من أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية AAE كما وردت في تقرير المتروبوليت مكسيموس صايغ في صور إلى الجنرال غورو في 5 أيار 1920م.

الملحق رقم (12)

زجلية الشاعر الشعبي الشيخ محمد نجيب مروة في نكبة جبل عامل من جراء "حملة نيجر".

1 ـ دخلك يا حادي الركبان ... عرّج عا جبل عامل
وان جزت بهاك البلدان ... سلّم عالبيك الكامل
سلّم عا امير العربان ... هلّي من وِلد وائل
وقل لو يا شيخ الأعيان ... ليش بلادك محترقة

2 ـ إنتِ ما كنت مسرور ... بتشريد النصارى
كنت مخالف للجمهور ... لمّن صارت الغارة
ومع هذا المال المكسور ... ما أخذت وْلا بشارة
مع هذا مانك مغدور ... والقى ان كنَّك بتلقى

3 ـ ياما لْحف وطرّاحات ... وأغلال وأموال وطرش
أخذتوها من الساحات ... وما شبع لو منكن كرْش
ومن بعد هذا راحت ... لِجانا ولِجاكم برْش
ولو قمتونا عالراحات ... ما عاد بدنا هالرفقة

4 ـ هذي مدينة بنت جبيل ... عنوان بلاد بشارة
إجاها نيجر بالليل ... وحكّم فيها الطيارة
حكّم عليها بالويل ... وعلّمها كيف الغارة
أكلتها كِمّة وذيل ... وشو كان بدها بهالعلقة

5 ـ ياحيف ويا عيب الشوم ... عالأبطال المتمازة
تتخبّا بين الكروم ... عند حضور الوزوازة (أي الطائرة)
لما هاجرت فطوم ... خذت ابريق الطبّازي
وحملت منشل مقروم ... والصيصان مع القرقة

6 ـ يا ناري على بو حسين ... حمّل شباشيلو وراح
حمل عاكتفو صبيْن ... عا شكل خِرج الملاّح
سكَن دارو غراب البين ... وصارت للدواب مْراح
وبعد سنة أو سنتين ... إجا ليْها بالسرقة

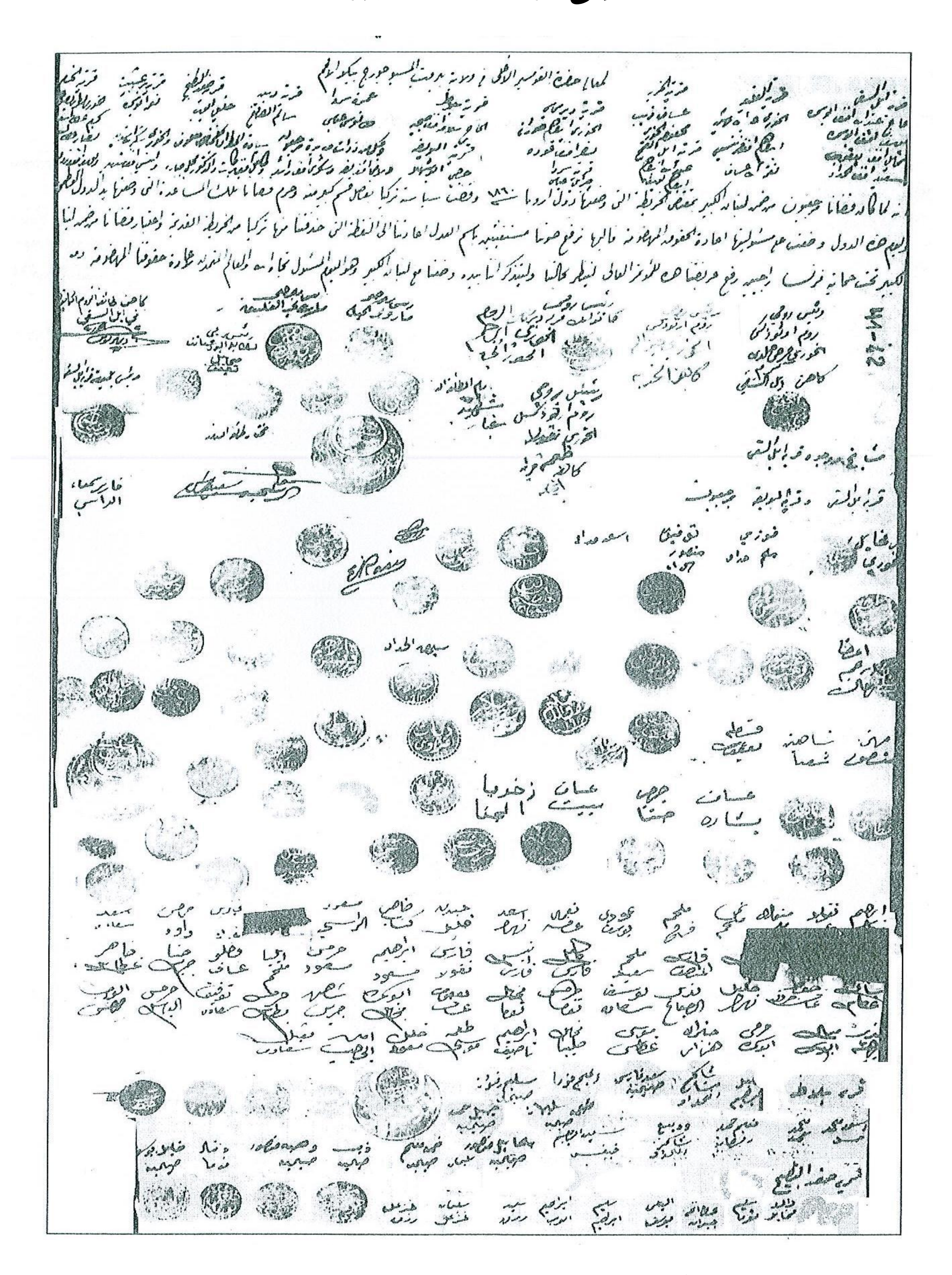
7 ـ يا ويلي على بو محمد ... قديش برزق بعينيه
بعد ما صال وتمرد ... كيف عاود هتّل ذينيه
وبو علي ليش ما صمّد ... لما إجا العسكر ليه
وبو حسن كيف تهمّد ... بعد الأخلاق النزقة.

8 ـ لو كان عندكم تفكير ... بالطلعات وبالنزلات
ماكنتو وقعتو بالبير ... ولا تجرعتوا هالجرعات
قمتوا بلشتوا تكسير ... بالجاجم والقرعات
والّلي بياكل حلو كتير ... لا بُدّ لو من شرقة

المصدر: محفوظات المؤرخ العاملي الدكتور محمد كوراني، المكتبة العاملية، صور.

المحلق رقم (13)

عريضة جماعية من القرى المسيحية في قضاء مرجعيون للمطالبة بالإنضمام إلى دولة لبنان الكبير.



المصدر: وثائق من الأرشيف الفرنسي AAE من تقرير المتروبوليت مكسيموس صايغ في صور.

المحلق رقم (14)

العنوان: محنة العلماء في جبل عامل

نماذج من مذكرات

السيد عبد الحسين شرف الدين المخطوطة

محنة العلماء

ولما صدر الامر بسوق الرجال الى ميادين القتال حيث السلطة الغاشمة الى تنفيذه بكل ما لديها من شدة وغلظة واعتساف، فساقت الناس على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم بعصا واحدة كما سمعت، ولم تكن انظمة السوق تعفي من التجنيد سوى أئمة المساجد والقوامين على الطقوس (ه) الدينية في كنائس اهل الكتاب. لكن لسوء الحظ لم تكن لأئمة مساجد الشيعة اسماء في دوائر الحكومة ولا في غيرها، اذ لم تكن امامتهم بتوظيف من الحكومة أو من طائفتهم وانما هي بمجرد اهليتهم وعدالتهم المحرزة في نفوس شيعتهم، بخلاف أئمة الجوامع من اهل المذاهب الاربعة الاسلامية فانهم كانوا من قبل موظفين من الحكومة برواتب معينة لهم في سجلاتها الرسمية يتقاضونها كل شهر كسائر الموظفين، وكذلك القوامون على كنائس اهل الكتاب من احبار اليهود واساقفة النصارى كانوا موظفين من رؤساء كهنتهم برواتب مسجلة لهم يتقاضونها من اوقافهم.

فالسلطة العسكرية كانت يومئذ على يقين من اعفاء هؤلاء واولئك جميعا، ولذلك اعطتهم وثائق الاعفاء عملا بقانونها العسكري في ذلك العهد فأمنوا واطمأنوا مرتاحين.

اما أئمة مساجد الشيعة - وهم علماء البلاد وابرارها - فلم تعترف سلطات السوق بامامتهم اذ لم يكن ثمة ما يثبتها رسميا، وبذلك اجمعت على سوقهم مع سواد الناس بكل شدة وامعنت في طغيانها تتعقبهم لا تدخر في ذلك وسعا فذعروا وتواروا مدة آمنين، وهال الطائفة امرهم. وسقط في يدها على انها كانت في عناء لا تزال [illegible]

المصدر: نماذج من مذكرات السيد عبد الحسين شرف الدين المخطوطة وهي من أرشيف المؤرخ العاملي الدكتور محمد كوراني، المكتبة العاملية في صور.

المحلق رقم (15)

العنوان: بلايا المؤمنين وأحوالهم أيام السيد عبد الحسين شرف الدين.

بلايا المؤمنين حولي

وكان المؤمنون حولي قد فوجئوا بأنواع من البلايا لا يرون إلى التخلص منها سبيلا، إذ كان الحكم فيها خاضعاً للشهوات الاستبداد الفردي، ولعل ضعف الشيخوخة الذي منيت به الدولة العثمانية في ذلك العهد كان من أسباب ذلك العنف والاستبداد وقد استطار الشر وأخذت حلقاته تختنق من حولي من عباد الله وإمائه، فإذا الحياة منكرة، والعيش وبيل، فرأيتني غير معذور إلا ببذل الوسع في الأعذار، وما كان لذي عاطفة إنسانية أن يمر على جثث الهلكى من جوعى تلك المحنة ثم يطمئن قبل أن يجاهد في سبيلها فلعله يفتدي الرمق المتلاشي من أولئك الفقراء ببعض ما لهم من الحق في ذمم الأغنياء، ولعله يمسك الأنفاس الزاهقة بشيء مما للضعفاء قبل الأقوياء. فطفقت يومئذ أستنجد الكرام الموسرين، وأستجدي ضمائرهم لأولئك الهلكى بمرأى منهم ومسمع أتلو عليهم من محكمات الذكر الحكيم وصحاح السنة الرحيمة ما تأخذهم به أريحية السخاء، وتملكهم به الخفة للمعروف.

رفعت صوتي بذلك أستخرج به من أعماق الناس معانيهم الإنسانية. ولعلي أبليت في ذلك بلاء حسناً، فيسر الله لي بفضله وكرمه ما كشف البأس لأولئك الجوعى العراة.

وبرزت الأخماس تقفوها الزكوات، وتتلوها الأثلاث الموصى إلى رصيد معلوم يوزع على الجوعى بنسب متكافئة، وقد جعلت لكل مخرج حق من هذه الحقوق أن يشرف بنفسه أو بنائب عنه على توزيعه في ذوي قرباه مع مندوب اعتمدته في تقدير نسب التوزيع العادلة من معرفة أهل الخبرة المحكمين في تقدير هذه الحاجات. وبهذا انتعش الله نفوساً وبرّد أكباداً، ونفّس كرباً، وبدأت الحياة تدب في كثير من المحتضرين.

ومن الحق أن نشكر أولئك المحسنين (1) في تلك اللأواء، وهم نفر مؤمن حقاً انتفع بروح الموعظة نفعاً مثّل الإيمان بأجلى مظاهره، وربما كان للموت الزؤام المنتشر في تلك الأيام أثر في إخراج تلك الحقوق، ذلك أن الموسرين خافوا أن تكون أسماؤهم في سجل المخترمين فتداركوا أنفسهم بوفاء ذممهم المشغولة بحقوق الله وأولئك الصرعى جوعاً وعرياً، وقد كان لذلك تأثيره في وصياتهم بالأثلاث أن تصرف إلى الحقل المخصص من رحامهم [illegible] باشراف منا، وكان لي بتوفيق الله خدمات أخر رفع الله بها عن بعض الأبرياء ما كان يلم بهم من كوارث ذلك العهد، وأنقذ الله نفوساً من أشداق الموت نفراً (2)، وأخذ بأيدي آخرين فأخرجهم من ظلمات السجون (3)

المصدر: مذكرات السيد عبد الحسين شرف الدين المخطوطة من أرشيف المؤرخ العاملي الدكتور محمد كوراني، المكتبة العاملية / صور.

المحلق رقم (16)

العنوان: موقف السيد عبد الحسين شرف الدين من الإحتلال الفرنسي

[illegible]

في فترة الاحتلال

في أعقاب تلك الحرب والجيوش تلقي أوزارها انتهت فلسطين الى الاحتلال الانكليزي، وانتهت دمشق الى الامارة الهاشمية برئاسة فاتحها الامير فيصل.

وكان نصيبنا من التقسيم يومئذٍ نصيباً لم تجرِ فيه الرياح كما كنا نشتهي، وكما كنا نقدر، ولكن ابتدأ نشاطنا على حال وفق آمالنا التي كنا نعلقها على ما بعد الحرب.

وبدأ العمل في هذه البلاد بانشاء حكومات موقتة تحفظ الأمن باسم الملك حسين (1). فكان الحاكم في بيروت شكري الايوبي، وفي صيدا رياض الصلح، وانشأنا في صور يومئذٍ حكومة على هذا الغرار تحتفظ بالزمام للتسليم بعد ئذٍ الى الامير فيصل حين تتوج عرشاً بالنجح.

ولكن الانكليز ابطلت هذا التدبير الذي رجوناه لمستقبل عربي مستقل، واذا اجتاحت في مرورها ما بنيناه من هذا الكيان الناشئ، ولم تعترف بشيء من هذا الجهد المؤمل، وبذلك شُطب على الخطوة الاولى. ومهد لفرنسا ان تسيطر وتحتل باتفاق وتفاهم مع [illegible] ولكن ما كان لنا ولسائر المخلصين للدين والقومية والوطنية أن نستكين للقوة مستخذين. [illegible]

موقفنا مع فرنسا

ما كان استقبالنا للاحتلال الفرنسي من أجل ذلك استقبالاً [illegible] صاخباً محتجاً يواجهها بالرفض والمصارحة والميل عنها ميلاً لا هوادة فيه ولا لين.

وأوكل الينا أن نمثل الامة العاملية في جماعة ممن يلابسون السياسة، ويعملون في حقولها. واجتمعت الينا اختام العلماء والوجوه والمختارين من مختلف البلاد العاملية، تقترن منهم بكل ما نقوله باسمهم، واعترافاً بصحة ما نعمله في سبيل مصلحتهم.

وطيرنا يومئذٍ برقيات وارسلنا عرائض عبرت عن آمال البلاد وامانيها في جلاء فرنسا عنها واعتزالها الحكم فينا. وكان الامير فيصل يومئذٍ في جنيف وباريس يسعى سعيه الجميل ويتصل بذوي الامر في شأن الحكومة العربية المستقلة التي كنا نظاهره على انشائها.

ولم نقتصر من السعي على العرائض والبرقيات في جهادنا السلمي يومئذٍ، بل كانت لنا صولات عريضة اذاعتها عنا صحف بيروت اولاً ثم تولت اذاعتها صحف دمشق بعد أن كمّها الاستعمار الفرنسي في بيروت. ثم كانت لنا مواجهات مع المسيطرين من الفرنسيين كبيكو، وغورو، وشربنتيه، ودلبستر، ونيجر. وقد حضر بعض هؤلاء الى صور وفاوضنا [illegible] ان تكون لنا الارادة المطلقة في التعيينات وأسس الحكم المحلي وما الى ذلك. ولكنا رفضنا هذه المساومة [illegible] [illegible]

وقد شهد الكثير من هؤلاء وغيرهم في صور وشحور (2) احتشادات الجماهير الهابطة من الجبل باعلامها الخافقة وهتافاتها الوطنية العاملية فكان لذلك وقعه في نفوسهم، وعلموا أن الشكيمة التي يحاولونها شكيمة شديدة لا تروض.

خيانات من صفوفنا

والمؤسف اشد الأسف أن داءنا القديم داء الانقسام والحسد والنفاق بدت اعراضه في تلك الفترة كما ظهر في الميدان نفر من هؤلاء المدعين الذين اشهدناهم مجالسنا، واطلعناهم على خطتنا الصريحة، واشركناهم في عملنا، ظهر هذا النفر في الميدان مذبذباً ينقلب الينا علناً، وينقلب عنا سراً. وليته كان يحمل الى الفرنسيين حقائق ما نقوله

(1) وكان هذا باتفاق مع الامير الفاتح فيصل

(2) حيث كان مشتانا في مدينة صور، ومصيفنا في شحور

12

المصدر: مذكرات السيد عبد الحسين شرف الدين المخطوطة من أرشيف المؤرخ العاملي الدكتور محمد كوراني، المكتبة العاملية / صور.

المحلق رقم (17)

العنوان: موقف السيد عبد الحسين شرف الدين من الأحداث الأمنية والعسكرية التي حصلت أبان الفتنة الطائفية الفرنسية في جبل عامل.

وتمويه ليكون صادقاً في تجسسه، بل ربما كان نافعاً في ذلك. ولكنه كان كذوباً، يختلق الغريب، ويحرّف الكلم ويشوّه النية، ويوقظ الفتنة. المسلمين والأحرار من أهل البر

حادثة ابن الحلاج

وكان من ذلك أن عزم الفرنسيون، وعزمت ذيولهم أن يتخلصوا مني عن طريق الاغتيال لتنهار هذه الجبهة أو تخلو من الميدان.

وفي ضحى يوم الثلاثاء ١٢ ربيع الثاني سنة ١٣٣٧ هـ الموافق ١٤ كانون الثاني سنة ١٩١٩م – وداري خالية من الرجال أقبل فتى مسيحي من [illegible] الذين أملى لهم الفرنسيون أن يتسلطوا على المسلمين. وأقبل معه رجلان من الجند الفرنسي وكانوا جميعاً مسلحين فاقتحموا الباب ثم أحكموا رتاجها. ودنا الفتى العربي ابن الحلاج شاهراً مسدسه وهو يطلب أن أعطيه الوثائق التي كنا أخذناها من وجوه البلاد وثائق تخول الملك فيصل أن يتكلم باسمها في عصبة الأمم، فركلته في صدره ركلة ألقته على ظهره فسقط المسدس من يده. وأتبعت الركلة بضربات عنيفة بالحذاء على رأسه ووجهه. وعلت صيحة نسائنا في الدار [illegible] فملئت الطريق خلف الباب. فإذا الرهبة تتولى هزيمة الجنديين وصاحبهما مخفقين. وقد كادت الأيدي والأرجل أن تقضي عليهم.

ويسري النبأ في البلد فتتحرك الحماسة ويتجمع الناس، ثم يتصل النبأ في الخارج فتتوافد الرايات تخفق فوق الوفود الكثيرة من وفود السواحل والجبل في مظاهرات وطنية تاريخية رائعة.

وجاء حاكم صور الفرنسي دلبستر منتصلاً مما حدث وداري تغص بالجماهير حتى تضيق رحابها ويضيق الفضاء من خلفها. وبعد انصرافه عدوت أشرفت على الجماهير وشكرت مساعيهم وحميتهم وصرفتهم إلى أماكنهم مدخراً تجمعهم إلى أن يحين الوقت.

أسباب الثورة

وعلى هذا الأثر أشيع أن أولياء الفرنسيين يتجاوزون الحدود الإسلامية المقدسة وربما نالت أيديهم بعض الأعراض المصونة – وما أدري أكان ذلك واقعاً أم كان زوراً؟ – ولكن الذي كان من أثر تلك الإشاعات أن فارت العصبية الدينية واستيقظت النخوة العربية فاضطرب حبل الأمن وانتشرت الفوضى في البلاد.

ووجدت سياسة الاستعمار – في هذه الشقة التي غذتها فكرياً – طريقها المؤدي إلى مآربها من التفريق في هذه الفترة العصيبة، ذلك أنها قصدت إلى أن تجلو نقطة الضعف في هذا الشعب لأنا خطر لكرامته واستقلاله وتدفعه إلى أن يعلن عن نفسه عدم الكفاية لما ينشده من التحرر والانعتاق، فجهزت المسيحيين بالأسلحة بدعوى تمكينهم من حماية حوزتهم، ثم تغافلت عن الثوار تغافلاً اضطر المصلحين من هذه الأمة أن يطالبوا الحكومة بإيقاف الثوار عند حدهم فماذا فعلت الحكومة؟

إنها بذلت السلاح للمسلمين أيضاً بحجة أنها تدع لهم تأديب العصاة ومطاردتهم. ولكن الحقيقة التي رمت إليها من وراء ذلك أن يثوروا بالنصارى لتتسع الفتق ويثبت ما قصدت إليه من التدليل على عدم كفايتنا للاستقلال لتقيم عندئذ حكمها على قاعدة من هذا الدليل، كما أقام أمثالها حكمهم على قاعدة من مثله.

وكان الناعقون المتقعيون من أذناب الفرنسيين – أثناء ذلك – يثيرون حماسة الفتيان العرب من جهة أخرى ويطمعونهم ويغرونهم بمواطنيهم ليتلاقى طرفا الحيلة الاستعمارية عند إبرام أمر التدبير.

وكان لهؤلاء الإقطاعيين المذبذبين شأن في هذا العصيان كما كان لهم شأن في السعاية بالمخلصين يلبسون منها حوبها

المصدر: مذكرات السيد عبد الحسين شرف الدين المخطوطة من أرشيف المؤرخ العاملي الدكتور محمد كوراني، المكتبة العاملية / صور.

المحلق رقم (18)

العنوان: السيد عبد الحسين شرف الدين يظهر الأسباب والأهداف التي جرت في مؤتمر الحجير في 24 نيسان 1920.

مؤتمر الحجير

وكان هذا الطلب من الامور المهمة ذوات البال التي دعت الى عقد مؤتمر الحجير التاريخي ، فان المفكرين في عاملة اخذوا هذا الطلب على انه جد شاق من طرفيه فهم ان اجابوه فرنسا دولة قوية غنية مجهزة لا قبل لهم بها ، وان امتنعوا عنه فهذه جبهة وطنية تدعوهم الى جهاد وطني وذلك ما لا قبل لهم بالامتناع عنه ايضا .

اضف الى هذه الحيرة ان سياسة البلاد المضطربة كانت تدعوهم للاجتماع والنظر في تقرير مصيرهم على نحو تطمئن اليه الجماعة القلقة .

وفي اليوم الموعود كان وادي الحجير (1) يستقبل ضيوفه ، وكان ضيوفه الاكثرية من صفوة علماء الجبل واسوده ، ووجهائه واعيانه . وكان يضيق بالرايات . ويضج بالهتافات . ويدوي بالمفرقعات والصهيل . وكأنما عاملة نشرت فيه ببعث جديد .

واقبلنا والجمع كامل مستتب . فما اشرفنا على الجمع حتى جلجل الوادي ، وجرجر صداه (2) وانطلقت الحناجر والاكف والبنادق

— ٦٥ —

تمد الصدى بموجات اثر موجات تتجلجل في عنق الجبل ثم تنطلق في الفضاء .

وانحزنا بعد تحية الجماهير الى صف العلماء والزعماء فداولهم الرأي وبادلهم المشورة ، فتمخض الاجتماع عن تفويضي وانتخاب العلامتين السيد محسن الامين والسيد عبد الحسين نور الدين بالبحث في مصير الجبل مع جلالة الملك فيصل في الشام وكتبت في هذا وثيقة ممضاة من العلماء والزعماء والوجوه وممثلي القرى جميعا .

ثم وقفت في ذلك الجمع المشهود وتكلمت في الازمة ووسائل تفريجها . ووقفت وقفة خاصة عند هذه الفوضى التي تهدد الامن وأبنت أن الفوضى لن تكون الا من العراقيل التي تخذل قضيتنا وتدل على عدم كفايتنا لما نطلبه ثم اقسمت اليمين واخذتها على العلماء والزعماء والوجوه ان نتضامن على حفظ الامن واقرار الهدوء والحرص على سلامة النصارى بوجه خاص . واحضرت بعدئذ رؤوس الثوار كصادق الحمزة وادهم ومحمود الاحمد ونصحت لهم وامرتهم ان يكفوا عما هم فيه ، بل هددتهم ان لم يكفوا بالعقوبة والمطاردة .

ثم انفض الجمع على يمين هذه النية ورجعنا نتأهب للسفر الى دمشق .

المصدر: مذكرات السيد عبد الحسين شرف الدين المخطوطة من أرشيف المؤرخ العاملي الدكتور محمد كوراني، المكتبة العاملية / صور.

الملحق رقم (19)

العنوان: أحداث الثورة وتطوراتها في جبل عامل مع بداية الإحتلال الفرنسي.

لهب الثورة

وقد تطورت في غيابنا الاحداث في جبل عامل وساءت الاحوال، فذر الافرنسيون على الجرح ملحاً بأن سلحوا اهل عين ابل
من جهة وأظهرت عجزها ازاء العصيان المدني الشامل الذي تمخض به العامليون. وكان غرضها من ذلك ما كنا نخشاه من سوء التغلب
والظهور امام الدول بمظهر من لا يستطيع ادارة نفسه ادارة مستقلة.

وقد اغتر اهل "عين ابل" بحصانة موقعهم وبقوة اسلحتهم فابتدروا من كان منهم متصلين بالعداوة والمجاهرة بالاعتداء
وكانت هذه حركة استفزازية قابلها الفتيان العامليون بالاستياء والحفيظة، ثم كان للذيول الافرنسيين مسعى في اثارتهم فهبت
فنهد الى عين ابل ثلة من الاشداء واقتحموها قادرين وانجلت المعركة عن مائة قتيل ونيف من اهل عين ابل وصبغ نهباً في حجرتها
وشاء ذيول الفرنسيين من منافقي الافندية والمتزعمين ان يستغلوا هذا الحدث اسوأ استغلال فنسبوا الينا فتوى
بجهاد النصارى، قالوا انها كانت في مؤتمر الحجير. وكانت دعواهم هذه تحريفاً سيئاً لموقفنا المشهود في الحجير وذهبوا بهذا
التحريف المزور يزجونه في آذان الحاكمين المسؤولين في غير ذمة ولا دين.
وقد كان استياؤنا بهذه الكارثة عظيماً اذ نجد مظهرها الفوضوي البربري بقسوته التي لا تبيحها شريعتنا، وأزعجنا انها اساءت الى خطتنا

تطور الاحداث

وحين رجعنا من دمشق رأينا الاحداث متطورة تطوراً تعسر ملافاته، فقد كانت الحكومة المسيطرة مغلولة اليد لا يمتد سلطانها
من أحد وراء المدن الساحلية، والبلاد مضطربة ثائرة لا تتعامل ولا ترجع الى الدوائر الرسمية في أمر من امورها.
وكنت على علم بالخطر المحدق بمقامنا في صور وهي مقر للحكم الفرنسي المستأثر، لذلك القيت الى اهلي ان يتركوا صور قبل ذهابي
الى دمشق وينتقلوا الى دارنا في شحور فانها آمن لهم وابعد عن متناول الفرنسيين.

المصدر: مذكرات السيد عبد الحسين شرف الدين المخطوطة من أرشيف المؤرخ العاملي الدكتور محمد كوراني، المكتبة العاملية / صور.

تابع الملحق رقم (19)

العنوان: أحداث الثورة وتطوراتها في جبل عامل مع بداية الإحتلال الفرنسي.

وقد علمت بعد رجوعي من دمشق أن تقديري كان على صواب. وكان القوم ينتظرون اوبتي التي جعلوها موعداً للضربة
الكبرى ارجع حتى جهزوا جيوشهم. ولما ارتحل عن مركبي، وفرقوها في اطراف الجبل موقرة بالاسلحة الثقيلة والعتاد واوعزوا لها
بالامعان في القسوة والارهاب والاهانة فمضت على غلوائها تخيف القرى الآمنة وتروع الاسراب البريئة وتنهب المواشي بما
تستنزف من ماشيتها وبيضها ودجاجها وألبانها وخروجاتها الزهيدة حتى وهن الكاهل تحت الثقل. وكل اعمالهم في الدنو والتنحي وبالمستقبل
وكان الملك فيصل وفى بوعده وجهز الى الجبل قوافل من العتاد والاسلحة والاطباء. ولكن الزعيم كاملاً ارجع ذلك كله تعويلاً
على الحلول السلمية واخذاً بالاناة والتساهل.

ومهما يكن فقد كان نصيبنا من هذه الجيوش حملة جرارة قدرت بالف فارس مجهزين بالمدافع الثقيلة والدبابات والمدرعات، زحفت
بقيادة الكولونيل "نيجر" الى شحور. وما كاد الفجر يتوضأ باضوائه الندية حتى كانت المدافع الثقيلة منصوبة على جبلي "الطور وسلطان"
المشرفين على القرية. وهبط الجيش يتدفق بين كروم التين ويلتف حول القرية في رهبة اوحشت سكينة الفجر المستيقظ لذكر الله تعالى
في مستهل شهر رمضان المبارك سنة ١٣٣٨ وكنت أهوم بعد صلاة الفجر بنعاس بعد تعب السفر وتعب السهر. وكانت وصيفتنا
الصالحة السعيدة تتهيأ لصلاتها فاشرفت على مدخل القرية - وهي تتبين الصبح - فراعها ان ترى الى آذان الخيل تنتشر بين اشجار
التين في مثل هذا البكور فاجفلت مذعورة. ورجعت توقظني من منامي.

نهضت مسرعاً الى ارديتي وانسللت اتخطى الازقة والمضائق، ثم خرجت من بين العسكر وهم لي منكرون وتركتهم يتظنون
وسحبت اهبط الوادي الى غار على شاطئ الليطاني. كان لجأ اليه جدنا السيد صالح في محنة الجزار.

أما الجند فطفق يسأل عني واستوقف الصغار من اخوتي مع عمهم السيد محمد وخالهم السيد حسن يستنطقهم والسيف مصلت فوق
رؤوسهم. ولكنهم اجمعوا على اني في دمشق.

ولما استيأسوا من العثور علي تفرقوا في القرية يأكلون ويشربون ويحطمون. ولم يغادروا شحوراً قبل ان يحرقوا الدار ويأسروا
اخي السيد احمد وآخر من اشراف بني زهرة اسمه السيد احمد ويسوقوهما مع عدة من وجوه البلد الى السجن والتنكيل.

وكان قد انسل من شحور ومن القرى المجاورة نفر من فتياننا عرفوا مكاني على الشاطئ فالتحقوا بي وامضيت في الغار ليلة استعدت
فيها بعض الراحة والنشاط ثم اخذت طريقي الى الشام والتحق بي من التحق ممن حكم عليهم بالنفي او الاعدام
وكنا في دمشق موضع الحفاوة والنفوذ والاحترام وفي القمة من العز ومنعة الجانب.

وعاملة - ويحي لها - تنوء تحت ضربة بكر وتلفظ ابناءها هنا وهناك من الخشية والذعر.
أعلنت فيها الاحكام العرفية فحكم علي بالنفي المؤبد مع مصادرة ما املك (١) وبهذا حكم على العلامة السيد عبد الحسين نور الدين
وعلى الأحرار من زعماء البلاد وفي مقدمتهم كبيرهم كامل بك الاسعد، أما فتيان الثورة فقد حكموا بالاعدام وانفذ هذا الحكم القاسم
في كل من ظفرت به منهم.

ثم فرضت على الجبل غرامة فادحة لا تحتملها ثروة البلد - وقدرها مائتا الف ليرة ذهبية (٢) دفعتها البلاد من دمها
واملاكها خمسمائة الف كان الزائد عن الغرامة من هذا المبلغ نصيب السماسرة الماديين من باعة الضمائر والاوطان.

وهكذا قدر لهذا الجبل ان يخفق فكان اخفاقه سبباً في اخفاق القضية السورية، لانه كان المرحلة التجريبية التي جرأت
فرنسا بعد ذلك على سورية. ✕

(١) وقد احتلوا داري في صور بعد ان صبح نهباً في حجراتها فعظمت المصيبة وحلت الرزية بنهب المكتبة الحافلة بكتبها القيمة وفيها
من نفائس الكتب المخطوطة ما لا يكاد يوجد في غيرها. وكان لي فيها كتب استفرغت في تأليفها زهرة حياتي واشرف اوقاتي
فاناشدوا الله اليه العون.

(٢) وقال الريحاني في ص ٣١٨ من الجزء الثاني من كتابه - ملوك العرب - ما هذا نصه: فرض [نيجر] على اهل جبل عامل مائة وخمسين
الف ليرة ذهباً وفوض الى حاكم صيدا العسكري ورجاله وفيهم ثلاثة من الصوريين جمعها فجمعوا اضعف المائة والخمسين الف ليرة بطرائق لا حاجة لذكرها
[قال] وقال العارفون المدققون ان الجباة الماهرين جمعوا اربعمائة وخمسة وثمانين الف ليرة اهـ. اقول والصحيح ما قلناه في اصل الفريضة
وفيما جمعه الجباة

المصدر نفسه

الملحق رقم (20)

العنوان: خطاب السيد عبد الحسين شرف الدين في مؤتمر وادي الحجير في 24 نيسان 1920م.

خطابه الشريف في مؤتمر وادي الحجير المنعقد سنة ١٣٣٨ هـ
٢٤ نيسان ١٩٢٠ م

اللهم أحمده في السراء والضراء، استتماماً لنعمته، وأحمده في [illegible] وآبائه
استشعاراً في الشدة والرخاء، استسلاماً لعزته، والشكر لطوله، أحمده وأشكره
كما هو أهله. وأسأله تسهيل ما يصعب حمله، وتعليم ما لا يليق جهله.
واستعينه على القيام بما يحسن في الدنيا ذكره، ويخلد في الآخرة أجره.
وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له وأن محمداً خير نبي أرسله،
وعلى العالمين اصطفاه وفضله. صلى الله عليه وعلى آله الذين حملوا عنه ما حمله
الله حمله، وعقلوا ما عنه عقله، ولذا قرنهم بمحكم الكتاب، وجعلهم قدوة لأولي
الألباب. بهم نقتدي وإن عزت القدوة، وطريقهم نسلك وإن تكأدت العقبات.
صلوات الله عليهم ما هفت قلوبنا إليهم، أئمة هدى، ومصابيح دجى. ينيرون
بصائرنا كلما ادلهمت الخطوب، ويفتحون أبصارنا، كلما ادلهمت الدروب،
ومثلهم ((كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد
من شجرة مباركة، زيتونة لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيء، ولو لم تمسسه
نار. نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء)).
إخواني أعلام الأمة: إننا اليوم في هذا المفترق الخطير، أشد حاجة
منا في أي وقت. إلى الاعتصام بحبلهم، والسير على منهجهم. فإما عزة لا تنفصم،
أو ذلة لا ترحم، إما حياة حرة، أو هوان تهدر فيه حماته إنسانية الإنسان.
إما استقلال دون وصاية، أو استعباد نكون معه كالأيتام على مأدبة اللئام

خطاب السيدعبد الحسين شرف الدين في وادي الحجير في 24نيسان 1920م

تابع الملحق رقم (20)

أيها الفرنسيون الأماجد : إن لهذا المؤتمر ما بعده ، وسيطبق نبؤه الآفاق السورية وتتجاوب أصداؤه في الأقطار العربية ، وتتجاوزها إلى عصبة الأمم. وقد امتدت إليكم الأعناق ، وشخصت الأبصار ، فانظروا ما أنتم اليوم فاعلون .

أما نحن فجيل عامل بعد هذا المؤتمر بهذا المبدأ : عز لا تنفصم عروته ، ولا تقرع مروته ، ولا تتهاوى معه كواكب السعد ، وتقوض به سرادق المجد . فإن نبذتم الأهواء الشخصية ، وآثرتم شرف القضية ، فلتكونن في حرز لا ينفصم ، ولتكونن بلادكم في حمى لا يقتحم ، أما إذا غلبتكم الأهواء فلتكونن مذقة الشارب ، ونهزة الطامع ، وقبسة العجلان . أمام قوة العدو ، وشدة الفتنة وتطاول الزمان .

يا فتيان الحمية الصادقين ! الدين النصيحة . ألا أدلكم على أمر إن فعلتموه انتصرتم ؟ فوّتوا على الدخيل الغاصب برباطة الجأش فرصته ، واخمدوا بالصبر الجميل فتنته ، فإنه والله ما استعدى فريقاً على فريق إلا ليثير الفتنة الطائفية ، ويشعل الحرب الأهلية ، حتى إذا صدق زعمه ، وتحقق حلمه ، استقر في البلاد بعلة حماية الأقليات .

ألا وإن النصارى إخوانكم في الله وفي الوطن وفي المصير ، فأحبوا لهم ما تحبونه لأنفسكم . وحافظوا على أرواحهم وأموالهم ، كما تحافظون على أرواحكم وأموالكم ، وبذلك تحفظون الذمار ، وتخمدون الفتنة ، وتطبقون تعاليم دينكم ، وسنة نبيكم : " ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون " هذا السلوك - يا أبناء الأمجاد - دون غيره تردون كيد الفرنسيين إلى

تابع الملحق رقم (20)

نحورهم، وتعيدون مجانينهم الى جحورهم، وتنعمون بالحرية لا تطاول
نعمها لكم متطاول.

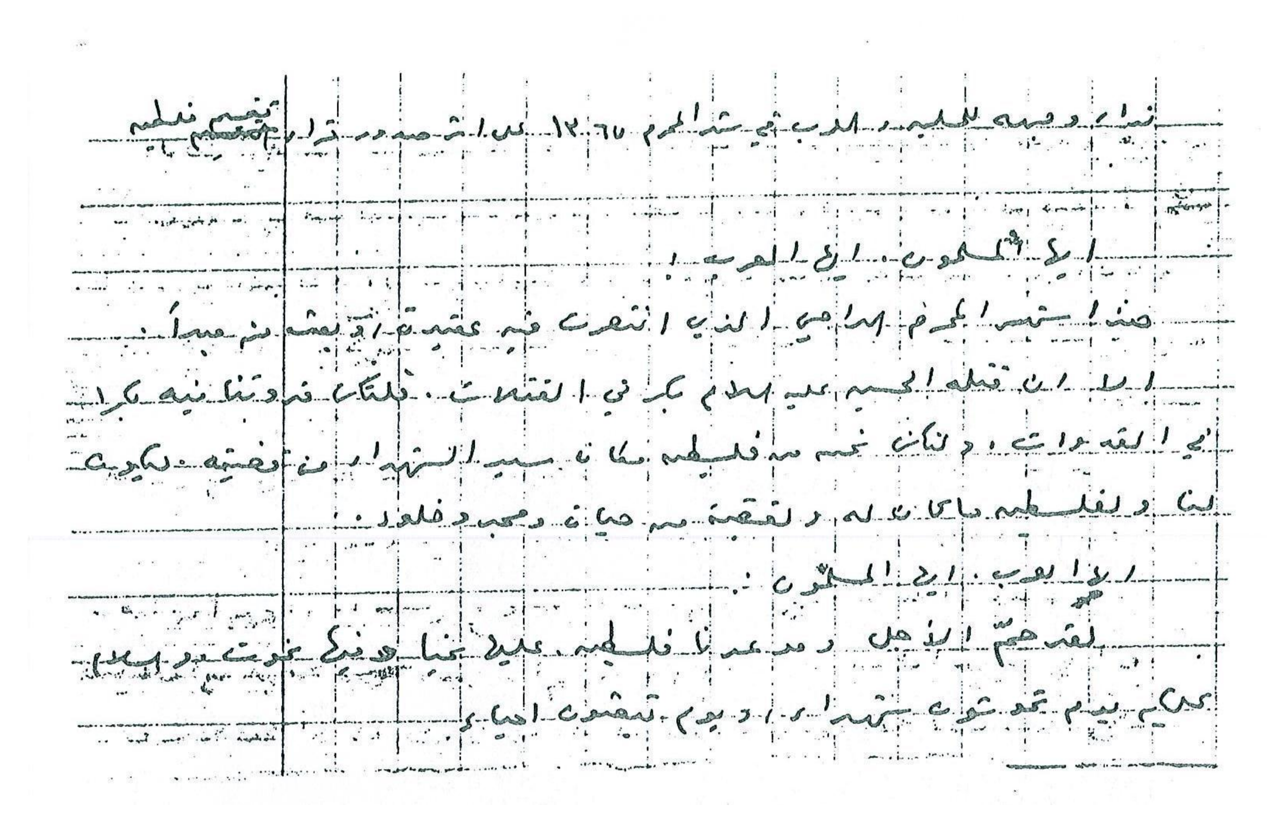
- اخواني وابنائي: ان هذا المؤتمر يرفض الحماية والوصاية، ويأبى
إلا الاستقلال التام الناجز لهذا القطر التاج (نعني) العرب عاملا مؤتلفا
وقائداً محبولاً، نقيم حكومة شرعية، تجعل من الوطن جبهة منيعة، ينحدر
عنها السيل، ولا يرقى اليها الطير.

وهذا زعيم جبل عامل وبدره (كامل بك) قد ارهف للجرد حكم عزمه،
وهشه للدفاع لنصرة امته، فاركبوا معه كل صعب وذلول معلقين
صادقي العزائم، مناضمي الوفاء، وما التوفيق إلا بالله يؤتي النصر
من يشاء، عليه توكلنا واليه انبنا، واليه المصير.

المصدر: مذكرات السيد عبد الحسين شرف الدين المخطوطة من أرشيف المؤرخ العاملي الدكتور محمد كوراني، المكتبة العاملية / صور.

الملحق رقم (21)

العنوان: نداء السيد عبد الحسين شرف الدين إلى المسلمين والعرب على تأثر صدور قرار تقسيم فلسطين والهجمة الصهيونية.



نداء وجهته للمسلمين والعرب في شهر المحرم ١٣٦٧ على اثر صدور قرار تقسيم فلسطين

أيها المسلمون.. أيها العرب!

هذا شهر المحرم الحرام الذي انتصرت فيه عقيدة الحق [illegible] مبدأ.. إلا أن قتلة الحسين عليه السلام كانوا في القتلات. فلتكن قدوتنا منه بكرا في التضحيات، ولنكن نحن من فلسطين مكانة سيد الشهداء من قضيته لتكون لنا ولفلسطين ما كان له ولقضيته من حياة ومجد وخلود..

أيها العرب.. أيها المسلمون:

لقد هجم الأجنبي [illegible] على فلسطين عليكم جميعا وفيكم نخوة [illegible] يوم تموتون شهداء أو يوم تعيشون أحياء

المصدر: مذكرات السيد عبد الحسين شرف الدين المخطوطة من أرشيف المؤرخ العاملي الدكتور محمد كوراني، المكتبة العاملية / صور.

الملحق رقم (22)

العنوان: مذكرة مؤتمر الساحل (1936م.) للمطالبة بوحدة البلاء السورية.

مذكرة مؤتمر الساحل الذي عقد في منزل سليم علي سلام في ١٠ آذار (مارس) ١٩٣٦ المرفوعة الى الكونت، دى مارتل، وقد تضمنت المطالبة بوحدة البلاد السورية وحدة شاملة مع التأكيد على مقررات المؤتمرات السابقة(★) .

الى فخامة السفير الكونت دى مارتل المفوض السامي الفرنسي في سورية ولبنان .

يا صاحب الفخامة :

قبل أن تنتهي الحرب العالمية الكبرى التي خاض العرب غمارها الى جانب الحلفاء كنا نعتقد أن هذه الحرب ستنكشف عن تمتعنا بحرية بلادنا سورية واستقلالها موحدة أسوة بغيرها من البلدان المضطهدة التي تتحكم فيها دول غريبة عنها والتي كان الحلفاء وفي مقدمتهم فرنسا يتنادون للدفاع عنها والأخذ بناصرها اقراراً لمبدأ حرية الشعوب واحترام رغباتها دون ما نظر الى القوة والضعف والى الكثرة والقلة .

ولكن ما ان وضعت الحرب أوزارها ووقع من الحوادث السياسية ما لم يكن في الحسبان حتى فرض على بلادنا سورية أوضاع من الحكم لا تتفق لا مع رغبتها ولا مع حاجتها وقد أعلنا هذا عند كل مناسبة وما فتئنا نحتج عليه ونطالب بحقوقنا المقدسة في بلادنا منذ الاحتلال حتى اليوم وجرى ذلك

المصدر: د. حسان حلاق: مؤتمرالساحل والأقضية الأربعة، مناقشات جلسة المؤتمر والقرارات الوحدوية عام 1936.

تابع الملحق رقم (22)

بصورة رسمية مرات متعددة بواسطة مؤتمرات كبرى كانت تجتمع فيها وفود كثيرة من مختلف الانحاء التي سلخت عن سوريا ممثلة هذه الانحاء تمثيلا صحيحاً كاملاً وكان آخر هذه المؤتمرات المؤتمر الذي عقد في بيروت في تشرين الثاني سنة ١٩٣٣ وبعد أن بحث المؤتمر المذكور شؤون المقاطعات التي مثلها ، الاقتصادية منها والسياسية والاوضاع القائمة وضع بالاجماع مقررات حوت مطالب تلك المقاطعات معلّلة تعليلاً منطقياً صحيحاً وهي لم تتغير منذ الاحتلال ولن تتغيروالتي ما زلنا وسنظل متمسكين بها لأنها مطالب مشروعة من جهة وحيوية لا يمكن لهذه المقاطعات العيش محرومة منها بصورة طبيعية من جهة اخرى وأهم تلك المقررات والمطالب الحرية والسيادة التامتان والوحدة السورية الشاملة وقد رفعنا الى فخامتكم نسخة عنها وطلبنا رفعها الى وزارة الخارجية والى جمعية الأمم وما كادت تذاع صورة عن تلك المقررات بين الجمهور حتى توالت عليكم العرائض من جميع الأنحاء المنسلخة تحمل الوفا مؤلفة من التواقيع تؤيد جميعها مقررات المؤتمر ومطالبه وفي مقدمتها الوحدة وكان من جملة من أيدها أيضاً دولة الرئيس الجليل السيد هاشم الاتاسي رئيس الكتلة الوطنية . والآن وقد بدا من جانب الحكومة الفرنسية ما يؤكد من جديد احترام مبدأ حرية الشعوب وتقرير مصيرها تدعو اللجنة التنفيذية لمؤتمر عام سنة ١٩٣٣ لعقد مؤتمر جديد فيجتمع المؤتمر في مدينة بيروت ممثلا كالعادة تمثيلا صحيحاً كاملاً للأنحاء السورية المنسلخة فيدرس الموقف العام درساً مستفيضاً ويقرر بعد الاحاطة بالأحوال الحاضرة جميعها وخصوصاً بعد قيام بعض نواب من جبل لبنان لا يمثلون المناطق المنسلخة وطلبهم عقد معاهدة مع فرنسا تشمل هذه المناطق الأمر الذي يتنافى تماماً مع ما لهم من الصلاحية الضيقة المحدودة ولا يتفق من الوجوه مع الاساس الذي صاروا نواباً استناداً اليه نقول انه وقد جرى هذا يقرر المؤتمر المنعقد في بيروت في ١٠ آذار سنة

المصدر نفسه

تابع الملحق رقم (22)

١٩٣٦ تأييد مقررات المؤتمرات السابقة ومطالبها وفي رأسها السيادة والحرية التامتان والوحدة الشاملة تأييداً مطلقاً مؤكدين لفخامتكم ان كل حل لا تجاب له هذه المطالب المشروعة لا يكون نصيبه الا الفشل ونحن واثقون بالوقت نفسه بأنكم بعد الذي كان من تصريحاتكم الاخيرة وما قطعتموه من وعود باسم الحكومة الفرنسية وابديتموه من نية حسنة ستحققون مطالبنا المشروعة هذه ورجاؤنا الى فخامتكم ان تتفضلوا برفع نسخة عن هذه الى وزارة الخارجية الفرنسية والى جمعية الأمم . . .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

ـ التواقيع ـ

سليم علي سلام، عبد الحميد كرامي، علي ناصر الدين، الشيخ احمد عارف الزين، الشيخ أحمد رضا، صلاح لبكي، شوقي الدندشي، فوزي بردويل، يوسف يزبك، جميل بيهم، حسن القاضي، الشيخ سليمان الضاهر، مأمون اياس، أمين خضر، عمر بيهم، عبد اللطيف البيسار .

المصدر نفسه

تراجم أبرز الشخصيات:

نظراً لكثرة الشخصيات الواردة في هذه الأطروحة، فإن القارئ يقدّر، دون شك، الفائدة من الرجوع إلى هذه التراجم التي نثبتُها هنا، بدلاً من إثقال نص الأطروحة بها.

معظم هؤلاء الشخصيات هم من رجال الدين في جبل عامل، ما خلا أربعة من أدبائه، هم: أحمد عارف الزين وأحمد رضا وسليمان ظاهر ومحمد جابر آل صفا. أما ترجمة "زينوفي بشكوف" فقد تبدو هنا في غير محلها إلى جانب هؤلاء العلماء والأدباء الشيعة. فهو كان غريباً عن جبل عامل، إلا أنه كان حجر الزاوية في المسرح السياسي العاملي في العقد الرابع من القرن العشرين. وقد طبع "بشكوف" تاريخ المنطقة بطابعه حتى أنه دخل في ذاكرة السكان المحليين وإن كان ذلك عن طريق الهجاء. ونظراً لأهمية هذه الشخصية، كان لا بد أن نذكر شيئاً من ترجمته.

الشيخ حبيب آل إبراهيم، 1886أو 1888- 12 شباط 1965(*):

من قرية حناويه قرب صور، درس فيها في الكُتّاب، ثم أهمل الدراسة عدة سنوات قبل أن يذهب أول مرة إلى النجف سنة 1910، ثم ترك المدينة المقدسة سنة 1915 طيلة الحرب الكبرى وعاد إليها سنة 1919 فأنهى دراسته فيها في غضون ثلاثة أعوام. فأرسله بعد ذلك أبو الحسن الأصفهاني إلى الكوت على ضفاف دجلة فبقي فيها خمس سنوات، ثم أرسله العمارة، فأقام فيها أربع سنوات وإفتتح فيها مستشفى ومكتبة ومدارس، وأسس مجلة الهدى وألّف كتباً، وكان ذلك كله في سبيل إحباط عملية التنصير التي بدأها المبشرون البروتستانت في المنطقة.

وقد إستقر سنة 1932 في بعلبك بعد أن داه أهلها للإقامة بينهم. فإستعاد نشاطه بتأسيس المدارس والمساجد في قرى البقاع. ودرّس وأرشد وقضى ثم ما لبث أن عُيّن مفتياً في بعلبك. ولم يقُصه كل هذا النشاط عن متابعة الكتابة. أضف إلى ذلك أنه كان يدعو إلى

ملاحظة: تتعلق بالهوامش الواردة في هذه التراجم: إن المؤلفات المنشورة التي تم الرجوع إليها في متن الكتاب تظهر مراجعها في لائحة المصادر والمراجع العامة. أما ما لم أرجع إليه من هذه المؤلفات فقد وضعت مراجعة في هوامش كل ترجمة.

(*) المصادر: العرفان، المجلد 32 العدد الثاني ص 121، ونقباء البشر المجلد الأول ص 351- 352.

وحدة المسلمين من سنّة وشيعة ثم وسّع دعوته إلى العلويّين في العقد السادس من القرن العشرين وعمل على تقريبهم من الإماميين وذلك بتنظيم شعائرهم وبإرسال العلماء العلويين للدراسة في النجف. شيوخه في حناوية: محمد بن حسن مروة ومحمد علي عزالدين وإبراهيم عز الدين، وفي النجف: عبد الكريم شرارة وشريف شرف الدين ومحمود مغنية ومحمد رضا آل ياسيس وشيخ الشريعة الأصفهاني وبعده أحمد آل كاشف الغطاء وعلي باقر الجواهري.

أعماله: إضافة إلى ما ورد في لائحة المصادر والمراجع نذكر هنا مجلة الهدى وقد صدرت في العمار: ومحمد الشفيع، وقل جاء الحق، والإيمان، وذكر الحسين، جزءان، ويشكل قسماً من فصول الكلام في تاريخ الإسلام (مطبعة العرفان 1354هـ - 1935م) والمولد والغدير وهو ديوان شعر (العرفان 1366هـ/ 1947م)، وسبيل المؤمنين (الطبعة الثالثة، مطبعة الإسلام، بعلبك 1936/1355م). وتبقى بعض الأعمال مخطوطة ومنها رسالة في نقض المادية وديوان شعر.

السيد حسن والسيد محمد إبنا السيد علي إبراهيم(*)

كلاهما إبنا علي إبراهيم (ت 1844)، وهو مجتهد درس في الكوثرية ثم في النجف وكان مفتي بلاد الشقيف، الجزء الشمالي من جبل عامل[1].

بدأ حسن دراسته في طيردبا، ثم ذهب إلى النجف فبقي فيها زمناً طويلاً، ودرس فيها على محمد حسن الشيرازي ومحمد حسين الكاظمي، وقد تزود إبنته. ولدى عودته، فتح مدرسة في النبطية مدة تقارب الخمس عشرة سنة، ثم لبّى نداء أهالي قرية أنصار، فذهب إليها ولم ينقطع فيها عن التدريس. وكان يعيش في عزلة فلا يختلط بالناس إلا قليلاً، ونادراً ما كان يزور عالماً آخر[2].

(*) المصادر: تراجمهما نادرة، ومختصرة، وليس فيها تواريخ. ولعل ذلك عائد إلى أن ما ورد لهما من ترجمة في الأعيان كان مختصراً، فإنعكس ذلك على باقي الترجمات لأنها تنطلق منها: الأعيان، المجلد 9، ص 444، ومحمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، ص 212، 245، 249، والعرفان، المجلد 3، ص 889 (تشرين الأول 1911).

(1) الأعيان، المجلد 8، ص 150.

(2) الأعيان، المجلد 5، ص 154- 155: ونقباء البشر، المجلد الأول ص 423 – 444.

درس محمد إبراهيم على أخيه، ثم في حناويةن حيث تزوج بإبنة شيخة محمد علي عز الدين، ونال منه إجازة الإجتهاد. ثم أقام في النبطية فترة عمل فيها في المدرسة التي أسسها سنة 1884 رضا الصلح، فدرّس الأدب والبلاغة والمنطق والفلسفة، وكان من تلامذته سليمان ظاهر وأحمد رضا ومحمد جابر آل صفا.

السيد حسن محمود الأمين ، 1882- حزيران 1949(*)

ولد في قرية عيترون، حيث كان أبوه قد إستقر. ودرس على أخيه علي، في مدرسة شقراء مدة ست سنوات، سافر بعدها إلى النجف سنة 1898، فأقام ثلاث سنوات عند إبن عمه محسن الأمين، ودرس عليه، ولما عاد هذا الأخير من العراق، كان حسن محمود الأمين قد بلغ مرحلة الخارج، وبدأ يدرّس بدوره. وكان من رفاق دراسته في تلك الفترة عبد الكريم شرارة وشريف شرف الدين.

وفي أثناء إقامته في النجف عينته السلطات العثمانية مميزاً في الإمتحان الذي يخضع له طلاب العلم الديني حتى يعفوا من الخدمة الإلزامية. وفي العام 1912 عاد إلى جبل عامل فمكث أول الأمر في عيترون، ثم أقام سنوات في شقراء حيث كان يدرس، ولم يكن له فيها بيت يسكنه، فإتخذ غرفة في المدرسة منزلاً له ولأسرته، وبقي فيها إلى ان بنى له بيت.

وقد إنتقل إلى خربة سلم بطلب من أهلها، وإستقر فيها ليمارس مهامه الدينية.

شيوخه: محسن الأمين، وأحمد آل كاشف الغطاء، وعلي الجواهري، وكاظم الخراساني، ومحمد كاظم اليزدي.

أعماله: رسالة في الفقه غير كاملة، في الوضوء والطهارة، ودحض للوهابية، ومنظومة في الرضاع، وأخرى في الإجتهاد والتقليد، وديوان شعر. وقد بقيت جميعها مخطوطة.

(*) المصادر: الأعيان، المجلد 5 ص 283- 304، ومحمد جواد مغنية، مع علماء النجف، ص 173-179، والعرفان، المجلد 37، العدد الأول ص 37- 38، ونقباء البشر، المجلد الأول، ص 436.

السيد علي محمود الأمين، صيف 1860- 17 تشرين الثاني 1910(*):

بدأ علي محمود الأمين دراسته في قريته شقراء، ثم ذهب إلى حناوية للدراسة في مدرسة الشيخ محمد عزالدين، ثم سافر إلى النجف وهو في سن الرابعة عشرة، فبقي فيها ما ينوف على العشرين سنة كان يدرس في أثنائها على أشهر العلماء في تلك الحقبة، فأوصلوه إلى درجة الإجتهاد(1). كذلك كان يُدرِّس فيها في السطوح.

وقبل أن يستقر في مسقط رأسه، اقام فترة في دمشق في حارة الخراب. ثم عاد إلى جبل عامل سنة 1893 وفتح مدرسة سماها المدرسة العلوية، متبعاً في ذلك خطى جده أبي الحسن موسى الذي أسس مدرسة شقراء القديمة. وقد ساهمت مدرسة علي محمود الأمين، وكانت تتسع لكثر من أربعمائة تلميذ، في تخريج عدد لا يستهان به من العلماء والأدباء. إلا انها أُغلقت حتى قبل وفاة مؤسسها، ولم يبق منها إلا وقفٌ يسمى دار المدارس.

كانت سلطة علي محمود الأمين، فيما يتعدى التدريس، سلطة مجتهد مسموع الرأي في جبل عامل، وكان يقوم فيه بالقضاء والإفتاء. ولدى وفاته، وقد حدثت بعد نشر الدستور العثماني بقليل، فجع الناس في جبل عامل، فسارت الحشود في جنازته.

شيوخه في النجف: محمد حسن النجفي صاحب الجواهر، وأبناه حسن وأحمد، ومحمود الذهب، وآغا رضا الهمداني، ومحمد حسين الكاظمي، ومحمد طه نجف، ومحمد كاظم الخراساني، وميرزا حسين الطهراني.

أعماله: كان قليل الكتابة ولم يترك إلا رسالة في المواريث بقيت مخطوطة وكذلك شعره.

(*) المصادر: الأعيان، مجلد 8 ص 340- 345، والعرفان، المجلد الثاني، ص 529-535، ونقباء البشر المجلد 4 ص 1539- 1540، وتكملة أمل الآمل، ص 313- 314.

(1) نجد في العرفان، صوراً للإجازات التي نالها، المجلد الثاني ص 534- 535.

السيد محسن الأمين، 1867- 30 آذار 1952(*):

ولد محسن الأمين في قرية شقراء في أسرة علمية، مع أن والده لم يكن عالماً. وقد بدأ دراسته في جبل عامل، متنقلاً من شيخ إلى شيخ ومن قرية إلى قرية، فدرس العربية وتلقى العلوم الدينية . وقد إستطاع، بعد لأي، أن يذهب إلى النجف حيث أتم دراسته على خيرة شيوخها، ونال منهم إجازات عامة وإجازات بالإجتهاد.

وفي خريف العام 1901، إستقر في حارة الشيعة في دمشق، الخراب، وقد إستدعاه المؤمنون فيها، وقد بقي فيها ما بقي له من حياة، ما خلا أشهر الصيف التي كان يمضيها في شقراء. بعد ذلك بسنة، أسس مدرسة للصبيان تُدرَّس فيها العلوم الوضعية أيضاً، وسماها المدرسة العلوية، ثم اصبحت المحسنية، ولم تزل تتوسع إلى يومنا الحاضر، بعدها بعشرين سنة، جاء دور مدرسة البنات، اليوسفية، وقد أنشأ محسن الأمين جمعيات، لإدارة هاتين المدرستين، وكذلك جمعيات خيرية. وبادر إلى إصلاح شعائر عاشوراء، فأثار غضب أقرانه.

سنة 1942، إنتخب عضواً في المجتمع العلمي العربي في دمشق. وكان يتجنب التورط في السياسة، مع أنه كان يخالط الوطنيين ويشاركهم الرأي. وكان هدفه أن تندمج الأقلية الشيعية في الكيان السوري، وأن تحافظ، في الوقت نفسه، على خصوصياتها. وقد بقي مجتهدنا على بساطة العيش إلى آخر حياته، التي أمضاها منصرفاً إلى التأليف، جالساً على الأرض بين كتبه وأوراقه، وقد كُرِّس زعيماً دينياً، بل مرجعاً.

شيوخه، في جبل عامل: محمد حسين الأمين، وجواد مرتضى، ونجيب الدينت فضل اللهن وموسى شرارة، وفي النجف: علي محمود الأمين، وأحمد الكربلائي، ومحمد باقر النجم آبادي، والملا فتح الله الأصفهاني المعروف بـ "شيخ الشريعة"، والملا كاظم الخراساني، وآغا رضا الهمذاني، ومحمد طه نجف، وغيرهم.

(*) المصادر: سيرته (وهي في الأعيان أيضاً، المجلد 10، ص 333- 373، ووجيه بيضون، بين الصناديق، ص 189-203، والعرفان، المجلد 17، ص 29- 34(1928)، وهكذا عرفتهم، الجزء الأول، ص 205-224، وتكملة أمل الآمل، ص 328- 329.

أعماله: له، إضافة إلى كتبه العديدة (راجع لائحة المراجع والمصادر) الكثير من المقالات الصحفية.

السيد محمد بن علي الأمين، 1812- آب 1880[*]:

لا نعرف عن دراسة هذا العالم، ذي صفات الوجيه، شيئاً. وذلك ان مترجمه لا يذكر عنها شيئاً، إذ تبدأ ترجمته في الأعيان، بخلاف العادة، بذكر أنه نال منصب مفتي بلاد بشارة، خلفاً لأبيه ولجده، على الرغم من أن في إخوته من كان أعلم منه[1]. كذلك كان المؤمنون يتبعون فتاوى غيره من المجتهدين أكثر من إتباعهم فتاواه.

ولم يكن منصب الإفتاء ليشبع طموح محمد الأمين، فإستولى على ارض الأسرة في قريتي الصوانة وشقراء، على حساب إخوته. وكان بذلك ميسور الحال، ذا مال كثير وذا حظوة لدى عليّة القوم. وكان ذلك سبباً في إقلاق البعض من زعماء جبل عامل فناصبوه العداء. وقد حاول بعض وجهاء بلدة الخيام الإيقاع به، وكان بينه وبين يوسف آغا المملوك وخليل الأسعد نزاع أدّى به إلى المثول أمام قاضي التحقيق في بيروت، إلاّ أن السيد كان يعرف كيف يدافع عن نفسه، وقد خرج منتصراً في الحالتين.

وقد إستضاف محمد الأمين "جون ورتابيه"، وفتح له مكتبته، وقد إختار له، من بين ما يقارب المائة كتاب، المؤلفات التي قام الإنكليزي بإستعمالها في كتابة عرضه لمذهب الشيعة[2].

في سنة 1877، شارك محمد الأمين في "مؤتمر دمشق"، وقد أقر فيه المؤتمرون قيام المملكة العربية وعلى رأسها الأمير عبد القادر، وقد نفته السلطات العثمانية إثر ذلك إلى طرابلس مدة ثلاثة أعوام، عاد بعدها إلى الصوانة، وهو مدفون فيها.

(*) المصادر: الأعيان، الجزء 9، ص 126- 134، وسيرته، ص 36- 38.

(1) محسن الأمين، سيرته، ص 36، والأعيان، المجلد 9، ص 126.

(2) John Wortabet, Reserches into the Religions of Syria, p.262

أديب التقي البغدادي، 1895- 18 آذار 1945(*):

جاء جده من بغداد وإستقر في دمشق، إلا أن أديب التقي قد ولد في قضاء حاصبيا، وكان أبوه موظفاً فيه، بدأ دروسه الإبتدائية في مدرسة الروم الأورثوذكس في عجلونن ثما تابعها في دمشق، في المدرسة السلطانية، فنال منها شهادة البكالوريا، وكان يتابع، في الوقت نفسه، دروساً في العربية والعلوم الدينية على محسن الأمين.

وقد بدأ أديب التقي حياته المهنية في التعليم، منذ أن نال البكالوريا، أستاذاً في المدرسة السلطانية، ثم مساعداً لمدير إحدى ثانويات دمشق. عند إندلاع الحرب الكبرى أصبح ضابطاً في الجيش العثماني، وعاد بعد إنتهائها إلى مهنته فأدار المدرسة العلوية ثم درسّ التاريخ والجغرافيا في ثانوية دمشق. إبان ثورة سنة 1925 ذهب إلى الأردن . ثم عاد إلى دمشق، وإلى التعليم في عدة مؤسسات ولا سيما دار المعلمات، وكان يلقي المحاضرات.

كان عضواً في مكتب الترجمة في وزارة المعارف، فكان يصدر مجلتها الرسمية: التربية والتعليمز كما أنه كان عضواً في اللجنة المكلفة إختيار الكتب لمادتي التاريخ والجغرافيا. وقد إنتخب عضواً في المجتمع العلمي العربي في دمشق ونشر في مجلته العديد من المقالات.

أعماله: مناهج التربية والتعليم في التربية والتعليم: مصطفى كمال باشا في الأناضول، ديوان شعر وطني (1932)، رواية، وغيرها من المخطوطات.

الشيخ محمد دبوق، تـ 17 أيار 1899(*):

لم يكن محمددبوق من أسرة من العلماء، كان أبوه فقيراً. إلاّ أنه، مع ذلك، قرر أن يمضي في طلب العلم، وقد شرع في ذلك على عدة شيوخ، في جبل عامل، برفقة محسن الأمين. وكان محسن الأمين معجباً بطيبة صديقه وبصفاته الأخلاقية العالية، وقد ذكر ذلك في

(*) المصادر: العرفان، المجلد 7، العدد 2، ص 434 (1921)، والمجلد 11، ص 1024، 1025 (1925)، والأعيان المجلد 3، ص 233- 238، وجيه بيضون، بين الصناديق، ص 95- 106.
(*) المصادر: الأعيان المجلد 9 ص 274- 275، والعرفان، المجلد 37، العدد 8، ص 883- 886، ومحمد جواد مغنية، مع علماء النجف، ص 167- 172، ومحسن الأمين، سيرته، في مواضع متفرقة منها.

سيرته. وقد قطع محمد دبوق دراسته، من أجل أن يذهب سيراً على الأقدام، في زيارة العتبات المقدسة في العراق، لابساً ثياب الفقراء. ثم عاد إلى الدراسة ثم إضطر إلى التوقف عنها بسبب تجنيده في الخدمة العسكرية، التي أوصلته إلى "سالونيك". ولعله كان قد اصيب بعدوى هناك، أو أن هذه المرحلة من حياته أضعفت صحته.

ومع ذلك إستطاع محمد دبوق أن يذهب إلى النجف ليتابع دراسته، إلاّ أن مقامه لم يدم فيها طويلاً، فلم ينل درجة الإجتهاد، بل عاد إلى جبل عامل سنة 1891.

وقد درّس في مدرسة شقراء، بعد عودته، إلى جانب علي محمود الأمين. ثم أقام فترة في دمشق، في حي الخراب الشيعين ثم عاد إلى قريته خربة سلم، ولم يطل به الأمر فواقاه الأجل.

شيوخه في جبل عامل: جواد مرتضى، وموسى شرارةن ويوسف شرف الدين، وفي النجف: نجيب فضل الله وغيره.

أعماله: لم يترك من الأعمال المكتوبة غير بعض القصائد.

أحمد رضا، 4 حزيران 1872- 7 تموز 1953(*)

من أسرة من وجهاء النبطية، وقد درس في الكُتَّاب فيها، ثم درس الصرف والنحو في مدرسة أنصار طوال سنة. ثم عاد إلى النبطية فقسم وقته بين المدرسة الحديثة التي أسسها رضا الصلح سنة 1884 وبين بيت العالم محمد نور الدين. وقد درس في المدرسة الحساب والجغرافيا، ودرس اللغة العربية عند العالم. وفي سنة 1886، بعد أن جاء محمد علي إبراهيم إلى النبطية، درس عليه الأدب العربي والبلاغة والمنطق والفيزياء والفلسفة الإشراقية، إلاّ أنه بقي يتابع دروسه في الفقه على محمد نور الدين. ثم إنه أنهى دراسة الفقه والأصول في المدرسة "الحميدية" عند حسن يوسف مكي...

(*) المصادر: العرفان، مجلد 3، العدد 21، ص 874 (تشرين الأول 1911)، نقباء البشر، الجزء الأول، ص 126-127، مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد 28، العدد 4، ص 640-644 تشرين الأول 1953)، ترجمة لعبد اللطيف شرارة في: وجوه ثقافية من الجنوب، الجزء الأول ص 25-36، هاني فرحات، الثلاثي العاملي ص 45- 112ن فايز ترحيني، الشيخ أحمد رضا والفكر العاملي.

وقد درّس الصرف والنحو والمنطق والبلاغة وهو يتابع دراسته فيها. ثم ترك المدرسة سنة 1902، وتعاطى التجارة، وقد تزوج وأسس أسرة بعد ذلك بعشر سنين.

كان أحمد رضا مثابراص على الأفكار العروبية بثبات كبيرة. وقد إشترك في تأسيس العديد من الجمعيات لنشر المعرفة، وغيرها من الجمعيات السرية في جبل عامل، وفي سنة 1915 كان ققص الإتهام في المحكمة العسكرية في عاليه. ثم إنه جابه الإنتداب الفرنسي، بعد ذلك، وناصر الوحدة مع سوريا إلى أن تم توقيع المعاهدة اللبنانية الفرنسية. وكان إلى ذلك الحيث يشارك في المؤتمرات الوحدوية. وبعد أن خسر قضيته، وخذلته السياسة، وجد ملجأ في الكتابة والبحث اللغوي، ولا سيما في صناعة معجمه الذي أوصاه بصنعه المجمع العلمي العربي في دمشق، وكان قد إنتخب عضواً فيه منذ سنة 1920.

شيوخه: محمد نور الدين ومحمد علي إبراهيم.

أثاره: نشر العديد عن المقالات في المقتطف، والمقتبس، والعرفان، ومجلة المجمع، ومجلة الكلية، وغيرها. وقد إشتهر بمعجمه وبمذكراته للتاريخ (مذكرات للتاريخ) التي كان يكتبها يوماً بيوم، وقد نشر منها جزءاً في العرفان، وهي تشكل مصدراً من أثمن المصادر حول تاريخ جبل عامل. وكان غزير الإنتاج، فترك لنا رسالة الخط، هداية المتعلمين، والكثير من الآثار المطبوعة، ناهيك عن العديد من المخطوطات.

أحمد عارف الزين، 10 تموز 1884- 15 تشرين الأول 1960(*):

أمضى أحمد عارف الزين طفولته متنقلاً بين قريته شحور، حيث ولد، وصيدا. وقد دخل، بعد الكُتّاب مدرسة النبطية الإبتدائية، ثم درس في مدرسة حسن يوسف مكي. بعد ذلك درس أصول الفقه على عبد الحسين شرف الدين، ثم إنتقل إلى صيدا حيث تابع دراسته في العلوم الدينية وتعلم الفرنسية والقليل من التركية والفارسية.

(*) المصادر: العرفان، المجلد 3، ص 840 – 841، والمجلد 39 العدد 1 و 5 (كانون الأول 1951)، الأعيان، المجلد 10، ص 405- 407، نقباء البشر، الجزء الأول، ص 127- 128، شفيق أرناؤوط "أديب مجاهد ومجلة رائدة" وجوه ثقافية من الجنوب، الجزء الأول، المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، ص 37- 52.

في نهاية العقد الأخير من القرن التاسع عشر بدأ أحمد عارف الزين بالكتابة في الصحف. ثم أسس سنة 1909 في صيدا، مجلة العرفان، التي ما لبثت أن أصبحت الناطق بإسم الشيعة العرب. بعد ذلك بأقل من سنتين أنشأ مطبعة في صيدا، بعد أن كان يطبع مجلته في بيروت، وعمل في النشر فأصدر كتباً من التراث الشيعي وأخرى لمؤلفين معاصرين. وفي كانون الأولسنة 1911 اصدر أسبوعية متخصصة بالمسائل العاملية سماها جريدة جبل عامل. إلا أنه، بين الصعوبات المادية والمضايقات العثمانية، لم يستطع أن يقوم بكل هذه النشاطات معاً، فأوقف إصدار الجريدة بعد عام على صدورها.

ونظراً لإنتمائه إلى الحركة العربية، فقد سجنه الأتراك سنة 1912 بتهمة القدح والذم. وفي سنة 1915 لم يتسدع إلا بصفة شاهد إلى المحاكمة في عاليه، مع العلم أنه كان قد إنتسب غلى جمعية الفتاة. إلا أنه عاد فسجن من جديد وتعرف لإيقاف من الرقابةن في عهد الإنتداب الفرنسي الذي لم يزل يناهضه منذ قيامه إلى الإستقلال. وكان أحمد عارف الزين ينادي بالعروبة وبالوحدة الإسلامية، ويساند الوحدة مع سوريا، وقد إتخذ سنة 1936 جانب تمرد الشبيبة في بنت جبيل.

شيوخه: أحمد رضا وسليمان ظاهر وعبد الحسين شرف الدين ومنير ومُحيي الدين عسيران.

أعماله: العديد من المقالات الصحفية المنشورة في العرفان بخاصة، وكان يكتب إفتتاحيتها، تاريخ صيدا، نشره سنة 1913.

الشيخ عبد الكريم الزين، 1867- 4 حزيران 1941(*):

كان جده وأبوه يقيمان في جبع للدراسة عند عبدالله نعمة. وقد ولد فيها ونشأ وأمضى سنوات دراسته الأولى، ثم إلتحق بطلاب موسى شرارة في بنت جبيل. وقد وفاة الشيخ، سافر

(*) المصادر: الأعيان، المجلد 8، ص 489 وما بعدها، نقباء البشر، الجزء 3 ص 1169- 1171، العرفان، المجلد 43، ص 529- 432 و 610 (1956)، علي الزين، من أوراقي، ص 45.

إلى النجف، فبقي فيها ما يناهز العشرين سنة من 1887 إلى 1905، وقد درس على كبار المجتهدين، كما أنه جمع حوله عدداً من الطلاب جذبهم إليه وضوح شرحه.

ولدى عودته إلى جبل عامل إستقر في جبشيت، قرية أمه وكانت من أسرة من السادة من آل فحص. وقد مارس فيها دوره الديني.

سنة 1915 أوقف وسجن وحكم عليه في عاليه، إذ إتهمه العثمانيون بالتآمر على الدولة، إعتقاداً منهم بأنه كان رئيساً للجميعة التي أسسها عبد الكيم الخليل. وكان ذلك قائماً على لبس، لأن عالمنا لم يكن من المشتغلين بالسياسة، فبُرى وأخلي سبيله.

إشتهر عبد الكريم الزين بصراحته وإعتداله. وكان يقدّر الصحبة ويشارك في الحلقات الأدبية الشعرية، وعلى قلة ثروته، كان مضيافاً وأنيقاً. وكان يحب ركوب الخيل والتسابق بها، وكان له فرس أصيل.

شيوخه: عبدالله نعمة وموسى شرارة في جبل عامل، وفي النجف: محمد كاظم الخراساني وعبدالله المازنداراني ومحمد طه نجف وآغا رضا الهمداني وشيخ الشريعة الأصفهاني وغيرهم.

آثاره: كتاب الرحمة في الطب والحكمة، رسالة في السفور والحجاب، الرد على الوهابية في تحريم بناء القبورن رسالة في المفوّضة والجبرية، رسائل في علم الكلام، والأصول، والفقه، وديوان شعر. وكلها بقيت مخطوطة.

علي الزين، ت. 1984(*):

ولد علي الزين في النجف يوم كان أبوه عبد الكريم مقيماً فيها وعاد إلى قرية جبشيت وهو بعد صغير، فدخل فيها الكتّاب دونما فائدة تذكر. ولم يكن وقت أبيه يتسع لتعليمه. فتأخر في البدء بالدراسة على عبد الحسين صادق الذي كان يدرّس في النبطية. وهناك في مجالس

(*) المصادر: من دفتر الذكريات الجنوبية، الجزء الأول، المجلس الثقافي، ص 25-37، علي الزين، من أوراقي، ص 133- 134.

أحمد رضا ومحمد علي الحوماني، نهل من معين الشعر. وبعد أن عمل في التجارة في أثناء الحرب الكبرى، سافر إلى النجف سنة 1919.

وقد تابع فيها طلب العلم وظل على تردده على الحلقات الأدبية في المدينة المقدسة. وأسس هو ومجموعة من أصحابه العامليين، الشبيبة العاملية النجفية، وهي جمعية تضمّ الشباب من العلماء والشعراء وتدعو إلى التجديد في الأدب. وقد أظهر علي الزين حسه النقدي المتقدم لا في الأدب فحسب، بل في منهج التدريس في النجف، أو في التقليد الطاغي على المجتمع النجفي، أو في سلطة الزعماء والعلماء. وقد ساند سنة 1925 ثورة الدروز على سلطات الإنتداب الفرنسي.

وإذا اصيب بمرض السل، فقد إضطر إلى إختصار إقامته في النجف والعودة إلى قريته جبشيت سنة 1928. ومن هناك أعاد صلته بأصدقائه القدامى في النجف. فكانت حياتهم الفكرية تسير على وقع إجتماعاتهم ومراسلاتهم، وكانت منصبة على الأدب والمعارضة السياسية. وفي سنة 1936 عاد هذا الأخير، فأكد تعلقه بالوحدة السورية، وإنخرط في صفوف الشبيبة في بنت جبيل. ولكنه، على الرغم من آرائه المتقدمة، إحتفظ بعمامة العلماء.

وقد إختص في كتاباته، فيما يتعدى النقد الأدبي، بتاريخ جبل عامل، وشرع في إعادة النظر فيه بإتباعه المنهج الحديث.

شيوخه: محمد طه الحويز وفتّاح التركي ومحمد سعيد فضل الله وعبد الرسول الجواهري وأبو القاسم الخوئي.

آثاره: يُضاف إلى آثاره العديد في التاريخ والأدب، عددٌ كبيرٌ من المقالات ظهرت في الصحافة، كذلك بعض القصائد.

الشيخ محسن شرارة، 1901- 1946(*):

محسن بن عبد الكريم شرارة، ولد في بنت جبيل، وتكفل جدّ أبيه بتربيته، بعد سفر أبيه غلى النجف، وقد سافر إليها بدوره سنة 1919- 1920 للدراسة فيها. فَدَرَسَ إلى جانب العلوم الدينية، الفلسفة وعلم الكلام والرياضيات واللغة الإنكليزية.

ولم يطل بهد الأمر حتى أصبح محور الحياة الثقافية في النجف، وإنتظمت حوله حلقة من طلاب العلم يتناقشون في الأدب والسياسة. فكانوا لا يترددون، وعلى رأسهم محسن شرارة، في إنتقاد التراث، والدفاع عن آراء طليعية، والدعوة إلى إعتماد مناهج جديدة في الأدب والتصدي في العمق إلى المشكلات التي يعاني منها مجتمعهم. وكانت الخصومات والخلافات تجري على قدم وساق بينهم وبين القدماء. إلا أن محسن شرارة أثار غضب أوساط العلماء حينما نشر في العرفان في صيف سنة 1928 ثلاث مقالات تتضمن نقداً شديداً لمناهج الدراسة الدينية في النجف، وتدعو لتطبيق الإصلاح. وكانت ردات الفعل شديدة إلى درجة أن حياته كانت في خطر. بعد ذلك ببضعة أشهر، أظهر عن شجاعة في إنتصاره لمحسن الأمين في إصلاحه شعائر عاشوراء، وكان أن يكون وحيداً في مواجهة الجميع.

عاد إلى جبل عامل سنة 1935، فأنعش الحياة الثقافية والسياسية في بنت جبيل، والقى المحاضرات في الحسينية، وإهتم بالمجتمع ولا سيما بالشباب الذين كانوا يطلبون منه الفتاوى، وفي العام 1936، يوم إنتفض أبناء بنت جبيل، كان محسن شرارة إلى جانبهم. ومثلما كان من أمر جده موسى وأبيه عبد الكريم توفي بالسل وهو ما يزال شاباً.

شيوخه: أبو الحسن الأصفهاني، محمد حسين كاشف الغطاء، آغا جمال، ميرزا حسين النائيني.

آثاره: مقالات في المجلات: الهدى (في العمارة)، والعرفان، والفجر الصادق.

(*) المصادر: العرفان، مجلد 23، العدد الأول، ص 82- 86 (كانون الأول 1946)، الأعيان، المجلد 9، ص 48- 50، هكذا عرفتهم، الجزء الأول، ص 121- 128، شعراء الغري، الجزء 7، ص 279- 284.

الشيخ موسى أمين شرارة، 1851 – 6 أيار 1886(*):

ولد في أسرة من علماء بنت جبيل، ودرس فيها عدة سنوات قبل أن يسافر إلى النجف سنة 1871. وفيما كان يتابع فيها أفضل دروس الفقه والأصول، كان يدرس في الوقت نفسه، الفلسفة الإشراقية، وعلم الكلام، ثم بدأ بالتدريس بدوره وخالط علماء العراق، وكان له بينهم صداقات، ومنهم حسن الصدر، وقد خصه بترجمة اكثر من مدحه فيهاز

ترك النجف سنة 1880، بعد أن تآكله السل، وعاد إلى هضاب جبل عامل. وإفتتح مدرسة في بلدته بنت جبيل، فإجتذبت شيوخاً من مستوى رفيع، وتلامذة جيدين، وكان يحث الشيوخ على شرح النصوص بأقرب السبل دون اللجوء إلى الإستطراد، ويتابع بإنتظام تقدم التلامذة بنفسه. وفي إطار متابعة العمل في التعليم ونشر الثقافة الإسلامية، قام بتنظيم الحلقات الشعرية والأدبية على غرار ما كان يجري في العراق، ودفع بالعامليين إلى تنويع أساليبهم، وعلمهم النقد الأدبي.

كذلك أنعش الحياة الدينية، فبنى المسجد الكبير في بنت جبيل. واقام مجالس العزاء في ذكرى الحسين على طريقة أهل العراقن ونظمها ونسّق مواقيتها. كما أنه عمل على التقريب بين المذاهب، فإلتقى بعلماء من السنة.

ولا ريب في أن موسى شرارة كان أول عالم عاملي، شملت آراؤه الإصلاحية الحياة الدينية والثقافية في جميع نواحيها، وعلى الرغم من قصر عمره الذي منعه من تحقيق رسالته، إستطاع أن يترك اثره في عدد كبير من طلابه وأن يطبع تاريخ جبل عامل بطابعه.

شيوخه: في جبل عامل: جعفر بن علي مغنية، ومهدي شمس الدين، وفي النجف، علي الحمداني، وعبد الحسين الطريحي، ومحمد كاظم الخراسانين ومحمد حسين الكاظمي، ومحمد طه نجف.

(*) المصادر: محسن الأمين: سيرته، ص 41- 42 وص 58 وما بعدها، الأعيان، المجلد 10 ص 172- 178، شعراء الغري، الجزء 11 ص 470- 472.

أعماله: قصائد، ورسائل في العلوم الدينية المختلفة بقيت مخطوطة، ومنها الدرة، وهي أرجوزة في أصول الفقه.

السيد عبد الحسين شرف الدين، 1873- 30 تموز 1957(*):

ولد في الكاظمية، في العراق، في بيت جده لمه السيد هادي الصدر، وكان أبوه يتابع الدراسة وقد إكتسب مبادئ العربية فيها، وفي الثامنة من عمره عاد إلى قرية أسرته آل شرف الين، شحور. ودرس فيها على أبيه. ثم سافر إلى العراق ودرس على كبار المجتهدين في المدن المقدسة، وذلك من سنة 1892 إلى سنة 1904.

وبعد عودته إلى جبل عامل بثلاث سنوات إستقر في مدينة صور. وبدأ بالتأليفن وما إن صدرت مجلة العرفان عام 1909 حتى بدأ بنشر كتاباته فيها. وقد زار مصر خلال الفترة ما بين أواخر العام 1911 وشهر أيار 1912، بصحبة خاله محمد حسين الصدر، فغلتقى هناك بالعلماء وحضر دروسهم في الأزهر. وقد إستقى مادة أشهر كتبه: المراجعات، من هذه الزيارة.

وقد فرض عبد الحسين شرف الدين نفسه، وجهاً كبيراً ومن وجوه الحياة السياسية في جبل عامل، وقد إنتدب عام 1920 من قبل المؤتمرين في وادي الحجير ليمثلهم أمام فيصل، ثم إنه قاد حالة المقاومة في وجه الإحتلال الفرنسي، بعد عدة سنوات قبل بدولة لبنان الكبير، وقد بدأ سنة 1928 بتنظيم الشعائر في صور، ثم أسس المدرسة الجعفرية فيها، وإبتداءً من العقد الرابع من القرن العشرين، عمل مجتهدنا على إقامة الطائفة الشيعية، بإعتبارها طائفة سياسية.

(*) المصادر: سيرة عبد الحسين شرف الدين في بغية، الجزء الثاني ص 63- 254، مقدمة النص والإجتهاد، بقلم محمد صادق الصدر، دار النعمان، النجف 1964، الطبعة الثالثة، ص 7- 44، هادي فضل الله، رائد الفكر الإصلاحي، الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين مصلحاً ومفكراً وأديباً المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، عبد الكريم آل نجف، "الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين"، التوحيد، العدد 51 (1992)، ص 129- 143، عبد المجيد الحر، الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين، الأعلام، جزء 4، ص 279، العيان، المجلد 7، ص 457، تكملة أمل الآمل، ص 256، نقباء البشر، الجزء 3، ص 1080- 1088، معارف الرجال، الجزء 2، ص 51- 53.

شيوخه: يوسف شرف الدين، محمد طه نجف، محمد كاظم الخراساني، آغا رضا الحمدانين عبدالله المازنداراني (وله منه إجازات)، محمد كاظم اليزدي، شيخ الشريعة، حسن الكربلائي.

أعماله: ما يزيد على ثلاثين أثراً منها: ثبت الإثبات في سلسلة الرواة، ومسائل خلافية، وسبيل المؤمنين وغيرها.

محمد جابر آل صفا، 1873 (1875)- 1945:

ولد في أسرة من النبطية، ودرس فيها في المدرسة التي أسسها رضا الصلح، دَرَسَ الصرف والنحو والبلاغة والمنطق على محمد إبراهيم، ثم لقنه الأدب والشعر العروبيين وزوّده بما يعرف من تاريخ جبل عامل. وقد أتم محمد جابر آل صفا معارفه بمطالعاته الشخصية.

إمتهن التجارة إلا أنه تابع قراءاته، وإنصرف إلى الكتابة، فأغره التاريخ على وجه الخصوص، فعكف على تسجيل تجاربه الشخصية وما شهد من أحداث لكي يظهر التحولات الإجتماعية التي طرأت على جبل عامل.

إنخرط في الحياة السياسية والإجتماعية في النبطية إلى جانب أحمد رضا وسليمان ظاهر، وكان وثيق الصلة بهما. فأسس الثلاثة جمعية ثقافية أولى سنة 1891- 1892 سمّوها بالمحفل العاملي العربي- ولعله يكون محفلاً ماسونياً، وفي العام 1899 أنشأوا جمعية المقاصد في النبطية. ثم إنتسبوا إلى جمعية الإتحاد والترقي سنة 1908، وما لبثوا أن إنسحبوا منها على غرار غيرهم من أتباع الحركة العربية.

في العام 1915، وقف محمد جابر آل صفا في فقص الإتهام في عاليه، وقد إتهمه العثمانيون بتدبير مؤامرة ضد الدولة. إلا أنه بُرّئ وأطلق سراحه هو وغيره من العامليين، فروى ما مرّ به في نص مكتوب. وقد شارك بعد ذلك في مؤتمر وادي الحجير في نيسان

1920، وكان من مؤسسي عصبة النهضة العاملية في النبطية، وكانت تهدف إلى إحياء الحياة الفكرية والثقافية في جبل عامل.

شيخه: محمد علي إبراهيم.

مؤلفاته: تاريخ جبل عامل، نُشر بعد وفاته، ومقالات في العرفان، وكتب ما تزال مخطوطة: الحركة العربية في جبل عامل، وشذرات في الفلسفة والطبيعيات، والمختارات من الشعر القديم والحديث، وهو ديوان من 5 أجزاء، والمذكرات، في 6 أجزاء.

الشيخ عبد الحسين صادق، آب 1862- 1942(*):

ولد في النجف، حيث كان يدرس أبوه. وقد فقد عبد الحسين صادق معظم أفراد أسرته في طريق العودة إلى جبل عامل، وكان لا يزال رضيعاً، فكفلته زوجة أبيه. وقد بدأ بالدراسة في مجدل سلم، ثم في عيثا فبنت جبيل، قبل أن يسافر بدوره إلى النجف، في أيار سنة 1882. وقد بدأ فيها بمرحلة السطوح، ثم تابع في مرحلة الخارج فأوصله ذلك إلى الإجتهاد. ولئن درّس الفقه، فإن شهرته قامت على الشعر في أوساط الأدباء في المدينة المقدسة، وقد أقامن على وجه الخصوص، مراسلة بينه وبين حسين القزويني.

ترك النجف في أيلول سنة 1898 وعاد إلى جبل عامل، فأقام في بلدة الخيام بين اسرته. وقد فتح فيها مدرسة، كان معظم طلابها ممن يودّون الهروب من الخدمة الإلزامية، بحسب قول إبنه حسن، أما الباقون فكان في إمكانهم أن يتابعوا طلب العلم في النجف. وقد بنى عبد الحسين صادق المساجد في الخيام وفي القرى المجاورة.

بعد وفاة حسن يوسف مكي عام 1906، إستقر في النبطية فوسّع مسجدها وبنى فيها أول حسنية في جبل عامل، وقد دفن في مقبرتها.

شيوخه: محمد طه نجف، ومحمد حسين الكاظمي، ورضا الحمداني، وحسين الخليل، ومحمد الشربياني، والمامقاني، ويؤكد إبنه حسن أنه نال إجازة من محمد حسن الشيرازي.

(*) المصادر: العرفان، المجلد 31، ص 485- 488، سقط المتاع، الجزء الأول ص 255- 264، الأعيان ، المجلد 7، ص 435- 438، تكملة أمل الآمل ص 254.

أعماله: المواهب السنية في فقه الإمامية، وهو شرح لقوانين الأصول، أرجوزة في الإرث، قصيدة في الرد على الوهابية، تنبيه الرافضين على فظائع الوهابيين، في علم الكلام: الشذرات في مباحث العقول والإيقاعات، فتاوى مخطوطة، سيماء الصلحاء، رسالة في شعائر عاشوراء، سقط المتاع، ديوان شعر منشور، من جزءين، خصص الأول منه لمدح النبي وىل بيته.

سليمان ظاهر، 10 آذار 1873- 5 كانون الأول 1960(*):

بدأ سليمان ظاهر بالتردد إلى الكُتّاب في سنّ العاشرة. ثم بدأ بالإنتقال من شيخ إلى شيخ في جوار بلدته النبطية حتى وصل إلى بنت جبيل حيث كانت مدرسة موسى شرارة. ولما توفي، عاد سليمان ظاهر إلى شيخه الأول محمد نور الدين، ثم دخل مدرسة حسن يوسف مكي فدرس ودرّس فيها، وبعد أن أغلقت تابع درسه على نفسه. وقد تعدى إهتمامه العلوم الدينية إلى غيرها من العلوم، فكان يقرا المجلات ولا سيما المقتطف والهلال والمنار، وكتباً من منشورات بيروت ومصر، وإذ وسّع آفاقه فقد بدأ بكتابة النثر والشعر على طريقة الكتاب العرب الجدد، وما لبث أن بدأ بالكتابة لحساب الجرائد والمجلات، وإرتبط بصداقات برجال الأدب في بلاد الشام ومنهم إبراهيم الأسود ومحمد كرد علي وشكيب أرسلان وعيسى إسكندر المعلوف وغيرهم كثر سنة 1927 إنتخب عضواً في المجتمع العلمي العربي في دمشق.

سنة 1899، أسّس هو وأحمد رضا ومحمد جابر آل صفا جمعية المقاصد في النبطية وكان نائب رئيسها وإشتغل فيها طوال حياته. وقد أنشأ جمعيات أخرى هو وصديقاه. وبعد أن إنتسب إلى جمعية الإتحاد والترقي، عاد فأنكر سياستها في التتريك وإنضم إلى صفوف الحركة العربية. وكان بين من وقفوا في قفص الإتهام في عاليه سنة 1915. بعد ذلك عارض الإنتداب الفرنسي ودعا بشدة إلى الوحدة مع سوريا.

(*) المصادر: الأعيان، المجلد 7، ص 310، العرفان، المجلد 3، ص 889 (تشرين الأول 1911)، والمجلد 12، العدد الأول، ص 23 (أيلول 1926)، سليمان ظاهر، جبل عامل في الحرب الكونية، ص 11- 16.

إشتغل سليمان ظاهر بالتجارة وبالوظائف العامة. فقد عينته حكومة فيصل سنة 1918 حاكم صلح (أي قاضي التحقيق) في صيدا ثم عزله الفرنسيون. وفي سنة 1924 عُيّن عضواً في محكمة كسروان ثم حاكم صلح في الهرمل. إلا أنه عاد في نهاية المطاف إلى النبطية.

شيوخه: محمد نور الدين وحسن إبراهيم ومصطفى عاصي ومحمد إبراهيم وجواد سبيتي وأحمد مروة.

أعماله: العديد من المقالات، ديوان شعرن رسالة في ذم الدراويش، وغيرها من الأعمال المخطوطة مثل: تاريخ الشيعة السياسي.

منير عسيران، نحو 1870 – 1947 (؟)(*):

كان أبوه من تجار صيدا البرجوازيين، أما أمه فمن أسرة من علماء الداخل في جبل عامل من آل خاتون. ولقد دخل مدرسة للإرساليات المسيحية قبل أن يذهب إلى جبع للدراسة فيها، ثم سافر إلى النجف، وكان شيخه فيها محسن المين، مع العلم أنه لا يمكن الحسم في هذه المسألة، وذلك لأن منير عسيران لم يصل في طلب العلم إلى الإجتهاد. وفي السنوات الأولى من القرن العشرين بعد أن عاد منير عسيران إلى صيدا، كان يعرف ثلاث لغات هي: العربية، والفارسية، والفرنسية. وقد تعلم الفرنسية على أحد رجال الدين المسيحيين.

ولقد شارك منير عسيران في الحياة السياسية في المنطقة، فكان في قفص الإتهام في عاليه سنة 1915 وشارك في مؤتمر الحجير سنة 1920، وكان يومها قاضي صيدا، فرأى الفرنسيون فيه "شيعياً متنوراً" يمكنهم أن يتعاملوا معه[1]. وبالفعل أصبح منير عسيران سنة 1926 ممثل الطائفة الشيعية حين عُيّن رئيساً لمحكمة التمييز الجعفرية التي أسّست في تلك السنة. ولا ريب في أن تعيينه كان يستند إلى إستعداداته الدبلوماسية أكثر منه إلى كفاياته الفقهية.

(*) المصادر: أحمد عارف الزين، تاريخ صيدا، ص 163.

(1) Archives MAE, fonds Beyrouth, carton n 2373, dossier: Saida, Tyr, 1920, T.E.O (zone Quest) bureau B,n

ولئن كان منير عسيران لا يستطيع منافسة كبار المجتهدين في جبل عامل، فإنه قد إتخذ لنفسه في جماعة العلماء، مكاناً على حدة. كذلك فإنه، نظراً لقيامه بدور الوسيط بين الدولة والشيعة، إختير رئيساً لجمعية العلماء العاملية خلفاً لحسين مغنية.

شيخه: محسن الأمين

أعماله: لا نعرف له إلا مقالة نشرها في العرفان سنة 1909 رداً على المنار.

السيد نجيب فضل الله، 1864- 1917(*):

نجيب فضل الله من قرية عيناثا جنوب بنت جبيل، درس في مدرسة حناويه، ثم في مدرسة موسى شرارة في بنت جبيل، وبدأ بالتدريس فيها. وقد قدّره تلامذته منذ تلك الحقبة، من بينهم محسن الأمين، الذي إحتفظ منه بذكرى رجل ذي ذكاء حاد، عميق. بعد وفاة موسى شرارة، سافر إلى النجف وبقي فيها تسع سنوات، فدرس حتى أصبح مجتهداً، ونال إجازة شيوخه بذلك، ودرّس فيها فأجاد في التدريس حتى أنه جمع حوله حلقة كبيرة من الطلاب. وقد كان مشهوراً بمعارفه المتعلقة باللغة والسنة، على الأخص.

وقد إستجاب نجيب فضل الله لنداء العامليين بالرجوع إليهم والإقامة بينهم، فترك النجف وعاد. وقد تقلد زمام الريادة الروحية في جبل عامل، وأسس فيه مدرسة. وقد وقف في وجه الزعماء، ولا سيما كامل الأسعد، دفاعاً عن الفقراء، وكان كامل الأسعد، مع ذلك، يستمع إلى آرائه.

شيوخه في جبل عامل: جعفر مغنية، ومحمد علي عزالدين، وموسى شرارة، وفي النجف: باقر الطهراني، وآغا رضا الهمذاني، والملا كاظم الخراساني، ومحمد طه نجف، ومحمد الشربياني، وقد أجازوه جميعاً.

(*) المصادر: الأعيان، المجلد العاشر، ص 206- 208، العرفان، المجلد 15، ص 1094- 1099، وشعراء الغري، الجزء 12، ص 314- 316.

آثاره: لم يترك نجيب فضل الله آثاراً مكتوبة، إلاّ أنه نقل معارفه إلى أولاده، فنبغ منهم إثنان وعُرفا بسعة معارفهما، وتقاهما، وعزوفهما عن أمور الدنيا، وهما: محمد سعيد (1898-1954) وعبد الرؤوف (1907- 1985). وقد درس كلاهما في النجف على علمائها الكبار.

الشيخ حسين مغنية، 1863/64- 1940(*):

أمضى حسين مغنية طفولته الأولى في النجف، حيث توفي والده في أثناء دراسته فيهاز ولما بلغ الثامنة من عمرهن حاولت أمه مع خاله أن يعودا إلى جبل عامل، إلا أن البدو قتلوا خاله في الطريق، فإضطرت أمه إلى أن تعود به إلى النجف، ثم رجعت إلى ديارها بعد ذلك بقليل.

في جبل عامل، أرسل أول الأمر إلى المدرسة الإبتدائية في صور، بعد ذلك إنتقل إلى حناويه لدراسة العلوم الدينية فيها، ثم في بنت جبيل. ثم إنه رغب في الذهاب إلى العراق، وإقترح على صديقه محسن الأمين أن يسافرا معاً، وهكذا كان، إذ إنطلقا معاً سنة 1891م، وتابعا معاً الدروس نفسها، ثم عادا إلى جبل عامل بعد عشر سنين ونصف السنة.

رجع حسين مغنية إلى قريته طيردبا، وقام فيها بما يقوم به المجتهد من مهام دينية. ولم يطل به الأمر حتى فرض نفسه واحداً من أشهر العلماء العامليين، بعلمه وصفاته الأخلاقية، على الرغم من أنه لم يؤلف كتاباً. كان رجلاً هادئاً، ركيك الصحة على أغلب الظن، فكان يتجنّب الخوض في السياسة، وقد إقتصر تأثيره على القضايا الدينية. ولقد إعتذر عن المشاركة في الوفد العاملي الذي شُكل للقاء فيصل في دمشق سنة 1920م وذلك بعد أن مثّل جبل عامل أمام لجنة "كينغ- كراين" سنة 1919م.

ولا ريب في أنه إختير لرئاسة جمعية العلماء العاملية، بسبب إعتداله، وقد بقي في هذا المنصب إلى حين وفاته. وكان يُعد في جبل عامل رئيس العلماء، مع العلم أنه لم يقبل بمنصب رئيس محكمة التمييز الجعفرية، ولو أنه قَبِل بذلك لأمكنة جعل موقعه رسمياً.

(*) المصادر: الأعيان، المجلد 6 ص 103-105، ونقباء البشر، الجزء 2 ص 601-602، ويشير محسن الأمين في ترجمته له إلى تاريخين لميلاده 1275هـ (1858/59م) و 1280 هـ (1863/64).

شيوخه: محمد علي عز الدين وموسى شرارة في جبل عامل، وفي النجف: شيخ الشريعة ومحمد كاظم الخراساني ورضا الهمذاني ومحمد طه نجف.

السيد عبد الحسين نور الدين، 1876- تشرين الأول 1950[*]:

من الواضح أن تفاصيل حياته كانت خافية على أصحاب كتب التراجم، ولو أنهم يكثرون من ذكره. على أن عبد الحسين نور الدين كان مشهوراً في جبل عامل بنشاطه في المجالين الإجتماعي والسياسي.

دخل المدرسة "النورية" في قريته النبطية الفوقا، وكان قد أسسها عمه علي نور الدين. ثم سافر إلى النجف، ولم يكن قد تجاوز الخامسة عشرة من عمره، فدرس فيها ما يقارب العشرين سنة، وخرج منها بإجازة الإجتهاد.

وقد عاد إلى قريته بعد سنة 1907، إثر وفاة إبن عمه محمد نورالدين[1]، إبن مؤسس المدرسة النورية، وكان يدرس فيها، فحل محله ما يقارب السنتين. وظل عالمنا بعد ذلك يمارس مهمّاتٍ دينية غير رسمية- نظراً لرفضه تولي منصب رسمي.

إلتزم بالقضية العربية، وكان عضواً في الوفد الذي ذهب لمقابلة الملك فيصل في دمشق، بعد إنعقاد مؤتمر وادي الحجير سنة 1920. وقد إلتجأ إلى هونين على إثر ذلك، حيث أقام إلى أن إستقر الوضع السياسي في جبل عامل. إلاّ أن سقوط الحكومة العربية أصابه بصدمة رافقته طوال حياته. توفي بغتة في بعلبك، وكان في زيارة لحبيب إبراهيم.

شيوخه: محمد طه نجف، ومحمد كاظم الخراساني، ومحمد كاظم اليزدي، ومحمد ذهب، وشيخ الشريعة الأصفهاني.

آثاره: الكلمات الثلاث، في ثلاثة أجزاء طبع منها الأول: عمر والإسلام، ورسائل مقتضبة في الفقه، مخطوطة، وبعض المقالات الصحافية.

(*) المصادر: العرفان، المجلد 38، العدد الأول ص 80 (كانون الأول 1950)، الأعيان، المجلد 7، ص 445، نقباء البشر، الجزء 3، ص 1075-1076، شعراء الغري، الجزء 5، ص 300، تكملة أمل الآمل، ص 256، حبيب إبراهيم، مذكرات ص 97.
(1) حول محمد نور الدين، أنظر: الأعيان، مجلد 6، ص 69.

"زينوفي تشكوف" 16 تشرين الأول 1884- 27 تشرين الثاني 1966(*):

ولد في ""نيجني- نوفغورود"، على ضفاف الفولغا، وكان إسم أسرته اليهودية "سفردلوف"، ثم إتخذ سنة 1903م إسم أبيه بالتبني، "ألكسي ماكسيموفيتش تشكوف" المعروف، في الأدب الروسي والعالمي، بـ "ماكسيم غوركي".

وقد عاشا معاً في روسيا حياة فقر، ودخلا السجن قبل أن يرحلا إلى برلين، فباريس، فنيويورك. ثم عاد "مكسيم غوركي" إلى روسيا سنة 1914، تاركاً "زينوفي" في "كابري". فلما إندلعت الحرب إنضم إلى الفرقة الأجنبية التابعة للجيش الفرنسي في "نيس". وبعد أن أصيب في المعارك بجرح بليغ قُطعت يده اليمنى، ما أعطاه لاحقاً لقب "الأقطع البديع".

في نيسان سنة 1916 مُنح وساماً وسُرِّح من الجيش، إلاّ أنه عاد فإنخرط فيه من جديد في حزيران. وقد عُيِّن ضابطاً مترجماً وأرسل في مهمة إلى الولايات المتحدة، ثم إلى روسيا حيث إلتقى أباه بالتبني. وبعد أن عاد إلى الفرقة الأجنبية بطلب منه سنة 1922، بقي مع ذلك في تصرف وزارة الخارجية، فأرسلته إلى المغرب. وفي سنة 1925، في أثناء المعركة في باب- مزا، أصيب بجرح بليغ في رجله اليسرى، مما أصابه بالعرج.

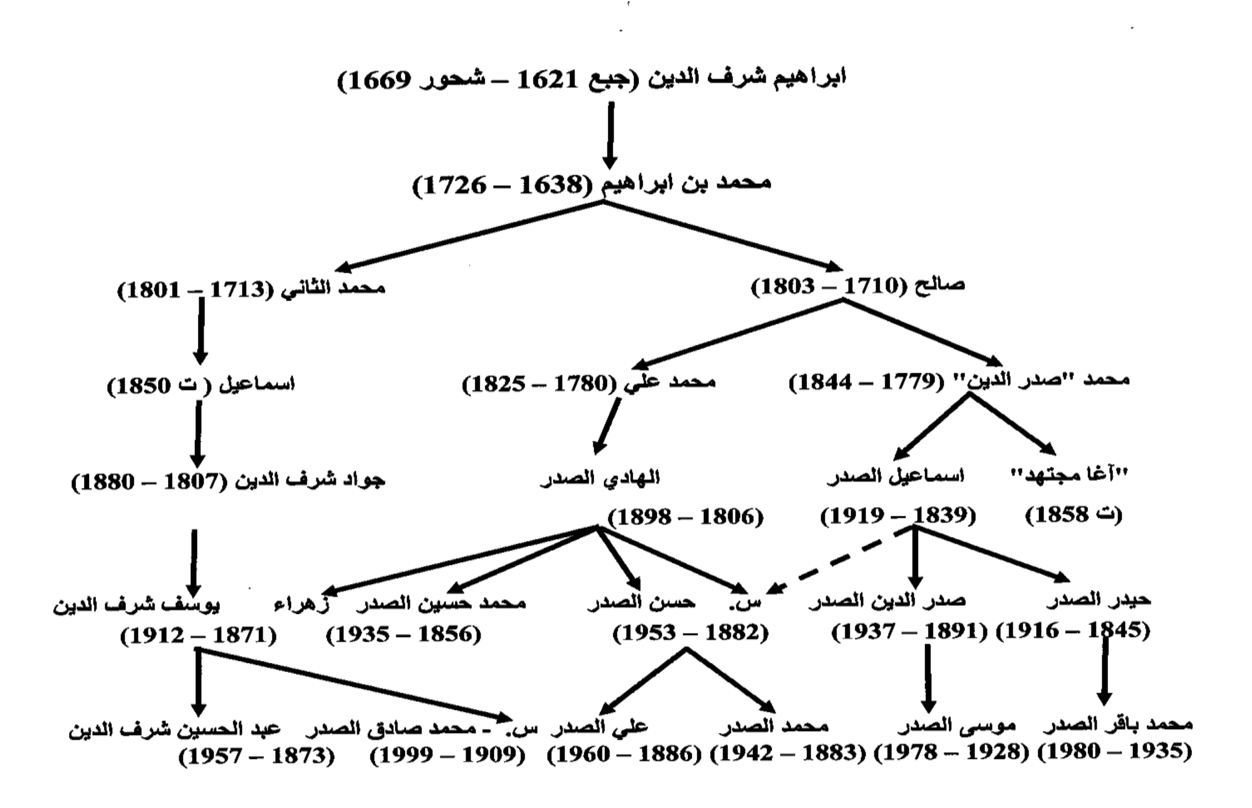
وقد ترك "زينوفي بشكوف" المغرب، والحقته وزارة الخارجية الفرنسية بالمندوب السامي "هنري بونسو" الذي استبقاه مدة إلى جانبه في بيروت ثم أوفده ضابط مخابرات إلى صيدا ثم إلى صور (آذار 1931) فبنى أوسع الصلات في جبل عامل وخالط الزعماء والأدباء والعلماء ولا سيما عبد الحسين شرف الدين الذي كان يسميه "السيد الكبير". وبقي في الجنوب أيام المفوض السامي "دومارتيل" وكان "بيشكوف" قد عمل معه في سيبيريا أيام الردّة البيضاء على الثورة الحمراء. وأصبح بشكوف خبيراً بالمجتمع العاملي وكان له فيه حلفاء وأخصام. وعلى الرغم من أنه أدار الجنوب بيد من حديد، لم يتوقف عن الدفاع عن هذه المنطقة التي أهملتها السلطات، مرافعاً في تقارير عنها، من أجل إيلائها مزيداً من العناية.

(*) المصادر: ملخص عن أوضاع خدمته وضعه المعاون "كان"، محافظ متحف الفرقة الأجنبية في "أوبانيه": Archives MAE, rapports de Pechkoff.

وما كاد أن يصل إلى التقاعد من الخدمة في الجيش، في تموز سنة 1940، حتى التحق بقوات فرنسا الحرة في لندن في آب، فعُيِّن جنرالاً، ثم عينه "دوغول" سفيراً متجولاً، وأوكل إليه مهمات دقيقة. وقد أوصى "تشكوف" بأن تُكتب على قبره عبارة: جندي في الفرقة الأجنبية. أما "مكسيم غوركي" فأهداه أحد كتبه مع العبارة الآتية: إلى ولدي الحبيب الذي أصبح- ويا للعجب!- فرنسياً متعصباً".

مشجر صلات القرابة والتناسب بين آل شرف الدين وآل الصدر

كما تظهر في "بغية الراغبين"



شرح المشجر:

أقيم هذا المشجر إنطلاقاً من المعلومات الواردة في الجزء الأول من كتاب عبد الحسين شرف الدين الذي أتمه إبنه عبدالله، بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين، وفيه يعرض سلالته وتراجم أجداده وافراد أسرته من مختلف فروعها.

وقد بُني الكتاب على النحو الآتي: إبراهيم الملقب بـ "شرف الدين" هو الجد الذي سميت به الأسرة وإختير منطلقاً للسلالة. وقد إنطلق المؤلف منه فذكر في الفصل الأول أجداده، وفي الفصل الثاني أبناءه وأحفاده[1]، وهم القصد في هذا العمل. مع ذلك لم نحتفظ في هذا المشجر إلاّ بمن كان من العلماء المشهورين من أمثال "آغا مجتهد"، أو بمن كان على صلة بعبد الحسين شرف الدين، فهذا المشجر إذن، هو الشجرة التي تخفي وراءها الغابة: وقد

(1) وهذا إتباع لما يظهر في الأنساب من توسط الجد الأعلى للنسب.

سقط منه عدد من الأشخاص مع أن الكتاب يذكرهم، وهو في ذلك أشمل ما يمكن أن يكون. فالمشجر لا يظهر إلا إبنين من أبناء صالح بن محمد، هما "صدر الدين" ومحمد علي، بينما كان له في الواقع إبنان آخران كانا في أصل فرعين آخرين من فروع الأسرة لم نذكرهما في المشجر(1). كذلك العديد ممن ذكروا في بغية الراغبين، لا يظهرون في هذا المشجر.

ولئن كان من بني الذين من لم يذكروا في هذا المشجر، من كانت مهنته التجارة، أو، فيما يختص بالأجيال الأقرب إلينا، من كان يقوم بمهنة قائمة على دراسة غير دينية، فإن غيرهم قد تابعوا طلب العلم في أصفهان أو في النجف أو في قم. وهكذا كان لعبد الحسين شرف الدين، حينما كان يدرس في العراق مقيماص بين آل الصدر، موقع مميّز سمح له بلقاء العديد من أبنائهم الذين كانوا يطلبون العلم، أضف إلى ذلك من كان منهم يأتي لزيارة الأماكن المقدسة. وقد إنفتح أمامه بفضل ذلك، عالم بأكمله من الصلات. إلا أن الأهم هنا، هو إظهار صلات النسب بين آل شرف الدين وآل الصدر، ثم إظهار العلائق الناتجة عن التزواج بينهما من حيث القرابة المباشرة بعبد الحسين شرف الدين.

ولد إبراهيم الملقب بـ "شرف الدين" في جبع، ثم إستقر في نهاية حياته في شحور، القرية العاملية التي إحتضنت جزءاً من ذريته، وقد دُعوا بعده بآل شرف الدين. بعض هؤلاء من أجداد عبد الحسين شرف الدين المباشرين، وأفردنا لهم الجهة اليسرى من المشجر. وقد بدأ إنتشار ذرية إبراهيم، الجد الأعلى ، إبتداءً بحفيدته، محمد الثاني وصالح، إذ فرّا إلى العراق سنة 1785، بعد أن هاجم أحمد باشا الجزار جبل عامل. وفيما عاد محمد الثاني إلى قريته بعد ذلك، بقي صالح في النجف وإستقرّ فيها، ثم توفي فيها.

كان صالح، إذن، في أصل إستيطان الأسرة خارج جبل عامل. وكان إبنه "صدر الدين" في أصل التسمية التي أطلقت على ذريته مختصرة بالصدر بدلاً من صدر الدين.

وقد إستقر صدر الدين في أصفهان، وكان من بين ذريته من استقر في إيران، ومنهم إبنه محمد علي، المعروف بـ "آغا مجتهد"، وآخرون على غرار إبنه إسماعيل، إستقرّوا في

(1) وهما: أبو الحسن ومهدي إبنا صالح، ويردان في بغية ص 431- 441.

مدن العراق المقدسة، وبذلك تكون الأسرة قد زادت بالعديد من أبنائها في طهران وأصفهان والكاظمية. أما إبن صالح الآخر المذكور في هذا المشجر، محمد علي، فقد هاجر من جبل عامل مع أبيه، وعاش في العراق ثم توفي في أصفهان، وكان فيها لزيارة أخيه صدر الدين، وقد توزعت ذريته بين إيران والعراق.

وفي أثناء إقامة يوسف شرف الدين العاملي في العراق للدراسة فيه، تزوج إحدى بنات الهادي الصدر، وكان عبد الحسين من ثمرة هذا الزواج، فنشأ بين أترابه من آل الصدر في الكاظمية، ثم عاد إليهم بعد ذلك حينما جاء في طلب العلم إلى العراق، فكان في رعاية جده الهادي، الذي ما لبث أن توفي، وخاليه حسن وإسماعيل (وهو إبن عم الهادي وكان قد تزوج إحدى بناته). أضف إلى ذلك أنه وجد هناك صديق طفولته خاله محمد حسين الذي كان يكبره بسنتين فحسب. وقد تزوج بإحدى بنات يوسف شرف الدين، بتدبير من زهراء أخته وزوجة يوسف. وهكذا إنعقدت الصلات من جديد بين آل الصدر وآل شرف الدين. وكان لعبد الحسين شرف الدين في شخص محمد حسين الصدر خالٌ وصهرٌ معاً، وقد سافر برفقته إلى مصر. كما أن عبد الحسين بعد وفاة خاله المبكرة سنة 1912، تكفل بإبنه محمد صادق.

وقد إختار عبد الحسن شرف الدين واحداً من آل الصدر ليخلفه، فإستدعاه أول مرة إلى صور سنة 1955. وكان أحد أحفاد خاله إسماعيل، وقد ولد في قم ودرس الحقوق في جامعة طهران ثم طلب العلم في النجف. وكان إسمه موسى الصدر، ولم يلبث أن فرض نفسه رئيساً للشيعة في لبنان، وكذلك زعيماً سياسياً كبيراً.

المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق:

1- وثائق أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية (الكي دورساي – Quai d'orsay Archives des affaires etrageres. Quai d'orsay, serie E, Levant, Syrie – Liban)

2- محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية MAE: Archives MAE, fonds Beyrouth, carton n 2432, lettre du chef de de'tachement au gouverneur militaire de saida, 1819/11/17.

3- Nantes- Fonds Beyrouth, Cartons:

- N 390: cabinet Politique
- N 396: cabinet plitique
- N 415: questions socials
- N 456: cabinet politique (dossier: revendications de la communauté Chiite).
- N 457: cabinet politique (saida, Juillet 1936- congres et événements)
- N 459: le Liban- Sud et le traité franco- libanais
- N 493: cabinet politique 1926-1941 (dossier de principe Syrie- les Minorities 1927-1928).
- N 591: cabinet politique 1926- 1941
- N 940: dossier: congrés musulman du littoral, 16/11/1933
- N 1662: messages et BIH de merdjayoun 1930/32
- N 1664: bulletin d'information hebdomadaire, poste de Tyr.
- N 1675: bulletin de renseignements du Grand Liban, 1926/26.
- N 1679: bulletins hebdomadaires d'informations, H.C, Beyrouth et Postes, 1929- 1931.
- N 2373: dossier: Saida Tyr 1920.

4- Service historique de l’armée de terre (SHAT) الدائرة التاريخية للقوات البرية

5- Levant, sous- série 4H. Cartons:

- N 4H9 (dossier: colonne du Liban- Sud).
- N 4H 143 (dossier: operations de la colonne Sud, aout 1919-septembre 1920)
- Historique des événements Militaries du Liban Sud, sept 1925- janv 1927.

6- محفوظات المهندس رياض الأسعد شركة الجنوب للإعمار من الأرشيف الفرنسي Archives Fonds Beyrouth – MAE.

7- مجموعة وثائق من الأرشيف الفرنسي AAe كما وردت في تقارير المتروبوليت مكسيموس صايغ في صور 1919م.

8- وثائق غير منشورة باللغة العربية:

- مذكرات السيد عبد الحسين شرف الدين المخطوطة هي من أرشف المؤرخ العاملي الدكتور محمد كوراني.

ثانياً: المصادر العربية:

1- آل إبراهيم، حبيب: الحقائق في الجوامع والفوارق، الجزء الأول، الطبعة الثانية، مطبعة آل إبراهيم، بعلبك، 1375هـ- 1956م- الجزء الثاني، الطبعة الأولى، مطبعة العرفان، صيدا، 1358هـ، 1939م.

2- الأمين محسن:

- خطط جبل عامل، الدار العالمية، بيروت، 1983م.
- المجالس السنية، مطبعة النعمان، النجف، الطبعة الخامسة، (ب- ت) خمسة أجزاء.
- رحلات السيد محسن الأمين، دار الغدير، بيروتن (ب.ت).
- سيرته بقلمه وأقلام آخرين، نصوص جمعها حسن الأمين 1983.
- سيرة السيد محسن الأمين، تحقيق وشرح هيثم الأمين وصابرينا ميرفان، دار رياض الريس للكتب والنشر الطبعة الأولى، شباط 2000.

3- آل الصلح، عن مخطوطة: سلف الأفكار في مدح عترة المختار، دار محمد علي فرحات شركة مطبوعات للتوزيع، بيروت، 1989.

4- الزين، أحمد عارف:

- تاريخ صيدا، العرفان، صيدا 1331هـ- 1913م.
- مختصر تاريخ الشيعة، العرفان، صيدا 1332هـ- 1914م.

5- الزين، علي:

- مع التاريخ العاملي، العرفان، صيدا 1954.
- العادات والتقاليد في العهود الإقطاعية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1977.

6- آل صفا، محمد جابر: تاريخ جبل عامل، دار النهار للنشر، بيروت 1981.
"ثلاثة وخمسون يوماً في عاليه"، في هاني فرحات، الثلاثي العاملي في عصر النهضة.

7- الفقيه، محمد تقي: جبل عامل في التاريخ، دار الأضواء، بيروت، 1986.

8- القاسمي: جمال الدين: إصلاح المساجد من البدع والعوائد، مطبعة السلفية، القاهرة، 1341هـ - 1922م.

9- آل كاشف الغطاء، محمد حسين:

- الدين والإسلام، أو الدعوة الإسلامية، العرفان، صيدا، 1911.
- أصل الشيعة وأصولها، منشورات الأعلمي، بيروت، 1983.

10- النشاشيبي، محمد إسعاف: الإسلام الصحيح، بحث وتحقيق، مطبعة العرب، القدس، 1354هـ (1935م).

11- اليعقوبي، أحمد: كتاب البلدان، المطبعة الحيدرية، النجف، 1957.

12- رضا، أحمد:

- الدروس الفقهية، العرفان، 1353هـ (1934م).
- معجم متن اللغة، 6 أجزاء، دار الحياة بيروت، 1958- 1961.
- "الشيعة في بر الشام"، المقتبس، المجلد 8، العدد 9، (1914).
- "الغريب الفصيح في العامي" العرفان، المجلد 19 و 20 (1930-1931).
- "ردّ العامي إلى الفصيح"، العرفان، المجلد 37، (1950).

13- روماني، أديب: سيرة وتاريخ، دار النعيم، بيروت، 1993.

14- شرف الدين، عبد الحسين

- المراجعات، دار ومكتبة الرسول الأكرم، بيروت 1991، 408 (الطبعة الأولى، مطبعة العرفان، 1936).
- النص والإجتهاد، دار النعمان، النجف 1964، الطبعة الثالثة، طبعة أو مجتبى، قم، الطبعة الأولى 1404هـ (1984م).

15- شمس الدين، محمد أمين: الضمير البارز، الجزء الأول، نشره محمد علي شمس الدين، 1353هـ - 1934م.
16- صادق، عبد الحسين: سقط المتاع، الجزء الأول، المطبعة العصرية، صيدا (ب.ت).
17- ظاهر، سليمان:
- الذخيرة إلى المعاد، العرفان، صيدا، 1348هـ (1929م- 1930م)
- جبل عامل في الحرب الكونية، دار المطبعة الشرقية، بيروت، 1986.
- "جبل عامل والفلاح والفلاحة"، البيان، العدد 411، 1920/8/16.
- "صلة العلم بين دمشق وجبل عامل"، مجلة المجمع العلمي العربي، (1929).

18- كرد علي، محمد:
- خطط الشام، الجزء 6، مطبعة المفيد، دمشق 1928.
- غوطة دمشق، مطبعة الترقي، دمشق، 1368هـ- 1949م.
- المذكرات، الجزء 3، مطبعة الترقي، دمشق، 1949.
- المدرسة الجعفرية في صور: البيان السنوي لسنتها الأولى 1938- 1939، مطبعة العرفان.
- المجلس الثقافي للبنان الجنوبي (ناشر)
- من دفتر الذكريات الجنوبية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الجزء الأول، 1981، الجزء الثاني 1984 .
- وجوه ثقافية من الجنوب، الجزء الأول، دار إبن خلدون، بيروت 1981، الجزء الثاني، مكتبة جبل عامل، بيروت 1984.

19- المقدسي، شمس الدين: "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم- مكتبة المصطفى، الطبعة الثالثة 1991.
20- مغنية، محمد جواد: تجارب محمد جواد مغنية بقلمه وأقلام الآخرين، دار الجواد، بيروت، 1980، الوضع الحاضر في جبل عامل، دار الجواد، بيروت، 1984.
21- ياقوت، أبو عبدالله: معجم البلدان، 4 أجزاء+ الفهارس، ليبزيغ، 1866.

ثالثاً: الموسوعات وكتب التراجم:

1- الأمين، حسن:
- دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، دار التعارف، 5 أجزاء بيروت، 1989- 1990.
- مستدركات أعيان الشيعة، دار التعارف، بيروت، 7 أجزاء، 1987- 1996.

2- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، دار التعارف، بيروت، 1986، 10 أجزاء + الفهارس.
3- الحافظ، محمد مطيع وأباظة، نزار: تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، دار الفكر، دمشق، 1986.
4- الحر العاملي، محمد حسين: أمل الآمل، مؤسسة الوفاء، بيروت 1983.
5- الحمصي، محمد حسن: الدعا والدعوة الإسلامية المعاصرة المنطلقة من مساجد دمشق، دار الرشيد، دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت 199.
6- الخاقاني، علي:
- شعراء بغداد، الجزء الأول، دار البيان، بغداد، 1382هـ- 1962م.
- شعراء الغري، 12 جزءاً، النجف، 1954.

7- الخليلي، جعفر: هكذا عرفتهم، الجزء الأول، مطبعة الزهراء، بغداد، 1963.
8- الزركلي، خير الدين: الأعلام، قاموس تراجم، 8 أجزاء، دار العلم للملايين، بيروت 1990.
9- شرف الدين، عبد الحسين: بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين، الدار الإسلامية، بيروت، 1991، الجزء الأول، الجزء الثاني، وقم أتم الكتاب عبدالله شرف الدين.
10- شرف الدين، عبدالله: مع موسوعات رجال الشيعة، الإرشاد للطباعة والنشر، 3 أجزاء، بيروت 1991.

رابعاً: المراجع العربية:

1- أبو ملحم أحمد، الشيخ سليمان ظاهر، رائد عروبي، وجوه ثقافية من الجنوب، طبعة المجلس الثقافي (ب.ت).
2- إسماعيل، منير وعادل تاريخ لبنان الحديث: الوثائق الدبلوماسية، دار النشر للسياسة والتاريخ 1990، بيروت.
3- آل الحجيري أدهم، تاريخ الثورات السورية في عهد الإنتداب الفرنسي، مطبعة الإتحاد، دمشق 1960.
4- الأمين حسن، الذكريات من الطفولة إلى الصبا، دار الغدير، بيروت 1971م.
5- الأمين حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية. دار التعارف- بيروت- 1981م، الطبعة الثالثة.
6- الأمين علي مرتضى، ثائر من بلادي، صادق حمزة الفاعور، 1984- 1926م، دار حيدر، حاروف جنوب لبنان.

7- الأمين، علي مرتضى: السيد محسين الأمين، سيرته ونتاجه، دار الهادي، بيروت، 1992.
8- الحاج بدر، الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني في لبنان،– قراءة في مذكرات الياهو ساسون وإلياهو إيلات، بيروت- دار مصباح الفكر 1982م.
9- الحكيم نزيه، التحدي الصهيوني ، دار العلم للملايين بيروت- 1968م.
10- الخوري بشارة خليل، حقائق لبنانية، ، بيروت، منشورات أوراق لبنانية،بيروت 1960م، ط1.
11- الخوري ميشال ثابت، حكومة دمشق الفيصلية في لبنان، دار المواسم، بيروت، 2008م.
12- الدمشقي شمس الدين: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بطرسير، 1865م.
13- الريحاني أمين، ملوك العرب، بيروت (ب.ت).
14- السواد يوسف، تاريخ لبنان الحضاري، دار النهار، بيروت، 1979.
15- الصباح محمد علي، أدهم خنجر، صقر عاملة، النبطية، 1988م.
16- الصلح، منح: "الإسلام والثورة"، في مصر والعروبة، 1979، بيروت235.
17- أنطونيوس جورج، يقظة العرب، بيروت دار العلم للملايين، 1980م.
18- بزي، مصطفى محمد: جبل عامل في محيطه العربي 1864- 1948، المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، مركز الدراسات والتوثيق والنشر، بيروت 1993، تطور التعليم والثقافة في جبل عامل، هيئة إنماء المنطقة الحدودية، (ب.م.) (لبنان)، 1995.
19- بسام محمد جمعة، الإتجاهات السياسية في جبل عامل1918-1929م.
20- بنوت جهاد، أدهم خنجر، 1895- 1923م، الحركة الثقافية جمعية أدهم خنجر الإجتماعيةن 1998.
21- بيضون، أحمد : "بنت جبيل 1936: الإنتفاضة والإقطاع"، الدار العربية للدراسات والتوثيق والنشر، بيروت 1989.
22- بيهم محمد جميل، النزاعات السياسية بلبنان، 1918- 1945م، طبع دار الأحد، بيروت 1977م.
23- تقي الدين سليمان، التطور التاريخي للمشكلة اللبنانية 1920- 1970دار إبن خلدون، 1977، بيروت.
24- أ- جابر منذر: "الكيان السياسي لجبل عامل قبل 1920"، في منشورات المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، صفحات من تاريخ جبل عامل.
25- ب- جابر منذر، مؤتمر وادي الحجير، كلية التربية،بيروت 1973م.
25- حسين محمد غالب، ثورة الجولان ضد الإحتلال الفرنسي، دمشق 2000م.

26- حلاق حسان:

- مذكرات سليم علي سلام 1868-1998، بيروت 1982.
- حلاق حسان، مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة 1936م.
- تاريخ لبنان المعاصر 1913- 1952م.
- دار النهضة العربية، بيروت 2010 م.

27- خليفة، عصام: الحدود الجنوبية للبنان بين مواقف نخب الطوائف والصراع الدولي (1908- 1936).

28- خوري إميل، إسماعيل عادل، السياسة الدولية في المشرق العربي (1453- 1939)، دار النشر للسياسة والتاريخ، بيروت 1960م.

29- دروزة محمد عزة، حول الحركة العربية الحديثة، المكتبة العصرية - صيدا 1950م.

30- دياب، حسن: تاريخ صور الإجتماعي، 1920- 1943، دار الفارابي، 1988، بيروت.

31- رباط إدمون، التكوين التاريخي للبنان السياسي والدستوري، ترجمة حسن قبيسي، إعداد جورج كتورة، منشورات الجامعة اللبنانية بيروت 2002.

32- زعيتر محمد، المشروع الماروني في لبنان، الوكالة العالمية للتوزيع 1986م.

33- زين نور الدين زين، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان دار النهار، بيروت 1971م.

34- سعيد أمين، الثورة العربية الكبرى، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر 1934م.

35- شاحاك إسرائيل، الصهيونية على لسان زعمائها، جمع وإعداد - تقديم الدكتور توما، منشورات جاليلو- القدس 1979م.

36- شراح، وضاح:

- الأمة القلقة، العامليون والعصبية العاملية على عتبة الدولة اللبنانية، دار النهار، بيروت، 1996.
- دولة حزب الله، لبنان مجتمعاً إسلامياً، دار النهار، بيروت، 1996.

37- شرف جان، آل عقل شديد في تاريخ لبنان الحديث والمعاصر، بيروت، 2001.

38- شمعون كميل، لبنان ودول العرب في المؤتمرات الدولية 1949، بيروت.

39- صادر إلياس، ثورة جبل عامل، كفاءة في التاريخ، الجامعة اللبنانية، التربية، 1971م.

40- صايغ أنيس، الهاشميون والثورة العربية الكبرى، دار الطليعة، بيروت 1966م.

41- ضاهر مسعود، تاريخ لبنان الإجتماعي، مسعود ضاهر، 1914- 1926، دار الفارابي، 1974، بيروت.

42- ظاهر سليمان، جبل عامل في الحرب الكونية، دار المطبوعات الشرقية، بيروت 1986م.

43- عبد الرزاق جعفر، الإسلاميون والقضية الفلسطينية، (ب،ت)
44- عبد المقصود عبد الفتاح، صليبية إلى الأبد، دار مكتبة العرفان (ب.ت).
45- عبيدات محمود، الدور الأردني في النضال العربي السوري، 1908- 1946م، الأهلية، عمان 1997م.
46- عبيدات محمود- الريس رياض،أحمد مريود 1886-1926، 1997م.
47- غانم محمد، قضية وأرض ، (ب، ت)
48- فتوني، علي: "تطور التعليم في مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية العاملية في لبنان"، في الرصد، العدد 36، (تشرين الأول 1993).
49- فرحات، هاني: الثلاثي العاملي في عصر النهضة، الدار العالمية، بيروت، 1981.
50- فروخ عمر، دفاعاً عن العلم، دفاعاً عن الوطن ، دار الأحد- بيروت 1977م.
51- فضل الله، محمد حسين: "الجانب الإجتماعي والإصلاحي من حياة العلامة السيد الأمين"، في، المصلح الإسلامي السيد محسن الأمين، المستشارية الثقافية للجمهورية الإيرانية بدمشق، دمشق 1992.
52- فضل الله، هادي: رائد الفكر الإصلاحي السيد عبد الحسين شرف الدين، مؤسسة عز الدين 1987م.
53- فغالي جورج، جيش المشرق في لبنان، 1919- 1920م، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت 1997م.
54- قاسمية خيرية، الحكومة العربية في دمشق، دار المعارف، القاهرة، 1971م.
55- قبيسي، أحمد: حياة الإمام شرف الدين في سطور، دار التوحيد الإسلامي، بيروت، 1980.
56- قبيسي، حسن: تطور مدينة صور الإجتماعي، دار قدموس، بيروت، 1986.
57- كوثراني وجيه، الإتجاهات الإجتماعية السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي 1860-1920 ط1، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1976.
58- نور الدين عبد الرضى، جويا بين الماضي والحاضر، دار الصفوة، بيروت 2003م.
59- موسى سليمان، الحركة العربية، المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة، دار النهار، بيروت 1986م.
60- موسى سليمان، المراسلات التاريخية، 1914- 1918م، الثورة العربية الكبرى عمان 1973م.
61- ميرفان صابرينا، حركة الإصلاح الشيعي دار النهار، بيروت 2003م.

خامساً: الصحف والدوريات:

1- جريدة السفير، صحيفة العاصمة الدمشقية، جريدة البرق، جريدة لسان الحال، الأرز، مجلة البشير، مجلة شؤون جنوبية، مجلة الحقيقة، مجلة المقتبس، مجلة العروبة، مجلة المقتطف، مجلة المشرق.
2- مجلة العرفان – المجلدات: 2- 33- 34- 36- 15- 31- 37- 32- 35- 10.
3- مجلة العهد العدد 25- 278.
4- جريدة السفير
5- مجلة المنطلق
6- جريدة النهار
7- مجلة بيروت المساء
8- المنار، مجلة: القاهرة، من سنة 1898 إلى 1936.

سادساً: منشورات مجلس الثقافي للبنان الجنوبي:

1- الدليل ، بيروت، 1981.
2- الهمداني، حسن: صفة جزيرة العرب، دار اليمامة، الرياض، 1984.
3- صفحات من تاريخ جبل عامل، بيروت، 1979.
4- مكي، محمد كاظم: الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل، دار الأندلس، بيروت 1982.
5- نصرالله، حسن:
- "النجف الحضارية"، الغدير، العدد 2 (كانون الثاني 1981)
- تاريخ بعلبك، مؤسسة الوفاء، بيروت 1981، جزءان.

سابعاً: أعمال أكاديمية (ماجستير ودكتوراه):

1- بسام، محمد سعيد: "الإتجاهات السياسية في جبل عامل، 1918-1926"، دكتوراه في التاريخ، جامعة القديس يوسف، بإشراف منير إسماعيل، بيروت 1983.
2- جابر منذر: "مؤتمر وادي الحجير وآثاره"، الكفاءة في التاريخ، بإشراف هشام نشابة، الجامعة اللبنانية، كلية التربية، بيروت 1973.
3- رضا، جواد علي: "تطور التعليم في قضاء صور: 1900- 1950" ماجيستير، الجامعة اللبنانية، بيروت 1980.

4- طباجة، يوسف: "النزاعات السياسية في لبنان الجنوبي: نموذج عادل عسيران"، ماجيستير في العلوم الإجتماعية، الجامعة اللبنانية، صيدا، 1985.
5- فتوني، علي: "تطور التعليم في مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية العاملية في بيروت من خلال وثائقها الأصلية (1923- 1943)"، ماجيستير في التاريخ، الجامعة اللبنانية، بيروت، 1986.

ثامناً: المصادر والمراجع بالأجنبية:

1- Abdel Nour, Antoine : Introduction a l'histoire urbaine de la Syrie ottoman (XVle- XVIIIe siécles), Université Libanaise, Librairie orientale, Beyrouth, 1982.
2- Abu Husayn, Abdul- Rahim: "The Shiites in Lebanon and the Ottomans in the 16th and the 17th Centuries", in La Shi'a nell' Impero ottoman.
3- Bosworth,C. Edmond: "Baha al- Din al 'Amili in the two worlds of the Ottomans and Safavids", in La shi a nell'Impero ottoman.
4- Brunner, Rainer: Annaherung und Distanz. Schia, Azhar und die islamische Okumene im 20. Jahrhundert, Klaus Schwarz Verlag, Berlin, 1996.
5- Calder, Norman: "Accomodation and Revolutions in Imami Shi'I Jurisprudence: Khumayni and the Classical Tradition", (janv, 1982).
6- Cf. Etienne de Vaumas, Le Liban, vol. I, Firmin- Didot, Paris, 1954.
7- Chevallier, Dominique et Miquel, André (ed.)
Les Arabes du message à l'histoire, Fayard, Paris, 1995.
8- Chrara, Waddah: Transformation d'une manifestation religieuse dans un village du Liban - sud (Ashura), Publications du Centre de Recherches de l'Université Liba-naise, Beyrouth, 1968.
9- Dussaud, René, Toporgaphie historique de la Syria antique et medieval, Paul Geuthner, Paris, 1927.

10- Elias, Joseph: "Misconceptions Regarding the Judicial Status of Iranian, ulama", (1979).
11- Garn, Peter: "Islamic Marxism in comparative History: the Case of Lebanon, Reflections of the Recent Book of Husayn Muruwah", in ed. Stowasser Freyer, Barbara, The Islamic Impulse, Georgetown University, Washington, 1987.
12- Gaulmier, Jean:" Pélerinages populaires a Hama", BEO,1 (193).
- " Note sur l'itinéraire de Volney en Egypte et en Syrie", BEO, 13 (1949-1950).
- Congres general des etudiants tenu a Hama, rapport du CHEAN, 46, 1936.

13- Gunther, Sebastian: "Maqâtil Literature in Medieval Islam", Journal of Arabic Literature, XXV (1994).
14- Hottinger, Arnold: "Zu'amā in Historical perspective", in Politics in Lebanon, ed. Lebanon Binder.
15- Hourani, Albert:
- Syria and Lebanon. A Political Essay, Oxford University Press, London, 1946.
- La pensée arabe et l'Occident (traduction of the Arabic Thought in the Liberal Age), Naufal, Paris, 1991.
- The Emergence of the Modern Middle East, Macmillan, London, 1981.
- "Historians of Lebanon", in Historians of the Middle East, ed. Bernard lewis et .M. Holt, Oxford University Press, 1962.
- "From Jabal Amil to Persia", BSOAS, 49/1 (1986).
- "Ideologies of the Mountain and the City", in Essays on the Crisis in Lebanon, ed.Roger Owen (1988).
- "Ottoman Reform and the Politics of Notables", in Beginnings of Modernization in the Middle East, ed.Polk & Chambers (1978).

16- Hourani, Albert&Shehadi, Nadim (ed.) The Lebanese in the World, A Century of Emigration, Centre for Lebanese Studies & I.B. Tauris, London, 1992.
17- Ismail, Adel: Documents diplomatiques et consulaires relatifs à I'histoire du Liban, Beyrouth, 1979.
18- Jaber, Mounzer: pouvoir et société au Jabal Amil de 1749 à 1920 dans conscience des chroniqueurs chi'ites et dans un essai d'interprétation, these de 3e cycle, Paris IV, 1978.
19- Khalidi, Rashid: "Social Factors in the Rise of the Arab Movement in Syria", in Said Amir Arjomand ed., From Nationalism to Revolutionary Islam, Macmillan, London, 1984.
20- Kramer, Martin: Islam Assembled. The Advent of the Muslim Congresses, Columbia University Press, New York 1986.
21- Kupferschmidt, Uri M: "The Gerneral Muslim Congress of 1931 in Jerusalem", AAS, 12/1 (1978).
22- Lammens, Henri:
    - La Syrie, Précis historique, vol.1:279 p.,vol II: 277p., Imprimerie catholique, Beyrouth,1921.
    - "Les "Perses" du Liban et l'origine des Métoualis", MUSJ, 14 (1929).
    - Sur la frontière nord de la terre promise, Paris, 1921,
23- Latron, André: La vie rurale en Syrie et au Liban. Etude d'économie sociale, Mémoire de I'IFD, Beyrouth, 1936.
24- Lescot, Roger: "Les chiites du Liban- Sud", rapport du CHEAM n3, 1936.
25- Litvak, Meir: Shi'I Scholars of nineteenth- century Iraq. The "Ulama" of Najaf and Karbala, Cambridge University Press, 1998.
26- Lortet, Louis: La Syrie d'aujourd'hui. Voyages dans la Phénicie, le Liban et la Judée, 1875-1880, Hachette, Paris, 1884.
27- Louwis, Henri: Le califat dans la doctrine de Rashid Raida, Mémoires de l'IFEAD, tome VI, Beyrouth, 1938.

- Essai sur les doctrines sociales et politiques de Taki-d-Din Ahmad b. Taimiya, Le Caire, IFAO, 1939.
- “Le réformisme orthodoxe des “Salafiya” et les caractéres généraux de son orienta-tion actuelle”, REI, 6/2 (1932).
- “La critique du sunnisme dans la doctrine d’al-Hilli”, REI, 34 (1966).
- “Les fondements de I’imamat dans le Minhag d’al-Hilli”, REI, 46 (1978).

28- Mariti, Voyage dans I’ile de Chypre, Paris, 1791, vol: II, (traduction en francaise du texte en italien).

29- Makki, Mohammad Kazem: Le Mouvement intellectuel et littéraire au Gabal Amil, XIIIe- XVIe siècle, thésed’Etat, Paris, 1974, dir, Roger Arnaldez.

30- Merad, Ali: Le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940, Mouton, Paris- La Haye, 1967.

31- Modarressi Tabātabā’I, Hossein:

- An Introduction to Shī’î Law, A bibliographical Study, Ithaca Press, London, 1984.
- “Rationalism and Traditionalism in Shî’î Jurisprudence: A Preliminary Survey” SI, LIX (1984).

32- Momen, Moojan: An Introduction to Shi’I Islam, yale University press, New Haven- London, 1985.

33- Naef, Silvia: “Un réformiste chiite- Muhammad Husayn I Kâsif al- Gitâ”, WO, 27 (1996).

34- Peters, Emrys LIoyd:

- “Aspects of Pank and Status among Muslims in a Lebanese Village”, in Mediter- ranean Countrymen, ed. Julian Pitt-Rivers, Mouton, Paris- La Haye, 1963.
- “Shifts in Power in a Lebanese Village”, in Rural Politics and Social Changes in the Middle East, ed. Richard Antoun et IIya Harik, University of Indiana Press, London-Bloomington, 1972.

35- Rabbath, Edmond: La formation historique du Liban politique et constitutionnel. Essai de synthèse, Publications de l'Université libanaise, Beyrouth, 1986.
36- Robinson, Edward: Later Biblical Reserches in Palestine and the Adjacent Regions: A Journal of Travel in the Year 1852, Murry, London, 1856.
37- Sachedina, Abdulaziz Abduihussien:

- The Just Ruler in Shi'ite Islam. The Comprehensive Authority of the Jurist in Imamite Jurisprudence, oxford University Press, New York, 1988.
- "Al- Khums: The Fifth in the Imāmi Shī'ī Legal System", JNES (1980).

38- Salati, Marco: "Toleration, Persecution and Local Realities:

- Observations of the Shiism in the Holy Places and the Bīlād-al-Shām (16^{th} – 17^{th} centuries)", in La Shia nell'Impero ottoman.
- "Urban Notables, Private waqf and Investment", in Le waqf dans l'espace isla-mique, Outil de pouvoir socio-politique, ed. Randi Deguilhem, IFEAD, Damas, 1995.
- Ascesa e caduta di una famiglia di asrāf sciiti di Aleppo: I Zuhrāwi o zuhrā- zāada (1600-1700), Instituto per l'Oriente, Rome, 1992.
- "I villaggi imamiti della provincial di Aleppo in epoca ottoman", (1989).

39- Salibi, Kamal:

- Histoire du Liban du XVIIe siècle à nos jours, Naufal, Paris, 1988.
- Une maison aux nombreuses demeures, L'identité libanaise dans le creuset de l'histoire, Naufal, paris, 1989.

40- Stewart, Devin J.:

- “A Biographical Note on Bahā al- Din al- Amilī (d. 1030/1621)”, JAOS, 111/3 (1991).
- “The Humor of the Scholars: The Autobiography of Ni’mat Allāh al- Jazā’irī (d.1112/1701)”, Iranian Studies, 24/24, 1989.
- “Notes on the Migration of Amilī Scholars to Safavid Iran”, JNES, 55/2 (1996).

41- Touqan, Fadwa: Le rocher et la peine, traduit par Joséphine Lama et Benoit Tadié, L’Asiathèque, Paris ,1997.

42- Volney: Vayage en Egypte et en Syrie, Mouton, Paris- La Haye, 1959.

الفهرس

الفصل الثاني

النـهج العاملي في مواجهة التحديات

الفصل الثالث

نهاية الحكم العثماني وبداية الإحتلال الفرنسي

الفصل الرابع

المقاومة في جبل عامل

الفصل الخامس

التحولات السياسية في جبل عامل

الفصل السادس

موقف جبل عامل من المشروع الصهيوني في عهد الإنتداب